تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الرابع عشر

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٩٣٤٩/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين : إنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك ، بل علىٰ الضدّ من ذلك ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله** ﴾ ، أي : إذا حَضَروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليسوا كما يقولون ؛ ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ، فقال : ﴿ **والله يعلم إنك لرسوله** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ ، أي : فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقًا للخارج ، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ، ولهذا كذبهم بالنسبة إلىٰ اعتقادهم .

وقوله : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي : اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلْفَات[١] الآثمة ، ليصدقوا فيما يقولون [فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، فربما اقتدىٰ بهم فيما يفعلون][٢] وصدقهم فيما يقولون ، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير علىٰ كثير من الناس ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ ؛ و[لهذا][٣] كان الضحاك بن مُزاحم يقرؤها : (**اتخذوا إيمانهم جنة**) ، أي : تصديقهم الظاهر

---

[١] - في خ : الحلفان .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

جُنَّة ، أي : تقية يتقون به القتل . والجمهور يقرؤها : ﴿ أيمانهم ﴾ جمع يمين .

﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ ، [أي : إنما قُدّر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلىٰ الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدىٰ ﴿ فطبع اللَّه علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾][١] أي : فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير ، فلا تعي ولا تهتدي .

﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ ، أي : كانوا أشكالًا حسنة وذوي فصاحة وألسنة ، إذا سمعهم السامع يصغي إلىٰ قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخَور والهلع والجزع والجبن ، ولهذا قال : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ ، أي : كلما وقع أمر[٢] أو كائنة أو خوف ، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشىٰ عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة علىٰ الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللَّه أعمالهم وكان ذلك علىٰ اللَّه يسيرًا ﴾ فهم جهامات وصور بلا معاني . ولهذا قال : ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللَّه أنىٰ يؤفكون ﴾ ، أي : كيف يُصرفون عن الهدىٰ إلىٰ الضلال .

وقد قال الإمام أحمد(١) : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قدَامة الجُمَحي ، عن إسحاق ابن بكر بن أبي الفرات ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نُهبَة ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلَّا هُجرًا ، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْرًا مستكبرين لا يألفون ولا يُؤلفون خشب بالليل ، صُخُب بالنهار » . وقال يزيد مَرة : « سُخُبٌ بالنهار » .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ

(١) المسند (٢/٢٩٣) (٧٩١٣) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١/١١٢) : رواه أحمد والبزار وفيه عبد الملك ابن قدامة الجمحي وثقه يحيى بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : أمرًا .

وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين - عليهم لعائن الله -: إنهم ﴿ **إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رءوسهم** ﴾ أي: صدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكبارًا عن ذلك، واحتقارًا لما قيل لهم. ولهذا قال: ﴿ **ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون** ﴾. ثم جازاهم علىٰ ذلك فقال: ﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾. كما قال في سورة « براءة » وقد تقدم الكلام على ذلك، وإيراد الأحاديث المروية هنالك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ أبي عُمر العَدَني؛ قال: قال سفيان: ﴿ **لوّوا رءوسهم** ﴾، قال ابن أبي عمر: حوّلَ سفيان وجهه علىٰ يمينه، ونظر بعينيه[١] شزْرًا، ثم قال: هُمْ هذا.

وقد ذكر غير واحد من السلف؛ أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبيّ بن سلول، كما سنورده قريبًا إن شاء الله تعالىٰ، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة(٢): ولما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة[٢] - يعني مَرْجِعَه من أحد - وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول - كما حدثني ابن شهاب الزهري - له مقام يَقُومه كل جُمعَة لا ينكر، شَرَفًا له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام، فقال: أيها[٣] الناس، هذا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزّكم به، فانصروه وعَزِّروه، واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس، حتىٰ إذا صَنَع يوم أحد ما صنع - يعني مرجعه بثلث الجيش - ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أيْ عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ. فخرج يتخطىٰ رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْرًا، أن[٤] قُمت أشدّد أمره. فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك، مالك؟ قال: [قمتُ أشدّد][٥] أمره، فوثب عليّ

(٢) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٦١٨ - ٦١٩).

[١] - في ت: بعينه.
[٢] - سقط من خ.
[٣] - في ز: يا أيها.
[٤] - في ز: الآن.
[٥] - في ز، خ: قمنا نشد.

رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما قلت بَجْرًا ، أن[١] قمت أشدد أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فقال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبيّ ، وذلك أن غلامًا من قرابته انطلق إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار علىٰ ذلك الغلام فلاموه وعَذَموه ، وأنزل الله فيه ما تسمعون ، وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فجعل يلوي رأسه ، أي : لست فاعلًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزّهراني ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلًا لم يرتحل حتىٰ يصلي فيه ، فلما كانت غزوة تبوك ، بلغه أن عبد الله بن أبيّ بن سلول؛ قال : ﴿ **ليخرجنّ الأعز منها الأذل** ﴾ . فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار ، وقيل لعبد الله بن أبيّ : إيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ يستغفر لك . فأنزل الله : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك - فيه نظر ، بل ليس بجيد ، فإنّ عبد الله بن أبيّ بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش ، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان[٢] في غزوة المُرَيسيع ، وهي غزوة بني المصطلق :

قال يونس بن بكير عن ابن[٣] إسحاق(٣) : حدثني محمد بن يحيىٰ بن حَبّان ، وعبد الله ابن أبي بكر ، وعاصم بن عُمَر بن قتادة ، في قصة بني المصطلق ، فبينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مقيم هناك ، اقتتل علىٰ الماء جَهجاه بن سعيد الغفاري[٤] وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب - وسنان بن وبر[٥] . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن يحيىٰ بن حَبّان ؛ قال : ازدحما علىٰ الماء فاقتتلا ، فقال سنان : يا معشر الأنصار . وقال الجهجاه : يا معشر المهاجرين - وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبيّ - فلما سمعها قال : قد

---

(٣) - السيرة النبوية (٧٥٨/٣ - ٧٦٠) . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥٢/٤ - ٥٣) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن يحيى .

---

[١] - في خ : الآن .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : أبي .

[٤] - في ز ، خ : المعافري .

[٥] - في ز ، خ : يزيد .

ثاوَرُونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمِّن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل علىٰ من عنده من قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلىٰ غيرها. فسمعها زيد بن أرقم، فذهب بها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو غُلَيِّم و[١] عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فأخبره الخبر، فقال عمر -رضي الله عنه-: يا رسول الله مُر عَبّاد بن بِشْر فليضرب عنقه. فقال صلىٰ الله عليه وسلم: « فكيف إذا تحدّث الناس يا عمر أن محمدًا يقتل أصحابه؟ لا، ولكن ناد يا عمر في الرحيل ».

فلما بلغ عبدَ الله بن أبيّ أن ذلك قد بلغ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم، أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا: يا رسول الله، عسىٰ أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مُهَجِّرًا في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أسيد بن الحضير، فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحت في ساعة مُنكَرَة ما كنت تروح فيها. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبيّ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعز منها الأذل ». قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل. ثم قال: يا[٢] رسولَ الله، ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرزَ لنتوّجه، فإنه ليرىٰ أن[٣] قد [استلبتَه ملكًا][٤].

فسار رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالناس[٥] حتىٰ أمسوا، وليلته حتىٰ أصبحوا، وصَدر يومه حتىٰ اشتد الضحىٰ، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مسّ الأرض فناموا، ونزلت سورة المنافقين.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا بشر بن موسىٰ، حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، سمعت جابر ابن عبد الله؛ يقول: كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [في غزاة][٦] فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « ما بال دعوىٰ الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة ». وقال

---

(٤) - دلائل النبوة (٤/٥٣ - ٥٤).

---

[١] - في خ: وهو.
[٢] - سقط من خ.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في خ: استلبسته.
[٥] - سقط من خ.
[٦] - في خ: فمر عروة.

عبد الله بن أبيّ ابن سلول : وقد فعلوها ، والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثرَ من المهاجرين حين قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم « دعه ؛ لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه » .

ورواه الإمام أحمد(٥) ، عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة . ورواه البخاري ، عن الحميدي ، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وغيره عن سفيان ، به نحوه.

وقال الإمام أحمد(٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القُرَظي ، عن زيد بن أرقم ؛ قال : كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فقال عبد الله بن أبيّ : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته ، قال : فحلف عبد الله بن أبيّ أنه لم يكن شيء من ذلك . قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردتَ إلىٰ هذا ؟ قال : فانطلقت فنمتُ كئيبًا حزينًا ، قال : فأرسل إليّ نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : « إنَّ الله قد أنزل عُذرك وصَدّقك » . قال : فنزلت هذه الآية : **﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا ﴾** حتىٰ بلغ : **﴿ لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾** .

ورواه البخاري عند هذه الآية ، عن آدم بن أبي إياس ، عن شعبة ، ثم قال : وقال ابن أبي زائدة ، عن الأعمش ، عن عمرو ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن زيد ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

[ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضًا من حديث شعبة به][١] .

(طريقٍ أخرىٰ) عن زيد ، قال الإمام أحمد(٧) رحمه الله : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، ويحيىٰ ابن أبي بُكير[٢] ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت زيد بن أرقم ، وقال [ابن أبي بكير[٣]][٤] عن زيد بن أرقم ؛ قال : خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد الله

---

(٥) - المسند (٣/٣٩٢ - ٣٩٣) (١٥٢٦٥) . والبخاري في كتاب التفسير ، باب (٧) ، حديث (٤٩٠٧) (٨/٦٥٢) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا ، حديث (٦٢ - ٢٥٨٤/٦٤) (١٦/٢٠٧ - ٢٠٩) .

(٦) - أخرجه أحمد (٤/٣٦٨ - ٣٦٩) (١٩٣٤٠) . والبخاري في التفسير ، باب : **﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا .... ﴾** ، حديث (٤٩٠١) (٨/٦٤٦) .

(٧) - المسند (٤/٣٧٣) (١٩٣٨٨) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : بكر .

[٣] - في خ : بكر .

[٤] - ما بين المعكوفين في ز : أبو بكر .

ابن أبيّ [ابن سلول][١] يقول لأصحابه : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأرسل إليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فحدثته ، فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبيّ بن سلول وأصحابه[٢] فحلفوا ما قالوا ، فكذّبني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وصَدّقه ، فأصابني هَمّ لم يصبني مثله قط ، وجلست في البيت ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومقتك . قال : حتىٰ أنزل الله : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ ، قال : فبعث إليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقرأها رسول الله عليّ[٤] ، ثم قال : « إن الله قد صدقك » .

ثم قال أحمد(٨) أيضًا : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ؛ أنه سمع زيد بن أرقم؛ يقول : خرجنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر ، فأصاب الناس شدةٌ ، فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه[٥] : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله ، وقال : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فأتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبيّ فسأله ، فاجتهد يمينَه ما فعل ، فقالوا : كذب زيد يا رسول الله . فوقع في نفسي مما قالوا ، حتىٰ أنزل الله تصديقي : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ . قال : ودعاهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليستغفر لهم ، فلووا رءوسهم . وقوله تعالىٰ : ﴿ **كأنهم خشب مسندة** ﴾ ، قال : كانوا رجالًا أجمل شيء .

وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي ، من حديث زهير .

ورواه البخاري(٩) أيضًا والترمذي من حديث إسرائيل ، كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعيّ الهَمْداني الكوفي ، عن زيد به .

(طريق أخرىٰ) عن زيد ، قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٠) : حدثنا عبد بن حُميد ، حدثنا عبيد

(٨) - المسند (٤/٣٧٣) (١٩٣٨٩) . وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ...** ﴾ ، حديث (٤٩٠٣) (٨/٦٤٧) . ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث (١/٢٧٧٢) (١٧/١٧٦ - ١٧٧) والنسائي في الكبرى كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾ ، حديث (١١٥٩٨) (٦/٤٩٢) .

(٩) - وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : اتخذوا أيمانهم جنة يجتنون بها ، حديث (٤٩٠١) . والترمذي في ك « التفسير » ، باب : « ومن سورة المنافقين » ، حديث (٣٣٠٩) (٩/٥٠) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(١٠) - أخرجه الترمذي في الموضع السابق (٣٣١٠) (٩/٥٠ - ٥٢) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : يكذبك .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .

اللّٰه بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي سعد[١] الأزدي؛ قال : حدثنا زيد بن أرقم؛ قال : غزونا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نَبْتَدرُ الماء، وكان الأعراب يسبقوننا ، يسبق الأعرابي أصحابه يملأ الحوض ، ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النّطع عليه[٢] حتى يجيء أصحابه. قال[٣] : فأتى رجل من الأنصار الأعرابي ، فأرخىٰ زمام ناقته لتشرب ، فأبىٰ أن يدعه ، فانتزع حجرًا ففاض الماء ، فرفع الأعرابي خشبة ، فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه ، فأتىٰ عبد اللّٰه بن أبيّ رأسَ المنافقين، فأخبره وكان من أصحابه ، فغضب عبد اللّٰه بن أبيّ ، ثم قال : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول اللّٰه حتىٰ ينفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عند الطعام . فقال عبد اللّٰه لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدًا بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه : إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل. قال زيد: وأنا ردف عمي فسمعتُ عبد اللّٰه فأخبرت عَمّي ، فانطلق فأخبر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأرسل إليه رسول اللّٰه ، فحلف وجَحَد ، قال[٤] : فصدقه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكذبني ، فجاء إليّ عمي؛ فقال : ما أردت إلا[٥] أن مقتك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكذّبك والمسلمون . فوقع عليّ من الغم ما لم يقع علىٰ أحد قط ، فبينما أنا أسير مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في سفر وقد خَفَقْتُ برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فَعَرَك أذني ، وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا[٦] ، ثم إن أبا بكر لحقني وقال : ما قال لك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قلت : ما قال لي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شيئًا غير أنْ عرك أذني ، وضحك في وجهي . فقال : « أبشر » . ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر . فلما أن أصبحنا قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سورة المنافقين .

انفرد بإخراجه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي(١١) عن الحاكم ، عن [أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، عن سعيد بن مسعود ، عن][٧] عبيد اللّٰه بن موسىٰ به . وزاد بعد قوله « سورة المنافقين » ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول اللّٰه** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول اللّٰه حتىٰ ينفضوا** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾ .

---

(١١) - الدلائل (٤/٥٤ - ٥٥) .

---

[١] - في ز ، خ : سعيد .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفين بياض في خ ، وسقط من ز .

وقد روىٰ عبد الله بن لهيعة(١٢) ، عن أبي الأسود ، عن عُروَةَ بن الزبير في المغازي ، وكذا ذكر موسىٰ بن عقبة في مغازيه أيضًا هذه القصة بهذا السياق ، ولكن جعلا الذي بلّغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبيّ ابن سلول إنما هو أوس بن أرقم[١] من بني الحارث ابن الخزرج ، فلعله مبلغ آخر ، أو تصحيف من جهة السمع ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم -رحمه الله- : حدثنا محمد بن عزيز الأيلي ، حدثني سلامة ، حدثني عقيل ، أخبرني محمد بن مسلم ؛ أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري[٢] أخبراه ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع ، وهي التي هدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المُشَلّل وبين البحر ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خالد بن الوليد فكسر مناة ، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلك ، أحدهما من المهاجرين ، والآخر من بَهْز ، وهم حلفاء الأنصار ، فاستعلىٰ الرجل الذي من المهاجرين علىٰ البهزي ، فقال البهزي : يا معشر الأنصار ، فنصره رجال من الأنصار ، وقال المهاجري : يا معشر المهاجرين ، فنصره رجال من المهاجرين ، حتىٰ كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ، ثم حُجز بينهم فانكفأ كل منافق - أو رجل في قلبه مرض - إلىٰ عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، فقال : قد كنت تُرْجَىٰ وتدفع ، فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تناصرت علينا الجلابيب - وكانوا يَدعُون كُل حديث هجرة[٣] : الجلابيب - فقال عبد الله بن أبيّ عدو الله : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخشُم[٤] - وكان من المنافقين : أو لم أقل لكم لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا . فسمع بذلك عُمر بن الخطاب ، فأقبل يمشي حتىٰ جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضربْ عنقه - يريد عمرُ عبد الله بن أبيّ - فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنتَ إن أمرتُك بقتله ؟ » قال عمر : نعم[٥] والله لئن أمرتني بقتله لأضربَنّ[٦] عنقه . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « اجلس » . فأقبل أسَيدُ بن الحُضَير - وهو أحد الأنصار ، ثم أحد بني عبد الأشهل - حتىٰ أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتنَ الناس أضربْ عنقه . فقال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « أو قاتله أنتَ إن أمرتك بقتله ؟ » قال : نعم ، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن[٧]

(١٢) - أخرجه البيهقي (٥٦/٤) .

[١] - في ز ، خ : أقرم .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز ، خ : أهجرة .
[٤] - في ز ، خ : الدخشن .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ز : لأضرب .
[٧] - في ز ، خ : لأضرب .

بالسيف تحت قُرط أذنيه . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « اجلس » . ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « آذنوا بالرحيل » . فَهجَّرَ بالناس ، فسار يومه وليلته والغد حتىٰ مَتَعَ النهار ثم نزل . ثم هَجَّر بالناس مثلها ، فَصبَّح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المُشَلّل، فلما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة أرسل إلىٰ عمر فدعاه ، فقال له رسول الله : « أيْ عمر ؛ أكنت قاتلَه لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر : نعم . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليومَ بقتله امتثلوه فيتحدث الناسُ أني قد[١] وقعت علىٰ أصحابي فأقتلهم صبرًا » . وأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا** ﴾ ... إلىٰ قوله : ﴿ **لئن رجعنا إلىٰ المدينة** ...﴾ الآية .

وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه .

وقال محمد بن إسحاق بن يَسار(١٣) : حدثني عاصم بن عُمر بن قتادة ؛ أن عبدَ الله بن عبد الله ابن أبيّ - يعني لما بلغه ما كان من أمر أبيه - أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : يا رسول الله ؛ إنه بلغني أنك تريد قتلِ عبد الله بن أبَيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلًا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمَتِ الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، إني أخشىٰ أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلىٰ قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « بل نترفق به ونحسن صحبته ، ما بقي معنا » .

وذكر عكرمةُ وابن زيد وغيرهما ؛ أن الناس لما قفلوا راجعين إلىٰ المدينة ، وقف عبدُ الله بن عبد الله هذا علىٰ باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبيّ قال له ابنه : وراءك . فقال : مالك ؟ ويلك . فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتىٰ يأذن لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فإنه العزيز وأنت الذليل . فلما جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكان إنما يسير ساقة ، فشكا إليه عبدُ الله بن أبيّ ابنَه ، فقال ابنُه عبد الله : والله يا رسول الله ؛ لا يدخلها حتىٰ تأذن له . فأذن له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : أما إذ أذن لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فَجُز الآن .

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحُميدي(١٤) في مسنده : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، حدثنا أبو هارون المدني[٢] ؛ قال : قال عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبدًا حتىٰ تقول : رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم الأعزُ وأنا الأذل ، قال : وجاء النّبي

(١٣) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٧٦٠) .

(١٤) - أخرجه الحميدي (٢/٥٢٠ - ٥٢١) (١٢٤٠) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : المديني .

صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له، ولئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك[١]، فإني أكره أن أرى قاتل أبي.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾

يقول تعالى آمرًا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهيًا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبرًا لهم بأنه مَنِ التَهَى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ له[٢] من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال: **﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموتُ فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾** فكل مُفرِّط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات! كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال تعالى: [**﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾** وقال تعالى][٣]: **﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾**.

ثم قال تعالى: **﴿ ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾**، أي لا ينظر أحدًا بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقًا في قوله وسؤاله ممن لو رُد لعاد إلى شر مما كان عليه؛ ولهذا قال: **﴿ والله خبير بما تعملون ﴾**.

وقال أبو عيسى الترمذي (١٥): حدثنا عبد بن حميد، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا

---

(١٥) - سنن الترمذي، كتاب « التفسير، باب: ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٣) (٩/٥٣ - ٥٤). =

---

[١] - في خ: لأتيتك.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - سقط من ز، خ.

أبو جَنَاب الكلبي ، عن الضحاك بن مُزَاحم ، عن ابن عباس؛ قال : من كان له مال يبلغه حجّ بيت ربه ، أو تجب فيه عليه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا بن عباس ، اتق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال : سأتلو عليك بذلك قرآنًا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * [وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلىٰ أجل قريب فأصدق** ﴾][١] إلىٰ قوله : ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ ، قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعدًا . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبعير ثم قال : حدثنا عبد بن حُمَيد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن يحيىٰ بن أبي حَيَّة - وهو أبو جناب الكلبي - عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه .

ثم قال : وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره ، عن أبي [جَنَاب ، عن ابن][٢] الضحاك ، عن ابن عباس ، من قوله . وهو أصح وضعف أبا جناب الكلبي .

قلت : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نُفيل ، حدثنا سليمان بن عَطاء ، عن مسلمة الجهني ، عن عمه - يعني أبا مشجعة بن ربعي - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الزيادة في العمر [فقال : « إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر][٣] أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم في قبره » .

[آخر تفسير سورة « المنافقون[٤] » ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

= قال الترمذي ، وأبو جناب القصاب اسمه يحيى بن أبي حية وليس هو بالقوي في الحديث . وأخرجه العقيلي (١٣٤/٢) ، وابن عدي (١١٣٣/٣) . كلاهما من طريق سليمان بن عطاء بهذا الإسناد قال العقيلي : لا يتابع عليه بهذا اللفظ ، وقد روى بمتن هذا الإسناد بلفظ « الولد الصالح يتركه الرجل فيدعوا له فيلحقه دعاؤه » من طريق صالح الإسناد ، والكلام الأول في الحديث ليس بمحفوظ . قال ابن عدي : قال البخاري : سليمان بن عطاء في حديثه بعض المناكير . والحديث عزاه ابن حجر في الفتح للطبراني الصغير (٤١٦/١٠) وضعفه .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : الحباب عن .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : المنافقين .

تفسير سورة التغابن

وهي مدنية

قال الطبراني (١) : حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد الخلال ، حدثنا الوليد بن الوليد ، حدثنا ابن[١] ثوبان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله ابن عَمرو -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن** » . أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح ، وهو غريب جدًا ، بل منكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)

هذه السورة هي آخر المسبحات ، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبادئها ومالكها ، ولهذا قال : ﴿ **له الملك وله الحمد** ﴾ ، أي : هو المتصرف في جميع الكائنات ، المحمود علىٰ جميع ما يخلقه ويقدره . [وقوله : ﴿ **وهو على كل شيء قدير** ﴾ أي : مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن][٢] . وقوله : ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ ، أي : هو الخالق لكم علىٰ هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك ، فلابد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال ، وهو شهيد علىٰ أعمال عباده ، وسيجزيهم بها أتم الجزاء . ولهذا قال : ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ .

(١) الوليد بن الوليد : قال ابن حبان : يروي عن ابن ثوبان العجائب . قال : وقد روى عن ابن ثوبان ، عن عمرو بن دينار نسخة أكثرها مقلوبة ، يطول الكتاب بذكرها ، لا يجوز الاحتجاج به فيما يروي . وقال الدارقطني : متروك . والحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الطبراني بهذا الإسناد (١٧/ ٨٣١ - مخطوط) . وأخرجه ابن حبان في الضعفاء (٨١/٣) ، وعنده « ... **خمس آيات من فاتحة سورة التغابن** » . وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٢/٦) لابن مردويه . =

[١] - في ز ، خ : أبو .
[٢] - سقط من ز ، خ .

ثم قال : ﴿ **خلق السموات والأرض بالحق** ﴾ ، أي : بالعدل والحكمة ، ﴿ **وصوركم فأحسن صوركم** ﴾ ، أي : أحسن أشكالكم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ۝ الذي خلقك فسواك فعدلك ۝ في أيِّ صورة ما شاء ركبك** ﴾ وكقوله : ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا**[١] **والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات** ﴾ الآية وقوله : ﴿ **وإليه المصير** ﴾ أي : المرجع والمآب.

ثم أخبر تعالىٰ عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية ، فقال : ﴿ **يعلم ما في السمٰوات و**[٢] **الأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور** ﴾ .

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأمم الماضين ، وما حل بهم من العذاب والنكال ؛ في[٣] مخالفة الرسل والتكذيب بالحق ، فقال :﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل** ﴾ ، أي : خبرهم وما كان من أمرهم ، ﴿ **فذاقوا وبال أمرهم** ﴾ ، أي : وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم ، وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي ، ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة مضاف إلىٰ هذا[٤] الدنيوي . ثم علل ذلك فقال : ﴿ **ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات** ﴾ ، أي : بالحجج والدلائل والبراهين ، ﴿ **فقالوا أبشر يهدوننا** ﴾ ، أي : استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر ، وأن يكون هداهم علىٰ يدي بشر مثلهم ، ﴿ **فكفروا وتولوا** ﴾ ، أي : كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ، ﴿ **واستغنىٰ الله** ﴾ ، أي : عنهم ، ﴿ **والله غني حميد** ﴾ .

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

= وقد أخرج الحديث الطبراني في الأوسط (٢١٢/٢) (١٧٦٣) من طريق الوليد بن الوليد بهذا الإسناد لكن الذي فيه : « **خمس آيات من فاتحة الكتاب** » . وبهذا اللفظ الأخير ذكره الهيثمي في المجمع (٣١٤/٦) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه الوليد بن الوليد، وثقه أبو حاتم وابن حبان وتركه جماعة ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز : فراشًا .
[٢] - في ز : وما في .
[٣] - في ز : و .
[٤] - سقط من ز .

يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ
ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين والكفار والملحدين: إنهم يزعمون أنهم لا يبعثون، ﴿ **قل بلىٰ وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم** ﴾، أي لتُخْبَرُنّ[١] بجميع أعمالكم، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، ﴿ **وذلك علىٰ الله يسير** ﴾، أي: بعثكم ومجازاتكم.

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن يقسم بربه - عز وجل - علىٰ وقوع المعاد ووجوده، فالأولىٰ في سورة يونس: ﴿ **ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين** ﴾ والثانية في سورة سبأ: ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلىٰ وربي لتأتينكم** ﴾ الآية، والثالثة هي هذه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾، يعني: القرآن، ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾، أي: فلا تخفىٰ عليه من أعمالكم خافية.

وقوله: ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع** ﴾، وهو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يُجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد، يسمعهم الداعي ويَنفُذُهم البصر، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿ **قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾.

وقوله: ﴿ **ذلك يوم التغابن** ﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء يوم القيامة، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، وكذا قال قتادة ومجاهد.

وقال مقاتل بن حيان: لا غبن أعظمُ من أن يدخل هؤلاء إلىٰ الجنة، ويُذْهَب بأولئك إلىٰ النار.

قلت: وقد فسر ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير** ﴾. وقد تقدم تفسير مثل

[١] - في ز: لتجزن.

هذه[١] غير مرة .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا بما أخبر به في سورة الحديد : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾ ، وهكذا قال ها هنا : ﴿ **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله** ﴾ ، قال ابن عباس : بأمر الله . يعني عن قدره ومشيئته .

﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم** ﴾ ، أي : ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره ، فصبر واحتسب ، واستسلم لقضاء الله ، هدى الله قلبه ، وعوّضه عما فاته من الدنيا هُدىً في قلبه ، ويقينًا صادقًا ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ [منه ، أو][٢] خيرًا منه .

قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ ، يعني : يهد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وقال الأعمش : عن أبي ظبيان ؛ قال : كنا عند علقمة فقُرئ عنده هذه الآية : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ ، فسُئل عن ذلك فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضىٰ ويسلم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال سعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ ، يعني : يسترجع ، يقول : ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

وفي الحديث المتفق عليه(٢) : « عجبًا للمؤمن ! لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيرًا له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » .

وقال أحمد(٣) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا الحارث بن يزيد ، عن عليّ بن

(٢) - تقدم تخريجه في سورة يونس آية:(١٢) ، وسورة إبراهيم آية (٥) . ولم أجد الحديث في البخاري ، وقد تقدم هناك عند مسلم وغيره .

(٣) - المسند (٥/٣١٨ - ٣١٩) (٢٢٨٢٠) ، وقال الهيثمي (١/٦٤) : رواه أحمد وفي إسناده ابن لهيعة .

[١] - في ز : هذا . [٢] - سقط من ز .

رَبَاح : أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول : إن رجلًا أتىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّه ؛ أي العمل أفضل ؟ قال : « إيمان[١] باللّه ، وتصديق به ، وجهاد في سبيله » . قال : أريد أهونَ من هذا يا رسول اللّه . قال : [«السماحة والصبر » . قال : أريد أهون من ذلك يا رسول اللّه][٢] . قال : « لا تتهم الله في شيء قضا لك به » . لم يخرجوه .

وقوله : ﴿ **وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول** ﴾ : أمرٌ بطاعة اللّه ورسوله فيما شرع ، وفعل ما به[٣] أمر وترك ما عنه [نهىٰ و][٤] زجر ، ثم قال : ﴿ **فإن توليتم فإنما علىٰ رسولنا البلاغ المبين** ﴾ أي : إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حُمِّل من البلاغ ، وعليكم ما حُمّلتم من السمع والطاعة .

قال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا أنه الأحد الصمد ، الذي لا إله غيره ، فقال : ﴿ **اللّه لا إله إلا هو وعلىٰ اللّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ ، فالأول خَبرٌ عن التوحيد ، ومعناه معنىٰ[٥] الطلب ، أي : وحدوا الإِلٰهية له ، وأخلصوها لديه ، وتوكلوا عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأزواج والأولاد : إن منهم من هو عدو الزوج والوالد ، بمعنىٰ أنه[٦]

---

[١] - في ز : الإيمان .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : مضي .

[٦] - في ز : أن .

يلتهي به عن العمل الصالح ، كقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فاحذروهم** ﴾ . قال ابن زيد : يعني على دينكم .

وقال مجاهد : ﴿ **إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم** ﴾ ، قال : يحملُ[١] الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه ، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني[٢] حدثنا الفريابي ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم** ﴾ - قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعوهم ، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فَهَموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم** ﴾ .

وكذا رواه الترمذي(٤) عن محمد بن يحيى عن الفريابي -وهو محمد بن يوسف- به ، وقال : « حسن صحيح » ورواه ابن جرير والطبراني ، من حديث إسرائيل ، به ، ورُوي من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، نحوه ، وهكذا قال عكرمة مولاه سواء .

وقوله : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم** ﴾ ، يقول تعالى : إنما الأموال والأولاد فتنة ، أي اختبار وابتلاء من الله لخلقه . ليعلم من يطيعه ممن يعصيه .

وقوله : ﴿ **والله عنده** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **أجر عظيم** ﴾ ، كما قال : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** ﴾ ... الآية .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حُسين بن واقد ، حدثني عبد الله بن بُرَيدة ، سمعت أبي - بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ورسوله : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » .

(٤) - أخرجه الترمذي في كتاب « تفسير القرآن » ، باب : « ومن سورة التغابن » ، حديث (٣٣١٤) (٩/٥٥) . والطبري (١٢٤/٢٨) . والطبراني (١١/٢٧٥ - ٢٧٦) (١١٧٢٠) .

(٥) - المسند (٥/٣٥٤) (٢٣١٠١) . وأبو داود في كتاب : « الصلاة » ، باب : « الإمام يقطع الخطبة =

[١] - في خ : عمل . [٢] - في ز : الصيدلاني .

ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد، به وقال الترمذي: «حسن غريب، إنما نعرفه من حديثه».

وقال الإمام أحمد[٦]: حدثنا سُرَيج بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، حدثنا الأشعث بن قيس قال: قدمت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في وفد كندة[١]، فقال لي: «هل لك من ولد؟» قلت: غلام ولد لي في مَخرَجي إليك من ابنة جَمْد، وَ[٢]لَوَددت أن بمكانه شبع القوم. قال: «لا[٣] تقولن ذلك، فإن فيهم قرة عين، وأجرًا إذا قبضوا»، ثم قال[٤]: «ولئن قلت ذاك: إنهم لمجبنة مَحْزنة إنهم لمجبنة[٥] مَحزنة» تفرد به الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -.

وقال الحافظ أبو بكر البزار[٧]: حدثنا محمود بن بكر، حدثنا أبي، عن عيسىٰ، عن ابن أبي ليلىٰ، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «الولد ثمرة القلوب، وإنهم مَجبنة مَبْخلة محزنة» ثم قال: لا يعرف إلا بهذا الإسناد.

وقال الطبراني[٨]: حدثنا هاشم بن مزيد[٦]، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضَمْضَمُ بنُ زُرعَةَ، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزًا[٧] لك وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم أعدىٰ عدو لك مالُك الذي ملكت يمينك».

= للأمر يحدث»، حديث (١١٠٩) (٢٩٠/١). والترمذي في كتاب: «المناقب»، باب: «مناقب الحسن والحسين» حديث (٣٧٧٦) (٣٣٤/٩). والنسائي (١٠٨/٣) كتاب: «الجمعة»، باب: «نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة ...»، (١٩٢/٣) كتاب «صلاة العيدين»، باب: «نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة». وابن ماجه في كتاب: اللباس، باب: لبس الأحمر للرجال، حديث (٣٦٠٠) (١١٩٠/٢). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٨١).

(٦) - أخرجه أحمد (٢١١/٥) (٢١٩٣٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٨/٨): رواه أحمد والطبراني وفيه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. اهـ.

(٧) - أخرجه البزار (٢٤٧/٢) (١٧٩٧). قال ابن حجر: عطية ضعيف، ومحمد سيئ الحفظ. قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٨/٨): رواه أبو يعلى والبزار وفيه عطية العوفي وهو ضعيف.

(٨) - أخرجه الطبراني (٣٣٣/٣) (٣٤٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٤٨/١٠): رواه الطبراني وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.

---

[١] - في خ: كثير. وفي ز: كبير.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - في ز: مجبنة.
[٦] - في ز، خ: مرثد.
[٧] - في ز، خ: نورًا.

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ ، أي : جهدكم وطاقتكم . كما ثبت في الصحيحين(٩) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » .

وقد قال بعض المفسرين - كما رواه مالك عن زيد بن أسلم - إن هذه الآية العظيمة[١] ناسخة للتي في « آل عمران » وهي قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثني يحيىٰ بن عبد الله بن بكير ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء - هو ابن دينار - ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ، قال : لما نزلت هذه[٢] الآية اشتد علىٰ القوم العمل ، فقاموا حتىٰ ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم ، فأنزل الله تخفيفًا علىٰ المسلمين : ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ ، فنسخت الآية الأولىٰ .

وروي عن أبي العالية ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي[٣] ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

وقوله : ﴿ **واسمعوا وأطيعوا** ﴾ ، أي : كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله لا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، ولا تتخلفوا عما به[٤] أمرتم ، ولا تركبوا ما عنه زُجرتم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وأنفقوا خيرًا لأنفسكم** ﴾ ، أي : وابذلوا مما رزقكم الله علىٰ الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات ، وأحسنوا إلىٰ خلق الله كما أحسن إليكم ، يكن خيرًا لكم في الدنيا والآخرة ، وإن لا تفعلوا يكن شرًا لكم في الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ، تقدم تفسيره في « سورة الحشر » وذكر الأحاديث الواردة في معنىٰ هذه الآية بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم** ﴾ ، أي : مهما أنفقتم من

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الاعتصام ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حديث (٧٢٨٨) (٢٥١/١٣) . ومسلم في كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر حديث (٤١٢/ ١٣٣٧) (١٤٤/٩) .

[١] - في ز ، خ : الكريمة .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

شيء فهو يخلفه ، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له ، كما ثبت في الصحيح(١٠) أن اللّٰه تعالىٰ يقول : « من يقرض غير ظلوم ولا عديم » ولهذا قال : يضاعفه لكم ، كما تقدم في سورة البقرة : ﴿ **فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ .

﴿ **ويغفر لكم** ﴾ ، أي : ويكفر عنكم السيئات . ولهذا قال : ﴿ **واللّٰه شكور** ﴾ ، أي : يجزي علىٰ القليل بالكثير[١] ، ﴿ **حليم** ﴾ أي : يصفح ويغفر ويستر ، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات .

﴿ **عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم** ﴾ تقدم تفسيره غير مرة .

[آخر تفسير « سورة التغابن » وللّٰه الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

(١٠) - أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، حديث (٧٥٨/١٧١) (٥٦/٦) .

[١] - في ز : والكثير .

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١)

خوطب النبي صلى الله عليه وسلم أولًا[١] تشريفًا وتكريمًا ، ثم خاطب الأمة تبعًا فقال : ﴿ **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ؛ قال : طلّق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حفصة ، فأتت أهلها ، فأنزل اللّٰه -عزّ وجل- : ﴿ **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن** ﴾ ، فقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة ، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة .

ورواه ابن جرير(١) ، عن ابن بشار ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة فذكره مرسلًا . وقد ورد من غير وجه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم طلّق حفصة ثم راجعها .

وقال البخاري(٢) : حدثنا يحيىٰ بن بكير، حدثنا الليث [حدثني][٢] عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني سالم ، أن عبد اللّٰه بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض ، فذكر عمرُ لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، فتغيظ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [ ][٣] ثم قال له :

(١) - تفسير الطبري (١٣٢/٢٨) .

(٢) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الطلاق ، حديث (٤٩٠٨) (٦٥٣/٨) وأطرافه في (٥٢٥١، ٥٢٥٢، ٥٢٥٣، ٥٢٥٨، ٥٢٦٤، ٥٣٣٢، ٥٣٣٣، ٧١٦٠) . ومسلم في كتاب : الطلاق ، حديث (١٤٧١) (٨٨/١٠) وما بعدها ، وأحمد (٤١١/٦) (٢٧٤٢٨) من حديث فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ت : و .

[٣] - في ز ، خ : فيه .

« [ليراجعها ، ثم يمسكها][١] حتىٰ تطهر ، ثم تحيض فتطهرَ ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها ، فتلك العدة التي أمر اللّٰه عز وجل » .

هكذا رواه البخاري هاهنا، وقد رواه في مواضع من كتابه ، ومسلم ، ولفظه : « فتلك العدة التي أمر اللّٰه أن يطلق لها النساء » . ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة ، ومواضع استقصائها كتب الأحكام .

وأمَسُّ لفظ يورَد هاهنا ما رواه مسلم(٣) في صحيحه ، من طريق ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن - مولىٰ عَزّة - يسأل ابن عمر ، وأبو الزبير [يسمع ذلك][٢] : كيف ترىٰ في رجلٍ طلق امرأته حائضًا[٣] ؟ فقال : طَلَّق ابن عُمر امرأتهُ حائضًا علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [فسأل عمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٤] ؛ [فقال : إن عبد اللّٰه بن عمر طلق امرأته وهي حائض ؟][٥] فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ليراجعها » . فَرَدها ، وقال : « إذا طهرت فليطلق أو يمسك » . قال ابن عمر : وقرأ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قُبُل عدتهن » .

وقال الأعمش عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد اللّٰه في قوله : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ قال : الطهر من غير جماع . وروي عن ابن عمر ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وميمون بن مهران ، ومقاتل بن حيان مثل ذلك ، وهو رواية عن عكرمة ، والضحاك .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ قال : لا يطلقها [٦] وهي حائض ولا في طهر قد جامعها [٧] فيه ، ولكن : تتركها حتىٰ إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة .

وقال عكرمة : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ ، العدة : الطهر ، والقرء الحيضة ، أن يطلقها حبلىٰ مستبينًا حملها ، ولا يطلقها وقد طاف عليها ، ولا يدري حبلىٰ هي أم لا .

---

(٣) صحيح مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ، حديث (١٤٨٠/٤٤) (١٠/ ١٤٥) والقصة بطولها في الموضع السابق (١٤٨٠) (١٠/ ١٣٤) وما بعدها .

---

[١] - في ز ، خ : « راجعها ثم أمسكها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٦] - في ز : تطلقها :
[٧] - في ز : جامعتها .

ومن هاهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلىٰ طلاق سنة وطلاق بدعة ، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرًا من غير جماع ، أو حاملًا قد استبان حملها . والبدْعي : هو أن يطلقها في حال الحيض ، أو في طهر قد جامعها فيه ، ولا يدري أحملت أم لا ؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة ، وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع[١] ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقوله : ﴿ **وأحصوا العدة** ﴾ ، أي : احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها ، لئلا تطول العدة علىٰ المرأة فتمتنع من الأزواج . ﴿ **واتقوا الله ربكم** ﴾ ، أي : في ذلك .

وقوله : ﴿ [ ][٢] **لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن** ﴾ أي : في مدة العدة لها حق السكنىٰ علىٰ الزوج ما دامت معتدة منه ، فليس للرجل أن يخرجها ، ولا يجوز لها أيضًا الخروج ؛ لأنها [معتقلة لحق][٣] الزوج أيضًا .

وقوله : ﴿ **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ ، أي : لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة ، فتخرج من المنزل ، والفاحشة المبينة تشمل[٤] الزنا ، كما قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، وأبو قلابة ، وأبو صالح ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وسعيد بن أبي هلال ، وغيرهم . وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بَذَت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال ، كما قاله أُبيّ بن كعب ، وابن عباس وعكرمة وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وتلك حدود الله** ﴾ ، [أي : شرائعه ومحارمه ، ﴿ **ومن يتعد حدود الله** ﴾][٥] ، أي : يخرج عنها ويتجاوزها إلىٰ غيرها ولا يأتمر بها ، ﴿ **فقد ظلم نفسه** ﴾ ، أي : بفعل ذلك .

وقوله : ﴿ **لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا** ﴾ ، أي : إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة ، لعل الزوج يندم علىٰ طلاقها ، ويخلق الله في قلبه رَجْعَتَهَا ، فيكون ذلك أيسر وأسهل .

قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ، عن فاطمة بنت قيس في قوله : ﴿[**لا تدري**][٦] **لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا** ﴾ ، قالت : هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، والثوري . ومن هاهنا ذهب من السلف ومن

---

[١] - سقط من خ . [٢] - ما بين العكوفتين في ز : « و » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « متعلقة بحق » . [٤] - في ز ، خ : كمثل .
[٥] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز ، خ . [٦] - ما بين العكوفتين سقط من ز .

تابعهم ، كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلىٰ أنه لا تجب السكنىٰ للمبتوتة ، وكذا المتوفىٰ عنها زوجها ، واعتمدوا أيضًا علىٰ حديث فاطمة بنت قيس الفهرية ، حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات ، وكان غائبًا عنها باليمن ، فأرسل إليها بذلك ، فأرسل إليها وكيله بشعير - نفقة - فتَسَخَّطته فقال : والله ليس لك علينا نفقة . فأتت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : « ليس لك عليه نفقة »(٤) . ولمسلم(٥) : « ولا سكنىٰ » ، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ، ثم قال : « تلك امرأة يغشاها أصحابي ، اعتدي عند ابن أم مكتوم ، فإنه رجل أعمىٰ تضعين ثيابك » ... الحديث .

وقد رواه الإمام أحمد(٦) من طريق أخرى؛ بلفظ آخر فقال : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا مجالد ، حدثنا عامر؛ قال : قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس ، فحدثتني أن زوجها طلقها علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فبعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سَرِيّة ، قالت : فقال لي أخوه : اخرجي من الدار . فقلت : إن لي نفقة وسكنىٰ حتىٰ يحل الأجل . قال : لا . [قالت][١] : فأتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقلت : إن فلانًا طلقني ، وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنىٰ والنفقة . [فأرسل إليه][٢] فقال : « مالك ولابنة آل قيس[٣] ؟ » ، قال : يا رسول الله ، إن أخي طلقها ثلاثًا جميعًا . قالت : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « انظري يا بنت آل قيس ، إنما النفقة والسكنىٰ للمرأة علىٰ زوجها ما كانت له عليها رجعة ، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنىٰ ، اخرجي فانزلي علىٰ فلانة » . ثم قال : « إنه يُتحدّث إليها ، انزلي علىٰ ابن أم مكتوم ، فإنه أعمىٰ لا يراك » ... وذكر تمام الحديث .

وقال أبو القاسم الطبراني(٧) : حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التُّسْتَرِيّ ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ، حدثنا بكر بن بكار ، حدثنا سعيد بن يزيد البَجلي ، حدثنا عامر الشعبي؛ أنه دخل علىٰ فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي ، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، فقالت : إن أبا عمرو بن حفص أرسل إليّ وهو منطلق في جيش إلىٰ اليمن بطلاقي ، فسألت أولياءه النفقة عليّ والسكنىٰ ، فقالوا : ما أرسل إلينا في ذلك شيئًا ، ولا أوصانا به . فانطلقت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ؛ إن أبا عمرو ابن حفص أرسل إليّ بطلاقي ، فطلبت السكنىٰ والنفقة عليّ ، فقال أولياؤه : لم يرسل إلينا في

---

(٤) - مسلم في الطلاق حديث (١٤٨٠) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن فاطمة بنت قيس به .

(٥) - مسلم في الطلاق حديث (١٤٨٠) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن فاطمة بنت قيس به .

(٦) المسند (٦/٣٧٣) (٢٧٢١٢) .

(٧) المعجم الكبير (٢٤/٣٨٢ - ٣٨٣) (٩٤٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : قريش .

ذلك بشيء [١] . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إنما النفقة والسكنىٰ للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة ، فإذا كانت لا تحل له حتىٰ تنكح زوجًا غيره ، فلا نفقة لها ولا سكنىٰ » .

وكذا رواه النسائي(٨) ، عن أحمد بن يحيىٰ الصوفي ، عن أبي نعيم الفضل بن دُكَين ، عن سعيد بن يزيد - وهو الأحمسي البَجَلي الكوفي - قال أبو حاتم الرازي : هو شيخ يروىٰ عنه .

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : فإذا بلغت المعتدات ﴿ أجلهن ﴾ ، أي : شارفن [٢] علىٰ انقضاء العدة وقاربن ذلك ، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية ، فحينئذ إما أن يعزم الزوج علىٰ إمساكها ، وهو رجعتها إلىٰ عصمة نكاحه ، والاستمرار بها علىٰ ما كانت عليه عنده ﴿ بمعروف ﴾ ، أي : محسنًا إليها في صحبتها ، وإما أن يعزم علىٰ مفارقتها ، ﴿ بمعروف ﴾ أي : من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ، بل يطلقها علىٰ وجه جميل وسبيل حسن .

وقوله : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ ، أي : علىٰ الرجعة إذا عَزَمتم عليها ، كما رواه أبو داود وابن ماجة(٩) ، عن عمران بن حُصين ، أنه سُئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد علىٰ طلاقها ولا علىٰ رجعتها ؟ فقال : طَلَّقتَ لغير سنة ، ورجعتَ لغير سنة ، أَشهِدْ علىٰ طلاقها وعلىٰ رجعتها ، ولا تَعُدْ .

وقال ابن جريج : كان عطاء يقول : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ قال : لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدَا عدل ، كما قال الله - عز وجل - إلا أن يكون من

(٨) سنن النسائي (١٤٤/٦) كتاب : الطلاق ، باب : الرخصة في ذلك .

(٩) أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : الرجل يراجع ولا يشهد ، حديث (٢١٨٦) (٢٥٧/٢) . وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : الرجعة ، حديث (٢٠٢٥) (٦٥٢/١) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٩١٥) .

[١] - في ز ، خ : شيء .

[٢] - في ز : سافرن .

عذر .

وقوله : ﴿ **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ ، أي : هذا الذي أمرناكم به من الإِشهاد وإقامة الشهادة ، إنما يأتمر به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا ، ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة .

ومن هاهنا ذهب الشافعي - في أحد قوليه - إلىٰ وجوب الإِشهاد في الرجعة ، كما يجب عنده[١] في ابتداء النكاح . وقد قال بهذا طائفة من العلماء ، ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإِشهاد عليها .

وقوله : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ، أي : ومن يتق الله فيما أمره[٢] به وترَك ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أي : من جهة لا تخطر بباله .

قال الإِمام أحمد(١٠) : حدثنا يزيد ، أخبرنا كهمس بن الحسن ، حدثنا أبو السليل ، عن أبي ذر قال : جعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتلو عَليَّ هذه الآية : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ، حتىٰ فرغ من الآية ، ثم قال : « يا أبا ذر ؛ لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » . قال : فجعل يتلوها ويُرددها عليَّ حتىٰ نَعَست ، ثم قال : « يا أبا ذر ؛ كيف تصنع إن أخرجت من المدينة ؟ » . قال[٣] : قلت : إلىٰ السعة والدّعَة أنطلق ، فأكون حمامة من حمام مكة . قال : « كيف تصنع إن أخرجت من مكةٍ ؟ » قال : قلت : إلىٰ السعة والدّعة ، إلىٰ الشام والأرض المقدسة . قال : « وكيف تصنع إن أُخرجتَ من الشّام ؟ » . قلت : إذًا - والذي بعثك بالحق - أضع سيفي علىٰ عاتقي . قال : « أوخير من ذلك ؟ » . قلت : أوخير من ذلك ؟ ! قال : « تسمع وتطيع ، وإن كان عبدًا حبشيًّا » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بنِ منصور الرمادي[٤] ، حدثنا يعلىٰ بن عبيد ، حدثنا زكريا ، عن عامر ، عن شُتَير[٥] بن شَكَل ؛ قال : سمعت عبد الله بن مسعود ؛ يقول : إن أجمع آية في القرآن : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإِحسان** ﴾ ، وإن أكثر آية في القرآن فرجًا : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا** ﴾ .

---

(١٠) المسند (١٧٨/٥ - ١٧٩) (٢١٦٣٤) قال الهيثمي في « المجمع » (٢٢٦/٥) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن أبا السليل : ضريب بن نفير لم يدرك أبا ذر .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : أمر .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : الريادي . وفي خ : الدياري .
[٥] - في ز : شتيل .

وفي المسند(١١) حدثني مهدي بن جعفر، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الحكم بن مصعب، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عباس؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له [١] من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا﴾، يقول: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وقال الربيع بن خثيم: ﴿يجعل له مخرجًا﴾ أي: من كل شيء ضاق على الناس، [وقال عكرمة: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجًا، وكذا روي عن ابن عباس، والضحاك] [٢].

وقال ابن مسعود، ومسروق: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا﴾، يعلم أن الله إن شاء منع، وإن شاء أعطىٰ ﴿من حيث لا يحتسب﴾، أي: من حيث لا يدري.

وقال قتادة: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا﴾، أي: من شبهات الأمور والكرب عند الموت، ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾، [ومن] [٣] حيث لا يرجو أو لا يأمل.

وقال السدي: ﴿ومن يتق الله﴾ يطلق للسنة ويراجع للسنة، وزعم أن رجلًا من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقال له: عوف بن مالك الأشجعي، كان له ابن، وأن المشركين أسروه، فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته، فكان[٤] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يأمره بالصبر، ويقول له [٥]: «إن الله سيجعل لك فرجًا». فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا أن انفلت ابنه من أيدي العدو، فمر بغنم من أغنام العدو، فاستاقها فجاء بها إلىٰ أبيه، وجاء معه [بغنى] [٦] قد أصابه من الغنم، فنزلت هذه الآية: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ رواه ابن جرير(١٢)، وروي أيضًا من طريق سالم بن أبي الجعد(١٣) مرسلًا نحوه.

وقال الإمام أحمد(١٤): حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن[٧] عبد الله بن عيسىٰ، عن

(١١) المسند (٢٤٨/١) (٢٢٣٤) وانظر ما تقدم (سورة هود/ آية ٥٢).

(١٢) تفسير الطبري (١٣٨/٢٨).

(١٣) التفسير (١٣٨/٢٨ - ١٣٩).

(١٤) المسند (٢٧٧/٥) (٢٢٤٨٧).

[١] - سقط من ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.

[٣] - في ز: من.

[٤] - في ز: وكان.

[٥] - سقط من ز.

[٦] - ما بين المعكوفتين بياض في ز، خ.

[٧] - في ز، خ: بن.

عبد الله بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن العبد لَيُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبُه ، ولا يرد القدَر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » . [من حديث سفيان - وهو الثوري - به] [١] .

وقال محمد بن إسحاق(١٥) : جاء مالك الأشجعي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال له : أسر ابني عوف . فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله » . وكانوا قد شدوه بالقدّ فسقط القِدُّ عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم، فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا[٢] شدوه فصاح بهم ، فاتبع أولها آخرها ، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب ، فقال أبوه : عَوفٌ ورب الكعبة . فقالت أمه : وا سوأتاه ، وعوف [كيف يقدم] [٣] لما هو فيه من القد، فاستبقا الباب والخادم فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلًا ، فقص علىٰ أبيه أمره وأمر الإبل ، فقال أبوه : قفا حتىٰ آتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأسأله عنها . فأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل ، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « اصنع بها ما أحببت ، وما كنت صانعًا بمالك » . ونزل : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ .رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق [٤] ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حُصَين، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من انقطع إلىٰ الله كفاه الله كل مَئُونة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلىٰ الدنيا وَكَله إليها » .

وقوله : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، حدثنا قيس بن الحجاج ، عن حَنَش الصنعاني ، عن عبد الله بن عباس ، أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا ، فقال له[٥] رسول الله صلىٰ الله عليه

(١٥) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢/٤٣٦) (٢٣٥٢) ثم قال : رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره ، ومحمد بن إسحاق لم يدرك مالكًا .

(١٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/٣٤٦) (٣٣٥٩) من طريق محمد بن علي بن الحسن بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٠٦ - ٣٠٧) : وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب ويخطئ ويخالف . وبقيه رجاله ثقات . اهـ .

(١٧) المسند (١/٢٩٣) (٢٦٦٩) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : ولكن يا حنظلة =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : سفيان .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وسلم : « يا غلام ، إني معلمك كلمات : احفظ اللَّه [يحفظك ، احفظ اللَّه] [١] تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل اللَّه ، وإذا استعنت فاستعن باللَّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ، لم ينفعوك إلا بشيء [قد كتبه اللَّه لك][٢] ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء [قد كتبه اللَّه عليك] [٣] ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » . وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد ، وابن لهيعة به[٤] ، وقال : « حسن صحيح » .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا وكيع ، حدثنا بشير بن سلمان ، عن سيار أبي الحكم ، عن طارق بن شهاب ، عن عبد اللَّه - هو ابن مسعود - قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قَمِنًا أن لا تُسَهَّلَ حاجته ، ومن أنزلها باللَّه أتاه اللَّه برزق عاجل ، أو بموت آجل » .

ثم رواه(١٩) عن عبد الرزاق ، عن سفيان ، عن بشير ، عن سيار أبي حمزة ، ثم قال : وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق .

وقوله : ﴿ إن اللَّه بالغ أمره ﴾ ، أي : منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه ، ﴿ قد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا ﴾ ، كقوله : ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

يقول تعالى مبينًا لعدة الآيسة - وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها - : إنها ثلاثة

= ساعة وساعة ، حديث (٢٥١٨) (٢٠٣/٩ - ٢٠٤) . وحسّن ابن رجب طريق الترمذي في جامع العلوم والحكم (١٧٤) . وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند وكذا الألباني في صحيح الترمذي .

(١٨) المسند (٤٤٢/١) (٤٢١٩) وقَمَنٌ وقَمِنٌ وقَمِين : أي خليق وجدير . كذا في النهاية (١١١/٤) .

(١٩) المسند (٤٤٢/١) (٤٢٢٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كتبه الله عليك » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كتبه الله لك » .

[٤] - سقط من ز .

أشهر ، عوضًا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض ، كما دلت على ذلك آية « البقرة » ، وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن[١] الحيض: إن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ؛ ولهذا قال : ﴿ **واللائي لم يحضن** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن ارتبتم** ﴾ فيه قولان :

أحدهما - وهو قول طائفة من السلف ، كمجاهد ، والزهري ، وابن زيد - أي : إن رأين دمًا وشككتم في كونه حيضًا أو استحاضة ، وارتبتم فيه .

والقول الثاني : إن ارتبتم في حكم عدتهن ، ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر . وهذا مروي عن سعيد بن جبير ، و[هو][٢] اختيار ابن جرير ، وهو أظهر في المعنىٰ ، وَاحتَجّ عليه بما رواه(٢٠) عن أبي كريب وأبي السائب ؛ قالا : حدثنا ابن إدريس ، أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم ؛ قال : قال أبيّ بن كعب : يا رسول اللّه ، إن عِدَدًا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب : الصغار والكبار وأولات الأحمال . قال : فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق ؛ فقال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن مُطَرِّف ، عن عمر بن سالم ، عن أبي بن كعب ؛ قال : قلت لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : إن ناسًا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في « البقرة » في عدة النساء ؛ قالوا : لقد بقي من عدة النساء عدَدٌ لم يُذكَرْنَ في القرآن : الصغار والكبار اللائي قد انقطع عنهن الحيض وذوات الحمل . قال : فأنزلت التي في النساء القصرىٰ : ﴿ **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم [فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن]**[٣] ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ يقول تعالى : ومن كانت حاملًا فعدتها بوضعه ، ولو كان بعد الطلاق أو الموت [بفُواق ناقة][٤] ، في قول جمهور العلماء من السلف والخلف ، كما هو نص هذه الآية الكريمة ، [و][٥] كما وردت به السنة النبوية . وقد رُوي عن علي ، وابن عباس - رضي اللّه عنهم - أنهما ذهبا في المتوفىٰ عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر ، عملًا بهذه الآية الكريمة والتي في سورة البقرة ، وقد قال

---

(٢٠) أخرجه الطبري (١٤١/٢٨) .

---

[١] - في ز : من .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلى قد يئست ثلاثة أشهر » .

[٤] - في خ : بفراق .

[٥] - سقط من ز .

البخاري(٢١) :

حدثنا سعد[١] بن حفص ، حدثنا شيبان ، عن يحيىٰ ؛ قال : أخبرني أبو سلمة ؛ قال : جاء رجل إلىٰ ابن عباس - وأبو[٢] هريرة جالس - فقال : أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة . فقال ابن عباس : آخر الأجلين . قلت أنا : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ . قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا [إلىٰ أم سلمة][٣] يسألها ، فقالت : قُتِل زوج سُبيعة الأسلمية وهي حبلىٰ ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت ، فأنكحها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها .

هكذا أورد البخاري هذا الحديث هاهنا مختصرًا، وقد رواه هو ومسلم، وأصحاب الكتب مطولًا من وجوه أخر. وقال الإمام أحمد(٢٢) :

حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن المسور بن مَخْرَمَة ؛ أن سُبَيعَة الأسلمية تُوفي عنها زوجها وهي حامل ، فلم تمكث إلا ليالي حتىٰ وضعت ، فلما تَعلَّت من نفاسها خُطبت ، فاستأذنت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في النكاح ، فأذن لها أن تُنْكح ، فنُكحت . ورواه البخاري(٢٣) في صحيحه، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة من طرق عنها، كما قال مسلم بن الحجاج :

حدثني أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، حدثني عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عُتبة ؛ أن أباه كتب إلى عمر بن عبد اللّٰه بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سُبَيعة بنت الحارث الأسلمية ، فيسألها عن حديثها ، وعمَّا قال لها رسول اللّٰه صلىٰ

(٢١) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٤٩٠٩) (٦٥٣/٨) .

(٢٢) أخرجه أحمد (٣٢٧/٤) (١٨٩٧١) .

(٢٣) صحيح البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٥٣٢٠) (٤٧٠/٩) . وأخرجه مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ، حديث (١٤٨٤/٥٦) (١٥٣/١٠ - ١٥٥) من طريق أبي الطاهر الآتي . وأبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في عدة الحامل ، حديث (٢٣٠٦) (٢٩٣/٢) من طريق ابن وهب بنحو حديث مسلم . وأخرجه النسائي (١٩٦/٦ - ١٩٧) من حديث محمد بن سيرين ، وأخرجه (١٩٠/٦) هو . وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : الحامل المتوفى عنها زوجها ، إذا وضعت حلت للأزواج ، حديث (٢٠٢٩) (٦٥٤/١) .

[١] - في ز ، خ : سعيد . [٢] - في ز : وأبي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

الله عليه وسلم حين استفتته . فكتب عُمر بن عبد الله يخبره أن سبيعة [أخبرته][١] ؛ أنها كانت تحت سَعد[٢] بن خَولة - وكان ممن شهد بدرًا - فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تَنشَب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تَعَلَّت من نفاسها تجمّلت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعكك فقال لها : مالي أراك متجملة ؟ لعلك تَرجين النكاح ، إنك والله ما أنت بناكح حتىٰ تمرّ عليك أربعة أشهر وعشرٌ[٣] . قالت سُبَيعة : فلما قال لي ذلك جَمعتُ عليّ ثيابي حين أمسيتُ فأتيتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حلَلْت حين وضعتُ حملي ، وأمرني بالتزوج[٤] إن بدا لي .

هذا لفظ مسلم ، ورواه البخاري(٢٤) مختصرًا ، ثم قال البخاري(٢٥) بعد رواية الحديث الأول عند هذه الآية :

وقال سليمان بن حرب ، وأبو النعمان : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد ، هو ابن سيرين ، قال : كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، رحمه الله ، وكان أصحابه يعظمونه ، فذكر آخر الأجلين ، فحدّثتُ بحديث سُبَيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة ، قال : [فَضَمَّزَلي][٥] بعض أصحابه ، قال محمد : ففطنت له فقلت : إني لجريءٌ أن أكذب علىٰ عبد الله وهو في ناحية الكوفة ؛ قال : فاستحيا [و][٦] قال : لكن عَمّه لم يقل ذلك ، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته ، فذهب يحدثني بحديث سبيعة ، فقلت : هل سمعت عن عبد الله فيها شيئًا ؟ فقال : كنا عند عبد الله فقال : أتجعلون عليها التغليظ ، ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ نزلت سورة النساء القصرىٰ بعد الطولىٰ : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

[ورواه ابن جرير(٢٦) ، من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية ، عن أيوب به مختصرًا][٧] .

---

(٢٤) صحيح البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٥٣١٩) (٩/٤٧٠) .

(٢٥) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...** ﴾ ، حديث (٤٩١٠) (٨/٦٥٤) .

(٢٦) تفسير الطبرى (٢٨/ ١٤٢، ١٤٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : سعيد .

[٣] - في ز : وعشرًا .

[٤] - في ز ، خ : بالتزويج .

[٥] - في ز : فضمر لي .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

ورواه النسائي(٢٧) في التفسير ، عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن خالد بن الحارث ، عن ابن[١] عون ، عن محمد بن سيرين ، فذكره .

وقال ابن جرير(٢٨) : حدثني زكريا بن يحيىٰ بن أبان المصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثني ابن شُبْرُمة الكوفي ، عن إبراهيم ، عن علقمة[٢] بن قيس أن عبد الله بن مسعود ؛ قال : من شاء لاعنتُه ، ما نزلت ﴿ **وأولاتُ الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهن** ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها . قال : وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت . يريد بآية المتوفى عنها زوجها : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا** ﴾ . وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به ، ثم قال ابن جرير(٢٩) :

حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ؛ قال[٣] : ذُكرَ عند ابن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي في النساء القصرىٰ نزلت بعد الأربعة الأشهر[٤] والعشر ، ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما في بطنها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ؛ قال : بلغ ابن مسعود أن عليًا - رضي الله عنه - يقول : آخر الأجلين . فقال : من شاء لاعنته ، إن التي في النساء القصرىٰ نزلت بعد البقرة : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

ورواه أبو داود وابن ماجة(٣٠) من حديث أبي معاوية عن الأعمش .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد(٣١) : حدثني محمد بن أبي بكر المقدّمي ، أخبرنا عبد الوهاب

---

(٢٧) سنن النسائي الكبرى في التفسير ، باب : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا** ﴾ ، حديث (١١٠٤٣) (٣٠٣/٦) .

(٢٨) تفسير الطبري (١٤٢/٢٨) . والنسائي (١٩٧/٦) .

(٢٩) تفسير (١٤٣/٢٨) .

(٣٠) أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في عدة الحامل ، حديث (٢٣٠٧) (٢٩٣/٢) . وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : الحامل إذا توفي عنها زوجها ، إذا وضعت حلت للأزواج ، حديث (٢٠٣٠) (٦٥٤/١) . وقد تقدم من طريق ابن سيرين عند البخاري نحوه برقم (٣٢) .

(٣١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (١١٦/٥) (٢١١٨٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (٥/٥) =

---

[١] - في ز : أبي .

[٢] - في خ : عن إبراهيم .

[٣] - في خ : قال قال .

[٤] - في ز : أشهر .

الثقفي ، حدثني المثنىٰ ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن أبي بن كعب ؛ قال : قلت للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ : المطلقة ثلاثًا أو المتوفىٰ عنها زوجها[١] ؟ فقال : هي المطلقة ثلاثًا والمتوفى عنها .

هذا حديث غريب جدًا ، بل منكر ؛ لأن في إسناده المثنىٰ بن الصباح ، وهو متروك الحديث بمرة ، ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر ، فقال :

حدثنا محمد بن داود السمناني ، حدثنا عمرو بن خالد - يعني الحراني - حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيّ بن كعب ؛ أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : لا أدري أمشتركة أم مبهمة ؟ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أية آية ؟ » قال : ﴿ **أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ ، المتوفىٰ عنها والمطلقة ؟ قال : « نعم » .

وكذا رواه ابن جرير(٣٢) ، عن أبي كريب ، عن موسىٰ بن داود ، عن ابن لهيعة به . ثم رواه عن أبي كريب أيضًا ، عن مالك بن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم بن أبي المخارق ؛ أنه حدث عن أبي بن كعب ؛ قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ ، قال : « أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها » .

عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبيًا .

وقوله : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا** ﴾ ، أي : يسهل له أمره ، وييسره عليه ، ويجعل له فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا .

ثم قال : ﴿ **ذلك أمر الله أنزله إليكم** ﴾ ، أي : حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، ﴿ **ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا** ﴾ ، أي : يذهب عنه المحذور ، ويجزل له الثواب علىٰ العمل اليسير .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ

= رواه عبد الله بن أحمد ، وفيه المثنى بن الصباح ؛ وثقه ابن معين وضعفه الجمهور .

(٣٢) - تفسير الطبري (١٤٣/٢٨) .

[١] - سقط من ت ، ز .

وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده إذا طلّق أحدُهم المرأة أن يُسكنها في منزل حتىٰ تنقضي عدتها ، فقال : ﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم** ﴾ ، أي : عندكم ، ﴿ **من وجدكم** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعني : سَعَتكم حتى قال قتادة : وإن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه .

وقوله : ﴿ **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** ﴾ ، قال مقاتل بن حيان : يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه .

وقال الثوري : عن منصور ، عن أبي الضحىٰ : ﴿ **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** ﴾ ، قال : يطلقها فإذا بقي يومان راجعها .

وقوله : ﴿ **وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتىٰ يضعن حملهن** ﴾ ، قال كثير من العلماء منهم ابن عباس ، وطائفة من السلف ، وجماعات من الخلف : هذه في البائن ، إن كانت حاملًا أنفق عليها حتى تضع حملها . قالوا : بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملًا أو حائلًا .

وقال آخرون : بل السياق كله في الرجعيات ، وإنما نص علىٰ الإنفاق [علىٰ الحامل][١] وإن كانت رجعية ؛ لأن الحمل تطول مدته غالبًا ، فاحتيج إلىٰ النص علىٰ وجوب الإنفاق إلىٰ الوضع ، لئلا يتوهم أنه[٢] إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة .

واختلف العلماء : هل النفقة لها بواسطة الحمل ، أو للحمل وحده ؟ علىٰ قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ، ويتفرع عليها [٣] مسائل مذكورة في علم الفروع .

وقوله : ﴿ **فإن أرضعن لكم** ﴾ ، أي : إذا وضعن حملهن وهن طوالق ، فقد بنّ بانقضاء عدتهنّ ، ولها حينئذ أن ترضع الولد ، ولها أن تمتنع منه ، ولكن بعد أن تغذيه باللّبأ - وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالبًا إلا به - فإن أرضعت استحقت أجرة مثلها ، ولها أن تعاقد [أباه أو] [٤] وليه علىٰ ما يتفقان عليه من أجرة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : عليهما .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إياه أي »

وقوله : ﴿ **وائتمروا بينكم بمعروف** ﴾ ، أي : ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف ، من غير إضرار ولا مضارة[١] كما قال في سورة البقرة : ﴿ **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن تعاسرتم فسترضع له أخرىٰ** ﴾ ، أي : وإن اختلف الرجل والمرأة ، فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيرًا ولم يجبها الرجل إلىٰ ذلك ، أو بذل الرجل قليلًا ولم توافقه عليه فليسترضع [٢] له غيرَها . فلو رَضيت الأم بما استؤجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها .

وقوله : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ ، أي : لينفق علىٰ المولود والده ، أو وليه ، بحسب قدرته : ﴿ **ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ .

قال[٣] ابن جرير(٣٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن أبي سنان ؛ قال : سأل عمر ابن الخطاب عن أبي[٤] عبيدة ، فقيل : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أخشن الطعام . فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها : فما لبث أن لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال : رحمه الله ، تأول هذه الآية : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** ﴾ .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٣٤) في معجمه الكبير : حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، أخبرني أبي أخبرني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن [٥] أبي مالك الأشعري - واسمه الحارث - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ثلاثة نفر ، كان لأحدهم عشرة دنانير ، فتصدق منها بدينار . وكان لآخر عشر أواق ، فتصدق منها بأوقية [٦] . وكان لآخر مائة أوقية ، فتصدق منها بعشر أواق » . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « هم في الأجر [٧] سواء كلٌّ تصدق بعشر ماله ، قال الله تعالى : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ هذا حديث غريب من هذا الوجه .

---

(٣٣) تفسير الطبري (١٤٩/٢٨) .

(٣٤) المعجم الكبير (٣٣١/٣) (٣٤٣٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (١١٤/٣) ، وفيه محمد بن إسماعيل ابن عياش وفيه ضعف .

---

[١] - في ز : مضاررة .
[٢] - في ز : فلترضع .
[٣] - في ت : روىٰ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : بن .
[٦] - في ز : بوقية .
[٧] - في ز : الآخرة .

وقوله : ﴿ **سيجعل اللّٰه بعد عسر يسرًا** ﴾ : وعدٌ منه تعالىٰ ، ووعده حق ، وهو لا يخلفه ، وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **فإن مع العسر يسرًا * [إن مع العسر يسرًا]** [١] ﴾ .

وقد روىٰ الإمام أحمد(٣٥) حديثًا يحسن أن نذكره هاهنا ، فقال : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر بن حوشب ؛ قال : قال أبو هريرة : بينا رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران علىٰ شيء ، فجاء الرجل من سفره ، فدخل علىٰ امرأته جائعًا قد أصاب مَسْغَبةً[٢] شديدة فقال لامرأته : عندك شيء؟ قالت : نعم ، أبشر أتاك[٣] رزق اللّٰه . فاستحثها ، فقال : ويحك ، ابتغي إن كان عندك شيء . قالت : نعم ، هُنَيهةً[٤] - ترجو رحمة اللّٰه - حتىٰ إذا طال عليه الطوىٰ[٥] قال : ويحكِ؟ قومي فابتغي إن كان عندك شيء فأتيني به ، فإني قد بلغت وجَهِدتُ . فقالت : نعم ، الآن يُنضج التنور فلا تعجل . فلما أن سكت عنها ساعة وتحيّنت أن يقول لها ، قالت من عند نفسها : لو قمتُ فنظرت إلىٰ تَنوري ؟ فقامَتْ فنظرت إلىٰ تَنورها ملآن جُنوبَ الغنم ، [ورَحييها تطحَنان] [٦] . فقامت إلىٰ الرحىٰ فنفَضتها ، واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم .

قال أبو هريرة : فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لو أخذت ما في رَحْييها[٧] ولم تنفضها لطحنتها إلىٰ يوم القيامة » .

وقال في موضع آخر(٣٦) : حدثنا أبو عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن[٨] محمد - هو ابن سيرين - عن أبي هريرة ؛ قال : دخل رجل علىٰ أهله ، فلما رأىٰ ما بهم من الحاجة خرج إلىٰ البَرية ، فلما رأت امرأته قامت إلىٰ الرحىٰ فوضعتها ، وإلىٰ التنور فسَجَرته ، ثم قالت : اللّٰهم ارزقنا . فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال[٩] : وذهبت إلىٰ التنور فوجدته ممتلئًا ، قال : فرجع الزوج ، قال : أصبتم بعدي شيئًا ؟ قالت امرأته : نعم ، من ربنا . قام إلىٰ الرحىٰ ، فذكر ذلك للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أما إنه لو لم ترفعها ، لم تزل تدور إلىٰ يوم القيامة » .

(٣٥) المسند (٢/٤٢١) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٦٠) : رواه أحمد ورجاله وثقوا .

(٣٦) المسند (٢/٥١٣) . قال الهيثمي (١٠/٢٦٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار وشيخ الطبراني وهما ثقتان .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٢] - في ت : « مصبغة » ، وفي ز : « مسبغة » ، والمثبت من المسند .

[٣] - في ز : أتالي .

[٤] - في خ : هنية .

[٥] - في ز : الطول .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « ورحبتها يطحنان » .

[٧] - في ز : رحيها .

[٨] - في ز : بن .

[٩] - في ز : قالت .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝١١ ﴾

يقول تعالى متوعدًا لمن خالف أمره ، وكذب رسله ، وسلك غير ما شرعه ، ومخبرًا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك ، فقال : ﴿ **وكأين من قرية عتت عن أمر ربها [ورسله]**[١] ﴾ ، أي : تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر اللّٰه ومتابعة رسله ، ﴿ **فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا** ﴾ ، أي : منكرًا فظيعًا .

﴿ **فذاقت وبال أمرها** ﴾ ، أي : غبّ مخالفتها ، وندموا حيث لا ينفع الندم ، ﴿ **وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد اللّٰه لهم عذابًا شديدًا** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة ، مع ما عَجّل لهم في الدنيا .

ثم قال بعد ما قَص من خبر هؤلاء : ﴿ **فاتقوا اللّٰه يا أولي الألباب** ﴾ ، أي : الأفهام المستقيمة ، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب ، ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ ، أي : صدقوا باللّٰه ورسله ، ﴿ **قد أنزل اللّٰه إليكم ذكرًا** ﴾ ، يعني القرآن . كقوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر [وإنا له لحافظون]**[٢] ﴾ وقوله: ﴿ **رسولًا يتلو عليكم آيات اللّٰه مبينات** ﴾ قال بعضهم: ﴿ **رسولًا** ﴾ منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة؛ لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيرًا له؛ ولهذا قال: ﴿ **رسولًا يتلو عليكم آيات اللّٰه مبينات** ﴾ ، أي : في حال كونها بينة واضحة جلية ﴿ **ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور** ﴾ ، كقوله : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **اللّٰه وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ [. أي : من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم . وقد سمى

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

الله تعالىٰ الوحي الذي أنزله نورًا ؛ لما يحصل به من الهدىٰ ، كما سماه روحًا ؛ لما يحصل به من حياة القلوب ، فقال تعالىٰ : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم ﴾ [١] .

وقوله : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد أحسن الله له رزقًا ﴾ . قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرّة ، بما أغنىٰ عن إعادته .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، ليكون ذلك باعثًا علىٰ تعظيم ما شرع من الدين القويم : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ﴾ ، كقوله إخبارًا عن نوح : إنه قال لقومه : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ تسبح له السمٰوات السبع [والأرض ومن فيهن][٢] ﴾ .

وقوله : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ ، أي : سبعًا أيضًا ، كما ثبت في الصحيحين(٣٧) : « من ظلم قيدَ شِبر من الأرض طُوّقه من سبع أرضين » ، وفي صحيح البخاري(٣٨) : « خُسِف به إلىٰ سبع أرضين » ، وقد ذَكرتُ طرقه وألفاظه وعزوه في أول « البداية والنهاية » عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنة .

ومن حمل ذلك علىٰ سبعة أقاليم ، فقد أبعد النّجعة ، وأغرق في النزع [٣] ، وخالف القرآن والحديث بلا مستند . وقد تقدم في « سورة الحديد » عند قوله : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ذكر الأرضين السبع ، وبعد ما بينهن ، وكثافة كل واحدة منهن [خمسمائة عام] [٤] . وهكذا قال ابن مسعود وغيره ، وكذا الحديث الآخر : « ما السماوات السبع وما

(٣٧) أخرجه البخاري في كتاب : المظالم ، باب : إثم من ظلم شيئا من الأرض ، حديث (٢٤٥٣) (٥/ ١٠٣) ، وطرفه في (٣١٩٥) . ومسلم في كتاب : البيوع ، باب : تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، حديث (١٦١٢/١٤٢) (١١/ ٧١) كلاهما من حديث عائشه – رضي الله عنها – وفي الصحيحين في نفس الموضع عن غيرها من الصحابة .

(٣٨) أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في سبع أرضين ، حديث (٣١٩٦) (٦/ ٢٩٢ – ٢٩٣) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٣] – في ز : الشرع .

[٤] – ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

فيهن وما بينهن والأرضون[١] السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ﴾(٣٩) .

وقال ابن جرير(٤٠) : حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مُهاجِر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سبع سموٰات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم[٢] تكذيبكم بها .

وحدثنا ابن حميد(٤١) ، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمّي[٣] الأشعري ، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رجل لابن عباس : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ...﴾ الآية ، فقال ابن عباس : ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر .

وقال ابن جرير(٤٢) : حدثنا عمرو بن عليّ ، ومحمد بن المثنىٰ؛ قالا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال عمرو : قال : في كل أرض مثل إبراهيم ، ونحو ما علىٰ الأرض من الخلق . وقال ابن المثنىٰ في حديثه : في كل سماء إبراهيم .

وقد روىٰ البيهقي(٤٣) في كتاب « الأسماء والصفات » هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا ، فقال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وحدثنا أحمد بن يعقوب ، حدثنا عبيد بن غنام النخعي ، أخبرنا عليّ بن حكيم ، حدثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس أنه قال : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال : سبع أرضين ، في كل أرض نبي كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسىٰ كعيسىٰ .

---

(٣٩) أورده المصنف في البداية والنهاية (١٤/١ - ١٥) وعزاه إلى ابن مردويه من طريق الطبراني بنحو ذلك من حديث أبي ذر . وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٥٨٧/٢) (٢٢٠) من حديث أبي ذر أيضًا بنحو حديث ابن مردويه .

(٤٠) تفسير الطبري (١٥٣/٢٨) .

(٤١) تفسير الطبري (١٥٣/٢٨) .

(٤٢) تفسير الطبري (١٥٣/٢٨) .

(٤٣) الأسماء والصفات (٢٦٧/٢) (٨٣١) .

---

[١] - في ز : والأرضين .

[٢] - في ز : وكفرتم .

[٣] - في . : اللَّمي .

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، قال : في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام .

ثم قال البيهقي : إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة ، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعًا ، والله أعلم .

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه « التفكر[١] والاعتبار » : حدثني إسحاق بن حاتم المدائني ، حدثنا يحيىٰ بن سليمان ، عن عثمان بن أبي دهرش ؛ قال : بلغني أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم انتهى إلىٰ أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون ، فقال : « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا : نتفكر في خلق الله عز وجل . قال : « فكذلك فافعلوا ، تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه ، فإن بهذا المغرب أرضًا بيضاء ، نورها ساحتها - أو قال : ساحتها نورها - مسيرة الشمس أربعين يومًا ، بها [خلقٌ من خلقِ][٢] الله لم يعصُوا الله طَرفة عين قطّ » . قالوا : فأين الشيطان عنهم ؟ قال : « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق » . قالوا : أمن ولد آدم ؟ قال : « ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق » .

وهذا حديث مرسل ، وهو منكر جدًّا ، وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال : روىٰ عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص ، وعنه سفيان بن عيينة ، ويحيىٰ بن سليم الطائفي ، وابن المبارك ، سمعت أبي يقول ذلك .

[آخر [تفسير سورة][٣] الطلاق] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز ، خ : التفكير .
[٢] - في ت : « خلق » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

تفسير سورة التحريم

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)
قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ
النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ
وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
(٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ
طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ
سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)

اختُلف في سبب نزول صدر هذه السورة ، فقيل : نزلت في شأن مارية ، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد حرمها ، فنزل قوله : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك** ...﴾ الآية . قال أبو عبد الرحمن النسائي(١) : أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ، حدثنا أبي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتىٰ حرّمها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وقال ابن جرير(٢) : حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا أبو غسان ، حدثني زيد بن أسلم : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه ، فقالت : أيْ رسول الله ، في بيتي وعلىٰ فراشي ؟ ! فجعلها عليه حرامًا .

(١) **صحيح** ، أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ ، حديث (١١٦٠٧) (٦/٤٩٥) . وأخرجه الحاكم (٢/٤٩٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وصححه الحافظ في الفتح (٩/٣٧٦) . وزاد السيوطي في الدر نسبته غلى ابن مردويه .

(٢) تفسير الطبري (٢٨/١٥٥) .

فقالت : أيْ رسول اللَّه ، كيف يَحْرُم عليك الحلال[١] ؟ فحلف لها باللَّه لا يصيبها . فأنزل اللَّه : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللَّه لك** ﴾ . قال زيد : فقوله : « **أنت عليَّ حرام** » لغوٌ . وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم قال : قال لها : « **أنت عليّ حرام وواللَّه لا أطؤك** » . وقال سفيان الثوري(٣) وابن عُلَيَّة [٢] (٤) ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : آلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وحَرّم فعُوتبَ في التحريم ، وأمر بالكفارة في اليمين . رواه ابن جرير . وكذا روي عن قتادة ، وغيره ، عن الشعبي ، نفسُه . وكذا قال غير واحد من السلف ، منهم الضحاك ، والحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، وروىٰ العوفي عن ابن عباس القصة مطولة .

وقال ابن جرير(٥) : حدثنا سعيد بن يحيىٰ ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عُبيد اللَّه بن عبد اللَّه ، عن ابن عباس قال : قلت لعمر بن الخطاب : من المرأتان ؟ قال : عائشة وحفصة . وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية ، أصابها النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها ، فَوَجدت حفصة ، فقالت : يا نبي اللَّه ، لقد جئت إليّ شيئًا ما جئت إلىٰ أحد من أزواجك في يومي ، وفي دوري ، وعلىٰ فراشي . قال : « ألا ترضين أن أحرّمها فلا أقربها ؟ » قالت : بلىٰ . فحرّمها ، وقال : « لا تذكري ذلك لأحد » . فذكرته لعائشة ، فأظهره اللَّه عليه ، فأنزل اللَّه : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللَّه لك تبتغي مرضات أزواجك** ...﴾ الآيات ، فبلغنا : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كفر يمينه ، وأصاب [٣] جاريته .

وقال الهيثم بن كليب في مسنده : حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لحفصة : « لا تخبري أحدًا ، وإن أم إبراهيم ، عليّ حرام » . فقالت : أتحرم ما أحل اللَّه لك ؟ قال : « فواللَّه لا أقربها » . قال : فلم يقربها حتىٰ أخبرت عائشة . قال : فأنزل اللَّه : ﴿ **قد فرض اللَّه لكم تحلة أيمانكم** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره الحافظ

---

(٣) تفسير الطبري (٢٨/١٥٦) .

(٤) تفسير الطبري (٢٨/١٥٦) .

(٥) تفسير الطبري (٢٨/١٥٨) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : عيينة .

[٣] - في ز : واحتاب .

الضياء المقدسي في كتابه المستخرج .

وقال ابن جرير(٦) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا هشام الدستوائي قال : كتب إلي يحيىٰ يحدّث عن يعلىٰ [١] بن حكيم ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس كان يقول في الحرام : يمين تكفرها ، وقال ابن عباس : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ ، يعني : أن رسول الله حرم جاريته فقال الله : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** ﴾ ، فكفر يمينه ، فصير الحرام يمينًا .

ورواه البخاري(٧) عن معاذ بن فضالة ، عن هشَام - هو الدستوائي - ، عن يحيىٰ - هو ابن أبي كَثِير - ، عن ابن حكيم - وهو يَعلىٰ - ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في الحرام : يمين تُكَفر .قال ابن عباس : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ .

ورواه مسلم(٨) من حديث هشام الدّستوائي به ، وقال النسائي(٩) : أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد ابن عليّ ، حدثنا مخلد - هو ابن يزيد - ، حدثنا سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال : إني جعلت امرأتي عليّ حَرَامًا ؟ قال : كذبتَ ليست عليك بحرام ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ عليك[٢] أغلظ الكفارات ، عتق رقبة .

تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ . وقال الطبراني(١٠) : حدثنا محمد بن زكرّيا ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ قال : حرم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سُرِّيَّته .

ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة علىٰ من حَرّم جاريته أو زوجته ، أو طعامًا أو شرابًا ، أو ملبسًا ، أو شيئًا من المباحات . وهو مذهب الإمام أحمد

---

(٦) تفسير الطبري (١٥٧/٢٨) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة التحريم (١) ، حديث (٤٩١١) (٦٥٦/٨) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب : الطلاق ، باب : وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوِ الطلاق (١٨/ ١٤٧٣) (١٠٦/١٠) .

(٩) سنن النسائي (١٥١/٦) كتاب : الطلاق ، باب : تأويل قوله - عز وجل : ﴿ **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ .

(١٠) المعجم الكبير (٨٦/١١) (١١١٣٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٩/٧) : رواه البزار بإسنادين والطبراني ، ورجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم الأصغر وهو ثقة .

---

[١] - في ز : يحيىٰ .

[٢] - في ز : « و » . سقط من خ .

وطائفة . وذهب الشافعي إلىٰ أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية ، إذا حرّم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قوله ، فأما إن نوىٰ بالتحريم طلاقَ الزوجة أو عتق الأمة ، نفذ فيهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبو عبد اللّٰه الظهراني ، أخبرنا حفص بن عمر العدني ، أخبرنا الحكم بن أبان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّٰه لك** ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وهذا قول غريب والصحيح: أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري(١١) عند هذه الآية :

حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد ابن عمير ، عن عائشة قالت : كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يشرب عسلًا عند زينب بنت جَحش ، ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها ، فلتقل[١] له : أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير قال: «لا ، ولكني كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش فلن أعود له ، وقد حلفت ، لا تخبري بذلك أحدًا [٢] » ، ﴿ **تبتغي مرضات أزواجك** ﴾ هكذا أورد هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ، وقال في كتاب الأيمان والنذور(١٢): حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا الحجاج ، عن ابن جريج قال : زعم عطاء أنه سمع عُبَيد بن عمير يقول : سمعتُ عائشة تزعم: أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جَحش ويشرب عندها عَسَلًا ، فتواصيتُ[٣] أنا وحفصة أن أيتُنا دخل عليها النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فَلْتَقُلْ : إني أجد منك ريح مغافير ؛ أكلت مغافير ؟ فدخل علىٰ إحداهما النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - فقالت ذلك له ، فقال : « لا ، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جَحش ، ولن أعود له » ، فنزلت : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل اللّٰه لك** ﴾ إلىٰ : ﴿ **إن تتوبا إلىٰ اللّٰه فقد صَغت قلوبكما** ﴾ لعائشة وحفصة ﴿**وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا**﴾ لقوله: « بل شربت عسلًا » . وقال إبراهيم ابن موسىٰ ، عن هشام : « ولن أعود له ، وقد حلفت ، فلا تخبري[٤] بذلك أحدًا » .

وهكذا رواه في كتاب الطلاق(١٣) بهذا الإسناد ولفظه قريب منه. ثم قال : المغافير : « شبيه بالصمغ ، يكون في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرِّمث : إذا ظهر فيه . واحدها مُغفور ، ويقال :

---

(١١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : (٦٦ - ١) ، حديث (٤٩١٢) (٦٥٦/٨) وأطرافه في : [٥٢١٦ ، ٥٢٦٧ ، ٥٢٦٨ ، ٥٤٣١ ، ٥٥٩٩ ، ٥٦١٤ ، ٥٦٨٢ ، ٦٦٩١ ، ٦٩٧٢] .
(١٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : إذا حرم طعامًا ، حديث (٦٦٩١) (٥٧٤/١١) .
(١٣) صحيح البخاري ، كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ **لم تحرم ما أحل اللّٰه لك** ﴾ ، حديث (٥٢٦٧) .

---

[١] - في ت : فلنقل .
[٢] - في ز ، خ : واحدًا .
[٣] - في خ : فتواطأت .
[٤] - في ز ، خ : تخبرين .

مغاثير[١] » . وهكذا قال الجوهري ، قال : « وقد يكون المغفور أيضًا للعُشر والثُّمام والسَّلَم والطلح » قال : والرِّمْث ، بالكسر : مرعىٰ من مراعي الإبل ، وهو من الحَمْض . قال : والعرفط : شجر من العضاه ينضَح المغفُور منه[٢] .

وقد روىٰ مسلم(١٤) هذا الحديث في كتاب « الطلاق » من صحيحه ، عن محمد بن حاتم ، عن حجاج بن محمد ، عن ابن[٣] جريج ، أخبرني عطاء ، عن عُبيد بن عمير ، عن عائشة ، به . ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور .

ثم قال البخاري(١٥) في كتاب الطلاق : حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا عليّ بن مُسهر ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يحب الحَلوىٰ والعَسل ، وكان إذا انصرف من العصر دخل علىٰ نسائه ، فيدنو من إحداهن . فدخل علىٰ حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فَغِرْتُ فسألت عن ذلك ، فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عَسَل ، فسقت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم منه شربة ، فقلت : أما واللَّه لنحتالَن له . فقلت لسودة بنت زَمْعَة : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقولي : أكلت مغَافير ؟ ، فإنه سيقول لك : لا . فقولي له : ما هذه الريح التي أجد ؟ فإنه سيقول لك : سقتني حفصة شربة عسل . فقولي : جَرَسَتْ نحلُه العُرفُطَ . وسأقول ذلك ، وقولي أنت له يا صفية ذلك [٤] ، قالت : تقول سودة : فواللَّه [٥] ما هو إلا أن قام علىٰ الباب ، فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقًا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول اللَّه ، أكلت مغافير ؟ قال : « لا » . قالت : فما هذه الريح التي أجد منك ؟ قال « سقتني حفصة شَربة عسل » . قالت : جَرَسَت نَحلُه العرفطَ . فلما دار إليّ قلت نحو ذلك ، فلما دار إلىٰ صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلىٰ حفصة قالت له : يا رسول اللَّه ، ألا أسقيك منه ؟ قال : « لا حاجة لي فيه » . قالت تقول سودة : واللَّه لقد حَرَمْنَاه . قلت لها : اسكتي .

هذا لفظ البخاري . وقد رواه مسلم(١٦) عن سُويد بن سَعيد ، عن عليّ بن مسهر[٦] ، به .

---

(١٤) صحيح مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ، حديث (١٤٧٤/٢٠) (١٠٨/١٠ - ١٠٩) .

(١٥) صحيح البخاري في كتاب : الطلاق ، باب : ﴿ لم تحرم ما أحل اللَّه لك ﴾ ، حديث (٥٢٦٨) (٩/ ٣٧٤ - ٣٧٥) .

(١٦) صحيح مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوِ الطلاق ، حديث (٢١م/ ١٤٧٤) (١١٢/١٠) .

---

[١] - في ت : مغافير . والمثبت من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ذاك .
[٥] - في ز : واللَّه .
[٦] - في خ : بهز .

وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر(١٧) ، ثلاثتهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، عن هشام بن عروة ، به . وعنده : قالت : وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح - يعني : الريح الخبيثة - ولهذا قلن له : أكلت مغافير ، لأن ريحها فيه شيء . فلما قال : « بل شربت عسلاً » . قلن : جَرَسَت نحلُه العرفطَ . أي : رَعَت نحلُه شَجَر العرفط الذي صَمغه المغافير ، فلهذا ظهر ريحُه في العسل الذي شربته .

قال الجوهري : جرست النحل العرفط تجرس[١] : إذا أكلته ومنه قيل للنحل : جوارس ، قال الشاعر :

* تَظَلّ عَلَىٰ الثَّمْرَاء مِنها جَوَارِسُ *

وقال : الجَرْس والجِرْس : الصوت الخفي . ويقال : سمعت جرس [الطير : إذا سمعتَ صوت مناقيرها علىٰ شيء تأكله ، وفي الحديث : « فيسمعون جَرْس][٢] طير الجنة » . قال الأصمعي : كنت في مجلس شُعبة قال : « فيسمعون جَرْش طير الجنة » بالشين ، فقلت : « جرس » فنظر إليّ وقال[٣] : خذوها عنه ، فإنه أعلم بهذا منا .

والغرض أن هذا السياق فيه[٤] : أن حفصة هي الساقية للعسل ، وهو من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن خالته عائشة . وفي طريق ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة : أن زينب بنت جحش هي التي سقت العسل ، وأن عائشة وحفصة تواطأتا[٥] وتظاهرتا عليه ، فالله أعلم . وقد يقال : إنهما واقعتان ، ولا بُعدَ في ذلك ، إلا أن كونَهما سببًا لنزول هذه الآية فيه نظر ، والله أعلم .

ومما يدل علىٰ أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٨) في مسنده حيث قال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن ابن عباس قال : لم أزل حريصًا علىٰ أن أسأل عمر عن المرأتين من[٦] أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ ، حتىٰ حج عمر وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة ، فتبرّز ثم أتاني ، فسكبت علىٰ يديه فتوضأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت**

(١٧) صحيح مسلم في الموضع السابق (١٤٧٤/٢١) (١٠٩/١٠ - ١١٢) .
(١٨) المسند (٣٣/١ - ٣٤) (٢٢٢) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٣] - في ت : وقال . والمثبت من ز .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : تواصّتا .
[٦] - في ز ، خ : في .

قلوبكما ﴾ ؟ فقال عمر : واعجبًا لك يا ابن عباس - قال الزهري : كره والله ما سأله[١] عنه ولم يكتمه - قال : هي حفصة وعائشة . قال : ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا مَعشر قريش قومًا نغلبُ النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تَغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، قال : وكان منزلي في دار بني[٢] أمية بن زيد بالعَوَالي ، قال[٣] : فغضِبَت يومًا[٤] عليّ امرأتي فإذا[٥] هي تراجعني ، فأنكرت أن تُراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلىٰ الليل . قال : فانطلقت فدخلت علىٰ حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ ! قالت : نعم . قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلىٰ الليل ؟ ! قالت : نعم . قلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخَسر ، أفتأمنُ إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ؟ ! لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئًا ، وسليني من مالي ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسمُ وأحبّ إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم منك - يريد عائشة - قال : وكان لي جار من الأنصار ، وكنا نتناوب النزول إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ينزل يومًا وأنزل يومًا ، فيأتيني بخبر الوحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك . قال : وكنا نتحدث أن غسّان تُنعِل الخيل لتغزونا ، فنزل صاحبي يومًا ثم أتىٰ عشاءً ، فضرب بابي ثم ناداني ، فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم ! فقلت : وما ذاك ؟ أجاءت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ! طلّق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نساءه . فقلت : قد خابت حفصةُ وخَسِرت ، قد كنت أظن هذا كائنًا . حتىٰ إذا صليتُ الصبح شددتُ عليّ ثيابي ثم نزلت ، فدخلت علىٰ حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقكُن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقالت : لا أدري ، هو هذا معتزل في هذه المشْرَبة . فأتيت غلامًا له أسودَ فقلت : استأذن لعمر . فدخل الغلام ثم خرج إليّ فقال : ذكرتك له فصمت . فانطلقت حتىٰ أتيت المنبر ، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم ، فجلست عنده[٦] قليلًا ، ثم غلبني ما أجد ، فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج فقال : [ ][٧] ذكرتك له فصمت . فخرجت فجلست إلىٰ المنبر ، ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج إليّ فقال : قد ذكرتك له فصمت . فوليت مدبرًا ، فإذا الغلام يدعوني فقال : ادخل ، قد أذن لك . فدخلتُ فسلمتُ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فإذا هو متكيء علىٰ رمال حصير .

قال الإمام أحمد : وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال[٨] : رُمَال حصير قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلّقت يارسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إليّ [وقال : « لا »][٩] . فقلت :

---

[١] - في ت : سألته . والمثبت من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : فلما .
[٦] - سقط من ت ، ز .
[٧] - في ت : فقد .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

اللَّه أكبر ، لو رأيتنا يا رسول اللَّه وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فغضبت عليّ امرأتي يومًا فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فواللَّه إن أزواج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلىٰ الليل . فقلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر [١] ، أفتأمنُ إحداكن أن يغضب اللَّه عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت . فتبسم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقلت : يا رسول اللَّه ، فَدَخَلت[٢] علىٰ حفصة فقلت : لا يغُرَّنَّك أن كانت جارتُك هي أوسَم - أو[٣] : أحب - إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم منك[٤] . فتبسم أخرىٰ .

فقلت : أستأنس يا رسول اللَّه ؟ قال : « نعم » . فجلست فرفعت رأسي في البيت ، فواللَّه ما رأيت في البيت شيئًا يرد البصر إلا أَهَبَةٌ ثلاثة فقلت : ادع اللَّه يا رسول اللَّه أن يوسع علىٰ أمتك ، فقد وسَّع علىٰ فارس والروم ، وهم لا يعبدون اللَّه . فاستوىٰ جالسًا وقال : « أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » . فقلت : استغفر لي يا رسول اللَّه . وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن حتىٰ عاتبه اللَّه عز وجل .

وقد رواه البخاري(١٩) ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن الزهري به .

وأخرجه الشيخان(٢٠) من حديث يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، عن عُبيد بن حُنَين ، عن ابن عباس ، قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له ، حتىٰ خرج حاجًا فخرجت معه ، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق ، عدل إلىٰ الآرَاك لحاجة له ، قال : فوقفت حتىٰ فرغ ، ثم سرت معه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان[٥] اللتان تظاهرتا علىٰ[٦] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ .

---

(١٩) صحيح البخاري ، كتاب : المظالم ، باب : (٢٥) ، حديث (٢٤٦٨) (١١٦/٥) وأطرافه في [٨٩، ٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥، ٥١٩١، ٥٢١٨، ٥٨٤٣، ٧٢٥٦، ٧٢٦٣] . ومسلم في كتاب : الطلاق ، باب : في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، حديث (١٤٧٩/٣٤) (١٢٨/١٠ - ١٣١) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة التحريم ، حديث (٣٣١٥) (٥٥/٩ - ٥٨) . والنسائي (١٣٧/٤ - ١٣٨) .

(٢٠) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : تبتغي مرضاة أزواجك ....، حديث (٤٩١٣) (٦٥٧/٨ - ٦٥٨) . وأطرافه في [٤٩١٤، ٤٩١٥، ٥٢١٨، ٥٨٤٣، ٧٢٥٦، ٧٢٦٣] . ومسلم في كتاب : الطلاق ، حديث (٣١، ٣٢، ١٤٧٩/٣٣) (١٢٢/١٠) وما بعدها .

---

[١] - في ز ، خ : وخسرت .
[٢] - في خ : قد دخلت .
[٣] - في ز : و .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ت ، ز .
[٦] - في ز : من .

هذا لفظ البخاري ، ولمسلم : من المرأتان اللتان قال الله تعالىٰ : ﴿ **وإن تظاهرا عليه** ﴾ ؟ قال : عائشة وحفصة . ثم ساق الحديث بطوله ، ومنهم من اختصره .

وقال مسلم(٢١) أيضًا : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا عمر بن يونس الحنفي ، حدثنا عكرمة ابن عمار ، عن سماك بن الوليد - أبي زميل - ، حدثني عبد الله بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : لما اعتزل نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم نساءه ، دخلت المسجد فإذا الناس يَنكُتون بالحصىٰ ، ويقولون : طلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نساءه ! وذلك قبل أن يُؤمرَ بالحجاب . فقلت : لأعلمن ذلك اليوم ... فذكر الحديث في دخوله علىٰ عائشة وحفصة ، ووعظه إياهما ، إلىٰ أن قال : فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أسكُفَّة المشربة ، فناديت فقلت : يا رباح ، استأذن لي علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ... فذكر نحو ما تقدم ، إلىٰ أن قال : فقلت : يا رسول الله ، ما يَشُقّ عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك ، وقلما تكلمتُ - وأحمد الله - بكلام إلا رجوتُ أن يكون الله يصدق قولي ، ونزلت هذه الآية ، آية التخيير : ﴿ **عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ ، ﴿ **وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ . فقلت : أطلقتهن ؟ قال : « لا » ... فقمت علىٰ باب المسجد فناديت بأعلىٰ صوتي : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلىٰ الرسول وإلىٰ أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ ، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر .

وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومقاتل بن حيان ، والضحاك ، وغيرهم ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ : أبو بكر وعمر ، زاد الحسن البصري وعثمان : وقال [ليث بن أبي][١] سليم ، عن مجاهد : ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ ، قال : عليّ بن أبي طالب .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي [٢] عمر حدثنا محمد بن جعفر بن محمد [بن علي][٣] بن الحسين قال : أخبرني رجل ثقة يرفعه إلىٰ عليّ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : قوله : ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ ، قال : « هو عليّ بن أبي طالب » . إسناده ضعيف ، وهو منكر جدًا .

---

(٢١) صحيح مسلم ، الموضع السابق (١٤٧٩/٣٠) (١١٨/١٠ - ١٢١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز . وسقط من خ . [٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

وقال البخاري(٢٢) : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا هُشيم ، عن حُميد ، عن أنس ، قال : قال عمر : اجتمع نساء النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الغيرة عليه ، فقلت لهن : ﴿ **عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ فنزلت هذه الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكنَ ، منها في نزول الحجاب ، ومنها في أسارىٰ بدر ، ومنها قوله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىٰ ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىٰ** ﴾(٢٣) .

وقال ابن أبي حاتم : [حدثنا أبي][١] حدثنا الأنصاري ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فاستقريتهن أقول : لتكفن عن رسول اللَّه أو ليبدلنّه اللَّه أزواجًا خيرًا منكن ، حتىٰ أتيت علىٰ آخر أمهات المؤمنين ، فقالت : ياعمر ، أما لي برسول اللَّه ما يعظ نساءه ، حتىٰ تعظهن ؟ !

فأمسكت ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكارًا** ﴾ .

وهذه المرأة التي ردته عما كان فيه من وعظ النساء: هي أم سلمة، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري(٢٤) .

وقال الطبراني(٢٥) : حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل البجلي ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذ أسر النبي إلىٰ بعض أزواجه حديثًا** ﴾ ، قال : دخلت حفصة علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيتها وهو يَطَأ مارية ، فقال لها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لاتخبري عائشة حتىٰ أبشرك[٢] ببشارة ، فإن أباك يَلي الأمرَ من بعد أبي بكر إذا أنا مِت » . فذهبت حفصة فأخبرَتْ عائشة ، فقالت عائشة لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : من أنبأك هذا ؟ قال : ﴿ **نبأني العليم الخبير** ﴾ . فقالت عائشة : لا أنظر إليك حتىٰ تحرم مارية . فحرمها ، فأنزل اللَّه : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم** ﴾ .

---

(٢٢) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن** ﴾ ، حديث (٤٩١٦) (٦٦٠/٨) .

(٢٣) صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القبلة حديث (٤٠٢) (٥٠٤/١) . وأطرافه في [٤٤٨٣، ٤٧٩٠، ٤٩١٦] .

(٢٤) تقدم تخريجه قريبًا .

(٢٥) المعجم الكبير (١١٧/١٢) (١٢٦٤٠) . قال الهيثمي (١٨١/٥) : وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي ، وهو ضعيف ، وقد وثقه ابن حبان ، والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . والمثبت من ز . [٢] - في ز ، خ : أنزل .

إسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات.

ومعنىٰ قوله: ﴿ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ ﴾ ظاهر.

وقوله ﴿ سائحاتٍ ﴾، أي: صائمات، قاله أبو هريرة، وعائشة، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو مالك، وإبراهيم النخعي، والحسن، وقتادة والضحاك، والربيع بن أنس، والسُّدّي، وغيرهم، وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله ﴿ السائحون ﴾ من سورة «براءة»، ولفظه: «سياحةُ هذه الأمة الصيامُ»(٢٦) وقال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: ﴿ سائحات ﴾، أي: مهاجرات: وتلا عبد الرحمن: ﴿ السائحون ﴾، أي المهاجرون، والقول الأول أولىٰ، والله أعلم.

وقوله: ﴿ ثيبات وأبكارًا ﴾، أي: منهن ثيبات، ومنهن أبكارًا، ليكون ذلك أشهىٰ إلىٰ النفوس، فإن التنوع يبسُط النفسَ، ولهذا قال: ﴿ ثيبات وأبكارًا ﴾.

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا أبو بكر بن صدقة، حدثنا محمد بن محمد [ ][١] بن مرزوق، حدثنا عبد اللّٰه بن أمية[٢]، حدثنا عبد القدوس، عن صالح بن حَيّان، عن ابن بُرَيدة، عن أبيه: ﴿ ثيبات وأبكارًا ﴾، قال: وعد اللّٰه نبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه، فالثيب آسية امرأة فرعون، وبالأبكار مريم بنت عمران.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة «مريم عليها السلام»(٢٧)، من طريق سُوَيد بن سعيد[٣]: حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بموت خديجة فقال: إن اللّٰه يقرئها السلام، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب، بعيد من اللهب، لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة [جوفاء][٤] بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم.

ومن حديث أبي بكر الهذلي(٢٨)، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه

---

(٢٦) راجع تفسير سورة التوبة، آية: (١٠٢).

(٢٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤٣/١٩ - مخطوط).

(٢٨) أخرجه ابن عساكر في الموضع السابق.

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «بن محمد».

[٢] - في ز: أبي.

[٣] - في خ: سعد.

[٤] - بياض في ز، خ.

وسلم دخل علىٰ خديجة وهي في الموت ، فقال : « يا خديجة ، إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام » . فقالت : يا رسول اللّٰه ، وهل تزوجت قبلي ؟ ! قال : « لا ، ولكن اللّٰه زوجني مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وكلثم أخت موسىٰ » . ضعيف أيضًا .

وقال أبو يعلىٰ(٣٠) : حدثنا إبراهيم بن[١] عرعرة . حدثنا عبد النور بن عبداللّٰه ، حدثنا يوسف[٢] بن شعيب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أعلمت أن اللّٰه زوجني في الجنة مريم بنت عمران ، وكلثم أخت موسىٰ ، وآسية امرأة فرعون ؟ » فقلت : هنيئًا لك يارسول اللّٰه .

وهذا أيضًا ضعيف ، وروي مرسلًا عن ابن أبي داود[٣] .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

قال سفيان الثوري : عن منصور ، عن رجل ، عن عليّ رضي اللّٰه عنه في قوله تعالىٰ : ﴿ قُوا أنفسكم وأهليكم نارًا ﴾ ، يقول : أدبوهم ، علموهم .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ﴾ ، يقول : اعملوا بطاعة اللّٰه ، واتقوا معاصي[٤] اللّٰه ، ومُروا أهليكم بالذكر ، ينجيكم اللّٰه من النار .

(٣٠) أخرجه ابن عساكر في الموضع السابق من طريق أبي يعلى بهذا الإسناد .

[١] - في ز ، خ : عن .

[٢] - في ز ، خ : يونس . وكذا في تاريخ دمشق لابن عساكر .

[٣] - في ز : رواد . [٤] - في خ : معصية .

وقال مجاهد : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارًا** ﴾ قال : اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله .

وقال قتادة : يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصية الله ، وأن يقوم عليهم بأمر الله ويأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية ، قَدَعتَهم[١] عنها وزجرتهم عنها .

وهكذا قال الضحاك ومقاتل : حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله[٢] عنه .

وفي معنى هذه الآية الحديثُ الذي رواه الإمام أحمد(٣١) ، وأبو داود ، والترمذي، من حديث عبد الملك بن الربيع ابن سَبْرَة ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » .

هذا لفظ أبي داود ، قال الترمذي : هذا حديث حسن .

وروى أبو داود(٣٢) ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .

قال الفقهاء : وهكذا في الصوم ؛ ليكون ذلك تمرينًا له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر ، والله الموفق .

وقوله : ﴿ **وقودها الناس والحجارة** ﴾ ، وقودها : أي حطبها الذي يلقى فيها جُثث بني آدم ، ﴿ **والحجارة** ﴾ قيل : المراد بذلك الأصنام التي كانت تعبد لقوله : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم** ﴾ .

وقال ابن مسعود ، ومجاهد ، وأبو جعفر الباقر ، والسدي : هي حجارة من كبريت . زاد مجاهد : أنتن من الجيفة ، [وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ، ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا عبدالرحمن بن سنان المنقري][٣] حدثنا عبد العزيز - يعني : ابن أبي رَوَّاد - قال : بلغني أن

(٣١) المسند (٣/٤٠٤) (١٥٣٧٧) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : متى يؤمر الغلام بالصلاة ، حديث (٤٩٤) (١/١٣٣) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة ، حديث (٤٠٧) (٢/٧٤) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وتبعه الألباني في هذا الحكم في صحيح سنن أبي داود (٤٦٥) .

(٣٢) سنن أبي داود ، الموضع السابق برقم (٤٩٥) .

[١] - في الطبراني (٢٨/ ١٦٦) : ردعتهم . وأصل القدع الكف والمنع ، كما في النهاية (٤/ ٢٤) .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة** ﴾ ، وعنده بعض أصحابه ، وفيهم شيخ ، فقال الشيخ : يارسول الله ، حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، لَصَخرة من صخر جهنم أعظمُ من جبال الدنيا كلها » . قال : فوقع الشيخُ مغشيًّا عليه ، فوضع النبي صلىٰ الله عليه وسلم يده علىٰ فؤاده [فإذا هُوَ حَيّ] [١] فناداه ، قال[٢] : « ياشيخ ، قل : لا إله إلا الله » . فقالها ، فبشره بالجنة ، قال : فقال أصحابه : يارسول الله، أمن بيننا ؟ قال « نعم ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ » . هذا حديث مرسل غريب .

وقوله : ﴿ **عليها ملائكة غلاظ شداد** ﴾، أي : طباعهم غليظة ، قد نُزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ، ﴿ **شداد** ﴾ أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثنا أبي ، عن عكرمة أنه قال : إذا وصل أول أهل النار إلىٰ النار ، وَجَدوا[٣] علىٰ الباب أربعمائة ألف من خَزَنة جهنم ، سود وجوههم ، كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم مثقال ذَرّة من الرحمة ، لو طُيّر الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون علىٰ الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفًا ، ثم يهوون من باب إلىٰ باب خمسمائة سنة ، ثم يجدون علىٰ كل باب منها مثل ما وجدوا علىٰ الباب الأول ، حتىٰ ينتهوا إلىٰ آخرها .

وقوله : ﴿ **لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ ، أي : مهما أمرهم به تعالىٰ يبادروا إليه ، لا يتأخرون عنه طرفة عين ، وهم قادرون علىٰ فعله[٤] ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء هم الزبانية - عياذًا بالله منهم - . وقوله : ﴿ **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كُنتم تعملون** ﴾ ، أي : يقال للكفرة يوم القيامة : لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ، وإنما تجزون اليوم بأعمالكم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلىٰ الله توبة نصوحًا** ﴾، أي : توبة صادقة جازمة ، تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه ، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات .

قال ابن جرير(٣٣) : حدثنا ابن مثنىٰ ، حدثنا محمد، حدثنا شعبة، عن سمَاك بن حَرب ،

---

(٣٣) تفسير الطبري (١٦٧/٢٨) .

---

[١] - في ز : « فإذاه » .
[٢] - في ز : فقال .
[٣] - في ز : ووجدوا .
[٤] - في خ : ذلك .

سمعت النعمان بن بشير يخطب : سمعت عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى اللَّه توبة نصوحًا** ﴾ ، قال : يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه .

وقال الثوري : عن سماك ، عن النعمان ، عن عمر قال : التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه ، أو لا يريد أن يعود فيه .

وقال أبو الأحوص وغيره : عن سماك ، عن النعمان : سُئِل عمر عن التوبة النصوح ، فقال : أن يتوب الرجل من العمل السّيء ، ثم لا يعود إليه أبدًا .

وقال الأعمش : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه : ﴿ **توبة نصوحًا** ﴾ ، قال : يتوب ثم لا يعود ، وقد روي هذا مرفوعًا ، فقال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا عليّ ابن عاصم ، عن إبراهيم الهَجَري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « التوبة من الذنب أن يتوب منه ، ثم لا يعود فيه » تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهَجَري ، وهو ضعيف ، والموقوف أصح ، واللَّه أعلم .

ولهذا قال العلماء[١] : التوبة النصوح : هو أن يُقلعَ عن الذنب في الحاضر ، ويندم على ما سلف منه في الماضي ، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمي ردّه إليه بطريقه .

قال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، أخبرني زياد بن أبي مريم ، عن عبد اللَّه ابن مَعقل قال : دخلت مع أبي على عبد اللَّه بن مسعود فقال : أنت سمعت [ ][٢] النبي صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « الندم توبة ؟ » قال : نعم . وقال مَرّة : نعم سمعته يقول : «الندم توبة » .

ورواه ابن ماجة ، عن هشام بن عَمار ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عبد الكريم -وهو ابن مالك الجزَريّ - به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثني الوليد بن بكير - أبو خباب[٣] عن عبد اللَّه بن محمد العَدَوي[٤] ، عن أبي سنان البصري ، عن أبي قلابة ، عن زرّ بن حُبَيش ، عن أبيّ بن كعب قال : قيل لنا أشياء تكون في آخر[٥] هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها :

(٣٤) المسند (٤٤٦/١) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٠٣/١٠) : رواه أحمد وإسناده ضعيف .

(٣٥) المسند (٣٧٦/١) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر التوبة ، حديث (٤٢٥٢) (٢/ ١٤٢٠) . قال البوصيري في « الزوائد » : (٣٠٨/٣) : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : من .

[٣] - في ز : هباب .بلا نقط .

[٤] - في ز ، خ : العبدي .

[٥] - سقط من خ .

نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها ، وذلك مما حرم اللّه ورسوله ، ويمقت اللّه عليه ورسوله . ومنها نكاح الرجل الرجل ، وذلك مما حرم اللّه ورسوله ، ويمقت اللّه عليه ورسوله . ومنها نكاح المرأة المرأة ، وذلك مما حرم اللّه ورسوله ، ويمقت اللّه عليه ورسوله . وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا علىٰ هذا ، حتىٰ يتوبوا إلىٰ اللّه توبة نصوحًا . قال زر : فقلت لأبيّ بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال : سألت عن ذلك رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال : « هو الندم علىٰ الذنب حينَ يَفرُط منك ، فتستغفرُ اللّه بندامتك منه[١] عند الحاضر ، ثم لا تعود إليه أبدًا » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا عباد بن عمرو[٢] ، حدثنا أبو عمرو بن العلاء ، سمعت الحسن يقول التوبة النصوح : أن تُبْغِض الذنب كما أحببته ، وتستغفر منه إذا ذكرته .

فأما إذا جَزَم بالتوبة وصمم عليها فإنها تَجُبّ ما قبلها من الخطيئات ، كما ثبت في الصحيح(٣٦) : « الإِسلام يَجُب ما قبله، والتوبة تجبّ ما قبلها » .

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرارُ علىٰ ذلك إلىٰ الممات ، كما تقدم في الحديث وفي الأثر : « لايعود فيه أبدًا » ، أو يكفي العزم علىٰ أن لا يعود في تكفير الماضي ، بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارًا في تكفير ما تقدم ، لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ماقبلها » ؟ وللأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح(٣٧) أيضًا : « من أحسنَ في الإِسلام لم يُؤاخَذ بما عملَ في الجاهلية، ومن أساء في الإِسلام أخذ بالأول والآخر » فإذا كان هذا في الإِسلام الذي هو أقوى من التوبة ، فالتوبة بطريق الأولى ، واللّه أعلم.

وقوله : ﴿ عسىٰ ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها

---

(٣٦) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ، حديث (١٩٢ - ١٢١) (١٧٩/٢ - ١٨١) من حديث عمرو بن العاص بلفظ : « أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ » .

(٣٧) صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ، حديث (١٢٠) (١٧٨/٢) .
قال الإمام النووي : وأما معنى الحديث فالصحيح فيه ما قاله جماعة من المحققين : أن المراد بالإحسان في الإسلام هنا : الدخول في الإسلام بالظاهر والباطن جميعًا ، وأن يكون مسلمًا حقيقيًا ، فهذا يغفر له ما سلف في الكفر بنص القرآن العزيز والحديث الصحيح : الإسلام يهد ما قبله ، وبإجماع المسلمين والمراد بالاساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه ؛ بل يكون منقادًا في الظاهر مظهرًا للشهادتين غير معتقد الإسلام بقلبه فهذا منافق باق على كفره بإجماع المسلمين ؛ فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام ، وبما عمل بعد إظهارها ؛ لأنه مستمر على كفره ، وهذا معروف في استعمال الشرع ، يقولون : حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص ، وساء إسلامه أو لم يحسن إسلامه إذا لم يكن كذلك . والله أعلم . اهـ .

---

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز : عمر .

الأنهار ﴾ ، « وعسىٰ » من اللَّه موجبة ، ﴿ **يوم لا يخزي اللَّه النبي والذين آمنوا معه** ﴾ ، أي : ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة ، ﴿ **نورهم يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ كما تقدم في سورة الحديد ﴿ **يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك علىٰ كل شيء قدير** ﴾ : قال مجاهد ، والضحاك ، والحسن البصري ، وغيرهم : [هذا يقوله][١] المؤمنون حين يَرَون يوم القيامة نورَ المنافقين قد طفيء .

وقال محمد بن نصر المروزي : حدثنا محمد بن مقاتل المروزي ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظرُ بين يَدَيّ فأعرف أمتي من بين الأمم ، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم » ، فقال رجل : يا رسول اللَّه ؛ وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال : « غر محجلون من آثار الطهور ، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يؤتَون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعىٰ بين أيديهم »(٣٨) .

وقال الإمام أحمد(٣٩) : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن يحيىٰ بن حسان ، عن رجل من بني كنانة قال : صليت خلف النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عام الفتح ، فسمعته يقول : « اللّهم لا تخزني يوم القيامة » .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين ، هؤلاء بالسلاح

---

(٣٨) مسند أحمد (١٩٩/٥) (٢١٨٢٨) من طريق ابن لهيعة بهذا الإسناد من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه . قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢٩٠) : رواه أحمد وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو حديث حسن في المتابعات .

(٣٩) المسند (٢٣٤/٤) (١٨١١١) قال الهيثمي في « المجمع » (١١٢/١٠) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز .

والقتال ، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم ، ﴿ **واغلظ عليهم** ﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ **ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ ، أي : في الآخرة .

ثم قال : ﴿ **ضرب الله مثلًا للذين كفروا** ﴾ ، أي : في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئًا ولا ينفعهم عند اللّه ، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال : ﴿ **امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين** ﴾ ، أي : نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلًا ونهارًا ، يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ، ﴿ **فخانتاهما** ﴾ أي : في الإيمان ، لم يوافقاهما علىٰ الإيمان ، ولا صدقاهما في الرسالة ، فلم يُجْد ذلك كلّه شيئًا ، ولا دفع عنهما محذورًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا** ﴾ أي لكفرهما[١] ، ﴿ **وقيل** ﴾ أي : للمرأتين ﴿ **ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ .

وليس المراد ﴿ **فخانتاهما** ﴾ في فاحشة ، بل في الدين ، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة ، لحرمة الأنبياء ، كما قدمنا في سورة النور .

قال سفيان الثوري(٤٠) عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة : سمعتُ ابن عباس يقولُ في هذه الآية : ﴿ **فخانتاهما** ﴾ قال : ما زنتا ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها علىٰ أضيافه .

وقال العَوفي(٤١) : عن ابن عباس قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا علىٰ عَورتيهما ، فكانت امرأة نُوح تَطّلع علىٰ سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء .

وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغيرهم .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعضُ العلماء علىٰ ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس : « من أكل مع مغفور له غفر له »(٤٢) . وهذا الحديث لا أصل له ، وإنما[٢] يروىٰ هذا عن بعض الصالحين أنه رأي النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في المنام فقال : يارسول اللّه ؛ أنت قلت : من أكل مع مغفور له [غفر له][٣] ؟ قال : لا ، ولكني الآن أقوله .

(٤٠) تفسير الطبري (١٦٩/٢٨ - ١٧٠) .

(٤١) تفسير الطبري (١٧٠/٢٨) .

(٤٢) موضوع ، انظر الأسرار المرفوعة (٣٣١ ، ٤٩٦) والمقاصد الحسنة للسخاوى . وقال الألباني في الضعيفة (٣١٥) : كذب لا أصل له . ونقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال : هذا ليس له إسناد عند =

[١] - في ز : بكفرهما . [٢] - في خ : ولا .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

وهذا مَثَلٌ ضربه اللَّه للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالىٰ: **﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللَّه في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾**.

قال قتادة: كان فرعون أعتىٰ أهل الأرض وأكفره[١].

فواللَّه ما ضر امرأته كُفر زوجها حين[٢] أطاعت ربها لتعلموا أن اللَّه حَكَمٌ عدل، لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه.

وقال ابن جرير(٤٣): حدثنا إسماعيل بن حفص الأُبُلِّيّ، حدثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: كانت امرأة فرعون تُعَذَّب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترىٰ بيتها في الجنة.

ثم رواه(٤٤) عن [محمد بن عبيد][٣] المحاربي، عن أسباط بن محمد، عن سليمان التيمي به.

ثم قال ابن جرير(٤٥): حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن هشام الدّستوائي، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال: كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسىٰ وهارون. فتقول: آمنت برب موسىٰ وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة

= أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب المسلمين، إنما يروونه عن سنان وليس معناه صحيحًا على الإطلاق؛ فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون. اهـ.

(٤٣) تفسير الطبري (٢٨/١٧١).

(٤٤) تفسير الطبري في الموضع السابق.

(٤٥) تفسير الطبري، الموضع السابق.

[١] - في ش، خ: وأبعده. [٢] - في ز، خ: حتى.

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «عبيد بن محمد».

تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتوها رفعت [١] بصرها إلىٰ السماء فأبصرت بيتها[٢] في الجنة ، فمضت علىٰ قولها ، وانتزع الله[٣] روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

فقولها : ﴿ **رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة** ﴾ قال العلماء : اختارت الجار قبل الدار . وقد ورد شيء من ذلك[٤] في حديث مرفوع : ﴿ **ونجني من فرعون وعمله** ﴾ ، أي : خلصني منه ، فإني أبرأ [إليك][٥] من عمله ، ﴿ **ونجني من القوم الظالمين** ﴾ . وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : كان إيمانُ امرأة فرعونَ من قبل إيمان امرأة خازن فرعون : وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون ، فوقع المشط من يدها ، فقالت : تعس من كفر بالله . فقالت لها ابنة فرعون : ولك رب غير أبي ؟ قالت : [نعم][٦] ربي ورب أبيك ورب كلِّ شيء الله . فلطمتها بنتُ فرعونَ وضربتها ، وأخبرت أباها ، فأرسل إليها فرعون فقال : تعبدين ربًا غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك ورب كل شيء الله ، وإياه أعبد . فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادًا ، فشد رجليها ويديها وأرسل عليها الحيات ، وكانت كذلك ، فأتىٰ عليها يومًا فقال لها : ما أنت منتهية ؟ فقالت له : ربي وربك وربُ كل شيء الله . فقال لها : إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي . فقالت له : اقض ما أنت قاض . فذبح ابنها في فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها : أبشري يا أمه ، فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، فصبرت .

ثم أتىٰ [عليها] [٧] فرعون يومًا آخر فقال لها مثل ذلك ، فقالت له مثل ذلك ، فذبح ابنها الآخر[٨] في فيها ، فبشرها روحه أيضًا ، وقال لها : اصبري يا أمه ، فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا . قال : وسمعت امرأة فرعون كلام روح[٩] ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأةُ فرعونَ ، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون ، وكشف الغطاء عن ثوبها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتىٰ رأت فازدادت إيمانًا ويقينًا وتصديقًا ، فاطّلع فرعونُ علىٰ إيمانها ، فقال للملإ : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها ، فقال لهم : إنها تعبد غيري . فقالوا له : اقتلها . فأوتد لها أوتادًا ، فشد يديها ورجليها ، فدعت آسية ربها فقالت : ﴿ **رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة** ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ، إنا نعذبها وهي تضحك ، فقبض الله روحها -

[١] - في ز : وقع .
[٢] - في ز ، خ : بيتًا .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : هذا .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - سقط من خ .

رضي اللّٰه عنها . وقوله ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ﴾ ، أي [حفظته و][١] صانته .

[و][٢] الإِحصان : هو العفاف والحرية ، ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ ، أي : بواسطة الملك ، وهو جبريل ، فإن اللّٰه بعثه إليها[٣] فتمثل لها في صورة بشر سَوِيّ ، وأمره اللّٰه تعالىٰ أن ينفخ بفيه في جيب[٤] درعها ، فنزلت النفخة فولجت في فرجها ، فكان منه الحمل بعيسىٰ عليه السلام ؛ ولهذا قال : ﴿ فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾ ، أي : بقدره وشرعه ، ﴿ وكانت من القانتين ﴾ . قال الإِمام أحمد(٤٦) : حدثنا يونس ، حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن علباء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خط رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط ، وقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون » .

وثبت في الصحيحين(٤٧) من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن مُرّة الهَمْداني ، عن أبي موسىٰ الأشعري ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام » .

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها ، والكلام عليها في قصة عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام في كتابنا « البداية والنهاية » ، ولله الحمد والمنة ، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه - عليه السلام - في الجنة عند قوله : ﴿ ثيبات وأبكارًا ﴾ .

آخر تفسير سورة التحريم ، ولله الحمد [والمنة][٥] .

☆ ☆ ☆

(٤٦) المسند (٢٩٣/١) (٢٦٦٨) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٢٦/٩) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح . اهـ .

(٤٧) صحيح البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : ﴿ وضرب اللّٰه مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ إلى قوله : ﴿ وكانت من القانتين ﴾ ، حديث (٣٤١١) (٤٤٦/٦) . وأطرافه في [٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨] . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي اللّٰه تعالى عنها - حديث (٢٤٣١/٧٠) (٢٨٥/١٥) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : جنب .
[٥] - سقط من ز .

تفسير سورة الملك

وهي مكية

قال أحمد(١) : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر؛ قالا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عباس الجُشَمي[١] ، عن أبي هُرَيرة ، عن رَسُول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن سورة في القرآن ثلاثين آية شَفَعت لصاحبها حتىٰ غُفر له : تبارك الذي بيده الملك** » . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقد روىٰ الطبراني(٢) والحافظ الضياء المقدسي ، من طريق سَلام بن مسكين ، عن ثابت ، عن أنس؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **سورة في القرآن خاصَمت عن صاحبها حتىٰ أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك** » .

وقال الترمذي(٣) : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا يحيىٰ بن عمرو بن مالك النُكري[٢] ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس؛ قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خباءه علىٰ قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر [فإذا قبر][٣] إنسان يقرأ سورة الملك حتىٰ ختمها ، فأتىٰ النبيَّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّٰه ؛ ضربت خبائي

(١) المسند (٨٢٥٩ - ط شاكر) ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في عد الآي ، حديث (١٤٠٠) ، والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الملك ، حديث (٢٨٩٣) ، والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الملك ، حديث (١١٦١٢) (٦/ ٤٩٦) ، وفي كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الفضل في قراءة ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، حديث (١٠٥٤٦) (١٧٨/٦) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : ثواب القرآن ، حديث (٣٧٨٦) (٢/ ١٢٤٤) . ورواه الحاكم وصححه (٤٩٧/٢ - ٤٩٨) ، وعزاه السيوطي في الدر لابن الضريس وابن مردويه . وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(٢) المعجم الأوسط (٧٦/٤) (٣٦٥٤) ، والصغير (١٧٦/١) ، والضياء في المختارة حديث (١٧٣٨ ، ١٧٣٩) ، وعزاه السيوطي لا بن مردويه . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٣٠/٧) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٣) **ضعيف** ، يحيى بن مالك النكري : ضعيف ، والحديث أخرجه الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الملك ، حديث (٢٨٩٢) (١٠٣/٨) قال الترمذي : حسن غريب . وقال السيوطي : رواه الحاكم ، وابن مردويه ، وابن نصر ، والبيهقي في الدلائل (٤١/٧) . وقال البيهقي : تفرد به يحيى بن عمرو النكري ، وهو ضعيف ؛ إلا أن لمعناه شاهدًا عن ابن مسعود . ثم ذكر حديث ابن مسعود . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٥٤٦ - ٣٠٦٤) قال : وإنما يصح منه قوله : « هي المانعة » .

[١] - في خ : عياش الحسمي . [٢] - في ز ، خ : المنكري .

[٣] - زيادة من ز .

علىٰ قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك : ﴿ **تبارك** ﴾ ، حتىٰ ختمها ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر** » . ثم قال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . وفي الباب عن أبي هريرة .

ثم رویٰ الترمذي[١] أيضًا(٤) من طريق ليث بن أبي سليم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان لا ينام حتىٰ يقرأ : ﴿ **الم * تنزيل** ﴾ ، و﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ . وقال ليث(٥) عن طاوس : يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة .

وقال الطبراني(٦): حدثنا محمد بن الحسن بن علّاف الأصبهاني ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » . يعني : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ .

هذا حديث غريب ، وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله في سورة « يس » .

وقد رویٰ هذا الحديث عبدُ بن حُمَيد في مسنده بأبسط من هذا ، فقال (٧) :

حدثنا إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلىٰ . قال : اقرأ : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية والمجادلة ، تجادل - أو تخاصم - يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له [أن ينجيه][٢] من عذاب النار ، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر ، قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لَوددتُ أنها في قلب كل إنسان من أمتي » .

---

(٤) سنن الترمذي ، الموضع السابق (٢٨٩٤) (٨/١٠٤) . قال الترمذي : هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا . ورواه مغيرة بن مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ نحو هذا . وروى زهير قال : قلت لأبي الزبير سمعت من جابر فذكر هذا الحديث ، فقال أبو الزبير : إنما أخبرنيه صفوان أو ابن صفوان ، وكأن زهيرًا أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر . اهـ .

(٥) سنن الترمذي في الموضع السابق وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٥٤٧ - ٣٠٦٨) وقال بأنه مقطوع .

(٦) المعجم الكبير (١١/٢٤١ - ٢٤٢) (١١٦١٦) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/١٣٠) وأعله بإبراهيم ابن الحكم بن أبان أيضًا .

(٧) أخرجه عبد بن حميد (ص ٢٠٦) (٦٠٣) .

---

[١] - في خ : الفهري . [٢] - بياض في ز ، خ .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(٨) في تاريخه ، في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد ، أبي عبد اللَّه القرشي النيسابوري ، المقرئ الزاهد الفقيه ، أحد الثقات الذين روىٰ عنهم البخاري ومسلم ، لكن في غير الصحيحين ، وروىٰ عنه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة ، وعليه تفقه في مذهب أبي عُبَيد بن حَرْبَويه ، وخلق سواهم ، ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إن رجلًا ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب اللَّه إلا « تبارك » ، فلما وضع في حفرته أتاه المَلَك فثارت السورة في وجهه ، فقال لها : إنك من كتاب اللَّه ، وأنا أكره مساءتك ، وإني لا أملك [لك ولا][١] له ولا لنفسي ضرًّا ولا نفعًا ، فإن أردت هذا به فانطلقي إلىٰ الرب تبارك وتعالىٰ فاشفعي له . فتنطلق إلىٰ الرب فتقول : يا رب ، إن فلانًا عَمَد إليَّ من بين كتابك فتَعَلَّمني وتلاني ، أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه ؟ فإن كنت فاعلًا ذاك به فامحني من كتابك . فيقول : ألا أراك غضبت ؟ فتقول : وحُقّ لي أن أغضب . فيقول : اذهبي فقد وهبته لك ، وشَفَّعتك فيه » . قال : « فتجيء فيخرج[٢] الملك ، فيخرج كاسف البال ، لم يحل منه بشيء » . قال : « فتجيء فتضع فاها علىٰ فيه ، فتقول : مرحبًا بهذا الفم ، فربما تلاني ، ومرحبًا بهذا الصدر ، فربما وعاني ، ومرحبًا بهاتين القدمين ، فربما قامتا بي؛ وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه » . قال : فلما حَدَّث بهذا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لم يبق صغير ولا كبير ولا حُرّ ولا عَبد إلا تعلمها ، وسماها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم المنجية .

قلت : وهذا حديث منكر جدًّا ، وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ، ويحيىٰ بن معين ، والبخاري ، وأبو حاتم ، والدارقطني وغير واحد . وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر ، عن الزهري ، من قوله مختصرًا . وروىٰ البيهقي في كتاب « إثبات عذاب القبر » عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا ما يشهد لهذا ، وقد كتبناه في كتاب الجنائز[٣] من الأحكام الكبرىٰ ، وللَّه الحمد والمنة .

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٢/٢٥٦ - مخطوط) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - بياض في ز .
[٣] - في ز : المنابر .

ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾

يمجد تعالىٰ نفسه الكريمة ، ويخبر أنه بيده الملك[١] ، أي : هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ؛ ولهذا قال : ﴿ **وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **الذي خلق الموت والحياة** ﴾ ، [واستدل بهذه الآية][٢] من قال : إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق . ومعنىٰ الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملًا ؟ كما قال : ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم** ﴾ ، فسمىٰ الحال الأول - وهو العدم - موتًا[٣] ، وسمىٰ هذه النشأة حياة . ولهذا قال : ﴿ **ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا[٤] صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا خُلَيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ **الذي خلق الموت والحياة** ﴾ ، قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « إن الله أذل بني آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ، ثم دار موت ، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » .

ورواه معمر عن قتادة [ ][٥] .

وقوله : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملًا** ﴾ أي : خير عملًا ، كما قال محمد بن عجلان : ولم يقل أكثر عملًا .

ثم قال : ﴿ **وهو العزيز الغفور** ﴾ ، أي : هو[٦] العزيز العظيم المنيع الجناب ، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب ، بعدما عصاه وخالف أمره ، وإن كان تعالىٰ عزيزًا هو [مع ذلك][٧] يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز .

ثم قال تعالى : ﴿ **الذي خلق سبع سموات طباقًا** ﴾ ، أي : طبقة بعد طبقة ، وهل هن متواصلات بمعنىٰ أنهن علويات بعضهن علىٰ بعض ، أو متفاصلات بينهن خلاء ؟ فيه قولان : أصحهما الثاني ، كما دل علىٰ ذلك حديث الإسراء وغيره .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : « استدل هذا الأمر » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : قوله .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من خ .

وقوله : ﴿ **ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت** ﴾ ، أي : بل هو مصطحب مستو ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل ، ولهذا قال : ﴿ **فارجع البصر هل ترىٰ من فطور** ﴾ ، أي : انظر إلىٰ السماء فتأملها ، هل ترىٰ فيها عيبًا أو نقصًا أو خللًا أو فطورًا ؟

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والثوري ، وغيرهم ، في قوله : ﴿ **فارجع البصر هل ترىٰ من فطور** ﴾ ، أي : شقوق وقال السدي : ﴿ **هل ترىٰ من فطور** ﴾ ، أي : من خرُوق . وقال ابن عباس في رواية : ﴿ **من فطور** ﴾ ، أي : من وُهِيّ[١] .

وقال قتادة : ﴿**هل ترىٰ من فطور**﴾ أي[٢] : هل ترىٰ خللًا يا بن آدم؟

وقوله : ﴿ **ثم ارجع البصر كرتين** ﴾ ، قال قتادة[٣] : مرتين . ﴿ **ينقلب إليك البصر خاسئًا** ﴾ ، قال ابن عباس : ذليلًا . وقال مجاهد وقتادة : صاغرًا . ﴿ **وهو حسير** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني وهو كليل . وقال مجاهد وقتادة والسدي : الحسير : المنقطع[٤] من الإعياء .

ومعنىٰ الآية أنك لو كررت البصر - مهما كررت - لا نقلب إليك[٥] ، أي : لرجع إليك البصر ، ﴿ **خاسئًا** ﴾ أي[٦] : عن أن يرىٰ عيبًا أو خللًا ، ﴿**وهو حسير**﴾ أي: كليل، وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصًا ، ولما نفىٰ عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح** ﴾ ، وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت[٧] .

وقوله : ﴿ **وجعلناها رجومًا للشياطين** ﴾ ، عاد الضمير في قوله ﴿ **وجعلناها** ﴾ علىٰ جنس المصابيح لا علىٰ عينها ، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء ، بل بشهب من دونها ، وقد تكون مستمدة منها ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وأعتدنا لهم عذاب السعير** ﴾ ، أي : جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا ، وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرىٰ ، كما قال في أول الصافات : ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظًا من كل شيطان مارد * لا يَسَّمعون إلىٰ الملإ الأعلىٰ ويقذفون من كل جانب * دحورًا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهابٌ ثاقب** ﴾ .

---

[١] - في ز ، خ : وهاء .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من خ ، ت .

[٤] - في ز : المنقع .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - سقط من ت .

[٧] - في خ : والكواكب .

قال قتادة : إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال : خلقها زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين ، وعلامات يهتدىٰ بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع[١] نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

﴿ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ و ﴾ أعتدنا ﴿ **للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير** ﴾ ، أي : بئس المآل والمنقلب . ﴿ **إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا** ﴾ ، قال ابن جرير : يعني الصياح ﴿ **وهي تفور** ﴾ ، قال الثوري : تغلي بهم كما يغلي الحَبّ القليل في الماء الكثير .

وقوله : ﴿ **تكاد تميز من الغيظ** ﴾ ، أي : تكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم ، ﴿ **كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير** ﴾ : يذكر تعالىٰ عدله في خلقه ، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه ، كما قال : ﴿ **وما كنا مُعَذِّبين حتىٰ نبعث رسولاً** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلىٰ ، ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين** ﴾ . وهكذا عادوا علىٰ أنفسهم بالملامة ، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، فقالوا : ﴿ **لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ ، أي : لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق ، لما كنا علىٰ ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلىٰ اتباعهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير** ﴾ .

قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتَرِيّ الطائي ؛ قال : أخبرني من سمعه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « لن

---

(٩) المسند (٤/٢٦٠) (١٨٣٤٢) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٥٣ ، ٤٣٤٧) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

يهلك الناس حتىٰ يُعذروا من أنفسهم ».

وفي [حديث آخر][١] : « لا يدخل أحد النار إلّا وهو يعلم أن النار أولىٰ به من الجنة ».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس ، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات ، حيث لا يراه أحد إلا اللّٰه : بأنه له مغفرة وأجر كبير ، أي[٢] : يكفر عنه ذنوبه ، ويجازىٰ بالثواب الجزيل ، كما ثبت في الصحيحين(١٠) : « سبعة يظلهم اللّٰه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » . فذكر منهم رجلًا دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجلًا تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١١) في مسنده : حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن ثابت ، عن أنس؛ قال : قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ إنا نكون عندك علىٰ حال ، فإذا فارقناك كنا علىٰ غيره ؟ قال : « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا : اللّٰه ربنا في السر والعلانية . قال : « ليس ذلكم النفاق » .

لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه .

ثم قال تعالىٰ منبهًا علىٰ أنه مطلع علىٰ الضمائر والسرائر : ﴿ **وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور** ﴾ ، أي : بما خطر في القلوب ، ﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾ ، أي : ألا يعلم الخالق . وقيل : معناه : ألا[٣] يعلم اللّٰه مخلوقه ؟ والأول أولىٰ ، لقوله ، ﴿ **وهو اللطيف**

---

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، حديث (٦٦٠) (١٤٣/٢) . وأطرافه في [١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة ، حديث (١٠٣١/٩١) (١٦٩/٧) وما بعدها .

(١١) أخرجه البزار (٦٦/١ - مختصر) (١٠) قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩/١) : رواه أبو يعلى [٣٣٦٩ - إلا أنه قال ونبيكم] والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

---

[١] - في خ : الحديث الآخر .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .

الخبير ﴾ .

ثم ذكر نعمته علىٰ خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد[١] ولا تضطرب ، بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهَيأها[٢] فيها من المنافع ومواضع الزروع[٣] والثمار ، فقال : ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها** ﴾ ، أي : فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا ، إلا أن ييسره اللّٰه لكم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكلوا من رزقه** ﴾ ، فالسعي في السبب لا ينافي التوكل ، كما قال الإمام أحمد(١٢) :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني بكر بن عمرو : أنه سمع عبد اللّٰه بن هُبَيرة ؛ يقول : إنه سمع أبا تميم[٤] الجَيْشَاني ؛ يقول : إنه سمع عمر بن الخطاب يقول : إنه سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « لو أنكم تتوكلون[٥] علىٰ اللّٰه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا » .

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من[٦] حديث ابن هبيرة ، وقال الترمذي : « حسن صحيح » . فأثبت لها رواحًا وغدوًا لطلب الرزق ، مع توكلها علىٰ اللّٰه - عز وجل - وهو المسخر المسير المسبب . ﴿ **وإليه النشور** ﴾ ، أي : المرجع يوم القيامة .

قال ابن عباس ومجاهد، وقتادة والسدي : ﴿ **مناكبها** ﴾ أطرافها وفجاجها ونواحيها . وقال ابن عباس وقتادة : ﴿ **مناكبها** ﴾ الجبال .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن حكام[٧] الأزدي ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن بشير بن كعب : أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **فامشوا في مناكبها** ﴾ فقال لأم ولد له : إن علمت ما[٨] ﴿ **مناكبها** ﴾ فأنت عتيقة . فقالت : هي

(١٢) المسند (١/٣٠) (٢٠٥) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : في التوكل على اللّٰه ، حديث (٢٣٤٥) (٧/٩٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرقائق كما في تحفة الأشراف للمزى (٨/٧٩) (١٠٥٨٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : التوكل واليقين ، حديث (٤١٦٤) (٢/١٣٩٤) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٠) .

[١] - في ت : تمتد .
[٢] - في ز : وهيأ .
[٣] - في ز : الزرع .
[٤] - في ز : سهل .
[٥] - في ز : توكلون .
[٦] - في ز ، خ : في .
[٧] - في ز : حجام .
[٨] - سقط من ت .

الجبال . فسأل أبا الدرداء فقال : هي الجبال .

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

وهذا أيضًا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر علىٰ تعذيبهم ، بسبب كفر بعضهم به ، وعبادتهم معه غيره ، وهو مع هذا يحلم ويصفح ، ويؤجل ولايعجل ، كما قال : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلىٰ أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرًا** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور** ﴾ ، أي : تذهب وتجيء وتضطرب ، ﴿ **أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا** ﴾ ، أي : [ريحًا فيها حصباء تدمغكم][١] ، كما قال : ﴿ **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبًا ثم لا تجدوا لكم وكيلًا** ﴾ . وهكذا توعدهم هاهنا بقوله : ﴿ **فستعلمون كيف نذير** ﴾ أي : كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه ، وكذّب به .

ثم قال : ﴿ **ولقد كذّب الذين من قبلهم** ﴾ أي : من الأمم السالفة ، والقرون الخالية ، ﴿ **فكيف كان نكير** ﴾ أي : فكيف كان إنكاري عليهم ، ومعاقبتي لهم ؟ أي : عظيمًا شديدًا أليمًا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا إلىٰ الطير فوقهم صافات ويقبضن** ﴾ أي : تارة يصففن أجنحتهن في الهواء ، وتارة تجمع جناحًا ، وتنشر جناحًا ، ﴿ **ما يمسكهن** ﴾ ، أي : في الجو ﴿ **إلا الرحمن** ﴾ ، أي : بما سخر لهن[٢] من الهواء ، [ ][٣] من رحمته ولطفه ، ﴿ **إنه بكل شيء بصير** ﴾ ، أي : بما يصلح كل شيء من مخلوقاته . وهذه كقوله : ﴿ **ألم يروا إلىٰ الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله . إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن

---

[١] - في ت ، خ : « ريحًا حصباء تدمغهم » .

[٢] - في ز : لهم . [٣] - في ز : لهن .

﴿ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ (٢٧) ﴾

يقول تعالىٰ للمشركين الذين عبدوا غيره ، يبتغون عندهم نصرًا ورزقًا منكرًا عليهم فيما اعتقدوه ، ومُخبرًا لهم أنه لايحصل لهم ما أملوه ، فقال : ﴿ **أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن** ﴾ ، أي : ليس لكم من دونه من ولي [ولا واق][١] ، ولا ناصر لكم غيره ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن الكافرون إلا في غرور** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه** ﴾ ، أي : من هذا الذي إذا قطع اللّٰه رزقه عنكم يرزقكم بعده ؟ ! أي : لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا اللّٰه - عز وجل - وحده لا شريك له ، أي : وهم يعلمون ذلك ، ومع هذا يعبدون غيره ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل لجوا** ﴾ أي : استمروا في طغيانهم وإفكهم[٢] وضلالهم ، ﴿ **في عتو ونفور** ﴾ ، أي : معاندة واستكبارًا ونفورًا علىٰ أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه .

ثم قال : ﴿ **أفمن يمشي مكبًا علىٰ وجهه أهدىٰ أمن يمشي سويًا علىٰ صراط مستقيم** ﴾ ، وهذا مثل ضربه اللّٰه للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبًا علىٰ وجهه ، أي يمشي منحنيًا لامستويًا علىٰ وجهه ، أي : لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ، بل تائه حائر ضال ، أهذا أهدىٰ ﴿ **أمن يمشي سويًا** ﴾ ، أي : منتصب القامة ﴿ **علىٰ صراط مستقيم** ﴾ ، أي : علىٰ طريق واضح بين ، وهو في نفسه مستقيم ، وطريقه مستقيمة ، هذا مثلهم في الدنيا ، وكذلك يكونون في الآخرة ، فالمؤمن يحشر يمشي سويًا علىٰ صراط مستقيم ، مُفضَىٰ به إلىٰ الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي علىٰ وجهه إلىٰ نار جهنم ، ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون اللّٰه فاهدوهم إلىٰ صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسئولون * مالكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون** ﴾ .

قال الإمام أحمد(١٣) رحمه اللّٰه : حدثنا ابن نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن نفيع ؛ قال :

(١٣) المسند (٣/١٦٧) (١٢٧٣١) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : وإثمهم .

سمعت أنس بن مالك؛ يقول : قيل : يارسول الله ؛ كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال : « أليس[١] الذي أمشاهم على أرجلهم قادرًا[٢] على أن يمشيهم على وجوههم ؟ ! » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(١٤) من طريق [يونس بن محمد ، عن شيبان ، عن قتادة ، عن أنس ، به نحوه][٣] .

وقوله : ﴿ قل هو الذي أنشأكم ﴾ ، أي : ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ ، أي : العقول والإدراك ، ﴿ قليلًا ما تشكرون ﴾ أي : ما أقلَّ ما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم ، في طاعته وامتثال أوامره ، وترك زواجره .

﴿ قل هو الذي ذرأكم في الأرض ﴾ ، أي[٤] : بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها ، مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم ، و[٥] حلاكم وأشكالكم وصوركم ، ﴿ وإليه تحشرون ﴾ ، أي : تجمعُون بعد هذا التفرق والشتات ، يجمعكم كما فرقكم ، ويعيدكم كما بدأكم .

ثم قال مخبرًا عن الكفار المنكرين المعاد المستبعدين وقوعه : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ، أي : متى هذا الذي تخبرنا بكونه من[٦] الاجتماع بعد هذا التفرق ؟ ﴿ قل إنما العلم عند الله ﴾ ، أي : لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله - عز وجل - لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ، ﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾ : وإنما عليَّ البلاغ ، وقد أديته إليكم .

قال الله تعالى : ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ ، أي : لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ، ورأوا أن الأمر كان قريبًا ؛ لأن كل ماهو آت آت وإن طال زمنه[٧] ، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك ، لما يعلمون مالهم هناك من الشر ، أي : فأحاط بهم ذلك ، وجاءهم من أمر الله مالم يكن لهم في بال ولاحساب ، ﴿ [وبدا لهم من الله ما لم يكونوا

(١٤) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ... ﴾ ، حديث (٤٧٦٠) (٨/٤٧٦٠) . وطرفه في [٦٥٢٣] . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : يحشر الكافر على وجهه ، حديث (٢٨٦/٥٤) (١٧/٢١٧) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : قادرٌ .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : في .
[٧] - في ز : زمانه .

يحتسبون][١] * وبدا لهم سيئات ما كسبوا[٢] وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ ؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ : ﴿ هذا الذي كنتم به تدّعون ﴾ ، أي : تستعجلون .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ : يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه : ﴿ أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا ، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟ ﴾ . أي : خلّصوا أنفسكم ، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة ، والرجوع إلى دينه ، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال ، فسواء عذبنا الله أو رحمنا ، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم .

ثم قال : ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ ، أي : آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم ، وعليه توكلنا في جميع أمورنا ، كما قال : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فستعلمون من هو في ضلال مبين ﴾ ، أي : منا ومنكم ، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة .

ثم قال : ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا ﴾ ، أي : ذاهبًا في الأرض إلى أسفل ، فلا يُنال بالفئوس الحداد ، ولا السواعد الشداد .

والغائر : عكس النابع ؛ ولهذا قال : ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ ، أي : نابع سائح[٣] جار على وجه الأرض ، لا يقدر على ذلك إلا الله - عز وجل - فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه ، وأجراها في سائر أقطار الأرض ، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فله الحمد والمنة .

[آخر تفسير سورة الملك ، ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : عملوا .
[٣] - في ز ، خ : صالح .

تفسير سورة « ن »

وهي مكية

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول « سورة البقرة » ، وأن قوله : ﴿ ن ﴾ كقوله : ﴿ ص ﴾ ، ﴿ ق ﴾ ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور ، وتحرير القول في ذلك بما أغنىٰ عن إعادته . وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ : حوت عظيم علىٰ تيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل للأرضين السبع ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا سفيان - هو الثوري - حدثنا سليمان - هو الأعمش - عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القَدرَ . فجرىٰ[١] بما يكون من ذلك اليوم إلىٰ يوم قيام الساعة . ثم خلق « النون » ورفع بخار الماء ، ففُتقت منه السماء ، وبسطت الأرض علىٰ ظهر النون ، فاضطرب النون فمادت الأرض ، فأثبتت[٢] بالجبال ، فإنها لتفخر[٣] علىٰ الأرض .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن سنان ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به[٤] . وهكذا رواه شعبة ، ومحمد بن فُضَيل[٥] ، ووكيع ، عن الأعمش ، به . وزاد شعبة في روايته : ثم قرأ : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ . وقد رواه شريك ، عن الأعمش ؛ عن أبي ظبيان[٦] - أو مجاهد - عن ابن عباس ، فذكر نحوه . ورواه معمر ، عن الأعمش : أن ابن عباس [قال .... فذكره][٧] ، ثم قرأ : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ . ثم قال ابن

(١) تفسير الطبري (١٤/٢٩) ، وفي التاريخ (١٧/١) ، والحاكم وصححه (٤٩٨/٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (حديث ٨٠٤) ، وفي السنن (٣/٩) ، والآجري في الشريعة (١٧٨ ، ١٧٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٧/٦) . لعبد الرزاق ، والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر =

[١] - في خ : يجري .

[٢] - في ت : فأنبتت .

[٣] - في ز ، خ: لتفجر .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : فضل .

[٦] - تقرأ في ز : حليان . أو : حلبان .

[٧] - في خ : فذكر نحوه .

جرير(٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس ؛ قال : إن أول شيء خلق ربي - عز وجل - القلم ، [فقال له][١] : اكتب . فكتب ما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة ، ثم خلق « النون » فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .

وقد روىٰ الطبراني ذلك مرفوعًا فقال(٣) : حدثنا أبو حبيب [زيد بن][٢] المهتدي المَرُّودي[٣] ، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل[٤] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ - مسلم بن صبيح - عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أول ماخلق اللَّه القلم والحوت ، [قال للقلم : اكتب][٥] . قال : ما أكتب ؟ قال : كل شيء كائن إلىٰ يوم القيامة** » . ثم قرأ : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ ، فالنون : الحوت . والقلم : القلم .

حديث آخر في ذلك رواه [ابن عساكر][٦] (٤) عن أبي عبد اللَّه مولىٰ بني أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن أول شيء خلقه اللَّه القلم ، ثم خلق « النون » وهي : الدواة . ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ [قال : اكتب][٧] ما يكون - أو : ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل . فكتب ذلك إلىٰ يوم القيامة ، فذلك قوله : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾، ثم ختم علىٰ القلم فلم يتكلم إلىٰ يوم القيامة ، ثم خلق العقل ، وقال : وعزتي لأكملنك[٨] [فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن أبغضت** »][٩] .

= وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة ، والخطيب في تاريخه ، والضياء في المختارة .

(٢) تفسير الطبري (١٥/٢٩) .

(٣) المعجم الكبير (٤٣٣/١١) رقم (١٢٢٢٧) . وقال الطبراني : لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل . قال الهيثمي في : « المجمع » (١٣١/٧) : ومؤمل ثقة كثير الخطأ ، وقد وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه البخاري وغيره ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . وفي إسناده عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٤) - تاريخ دمشق (٤٩٢/١٧ مخطوط) ، و(٩٥/١٦ مخطوط) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٧٢) من طريق محمد بن وهب ، عن الوليد بن مسلم ، عن مالك ، عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا به نحوه ، وقال : هذا بهذا الإسناد باطل منكر ، وآفته محمد بن وهب . قال الذهبي في الميزان (٦١/٤) : صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل . وقال ابن القيم في المنار المنيف (٩٦) : « أحاديث العقل كلها كذب » .

---

[١] - في ت ، خ : ثم قال له .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز ، : المبرود . وفي المطبوع من الطبراني : المروذي .
[٤] - في ز : إسحاق .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز ، خ : لاكلمنك .
[٩] - بياض في ز .

وقال ابن أبي نجيح: إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره، عن مجاهد قال: كان يقال: النون: الحوت الذي تحت الأرض السابعة.

وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين؛ أن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السماوات والأرض، وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن، وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، فالله أعلم. ومن العجيب أن بعضهم حمل على[١] هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٥): حدثنا إسماعيل، حدثنا حُميد، عن أنس: أن عبد الله بن سلام بَلَغه مَقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء، قال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ و[٢] ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه؟ والولد ينزع إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفًا**». قال ابن سلام: فذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تَحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادةُ كبد حوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت**».

ورواه البخاري من طرق، عن حميد، ورواه مسلم أيضًا. وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو[٣] هذا.

وفي صحيح مسلم(٦) من حديث أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان: أن حَبرًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسائل، فكان منها: قال: فما تحفتهم؟ - يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة - قال: «**زيادة كبد الحوت**»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**ينحر لهم[٤] ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها[٥] تسمى سلسبيلًا**». وقيل: المراد بقوله: ﴿ن﴾ لوح من نور.

قال ابن جرير(٧): حدثنا الحسن بن شبيب المكتب، حدثنا محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي الفرات، عن معاوية بن قُرّة، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(٥) المسند (١٨٩/٣) (١٢٩٩٣). والبخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، حديث (٣٣٢٩) (٣٦٢/٦ - ٣٦٣)، وأطرافه في [٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠]. ولم أجده في مسلم.

(٦) صحيح مسلم في كتاب: الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما، حديث (٣١٥/٣٤) (٢٩١/٣ - ٢٩٣).

(٧) تفسير الطبري (١٥/٢٩ - ١٦).

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: عن.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - سقط من ز.

وسلم : « ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ : لوح من نور ، وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة » . وهذا مرسل غريب .

وقال ابن جريج[١] : أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ دواة ، والقلم : القلم . قال ابن جرير :

حدثنا [ ][٢] عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : ﴿ ن ﴾ ، قالا : هي الدواة . وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جدًّا ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الحسن بن يحيىٰ ، حدثنا أبو عبد الله مولىٰ بني[٣] أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « خلق الله النون ، وهي الدواة » .

وقال ابن جرير(٨) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أخي عيسى بن عبد الله ، حدثنا ثابت [البناني][٤] عن ابن عباس ؛ قال : إن الله خلق النون - وهي الدواة - وخلق القلم ، فقال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال[٥] : اكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة من عمل معمول ، بر[٦] أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام . ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه : دخوله في الدنيا ، ومقامه فيها كم[٧] ؟ وخروجه منها كيف ؟ ثم جعل علىٰ العباد حفظة ، وللكتاب خزانًا ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضىٰ الأجل ؛ أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئًا . فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا . قال : فقال ابن عباس : ألستم قومًا عَرَبًا تسمعون الحفظة يقولون : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل ؟ !

وقوله : ﴿ والقلم ﴾ : الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به[٨] كقوله : ﴿ اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . فهو قسم منه تعالىٰ ، وتنبيه لخلقه علىٰ ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ؛ ولهذا قال : ﴿ وما يسطرون ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعني وما [يكتبون .

---

(٨) تفسير الطبري (١٥/٢٩) .

---

[١] - في ز ، خ : جرير .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : ابن .

[٣] - في ز : ابن .

[٤] - في . ، خ : الشمالي .

[٥] - في ز : فقال .

[٦] - في ز ، خ : به .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - سقط من ز ، خ .

وقال أبو الضحىٰ، عن ابن عباس: ﴿وما يسطرون﴾ أي: وما يعملون][١] .

[وقال السدي: ﴿وما يسطرون﴾ يعني: الملائكة، وما][٢] تكتب من عمل العباد .

وقال آخرون: بل المراد هاهنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة . وأوردوا في[٣] ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم، فقال ابن أبي حاتم:

حدثنا أبو سعيد بن يحيىٰ بن سعيد القطان، ويونس بن حبيب؛ قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي(٩)، حدثنا عبد الواحد بن سُليم السلمي، عن عطاء - هو ابن أبي رباح - حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: يارب، ما أكتب؟ قال: اكتب القدر [ما كان][٤] وما هو كائن إلى الأبد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به[٥] . وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به. وقال: حسن صحيح غريب. ورواه أبو داود في « كتاب السنة » من سننه، عن جعفر بن مسافر، عن يحيىٰ بن حسان، عن ابن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي[٦] حفصة - واسمه حُبَيش بن شُريح الحَبَشي الشامي - عن عبادة، فذكره .

وقال ابن جرير(١٠): حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي، حدثنا عليّ بن الحسن بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدثنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أنه كان يحدث أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء » . غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه .

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿والقلم﴾ يعني: الذي كتب به الذكر .

---

(٩) أخرجه الطيالسي (ص ٧٩) (٥٧٧) . وأخرجه أحمد (٣١٧/٥) . والترمذي في كتاب: القدر، باب: (١٧)، حديث (٢١٥٦) (٣٢٥/٦ - ٣٢٦) . وأبو داود في كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث (٤٧٠٠) (٢٢٥/٤ - ٢٢٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٩٣٣) .

(١٠) تفسير الطبري (١٦/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز، خ .
[٢] - سقط من ز، خ .
[٣] - في ز: إلى .
[٤] - سقط من ز، خ .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز: ابن .

وقوله : ﴿ وما يسطرون ﴾ ، أي : يكتبون ، كما تقدم .

وقوله : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ ، أي : لست - ولله الحمد - بمجنون كما قد[١] يقوله الجهلة من قومك ، والمكذبون بما جئتهم به من الهدىٰ والحق المبين ، فنسبوك فيه إلىٰ الجنون ، ﴿ وإن لك لأجرًا غير ممنون ﴾ ، أي : بل لك الأجر العظيم ، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد ، علىٰ إبلاغك رسالة ربك إلىٰ الخلق ، وصبرك علىٰ أذاهم .

ومعنىٰ ﴿غير ممنون﴾ أي : غير مقطوع كقوله : ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ .

[﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد : ﴿غير ممنون﴾][٢] أي غير محسوب وهو يرجع إلىٰ ما قلناه .

وقوله : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أي وإنك لعلىٰ دين عظيم ، وهو الإسلام . وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد .

وقال عطية : لعلىٰ أدب عظيم . وقال معمر ، عن قتادة : سُئلت عائشةُ عن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالت : كان خلقه القرآن ، تقول[٣] : كما هو في القرآن . وقال سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة قوله : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ، ذُكر لنا أن سعد[٤] بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلىٰ . قالت : فإن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان القرآن(١١) .

وقال عبد الرزاق(١٢) عن معمر ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفىٰ ، عن سعد بن هشام ؛ قال : سألت عائشة فقلت : أخبريني يا أم المؤمنين ؛ عن خُلُق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فقالت : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . فقالت : كان خلقه القرآن .

هذا حديث طويل ، وقد رواه الإمام مسلم(١٣) في صحيحه ، من حديث قتادة بطوله ، وسيأتي في « سورة المزمل » إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١١) تفسير الطبري (١٩/٢٩) ، وأحمد (٩٤/٦) (٢٤٧٤٨) كلاهما من طريق قتادة ، وهو عند مسلم وسيأتي قريبا بإذن الله .

(١٢) وأخرجه أحمد (١٦٣/٦) (٢٥٤٠٩) من طريق عبد الرزاق .

(١٣) صحيح مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، حديث (١٣٩ - ٧٤٦/١٤٢) (٣٧/٦ - ٤٢) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : يقول سعيد .
[٤] - في ز ، خ : سعيد .

وقال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن ؛ قال : سألت[١] عائشة عن خلق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن رجل من بني سواد ؛ قال : سألت عائشة عن خلق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالت : أما تقرأ[٢] القرآن : ﴿ **وإنك لعلىٰ خلق عظيم** ﴾ ؟ قال : قلت : حدثيني عن ذاك . قالت : صنعت له طعامًا ، وصنعت له حفصة طعامًا ، فقلت لجاريتي : اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحي الطعام ! قالت : فجاءت بالطعام ، قالت : فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت - وكان نطْعٌ - قالت : فجمعه[٣] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وقال : « اقتصوا - أو : [اقتصي ، شك][٤] أسود - ظَرفًا مكان ظَرفِك » . قالت : فما قال شيئًا .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس ، حدثنا أبي ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعد[٥] بن هشام ؛ قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها : أخبريني بخُلق النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ : ﴿ **وإنك لعلىٰ خُلق عظيم** ﴾ ؟

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نُفير ؛ قال : حججتُ فدخلتُ علىٰ عائشة - رضي اللّٰه عنها - فسألتها عن خُلُق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالت : كان خُلُق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم القرآن .

هكذا رواه [أحمد(١٨) عن][٦] عبد الرحمن بن مهدي. ورواه النسائي في التفسير ، عن

(١٤) المسند (٢١٦/٦) (٢٥٩٢٢) .
(١٥) المسند (١١١/٦) (٢٤٩١٢) .
(١٦) تفسير الطبري (١٩/٢٩) .
(١٧) تفسير الطبري (١٩/٢٩) .
(١٨) المسند (١٨٨/٦) (٢٥٦٥٥) . والنسائي في الكبرى (٣٣٣/٦) (١١١٣٨) في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ .

[١] - في خ : سئلت .
[٢] - في ز ، خ : هذا .
[٣] - في ز ، خ : فحفه .
[٤] - في ز ، خ : « اقتفي بيد » .
[٥] - في ز ، خ : سعيد .
[٦] - سقط من خ .

إسحاق بن منصور ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح به .

ومعنىٰ هذا أنه - عليه السلام - صار امتثالُ القرآن ، أمرًا ونهيًا - سجيةً له[١] ، وخلقًا تَطَبَّعَه ، وترك طبعه الجِبِلّي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جَبَله اللّٰه عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم ، والشجاعة والصفح ، والحلم ، وكل خلق جميل ، كما ثبت في الصحيحين(١٩) عن أنس قال : خدمتُ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عشر سنين فما قال لي : أفٍّ قطّ ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلتَه ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [ ][٢] أحسن الناس خلقًا ، ولا مَسِسْتُ خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ولا [شَمِمْتُ مسكًا][٣] ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم.

وقال البخاري(٢٠) : [حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله][٤] ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت البراء يقول : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خلقًا ، ليس بالطويل البائن[٥] ولا بالقصير .

والأحاديث في هذا كثيرة ، ولأبي عيسىٰ الترمذي في هذا كتاب[٦] « الشمائل » .

وقال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عُرْوة ، عن عائشة ؛ قالت : ما ضرب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بيده خادمًا له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئًا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل اللّٰه ، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتىٰ يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتىٰ[٧] إليه إلا أن تنتهك حرمات اللّٰه ، فيكون هو ينتقم للّٰه عز وجل .

وقال الإمام أحمد(٢٢) : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا [عبد العزيز][٨] بن محمد ، عن

(١٩) صحيح البخاري في كتاب : النكاح ، باب : الوليمة حق ، حديث (٥١٦٦) (٣٧٩/٣ - متن) ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : كان رسول اللّٰه ﷺ أحسن الناس خلقًا (٥١ - ٢٣٠٩/٥٣) (١٥/ ١٠٠ - ١٠٢) .

(٢٠) صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ ، حديث (٣٥٤٩) (٥٦٤/٦) .

(٢١) المسند (٢٣٢/٦) (٢٦٠٦٥) .

(٢٢) المسند (٣٨١/٢) . وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : من .
[٣] - في خ : تيممت .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ت خ : الكتاب .
[٧] - في ز : يعني .
[٨] - في ز : عبد الله .

محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إنما بُعثتُ لأُتمِّم صالح الأخلاق ...» تفرد به .

وقوله : ﴿ **فستبصر ويُبصرُون * بأيكم المفتون** ﴾ ، أي : فستعلم يامحمد ، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلىٰ هدًى أو في ضلال مبين** ﴾ .

قال ابن جريج : قال ابن عباس في هذه الآية : ستعلم ويعلمون يوم القيامة .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ أي : الجنون وكذا قال مجاهد ، وغيره .

وقال قتادة وغيره : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ أي : أولىٰ بالشيطان .

ومعنىٰ المفتون ظاهر ، أي : الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء في قوله : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ لتدل علىٰ تضمين الفعل في قوله : ﴿ **فستبصر ويبصرون** ﴾ ، وتقديره فستعلم ويعلمون ، أو[١] : فستُخبَر ويُخبَرون بأيكم المفتون ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ، أي : هو يعلم تعالىٰ أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم، ﴿ **فلا تطع المكذبين** ﴾ . ﴿ **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ . قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون . وقال مجاهد : ودوا لو تركن إلىٰ آلهتهم ، وتترك ما أنت عليه من الحق .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين** ﴾ ، وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئُ بها علىٰ أسماء اللَّه تعالىٰ ، واستعمالها في كل وقت في غير محلها .

قال ابن عباس : المهين: الكاذب . وقال مجاهد : هو الضعيف القلب . و[٢] قال الحسن :

---

[١] - سقط من خ . [٢] - سقط من ت .

كل حلاف مكابر مهين ضعيف . وقوله : ﴿ هماز ﴾ . قال ابن عباس وقتادة : يعني الاغتياب .

﴿ مشاء بنميم ﴾ ، يعني : الذي يمشي بين الناس ، ويحرش بينهم ، وينقل الحديث لفساد ذات البين ، وهي الحالقة ، وقد ثبت في الصحيحين(٢٣) من حديث مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ قال : مر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر[١] من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » . الحديث . وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم ، من طرق عن مجاهد به .

وقال أحمد(٢٤) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، أن حذيفة ؛ قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قتّات » . رواه الجماعة إلا ابن ماجة من طرق عن إبراهيم[٢] به .

وحدثنا عبد الرزاق(٢٥) ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن حذيفة ؛ قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قتات » . يعني نمامًا .

وحدثنا يحيىٰ بن سعيد القطان(٢٦) - أبو سعيد الأحول - عن الأعمش ، حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة ، عن همام بن الحارث[٣] قال : مر رجل علىٰ حذيفة فقيل : إن هذا يرفع الحديث إلىٰ الأمراء . فقال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول - أو : قال :

---

(٢٣) صحيح البخاري في كتاب : الوضوء ، باب : ما جاء في غسل البول ، حديث (٢١٨) (٣٢٢/١) . وأطرافه في : [١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٢] . ومسلم في كتاب : الطهارة ، باب : الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، حديث (٢٩٢/١١١) (٢٥٧/٣ - ٢٥٨) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : الاستبراء من البول ، حديث (٢٠) (٢٠/١) . والترمذي في كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في التشديد في البول ، حديث (٧٠) (٧٥/١ - ٧٦) . والنسائي (٢٨/١ - ٣٠) ، (١٠٦/٦) . وابن ماجة في كتاب : الطهارة ، باب : التشديد في البول ، حديث (٣٤٧) (١٢٥/١) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(٢٤) أخرجه أحمد (٣٨٢/٥) . والبخاري في كتاب : الأدب ، باب : ما يكره من النميمة ، حديث (٦٠٦٥) (٤٧٢/١٠) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان غلظ تحريم النميمة ، حديث (١٦٨ - ١٠٥/١٧٠) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في القتات ، حديث (٤٨٧١) (٢٦٨/٤) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في النمام ، حديث (٢٠٢٧) (٢٢٩/٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة القلم ، حديث (١١٦١٤) (٤٩٦/٦) .

(٢٥) المسند (٣٨٩/٥) .

(٢٦) المسند (٣٨٩/٥) .

---

[١] - في خ : يستبرئ .

[٢] - في ز : ابن ماجة . كذا .

[٣] - في ز : حرب .

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات » .

وقال أحمد(٢٧) : حدثنا هاشم [١] ، حدثنا مهدي ، عن واصل الأحدب ، عن أبي وائل ؛ قال : بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث ، فقال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لايدخل الجنة نمام » .

وقال الإمام أحمد(٢٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر، عن ابن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ؛ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بخياركم ؟ » . قالوا : بلىٰ يا رسول الله . قال[٢] : « الذين إذا رُءُوا ذُكرَ الله عز وجل » . ثم قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العَنَت».

ورواه ابن ماجة عن سويد بن سعيد ، عن يحيىٰ بن سليم ، عن ابن خثيم به .

وقال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي حُسَين ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم - يبلغ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم - : « خيار عباد الله الذين إذا رُءُوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت ».

وقوله : ﴿ **مناع للخير معتد أثيم** ﴾ أي : يمنع ما عليه وما لديه من الخير ، ﴿ **معتد** ﴾ في تناول ما أحل الله له[٣] ، يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿ **أثيم** ﴾ ، أي يتناول المحرمات .

وقوله : ﴿**عتل بعد ذلك زنيم**﴾ أما العتل فهو : الفظ الغليظ الصحيح ، الجموع المنوع .

قال الإمام أحمد(٣٠) : حدثنا وكيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن مَعْبَد بن خالد ، عن حارثة[٤] بن وهب ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟

(٢٧) المسند (٣٩١/٥) وليس في الإسناد أبو وائل . وأخرجه (٣٩٩/٥) عن حماد بن خالد عن مهدي بهذا الإسناد .

(٢٨) المسند (٤٥٩/٦) (٢٧٧٠٧) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : من لايؤبه له ، حديث (٤١١٩) (١٣٧٩/٢) . قال البوصيري في « الزوائد » (٢٧٣/٣) : هذا إسناد حسن ؛ شهر وسويد مختلف فيهما وباقي رجال الإسناد ثقات .

(٢٩) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٥٣) قال الهيثمي في « المجمع » (٩٦/٨) : رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٣٠) المسند (٣٠٦/٤) (١٨٧٨٢، ١٨٧٨٤) .

[١] - في ز ، خ : هشام .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : جارية .

كل ضعيف مُتَضَعّف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عُتلّ جَوّاظ مستكبر » . وقال وكيع : كل جواظ جعظري مستكبر .

أخرجاه في الصحيحين[٣١] وبقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث سفيان الثوري وشعبة ، كليهما عن معبد[١] بن خالد به .

وقال الإمام أحمد أيضًا[٣٢] : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن عليّ ؛ قال : سمعت أبي يحدّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع » . تفرد به أحمد .

قال أهل اللغة : الجعظري : الفظ الغليظ ، والجواظ : الجموع المنوع .

وقال الإمام أحمد[٣٣] : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحَميد ، عن شهر بن حَوشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ، قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العُتلّ الزنيم ، فقال : « هو الشديد الخَلْق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس ، رحيب الجوف » .

وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري ؛ والعتل الزنيم »[٣٤] . وقد أرسله أيضًا غير واحد من التابعين .

وقال ابن جرير[٣٥] : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن[٢] ثور ، عن معمر ، عن زيد بن

---

(٣١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ ، حديث (٤٩١٨) (٨/ ٦٦٢) . وطرفاه في : [٦٠٧١ ، ٦٦٥٧] . ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٤٦ ، ٢٨٥٣/٤٧) . والترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : أهل الجنة كل ضعيف ، وأهل النار كل متكبر ، حديث (٢٦٠٨) (٢٦٦/٧) . والنسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ حديث (١١٦١٥) (٤٩٧/٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد، باب : من لا يؤبه له ، حديث (٤١١٦) (١٣٧٨/٢) .

(٣٢) المسند (١٦٩/١) (٦٥٨٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٦/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . اهـ . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٣٣) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٤٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٦/١٠) : رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ . اهـ .

(٣٤) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٤٨) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠١٦ - ٤٨٠١) .

(٣٥) تفسير الطبري (٢٤/٢٩) .

---

[١] - في ز : سعيد .

[٢] - في خ : أبو .

أسلم ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « تبكي السماء من عبد أصح اللّه جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه [من الدنيا][١] مِقْضَمًا ، فكان للناس ظلومًا » قال : « فذلك العُتُلّ[٢] الزنيم » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أن العتل هو : المُصحَّح الخَلْق ، الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك ، وأما الزنيم فقال البخاري(٣٦) :

حدثنا محمود ، حدثنا عُبَيد[٣] اللّه ، عن إسرائيل ، عن أبي حَصِين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال : رجلٌ من قريش له زَنَمة مثل زنمة الشاة .

ومعنىٰ هذا أنه كان مشهورًا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وإنما الزنيم في لغة العرب : هو الدّعِيّ في القوم . قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان ابن ثابت ، يعني يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر :

زنيم ليس يعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **زنيم** ﴾ ، قال : الدعيّ[٤] الفاحش اللئيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع[٥]

وقال العوفي عن ابن عباس : الزنيم : الدعيّ . ويقال : الزنيم : رجل كانت به زنمة ، يعرف بها . ويقال : هو الأخنس بن شَريق الثقفي ، حليف بني زهرة . وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الأسودُ بن عبد يغوث الزهري ، وليس به .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس : إنه زعم أن الزنيم المُلْحَق النسب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني سليمان بن بلال ، عن عبد

(٣٦) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ ، حديث (٤٩١٧) (٨/ ٦٦٢) .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : العبد .

[٣] - في ز : عبد .

[٤] - في ز : المدعي .

[٥] - في ز ، خ : أكارعه .

الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سمعه يقول في هذه الآية : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال سعيد : هو الملصق في القوم ، ليس منهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عقبة بن خالد ، عن عامر بن قدامة قال : سئل عكرمة [عن الزنيم قال : هو ولد الزنا .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة][١] في قوله تعالىٰ : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء ، [والزنماء من الشياه][٢] : التي في عنقها [هَنتَان معلقتان في حلقها][٣] .

وقال الثوري ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : الزنيم : الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها . والزنيم : الملصق . رواه ابن جرير .

ورویٰ أيضًا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : قال : نُعتَ فلم يعرف حتىٰ قيل : زنيم . قال : وكانت له زَنَمة في عنقه يُعرَف بها . [ ][٤] وقال آخرون : كان دَعيًّا .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن أصحاب التفسير قالوا : هو الذي تكون له زَنَمة مثل زَنَمة الشاة .

وقال الضحاك : كانت له زَنَمة في أصل أذنه ، ويقال : هو اللئيم الملصق في النسب .

وقال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : هو المريب الذي يعرف بالشر .

وقال مجاهد : الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة . وقال أبو رَزين : الزنيم علامة الكفر . وقال عكرمة : الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة[٥] بزنمتها .

والأقوال في هذا كثيرة ، وترجع إلىٰ ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس ، وغالبًا يكون دعيًّا ولد زنا ، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط علىٰ غيره ، كما جاء في الحديث : « لا يدخل الجنة ولد زنا »(٣٧) وفي الحديث الآخر :

(٣٧) المسند (٢/ ٢٠١، ٢٠٣) (٦٨٨٢، ٦٨٩٣) . والبخاري في « التاريخ الصغير » (٢٩٨/١) . وابن خزيمة (٣٦٥)، والطيالسي (٣٠٣) برقم (٢٢٩٥)، وابن حبان (٣٣٨٣) . وأخرجه النسائي (٣١٨/٨) دون ذكر ولد الزنا . كلهم من طريق جابان عن عبد الله بن عمرو به . قال البخاري : ولا يعلم لجابان سماع من عبد الله ، ولا لسالم سماع من جابان ولا نبيط . اهـ . وقال ابن خزيمة : ليس هذا الخبر =

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « المتعلقتين في حلق الشاة » . [٤] - في ز : قال .
[٥] - سقط من ز .

« ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه »(٣٨) .

وقوله : ﴿ أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ ، يقول تعالىٰ : هذا مقابلة ما أنعم اللّٰه عليه من المال والبنين ، كفر بآيات اللّٰه وأعرض عنها ، وزعم أنها كَذب مأخوذ من أساطير الأولين ، كقوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدًا * وجعلت له مالًا ممدودًا * وبنين شهودًا * ومهدت له تمهيدًا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا * سأرهقه صعودًا إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ سأصليه سقر ﴾ . وقال تعالى هاهنا : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ .

قال ابن جرير : سنبين أمره بيانًا واضحًا حتىٰ يعرفوه ولا يخفىٰ عليهم ، كما لا تخفىٰ السمة علىٰ الخراطيم . وهكذا قال قتادة : ﴿ سنسمه علىٰ الخرطوم ﴾ : شين[١] لا يُفارقه آخر ما عليه . وفي رواية عنه : سيما علىٰ أنفه . وكذا قال السدي .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ [يقاتل يوم بدر ، فيُخطم بالسيف في القتال . وقال آخرون : ﴿ سنسمه ﴾][٢] : سمة أهل النار ، يعني نسود وجهه يوم القيامة ، وعبر عن الوجه بالخرطوم . و[٣] حكىٰ ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ومال إلىٰ أنه لا مانع من[٤] اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة ، وهو مُتّجه .

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿ عم يتساءلون ﴾ : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، [حدثني الليث][٥] ، حدثني خالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عبد اللّٰه ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه

= من شرطنا ، ولا خبر نبيط عن جابان لأن جابان مجهول . اهـ .

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو يعلى (٣٩٤/٢) (١١٦٨) . وأخرجه أحمد (٢٨/٣) دون ذكر ولد الزنا . كلاهما من طريق يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وقد حسن الألباني الحديث بطرقه في الصحيحة (٦٧٣) وفيه بحث جيد فليراجعه من شاء الاستزادة .

(٣٨) أخرجه الطبراني (٣٤٦/١٠) (١٠٦٧٤) وابن عدي في الكامل (٩٥٨/٣) . والبيهقي (٥٨/١٠) كتاب الأيمان ، باب : ما جاء في ولد الزنا . كلهم من طريق ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن جده ابن عباس - رضي اللّٰه عنه - به . قال البيهقي : هذا إسناد ضعيف . قال الهيثمي (٢٦٠/٦) : فيه محمد بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ . وقد صحح الألباني « ولد الزنا شر الثلاثة » في الصحيحة برقم (٦٧٢) بشواهده.

[١] - في خ : سن .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : في .

[٥] - سقط من ز .

قال : « إن العبد يكتب مؤمنًا [أحقابًا ثم أحقابًا][١] ثم يموت والله عليه ساخط . وإن العبد يكتب كافرًا [أحقابًا ثم أحقابًا][٢] ثم يموت والله عنه[٣] راض . ومن مات همَّازًا لمَّازًا مُلقِّبًا للناس ، كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم ، من كلا الشفتين » .

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

هذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله تعالىٰ لكفار قريش فيما أهدىٰ إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعم الجسيمة ، وهو بَعْثُهُ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم إليهم ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ، ولهذا قال : ﴿ **إنا بلوناهم** ﴾ ، أي : اختبرناهم ، ﴿ **كما بلونا أصحاب الجنة** ﴾ ، وهي البستان المشتمل علىٰ أنواع الثمار والفواكه ، ﴿ **إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين** ﴾ ، أي : حلفوا فيما بينهم ليَجُذُّنّ ثمرها ليلًا ، لئلا يعلم بهم فقير ولاسائل ، ليتوفر ثمرُها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ، ﴿ **ولا يستثنون** ﴾ أي : فيما حلفوا به . ولهذا حَنَّثهم الله في أيمانهم ، فقال : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ﴾ ، أي : أصابتها آفةٌ سماوية ، ﴿ **فأصبحت كالصريم** ﴾ ، قال ابن عباس : أي كالليل الأسود . وقال الثوري ، والسدّي : مثل الزرع إذا حُصِد ، أي : هشيمًا يبسًا .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح : أنبأنا بَشِير[٤] بن زاذان ، عن عمر بن صبح ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن ابن مسعود ؛ قال : قال رسول

---

[١] - في ز ، خ : « أحيانًا ثم أحيانًا » . [٢] - في خ : « أحيانًا ثم أحيانًا » .
[٣] - في ت ، خ : عليه . [٤] - في ز : بشر .

الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إياكم والمعاصي ، إن العبد ليذنب الذنبَ فيحرم به رزقًا قد كان هُيِّء له » ، ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصَّريم** ﴾ ، قد حُرموا خَير جنَّتهم بذنبهم(٣٩) .

﴿ **فتنادوا مصبحين** ﴾ ، أي : لما كان وقت الصبح نادىٰ بعضهم بعضًا ليذهبوا إلىٰ الجَذاذ ، ﴿ **أن اغدوا علىٰ حرثكم إن كنتم صارمين** ﴾ ، أي : تريدون الصرام . قال مجاهد : كان حرثهم عِنبًا ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون** ﴾ ، أي : يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحدًا كلامهم . ثم فسر الله عالم السر والنجوىٰ ما كانوا يتخافتون به ، فقال : ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾ ، أي : [يقول بعضهم لبعض][١] : لا تمكنوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم ! قال الله تعالىٰ : ﴿ **وغدوا علىٰ حرد** ﴾ ، أي : قوة وشدة . وقال مجاهد : ﴿ **وغدوا علىٰ حرد** ﴾، أي جِد . وقال عكرمة : غيظ . وقال الشعبي : ﴿ **علىٰ حرد** ﴾ : علىٰ المساكين . وقال السدي : ﴿ **علىٰ حرد** ﴾ ، أي : كان اسم قريتهم « حرد » . فأبعد السدي في قوله هذا !

﴿ **قادرين** ﴾ ، أي : عليها فيما يزعمون ويَرومون . ﴿ **فلما رأوها قالوا إنا لضالون** ﴾ ، أي : فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها ، وهي علىٰ[٢] الحالة التي قال الله - عز وجل - قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلىٰ أن صارت سوداء مُدْلَهِمة ، لا يُنتفع بشيء منها ، فاعتقدوا أنهم قد أخطئوا الطريق . ولهذا قالوا : ﴿ **إنا لضالون** ﴾ ، أي : قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها . قاله ابن عباس وغيره . ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وتيقنوا أنها هي فقالوا : ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ ، أي : بل هذه هي ، ولكن نحن لا حَظّ لنا ولا نصيب .

﴿ **قال أوسطهم** ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومحمد ابن كعب ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة : أي أعدلهم وخيرهم : ﴿ **ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ ، قال مجاهد ، والسدي ، وابن جريج : ﴿ **لولا تسبحون** ﴾ ، أي : لولا تستثنون ، قال السدي : وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحًا .

وقال ابن جريج : هو قول القائل : إن شاء الله .

وقيل : معناه : ﴿ **قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ ، أي : هلا تسبحون الله وتشكرونه علىٰ ما أعطاكم وأنعم به عليكم ، ﴿ **قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين** ﴾ ، أتوا

---

(٣٩) ذكره السيوطي في « الدر » (٦/٣٩٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه من حديث ابن مسعود .

---

[١] - في ز ، خ : « يقولون لبعضهم بعضًا » .

[٢] - سقط من ز ، خ .

بالطاعة حيث لا تنفع ، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ، ولهذا قالوا : ﴿ **إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم علىٰ بعض يتلاومون** ﴾ ، أي : يلوم بعضهم بعضًا علىٰ ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجَذَاذ ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ، ﴿ **قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين** ﴾ ، أي : اعتدينا وبَغَينا وطغينا وجاوزنا الحد حتىٰ أصابنا ما أصابنا ، ﴿ **عسىٰ ربنا أن يبدلنا خيرًا منها إنا إلىٰ ربنا راغبون** ﴾ ، قيل : رغبوا في بدلها لهم في الدنيا . وقيل : احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم .

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد[١] كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها : ضروان ، علىٰ ستة أميال من صنعاء . وقيل: كانوا من أهل الحبشة ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما استغله[٢] منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدّخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل . فلما مات وورثه بنوه، قالوا : لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئًا للفقراء ، ولو أنّا منعناهم لتوفر ذلك علينا . فلما عزموا علىٰ ذلك عُوقِبوا بنقيض قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، و[٣] رأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **كذلك العذاب** ﴾ ، أي : هكذا عذاب من خالف أمر الله ، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المساكين والفقراء وذوي الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرًا ﴿ **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ ، أي : هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم ، وعذاب الآخرة أشق . وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي[٤] (٤٠) من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده : أن[٥] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهى عن الجَذَاذ بالليل ، والحصاد بالليل .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

---

(٤٠) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٣/٤) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في خ : استقله .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : السهيلي .
[٥] - في ز : إلى .

لما ذكر تعالىٰ حال أهل الجنة الدنيوية ، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا اللَّه - عز وجل - وخالفوا أمره ، بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تَبِيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها .

ثم قال : ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين** ﴾ ، أي : أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ، ولهذا قال : ﴿ **ما لكم كيف تحكمون** ﴾ أي كيف تظنون[١] ذلك ؟

ثم قال : ﴿ **أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون** ﴾ ، يقول : أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل[٢] الخلف عن السلف ، مُتضمّن حكمًا مؤكدًا كما تدعونه ؟ ﴿ **إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلىٰ يوم القيامة إن لكم لما تحكمون** ﴾ أي : أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ، ﴿ **إن لكم لما تحكمون** ﴾ ، أي : إنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ، ﴿ **سلهم أيهم بذلك زعيم** ﴾ أي : قل لهم : من هو المتضمن المتكفل بهذا ؟ ﴿ **أم لهم شركاء** ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد ، ﴿ **فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين** ﴾ .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالىٰ أن للمتقين عنده جنات النعيم ، بين متىٰ ذلك كائن وواقع ، فقال : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلىٰ السجود فلا يستطيعون** ﴾ ، يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلابل والامتحان والأمور العظام ، وقد قال البخاري(٤١) هاهنا :

حدثنا آدم ، حدثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول[٣] : « يَكشِفُ رَبّنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقىٰ من كان يسجد في

(٤١) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ ، حديث (٤٩١٩) (٨/ ٦٦٣ - ٦٦٤) .

[١] - بياض في ز ، خ . [٢] - في ز : نقل .
[٣] - سقط من خ .

الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طَبَقًا واحدًا » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٤٢) وفي غيرهما من طرق ، وله ألفاظ ، وهو حديث طويل مشهور .

وقد قال عبد اللّه بن المبارك : عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال : هو يوم كرب وشدة . رواه ابن جرير(٤٣) ثم قال :

حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن[١] إبراهيم عن ابن مسعود ، أو ابن عباس - الشك من ابن جرير : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر :

* [وقامت الحرب بنا على ساق] [٢] *

وقال ابن أبي نجيح : [عن مجاهد][٣] : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، قال : شدة الأمر .

وقال ابن عباس : هي أول ساعة تكون في يوم القيامة .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : قوله : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، هو : الأمر الشديد المُفظع من الهول يوم القيامة .

وقال العوفي : عن ابن عباس قوله : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه[٤] دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه . وكذا روىٰ الضحاك عن ابن عباس .

أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير(٤٤) ثم قال: حدثني أبو زيد عمر بن شبة[٥] ، حدثنا هارون بن عمر المخزومي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبي بردة بن أبي موسىٰ ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، قال[٦] : عن نور عظيم ، يخرون له سجدًا .

(٤٢) سيأتى تخريجه بإذن اللّه عند تفسير آية (٢٣) من سورة القيامة .
(٤٣) أخرجه الطبري (٣٨/٢٩) من حديث ابن عباس من غير شك فيه .
(٤٤) أخرجه الطبري (٤٢/٢٩) .

[١] - في ز ، خ : بن .
[٢] - في ز ، خ : « سالت الحرب عن ساق » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : يكشفه .
[٥] - في ز : شيبة .
[٦] - في خ : يعني .

ورواه أبو يعلىٰ(٤٥) ، عن القاسم بن يحيىٰ ، عن الوليد بن مسلم ، به ، وفيه رجل مبهم ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا ، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلىٰ السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة ، إذا تجلىٰ الرب - عز وجل - فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجدَ ، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرَّ لقفاه، عكس السجود ، كما كانوا في الدنيا ، بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** ﴾ يعني : القرآن ، وهذا تهديد شديد أي : دعني وإياه مني ومنه . أنا أعلم به كيف أستدرجه ، وأمده في غيه وأنظره[١] ، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر . ولهذا قال : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ ، أي : وهم لا يشعرون ، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة ، وهو في نفس الأمر إهانة ، كما قال : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ وقال : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وأملي لهم إن كيدي متين** ﴾ ، [أي : وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم ، وذلك من كيدي ومكري بهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن كيدي متين** ﴾][٢] أي : عظيم لمن خالف أمري ، وكذب رسلي ، واجترأ علىٰ معصيتي .

وفي الصحيحين(٤٦) عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله ليملي للظالم ، حتىٰ إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون** ﴾ ، تقدم تفسيرهما في سورة الطور . والمعنىٰ في ذلك : أنك يا محمد تدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجو ثواب ذلك عند الله - عز وجل - وهم يكذبون بما جئتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

---

(٤٥) أخرجه أبو يعلى (١٣/٢٦٩) (٧٢٨٣) .

(٤٦) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ، حديث (٤٦٨٦) (٨/٣٥٤) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٦١/٢٥٨٣) (١٦/٢٠٥ - ٢٠٦) . كلاهما من حديث أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه .

---

[١] - في ت : وأنظر . [٢] - سقط من ز ، خ .

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢)﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد علىٰ أذىٰ قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم ، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ ، يعني : ذا النون ، وهو يونس بن متىٰ - عليه السلام - حين ذهب مُغَاضِبًا علىٰ قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يُرَدّ ما أنفذَه من التقدير ، فحينئذ نادىٰ في الظلمات : ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلىٰ يوم يبعثون ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: مغموم وقال عطاء الخراساني ، وأبو مالك : مكروب . وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ، خرجت [الكلمة تحفّ[١]][٢] حول العرش ، فقالت الملائكة : يارب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة ! فقال الله تعالى : أماتعرفون هذا . قالوا : لا ! قال : هذا يونس . قالوا : يارب ، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد(٤٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متىٰ » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري ، وهو في الصحيحين(٤٨) من حديث أبي هريرة .

---

(٤٧) المسند (١/٣٩٠) (٣٧٠٣) . والبخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ... ﴾ حديث (٣٤١٢) (٦/٤٥٠) .

(٤٨) صحيح البخاري في الموضع السابق (٣٤١٦) (٦/٤٥١) وطرفه في [٤٦٣١] . ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : في ذكر يونس عليه السلام ، حديث (٢٣٧٦/١٦٦) (١٥/١٩٢ - ١٩٣) وهو عنده من كلام رب العزة تبارك وتعالى .

---

[١] - في ز : عن . [٢] - في خ : الظلمة .

وقوله : ﴿ **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم** ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : ﴿ **ليزلقونك** ﴾ : لَيَنْفُذونك بأبصارهم . [أي : لَيَعينُوك][1] بأبصارهم ، بمعنىٰ يحسدونك لبغضهم[2] إياك لولا وقاية الله لك ، وحمايته إياك منهم . وفي هذه الآية دليل علىٰ أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله - عز وجل - كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة .

(حديث أنس بن مالك) - رضي الله عنه - : قال أبو داود(٤٩) : حدثنا سليمان بن داود العَتَكي ، حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن العباس بن ذَريح ، عن الشعبي - قال العباس : عن أنس - قال : قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حُمة أو دم لا يرقأ » لم يذكر العباس العين ، وهذا لفظ سليمان .

(حديث بُرَيدة بن الحُصَيب) - رضي الله عنه - : قال أبو عبد الله بن ماجة(٥٠) : حدثنا محمد ابن عبد الله بن نُمَير، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن حُصَين ، عن الشعبي ، عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حُمة » .

هكذا رواه ابن ماجة ، وقد أخرجه مسلم(٥١) في صحيحه ، عن سعيد بن منصور، عن هشيم ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عامر الشعبي ، عن بريدة موقوفًا ، وفيه قصة .

وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة . قاله الترمذي(٥٢) .

وروىٰ هذا الحديث الإمام البخاري(٥٣) من حديث محمد بن فضيل، وأبو داود من حديث مالك بن مِغْول ، والترمذيُّ من حديث سفيان ابن عيينة ، ثلاثتهم عن حصين ، عن عامر الشعبي ، عن عمران بن حُصَين موقوفًا .

---

(٤٩) سنن أبي داود في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى ، حديث (٣٨٨٩) (١١/٤) . وضعفه الألباني في « ضعيف سنن أبي داود » (٨٣٨) .

(٥٠) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : ما رخص فيه من الرقى ، حديث (٣٥١٣) (١١٦١/٢) .

(٥١) صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٣٧٤/٢٢٠) (١١٦/٣) ومابعدها في حديث طويل .

(٥٢) السنن ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرخصة في ذلك ، حديث (٢٠٥٨) (٢٥٢/٦) .

(٥٣) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره ، حديث (٥٧٠٥) =

---

[١] - في ز : ليعنونك . [٢] - في ز : لبغضتهم .

(حديث أبي ذر جندب بن جنادة)(٥٤) : قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي رحمه الله :- حدثنا إبراهيم بن محمد [بن عرعرة بن البرند][١] السامي[٢] ، حدثنا ديلم بن[٣] غزوان ، حدثنا وهْب بن أبي دبي ، عن أبي حرب [ ][٤] عن أبي ذر قال : قال رسول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن العين لتولع الرجل بإذن الله فيتصاعد حالقًا ثم يتردى منه » إسناده غريب ولم يخرجوه .

(حديث حابس التميمي) : قال الإمام أحمد(٥٥) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير، حدثني حَيَّة بن حابس التميمي : أن أباه أخبره : أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « لا شيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » . وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي ، عن أبي غسان يحيىٰ بن كثير ، عن علي بن المبارك ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، به ثم قال : « غريب » ، قال : وروىٰ شيبان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن حية[٥] بن حابس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

[قلت : كذلك رواه الإمام أحمد(٥٦) عن حسن بن موسىٰ ، وحُسَين بن محمد ، عن شيبان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن حية حدثه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لا بأس في الهام ، والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل »][٦] .

حديث ابن عباس : قال الإمام أحمد(٥٧) : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سفيان ، عن دُوَيد ، حدثني إسماعيل بن[٧] ثوبان عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق ، العين حق، تستنزل الحالق » . غريب

= (١٠/١٥٥) . وسنن أبي داود ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى ، حديث (٣٨٨٤) (٤/١٠) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرخصة في ذلك ، حديث (٢٠٥٨) (٦/٢٥٢) .

(٥٤) المسند (٥/١٤٦) (٢١٣٨٢) ، (٢١٥٥٢) والبزار كما في المجمع (٥/١٠٩) كلاهما من حديث أبي ذر - رضي الله عنه . قال الهيثمي : ورجال أحمد ثقات . والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٨٨٩) . ولم أجده في المطبوع من أبي يعلى .

(٥٥) المسند (٥/٧٠) (٢٠٧٣٧) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء أن العين حق ، حديث (٢٠٦٢) (٦/٢٥٤ - ٢٥٥) .

(٥٦) المسند (٥/٧٠) (٢٠٧٣٨) والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٥٨ - ٢١٥٥) وعزاه إلى الضعيفة (٤٨٠٤) دون قوله : « العين حق » فقد عزاه للصحيحة (١٢٤٨) .

(٥٧) المسند (١/٢٩٤) (٢٦٨١) .

[١] - في ز : « عن عروة بن الزبير » .
[٢] - في خ : الشامي .
[٣] - في ز : عن .
[٤] - في ز : عن محجن .
[٥] - في خ : حنة .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : عن .

طريق أخرىٰ قال مسلم(٥٨) في صحيحه : حدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا وُهَيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « العين حق ، ولوكان شيء سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَت العين وإذا استغسلتم[١] فاغسلوا » . انفرد به دون البخاري . وقال عبد الرزاق(٥٩) : عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يُعَوِّذ الحسن والحسين ، يقول : « أعيذكما بكلمات اللَّه التامة ، من كل شيطان وهَامَّة ومن كل عين لامة » ويقول : « هكذا كان[٢] إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهم السلام » .

أخرجه البخاري(٦٠) [وأهل السنن][٣] من حديث المنهال به . حديث أبي أمامة أسعد ابن سهل بن حنيف رضي اللَّه عنه : قال ابن ماجة : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف [قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حُنَيف][٤] وهو يغتسل، فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة . فما لبث أن لُبطَ به، فأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل له: أدرك [سهلًا صريعًا][٥] . قال : « من تتهمون به ؟ » قالوا : عامر بن ربيعة . قال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فَليَدْعُ له[٦] بالبركة » . ثُمّ دعا بماء فأمر عامرًا أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلىٰ المرفقين ، وركبتيه ، وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه .

قال سفيان : قال معمر ؛ عن الزهري : وأمر أن يكفأ إناء[٧] من خلفه .

---

(٥٨) صحيح مسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٤٢/٢١٨٨) (١٤/ ٢٤٥) .

(٥٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٣٧/٤) (٧٩٨٨) .

(٦٠) صحيح البخاري في كتاب : الأنبياء ، باب : (١٠) ، حديث (٣٣٧١) (٤٠٨/٦) وأبو داود في كتاب : السنة ، باب : في الرد على الجهمية ، حديث (٤٧٣٧) (٢٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : الطب، باب : «١٨»، حديث (٢٠٦١) (٢٥٣/٦ - ٢٥٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : النعوت ، باب : كلمات اللَّه - سبحانه وتعالى - حديث (٧٧٢٦) (٤١١/٤) ، وفي التفسير (١٠٨٤٤، ١٠٨٤٥) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : رقية الحية والعقرب ، حديث (٣٥١٩) (٢/ ١١٦٣) .

---

[١] - في ت : اغْتُسلتم .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - بياض في ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - بياض في ز ، خ .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : الإناء .

وقد رواه النسائي(٦١) ، من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس، كليهما عن الزهري ، به . ومن حديث سفيان بن عيينة أيضًا عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي أمامة : ويكفأ الإناء من خلفه . ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري ، عن أبي أمامة [ ][١] أسعد بن سهل بن [ ][٢] حُنَيف ، عن أبيه ، به . ومن حديث مالك أيضًا ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه به .

(حديث أبي سعيد الخدري) : قال ابن ماجة(٦٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا سعيد[٣] بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس . فلما نزل المعوذتان أخذهما وترك ما سوىٰ ذلك .

ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث سعيد بن [ ][٤] إياس أبي مسعود الجُرَيري به . وقال الترمذي : « حسن » .

(حديث آخر) عنه : قال الإمام أحمد(٦٣) : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صُهَيب ، حدثني أبو نضرة ، عن أبي سعيد : أن جبريل أتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : اشتكيت يا محمد ؟ قال : « نعم » . قال : باسم اللّٰه أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين يشفيك ، باسم اللّٰه أرقيك .

ورواه عن عفان(٦٤) عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن - إلا أبا داود - من حديث عبد الوارث به .

---

(٦١) سنن النسائي في الكبرى في كتاب : الطب ، باب : وضوء العائن ، حديث (٧٦١٧ - ٧٦١٩) .

(٦٢) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١١) (١١٦١/٢) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : « ما جاء في الرقية بالمعوذتين » حديث (٢٠٥٩) (٢٥٢/٦) . والنسائي (٢٧١/٨) كتاب الاستعاذة باب : الاستعاذة من عين الجان .

(٦٣) المسند (٢٨/٣) (١١٢٣٩) .

(٦٤) المسند (٥٦/٣) (١١٥٥٠) . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٢١٨٦/٤٠) (٢٤٤/١٤) . والترمذي في كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في التعوذ للمريض ، حديث (٩٧٢) (٣٥٣/٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ذكر ما كان جبريل يعوذ به النبي ﷺ حديث (١٠٨٤٣) (٢٤٩/٦) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : ما عَوَّذَ به النبي ﷺ وما عُوِّذَ به ، حديث (٣٥٢٣) (١١٦٤/٢) .

---

[١] - في ز : عن .
[٢] - في ز ، خ : أبي .
[٣] - في ز ، خ : معبد .
[٤] - في ز ، خ : أبي .

وقال الإمام أحمد(٦٥) أيضًا : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، عن أبي نَضرَة ، عن أبي سعيد - أو عن جابر بن عبد الله - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم اشتكىٰ ، فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من كل حاسد وعين الله يشفيك .

ورواه أيضًا(٦٦) ، عن محمد بن عبدالرحمن الطفاوي ، عن داود ، عن أبي نَضرَةَ ، عن أبي سعيد ، به .

قال أبو زرعة الرازي : روىٰ عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن عبد العزيز [عن أبي نَضْرَة ، وعن عبد العزيز][١] عن أنس في معناه وكلاهما صحيح .

حديث أبي هُرَيرة : قال الإمام أحمد(٦٧) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن هَمَّام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هُرَيرة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال[٢] : « إن العين حق » .

أخرجاه(٦٨) من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجة(٦٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل ابن عُليَّة ، عن الجُرَيري ، عن مُضَارب بن حَزن ، عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق » تفرد به . ورواه أحمد(٧٠) عن إسماعيل بن علية عن سعيد الجريري به .

وقال الإمام أحمد(٧١) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور - يعني ابن يزيد - ، عن مكحول ، عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق ، ويحضُرها[٣] الشيطانُ وحسد ابن آدم » .

---

(٦٥) المسند (٣/٧٥) (١١٧٢٧) .
(٦٦) المسند (٣/٥٨) (١١٥٧٣) .
(٦٧) المسند (٢/٣١٩) .
(٦٨) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : العين حق ، حديث (٥٧٤٠) (١٠/٢٠٣) وطرفه في [٥٩٤٤] ، ومسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٤١/٢١٨٧) (١٤/ ٢٤٥) .
(٦٩) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : العين ، حديث (٣٥٠٧) (٢/١١٥٩) .
(٧٠) المسند (٢/٤٨٧) .
(٧١) أخرجه أحمد (٢/٤٣٩) . قال الهيثمي (٥/١١٠) : رجاله رجال الصحيح .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز : ومحضرها .

وقال أحمد(٧٢) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو[١] معشر ، عن محمد بن قيس : سُئل أبو هُرَيرة : هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت : إذًا أقول علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما لم يقل ! ولكني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [يقول : « أصدق[٢]][٣] الطيرة الفألُ ، والعين حق » .

حديث أسماء بنت عُمَيس : قال الإمام أحمد(٧٣) : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عُروةَ بن عامر ، عن عُبيد بن رفاعة الزُرَقي قال : قالت أسماء : يارسول الله ، إن بني جعفر تصيبهم العين ، أفأسترقي لهم ؟ قال : «نعم ، فلو كان شيء يسبق القدرَ لسبقته العين » .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، به ، ورواه الترمذي(٧٤) أيضًا والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عمرو بن دينار ، عن عروة بن عامر ، عن عُبيَد بن رفاعة ، عن أسماء بنت عميس ، به[٤] ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث عائشة - رضي الله عنها - : قال ابن ماجة(٧٥) : حدثنا علي بن أبي الخَصِيب[٥] ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، ومسعر ، عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن شَداد ، عن عائشة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمرها أن تسترقي من العين ، ورواه البخاري(٧٦) عن محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن معبد [بن خالد ، به . وأخرجه مسلم(٧٧) من حديث سُفيان ومِسعر ، كليهما عن معبد ، به][٦] ثم قال ابن ماجة(٧٨) :

---

(٧٢) المسند (٢/٢٨٩) .

(٧٣) المسند (٦/٤٣٨) (٢٧٥٧٧) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقية من العين ، حديث (٢٠٥٩) (٦/٢٥٣) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١٠) (٢/١١٦٠) .

(٧٤) أخرجه الترمذي في الموضع السابق بهذا الإسناد . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : الطب ، باب : رقية العين ، حديث (٧٥٣٧) (٤/٣٦٥) من طريق أحمد بن الأزهر عن عبد الرحمن عن معمر بالإسناد السابق . وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٥٢) .

(٧٥) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١٢) (٢/١١٦١) .

(٧٦) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : رقية العين ، حديث (٥٧٣٨) (١٠/١٩٩) .

(٧٧) صحيح مسلم في كتاب : السلام ، باب : استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ، حديث (٥٥،٥٦/٢١٩٥) (١٤/٢٦٤) .

(٧٨) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : العين ، حديث (٣٥٠٨) (٢/١١٥٩) . وصححه الألباني في الصحيحة (٧٣٧) .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : الحصيب .
[٦] - سقط من ز ، خ .

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو[١] هشام المخزومي ، حدثنا وُهَيب ، عن أبي واقد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : «استعيذوا باللّٰه ، فإن العين[٢] حق » . تفرد به [خالد وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به][٣] وقال أبوداود(٧٩) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل[٤] منه المَعِين .

[قلت : كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان أن ابن حية حدثه عن أبيه ، عن أبي هريرة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا [...][٥] إلهام والعين حق وأصدق طيرة الفأل][٦] .

حديث سهل بن حُنَيف : قال الإمام أحمد(٨٠) : حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا الزّهري ، عن أبي أمامة بن سَهل بن حُنَيف : أن أباه حدثه : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة ، حتىٰ إذا كانوا بشعب الخَرّار - من الجحفة - اغتسل سهلُ بن حُنَيف - وكان رجلًا أبيض حَسن الجسم والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو[٧] بني عدي بن كعب وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخبَّأة . فلُبطَ سهل ، فأتى رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقيل له : يارسول اللّٰه ، هل لك في سهل !. واللّٰه مايرفع رأسه ولا يُفيق . قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عامرًا فتغيظ عليه ، وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرّكت ؟ » ثم قال له : « اغتسل له[٨] » . فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وَداخلَة إزاره في قَدح ، ثم صُبَّ ذلك الماء عليه ، يَصُبّه[٩] رجل علىٰ رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفأ القدح وراءه . ففعل[١٠] ذلك ، فراح سهل مع الناس ، ليس

(٧٩) سنن أبي داود في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في العين ، حديث (٣٨٨٠) (٤/٩) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٨٦) .

(٨٠) أخرجه أحمد (٤٨٦/٣ - ٤٨٧) (١٦٠٢٧) قال الهيثمي في « المجمع » (١١٠/٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح ، وفي أسانيد الطبراني ضعف .

[١] - في ز : ابن .
[٢] - في ز : النفس .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : يغتسل .
[٥] - بياض في ز .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : أحد .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - في ز : فصبه .
[١٠] - في ز : يفعل .

به بأس .

(حديث عامر بن ربيعة) : قال الإمام أحمد(٨١) في مسند عامر : حدثنا وكيع ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عيسى عن أميه بن هند بن سهل بن حُنيف ، عن عبد الله بن عامر قال : انطلق عامر ابن ربيعة ، وسهل بن حنيف يريدان الغسل ، قال : فانطلقا يلتمسان الخمَر ، قال : فوضع عامر جُبّة كانت عليه من صوف ، فنظرت إليه فأصبته بعيني ، فنزل الماء يغتسل ، قال : فسمعت له في الماء فرقعة ، فأتيته فناديته ثلاثًا فلم يجبني . فأتيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأخبرته ، قال : فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلىٰ بياض ساقيه ، قال : فضرب صدره بيده ثم قال : « اللّٰهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » . قال : فقام . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ، ما يعجبه، فليبرّك ، فإن العين حق » .

(حديث جابر) : قال الحافظ أبو بكر البزار(٨٢) في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو[١] بن سهل الأنصاري - ويقال له : ابن الضَجيع ، ضجيع حمزة - رضي اللّٰه عنه - حدثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد اللّٰه ، عن أبيه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب اللّٰه وقضائه وقدره بالأنفس » .

قال البزار: يعني : العين. قال : ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد.

قلت : بل قد روي من وجه آخر عن جابر، قال الحافظ أبو عبدالرحمن محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشَكر - في كتاب العجائب ، وهو مشتمل علىٰ فوائد جليلة وغريبة : حدثنا الرهاوي ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللّٰه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « العين حق لتورد الرجل القبر ، والجمل القدر ، وإن أكثر هلاك أمتي في[٢] العين » .

ثم رواه عن شعيب بن أيوب ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « قد تُدخل الرجلَ العينُ في القبر ،

(٨١) المسند (٤٤٧/٣) (١٥٧٤١) . قال الهيثمي في « المجمع » (١١١/٥) : رواه الطبراني وفيه أمية بن هند ، وهو مستور ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٨٢) أخرجه البزار (٦٤٣/١ - مختصر) (١١٦٤) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠٩/٥) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة .

[١] - في خ : عمر .
[٢] - سقط من ز ، خ .

وتدخل الجمَل القدر » .

(حديث عبد الله بن عمرو) : قال الإمام أحمد(٨٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين[١] بن سعد ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام بن أبي رُقية ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا عدوىٰ ولاطيرة ، ولا هَامة ولاحَسَد ، والعين حق » تفرد به أحمد .

حديث عن عليّ : روىٰ الحافظ ابن عساكر(٨٤) من طريق خَيْثمة بن سليمان الحافظ : حدثنا عبيد بن محمد الكَشُوري ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري ، عن أبي رجاء ، عن شعبة ، عن[٢] أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن[٣] علي : أن جبريل أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فوافقه مغتمًا ، فقال له[٤] : يا محمد ؛ ما هذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين أصابتهما عين » قال : صَدّق بالعين ، فإن العين حق ، أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : « وماهن ياجبريل ؟ » . قال : قل : اللّٰهم ذا السلطان العظيم ، [ذا المن][٥] القديم ، ذا الوجه الكريم ، ولي الكلمات التامات ، والدعوات المستجابات ، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس . فقالها النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « عَوّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » .

قال الخطيب البغدادي : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد[٦] الله الحَبَطي من أهل تُستَر ، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين ، من تاريخه .

وقوله ﴿ ويقولون إنه لمجنون ﴾ ، أي : يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : ﴿ إنه لمجنون ﴾ ، أي : لمجيئه بالقرآن . قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ .

[آخر تفسير سورة « ن » ولله الحمد] .

☆ ☆ ☆

---

(٨٣) أخرجه أحمد (٢٢٢/٢) (٧٠٧٠) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠٤/٥) : رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .اهـ .

(٨٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٠٣/٨ - مخطوط) .

---

[١] - في خ : رشيد .

[٢] - في ز ، خ : ابن .

[٣] - في ز : ابن .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - بياض في ز ، خ .

[٦] - في خ : عبد .

تفسير سورة الحاقة

وهي مكية

﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

الحاقةُ من أسماء يوم القيامة؛ لأن فيها يَتحقَّقُ الوَعدُ والوَعيد؛ ولهذا عَظّم تعالىٰ أمرَها فقال: ﴿**وما أدراك ما الحاقة**﴾.

ثم ذكر تعالىٰ إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالىٰ: ﴿**فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية**﴾، وهي الصيحة التي [أسكتتهم][1]، والزلزلة التي [أسكنتهم][2]. هكذا قال قتادة: الطاغية الصيحة. [وهو اختيار ابن جرير][3]. وقال مجاهد: الطاغية: الذنوب. وكذا قال الربيع بن أنس، وابن زيد: إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد: ﴿**كذبت ثمود بطغواها**﴾. وقال السدي: ﴿**فأهلكوا بالطاغية**﴾ [ ][4] يعني: عاقر الناقة.

﴿**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر**﴾، أي: باردة. قال قتادة، والربيع، والسدي، والثوري: ﴿**عاتية**﴾، أي: شديدة الهبوب. قال قتادة: عتت عليهم حتىٰ نَقَّبت عن أفئدتهم. وقال الضحاك: ﴿**صرصر**﴾: باردة، ﴿**عاتية**﴾: عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة. وقال [علي وغيره: عتت][5] على الخزنة فخرجت بغير حساب.

﴿**سخرها عليهم**﴾ أي: سلطها عليهم ﴿**سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا**﴾ أي: كوامل متتابعات مشائيم. قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والثوري، وغيرهم:

---

[١] - ز، خ: أسكنتهم.
[٢] - في ز، خ: أسكتتهم.
[٣] - سقط من ز، خ.
[٤] - في ز، خ: قال.
[٥] - سقط من خ.

﴿ **حسومًا** ﴾ متتابعات . وعن عكرمة ، والربيع بن خثيم : مشائيم عليهم ، كقوله : ﴿ **في أيام نحساتٍ** ﴾ قال الربيع : كان أولها الجمعة . وقال غيره : الأربعاء . ويقال : إنها التي تسميها الناس : الأعجاز ، كأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿ **فترى القوم فيها صرعى * كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية** ﴾ . وقيل : لأنها تكون في عجز الشتاء ، ويقال : أيام العجوز ؛ لأن من قوم عادٍ دخلت سربًا فقتلها الريح في اليوم الثامن . حكاه البغوي والله أعلم . قال ابن عباس : ﴿**خاوية**﴾ : خربة . وقال غيره : بالية . أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتًا على أم رأسه ، فينشدخ رأسه ، وتبقى جثته ، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان ، وقد ثبت في الصحيحين : « **نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور** » .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدي ، ثنا بن فضيل عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما فتح الله على عادٍ من الريح التي أهلكوا فيها إلا مثل موضع الخاتم ، فمرت بأهل البادية فحملتهم بين السماء والأرض ، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عادٍ من الريح وما فيها قالوا : هذا عارض ممطرنا . فالقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة** » . وقال الثوري : عن ليث ، عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب .

﴿**فهل ترى لهم من باقية** ﴾ أي هل تحس منهم من أحدٍ من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم ، ولم يجعل الله لهم خلفًا .

ثم قال تعالى : ﴿**وجاء فرعون ومن قبله**﴾ قرئ بكسر القاف . أي : ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط . وقرأ آخرون بفتحها أي : ومن قبله من الأمم المشبهين له . وقوله : ﴿ **والمؤتفكات** ﴾ وهم الأمم المكذبةن بالرسل .

﴿**بالخاطئة**﴾ أي بالفعلة الخاطئة وهي التكذيب بما أنزل الله .

[قال الربيع : ﴿ **بالخاطئة** ﴾ ، أي : بالمعصية . وقال مجاهد : بالخطايا ؛ ولهذا قال : ﴿ **فعصوا رسول ربهم**﴾ : وهذا جنس ، أي : كُلٌّ كذَّبَ رسول الله إليهم ، كما قال : ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل**﴾ فحق وعيد ، ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع ، كما قال : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين**﴾ ﴿ **كذبت عاد المرسلين**﴾ ، ﴿ **كذبت ثمود المرسلين**﴾ وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية**﴾ ، أي : عظيمة شديدة أليمة .

قال مجاهد : ﴿**رابية**﴾ شديد . وقال السدي : مهلكة ، ثم قال الله تعالى : ﴿ **إنا لما طغى الماء** ﴾ ،أي : زاد على الحد بإذن الله ، وارتفع على الوجود ، قال ابن عباس وغيره : ﴿ **طغى الماء** ﴾ : كثر ، وذلك بسبب دعوة نوح - عليه السلام - على قومه حين كذبوه وخالفوه ، فعبدوا غير الله ، فاستجاب الله له وعمّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة ،

فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته .

قال ابن جرير(١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن أبي سنان سعيد بن سنان ، عن غير واحد ، عن علي بن أبي طالب ؛ قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل علىٰ يدي ملك . فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغىٰ الماء علىٰ الخزان فخرج ، فذلك قول الله : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية** ﴾ ، ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل علىٰ يدي[١] ملك ، إلا يوم عاد ، فإنه أذن لها دون الخزان ، فخرجت ، فذلك قوله : ﴿ **بريح صرصر عاتية** ﴾ : عتت علىٰ الخزان .

ولهذا قال تعالىٰ ممتنًّا علىٰ الناس : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية** ﴾ ، وهي السفينة الجارية علىٰ وجه الماء ﴿ **لنجعلها لكم تذكرة** ﴾ عاد الضمير علىٰ الجنس لدلالة المعنىٰ[٢] عليه ، أي : وأبقينا[٣] لكم من جنسها ما تركبون علىٰ تيار الماء في البحار ، كما قال : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا علىٰ ظهوره ثم[٤] تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا[٥] لهم من مثله ما يركبون** ﴾ وقال قتادة : أبقىٰ الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، والأول أظهر ؛ ولهذا قال : ﴿[و][٦]**تعيها أذن واعية** ﴾ أي : وتفهم[٧] هذه النعمة وتذكرها[٨] أذن واعية .

قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة : ﴿ **أذن واعية** ﴾ : عقلت[٩] عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله . وقال الضحاك : ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾ : سمعتها أذن ووعت أي : من له سمع صحيح وعقل رجيح ، وهذا عام في من فهم ووعى .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد [بن صبح][١٠] الدمشقي ، حدثنا زيد بن يحيىٰ ، حدثنا علي بن حوشب ، سمعت مكحولاً ؛ يقول : لما نزلت[١١] علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾ ، قال رسول الله : « سألت ربي أن يجعلها أُذُنَ عَلِيّ » . فكان عَلِيّ يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا قط فنسيته .

---

(١) أسنده الطبري (٥٤/٢٩) من حديث سعيد بن جبير بنحوه .

---

[١] - في ز ، خ : يد .
[٢] - في ز ، خ : المعين .
[٣] - في ز ، خ : وأنبتنا .
[٤] - في ز : و .
[٥] - في ز : وجعلنا .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : ويفهم .
[٨] - في ز : ويتذكرها .
[٩] - في ز ، خ : تحفظت .
[١٠] - في ز ، خ : عن صبيح .
[١١] - في ت : نزل .

وهكذا رواه ابن جرير(٢) عن علي بن سهل عن الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب عن مكحول به ، وهو حديث مرسل .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حدثنا جعفر بن محمد بن عامر ، حدثنا بشر بن آدم ، حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد - يعني : والد أبي أحمد الزبيري - حدثني صالح بن الهيثم[١] ، سمعت بريدة الأسلمي ؛ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : « إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك ، [وأن أعلمك وأن تعي ، وحُقّ لك أن تعي][٢] » . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ .

ورواه ابن جرير(٣) عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به . ثم رواه ابن جرير(٤) من طريق آخر عن أبي[٣] داود الأعمى ، عن بُرَيدة به . ولا يصحُّ أيضًا .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾

يقول [تعالى مخبرًا][٤] عن أهوال يوم القيامة ، وأول ذلك نفخة الفزع ، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يُصعَق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور ، وهي هذه[٥] النفخة . وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة ؛ لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد .

وقال الربيع : هي النفخة الأخيرة . والظاهر ما قلناه ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وحملت الأرض والجبال فدُكّتا دكة واحدة ﴾ أي : فمدت مَدّ الأديم العُكاظي ، وتبَدَّلت الأرض غير الأرض ،

(٢) تفسير الطبري (٢٩/٥٥) .
(٣) ، (٤) تفسير الطبري (٢٩/٥٦) .

[١] - في ز ، خ : هشيم . وفي الطبري : عبد الله بن رستم .
[٢] - في خ : [وأن أملك درائعي ، وحولك أربعي] . وفي ز : [وأن أعلمك ، وأن أملك دار تعي ، وحولك أربعي] .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز ، خ .

﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ ، أي : قامت القيامة : ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ ، قال سماك : عن شيخ من بني أسد ، عن عليّ ؛ قال : تنشق السماء من المجرة[١] . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جريج : هي كقوله : ﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابًا ﴾ وقال ابن عباس : متخرقة والعرش بحذائها ﴿ والملك علىٰ أرجائها ﴾ ، الملك : اسم جنس ، أي : الملائكة علىٰ أرجاء السماء .

قال ابن عباس : على ما لم يَهِ[٢] منها [أي : حافتها][٣] . وكذا قال سعيد بن جبير ، والأوزاعي . وقال الضحاك : أطرافها . وقال الحسن البصري : أبوابها . وقال الربيع بن أنس في قوله : ﴿ والملك علىٰ أرجائها ﴾ ، يقول : علىٰ ما استدقّ من السماء ، ينظرون إلىٰ أهل الأرض .

وقوله : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ ، أي : يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة . ويحتمل أن يكون المراد بهذا [العرشِ العرشَ][٤] العظيم ، أو : العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم بالصواب . وفي حديث عبدالله بن عَمِيرة[٥] ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المُطلب ، في ذكر حَمَلة العرش أنهم ثمانية أوعال(٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد [يحيىٰ][٦] بن سعيد ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو السمح البصري ، حدثنا أبو قبيل حيي بن هانئ ، أنه سمع عبد الله بن عمرو ؛ يقول : حملة العرش ثمانية[٧] ، ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ؛ قال : كتب إليّ أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري : حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أذن لي أن أحدثكم عن

---

(٥) أخرجه أبو يعلى (٧٤/١٢) (٦٧١٢) ، والحاكم (٥٠٠/٢) وصححه على شرط مسلم . وابن أبي شيبة في العرش (٢٨) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٠٩) . وذكره السيوطي في الدر (٤٠٨/٦ - ٤٠٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية وابن المنذر وابن مردويه والخطيب في تالي التلخيص .

---

[١] - في ز ، خ : المجد . والعبارة فيها تقديم وتأخير في ز ، خ .

[٢] - في ز : يهي .

[٣] - في ز : وقال .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في خ : عمرة ز .

[٦] - في ز ، خ : ابن نمر .

[٧] - سقط من خ .

ملك من حملة العرش ، بُعدُ ما بين شحمة أذنه وعنقه مَخفق[١] الطير سبعمائة عام » .

وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات . وقد رواه أبو داود(٦) في « كتاب السنة » من سُنَنه : حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسىٰ ابن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أذنَ لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حَمَلة العرش ؛ أن ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرة سبعمائة عام » . هذا لفظ أبي داود .

وقال ابن أبي حاتم(٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ ، قال : ثمانية صفوف من الملائكة . قال : ورُوى عن الشعبي ، والضحاك ، وابن جريج ، مثل ذلك . وكذا روىٰ السُّدي عن أبي[٢] مالك ، عن ابن عباس : ثمانية صفوف . وكذا روىٰ العوفي[٣] عنه .

وقال الضحاك عن ابن عباس : الكروبيون ثمانية أجزاء ، كل جنس منهم بقدر الإِنس والجن والشياطين والملائكة .

وقوله : ﴿ **يومئذ تُعرضُون لا تخفى منكم خافية** ﴾ ، أي : تعرضون علىٰ عالم السر والنجوىٰ ، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ؛ ولهذا قال : ﴿ **لا تخفى منكم خافية** ﴾ .

وقد قال ابن أبي الدنيا : أخبرنا إسحاق بن إسماعيل ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن جعفر ابن بُرْقان ، عن ثابت بن الحجاج ؛ قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنَوا ، فإنه أخف عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتَزَيَّنُوا للعرض الأكبر : ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا وكيع ، حدثنا علي بن علي بن رفاعة ، عن الحسن ، عن أبي موسى ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث

---

(٦) سنن أبي داود في كتاب : السنة ، باب : في الجهمية ، حديث (٤٧٢٧) (٢٣٢/٤) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٥١) .

(٧) رواه ابن جرير عن ابن عباس (٥٨/٢٩) بنحوه .

(٨) المسند (٤١٤/٤) (١٩٧٦٩) .

---

[١] - في خ : يخفق .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز و خ : المعري .

عرضات ، فأما عرضتان فجدالٌ[١] ومعاذيرُ[٢] ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف [في الأيدي][٣] ، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » . ورواه ابن ماجة(٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به . وقد رواه الترمذي(١٠) عن أبي[٤] كريب ، عن وكيع ، عن علي بن علي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، به .

وقد روىٰ ابنُ جرير(١١) عن مجاهد بن موسىٰ ، عن يزيد ، عن [سليمان بن حَيّان][٥]، عن مروان الأصغر ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ؛ قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : [عرضتان ، معاذير][٦] وخصومات ، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي . ورواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مرسلًا مثله .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه ، وفرحه بذلك ، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ ، أي : خذوا اقرءوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة ؛ لأنه ممَّنْ بَدَّل الله سيئاته حسنات .

قال عبد الرحمن بن زيد : معنىٰ ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ ، أي : ها اقرءوا كتابيه ، و« ؤم » زائدة . كذا قال ، والظاهر أنها بمعنىٰ[٧] : هاكم .

(٩) سنن ابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر البعث ، حديث (٤٢٧٧) (١٤٣٠/٢) . قال الترمذي : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى . وفي الزوائد : رجال الإسناد ثقات ؛ إلا أنه منقطع ، والحسن لم يسمع من أبي موسى . قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة . اهـ . انظر التالي .

(١٠) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب : ما جاء في العرض ، حديث (٢٤٢٧) (١٤١/٧) . قال الترمذي : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

(١١) أخرجه الطبري (٥٩/٢٩) .

[١] - في ز : وجداي .
[٢] - في ز ، خ : ومقادير .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في خ : ابن .
[٥] - في ز ، خ : وسليم بن حبان .
[٦] - في ز : معادية .
[٧] - في ز : هي .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا بشر بن مطر الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ؛ قال : المؤمن يعطىٰ كتابه في ستر من الله ، فيقرأ سيئاته ، فكلما قرأ سيئةً تغير لونه حتىٰ يمر بحسناته فيقرؤها ، فيرجع إليه لونه . ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدلت حسنات ، قال : فعند ذلك يقول : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ .

وحدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة ، حدثنا روح بن عبادة[١] ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة - قال : إن الله يوقف[٢] عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته[٣] ، فيقول له : أنت عملت هذا . فيقول : نعم ، أي رب . فيقول له : إني لم أفضحك به ، وإني قد غفرت لك . فيقول عند ذلك : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه** ﴾ ، حين نجا من فَضْحة يوم القيامة .

وقد تقدم في الصحيح(١٢) حديث ابن عمر حين سئل عن النجوىٰ ، فقال : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ يقول : « يدني الله العبد يوم القيامة ، فيقرره بذنوبه كلها ، حتىٰ إذا رأىٰ أنه قد هلك قال الله : إني سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يُعطىٰ كتاب حسناته بيمينه . وأما الكافر والمنافق ﴿ **ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله علىٰ الظالمين** ﴾ » .

وقوله : ﴿ **إني ظننت أني ملاق حسابيه** ﴾ ، أي : قد كنت موقنًا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة ، كما قال : ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم**﴾ قال الله تعالى : ﴿ **فهو في عيشة راضية** ﴾ ، أي[٤] : مرضية ، ﴿ **في جنة عالية** ﴾ ، أي : رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عُتبَةَ الحسن بن علي بن مسلم السَّكُوني[٥] ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلام الأسود ؛ قال : سمعت أبا أمامةَ ؛ قال : سأل رجلٌ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال : « نعم ، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلىٰ أهل الدرجة السفلىٰ ، فيحيونهم[٦] ويسلمون عليهم ، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلىٰ يصعدون إلىٰ الأعلين ، تقصر بهم

(١٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة هود ، آية : ١٨.

[١] - في ز ، خ : عباد .
[٢] - في ز ، خ : يقف .
[٣] - في ز ، خ : فضيحة .
[٤] - في ز : يعني .
[٥] - في ز ، خ : السكري .
[٦] - في خ : فيجيئونهم .

أعمالهم » . وقد ثبت في الصحيح[١٣] : « إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » .

وقوله : ﴿ **قطوفها دانية** ﴾ ، قال البراء بن عازب : أي قريبة ، يتناولها أحدهم ، وهو نائم على سريره . وكذا قال غير واحد . قال الطبراني [١٤] : عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن عطاء بن يسار ، عن سلمان الفارسي ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » .

وكذا رواه الضياء في « صفة الجنة » من طريق سعدان بن سعيد ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « يعطى المؤمن جوازًا على الصراط : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » .

وقوله : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ أي : يقال لهم ذلك تفضلًا عليهم ، وامتنانا وإنعامًا وإحسانًا ، وإلا فقد ثبت في الصحيح[١٥] ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اعملوا وسدِّدوا وقارِبوا ، واعلموا أن أحدًا منكم لن يدخله عملُه الجنةَ » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل » .

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ

---

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : درجات المجاهدين في سبيل الله .. حديث (٢٧٩٠) (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤ - متن) وطرفه في [٧٤٢٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٤) أخرجه الطبراني (٦/٢٧٢) (٦١٩١) . من طريق إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٤٠١) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط . ولم يذكر شيئًا . وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : ضعيف في حفظه .

(١٥) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : القصد والمداومة على العمل ، حديث (٦٤٦٧، ٦٤٦٤) (١١/٢٩٤) ومسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى ، حديث (٢٨١٨/٧٨) (١٧/٢٣٦) . كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها .

لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧)

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم[١] كتابه في العَرَصات بشماله ، فحينئذ يندم غاية الندم ، فيقول : ﴿ **يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية** ﴾ .

قال الضحاك : يعني موتة لا حياة بعدها . وكذا قال محمد بن كعب ، والربيع ، والسدي .

وقال قتادة : تمنىٰ الموت ، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه .

﴿ **ما أغنىٰ عني ماليه * هلك عني سلطانيه** ﴾ ، أي : لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبَأسه ، بل خَلَص الأمر إليَّ وحدي ، فلا معين لي[٢] ولا مجير . فعندها يقول الله - عز وجل - : ﴿ **خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه** ﴾ ، أي : يأمر الزبانية أن تأخذه عُنُقًا من المحشر ، فَتَغُله ، أي : تضع الأغلال في عنقه ، ثم توردهه إلىٰ جهنم فتصليه إياها ، أي : تغمره فيها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن عمرو بن قيس ، و[٣] عن المنهال بن عمرو ؛ قال : إذا قال الله عز وجل : خذوه ، ابتدره سبعون ألف ملك ، إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفًا في النار .

وروىٰ ابن أبي الدنيا في « الأهوال » : إنه يبتدره أربعمائة ألف ، ولا يبقى شيء إلا دَقّه ، فيقول : ما لي ولك ؟ فيقول : إن الرب عليك غضبان ، فكل شيء غضبان عليك .

وقال الفضيل - هو ابن عياض - : إذا قال الرب عز وجل : ﴿ **خذوه فغلوه** ﴾ ، ابتدره سبعون ألف ملك ، أيهم يجعل الغل في عنقه . ﴿ **ثم الجحيم صلوه** ﴾ أي : اغمروه فيها .

وقوله : ﴿ **ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه** ﴾ ، قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا ، وقال العَوفي عن ابن عباس ، وابن جريج : بذراع الملك . وقال ابن جريج ، قال ابن عباس : ﴿ **فاسلكوه** ﴾ : تدخل في استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوىٰ . وقال العَوفي عن ابن عباس : يسلك في دبره حتىٰ يخرج من منخريه ، حتىٰ لا يقوم[٤] علىٰ رجليه .

(١٦) أخرجه أحمد (٢/١٩٧) (٦٨٥٦) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : يقو .

وقال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا علي بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمح ، عن عيسىٰ بن هلال الصّدَفي [١]، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لو أن رَصَاصةً مثل هذه - وأشار إلى مثل[٢] جُمْجُمة - أرسلت من السماء إلىٰ الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة ، لبلغت الأرض قبل الليل . ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة ، لسارت أربعين خريفًا الليلَ والنهارَ ، قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها » .

وأخرجه الترمذي(١٧) ، عن سُوَيْد [بن نصر][٣] ، عن عبد الله بن المبارك به . وقال : هذا حديث حسن .

وقوله : ﴿ **إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض علىٰ طعام المسكين** ﴾ ، أي : لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم ، فإن لله علىٰ العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وللعباد بعضهم علىٰ بعض حق الإحسان والمعاونة علىٰ البر والتقوىٰ ؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقبض النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقول : « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم »(١٨) .

وقوله : ﴿ **فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون** ﴾ ، أي : ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ، لا حميم ، وهو القريب ، ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين . قال قتادة : هو شر طعام أهل النار ، وقال الربيع والضحاك : هو شجرة في جهنم . وقال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أبي ، حدثنا منصور ابن أبي مزاحم ، حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خصَيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : ما أدري ما الغسلين ؟ ولكني أظنه الزقوم . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال علي بن أبي طلحة عنه : الغسلين : صديد أهل النار .

(١٧) والترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ذكر السلسلة بالنار ، حديث (٢٥٩١) (٧/ ٢٥٦، ٢٥٧) . قال الترمذي : إسناده حسن وفي بعض النسخ قال : حسن صحيح .

(١٨) أخرجه أحمد (١١٧/٣) (١٢١٨٩) . والنسائي في الكبرى (٢٥٨/٤) في كتاب : الوفاة ، باب : ذكر ما كان يقوله النبي ﷺ في مرضه ، حديث (٧٠٩٤، ٧٠٩٥) . وابن ماجة في كتاب : الوصايا ، باب : هل أوصى رسول الله ﷺ ، حديث (٢٦٩٧) (٩٠٠/٢- ٩٠١) ، والحاكم (٥٧/٣) وعزاه للصحيحين ، وأقره الذهبي ، ولم يعزه المزي في التحفة لهما . وصححه الألباني في الإرواء (٢٣٧/٧) (٢١٧٨) .

(١٩) ذكره السيوطي في « الدر » (٤١٢/٦) وزاد نسبته إلى أبي القاسم الزجاجي النحوى في أماليه .

[١] - في ز : الصيدلي .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : ابن سعيد . وهي سقط من خ .

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مقسمًا لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة علىٰ كماله في أسمائه وصفاته ، وما غاب عنهم مما لايشاهدونه من المغيبات عنهم : إن القرآن كلامُه ووحيه وتنزيلُه علىٰ عبده ورسوله ، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، فقال : ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم** ﴾ ، يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم أضافه إليه علىٰ معنىٰ التبليغ ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ؛ ولهذا أضافه في سورة التكوير إلىٰ الرسول الملكي : ﴿ **إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين** ﴾ وهذا جبريل ، عليه السلام .

ثم قال : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، يعني أن محمدًا رأى جبريل علىٰ صورته التي خلقه الله عليها ، ﴿ **وما هو علىٰ الغيب بضنين** ﴾ ، أي : بمتهم ، ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم** ﴾ وهكذا قال هاهنا ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون** ﴾ ، فأضافه تارة إلىٰ قول الرسول الملكي ، وتارة إلىٰ الرسول البشري ؛ لأن كلًّا منهما مبلغ[١] عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ؛ ولهذا قال : ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾ .

قال الإمام أحمد (٢٠) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا شُريح بن عبيد ؛ قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرّض رسول الله صلىٰ عليه وسلم قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلىٰ المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن ، قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش . قال : فقرأ : ﴿ **إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون** ﴾ قال : فقلت : كاهن . قال : فقرأ ﴿ **ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ ... إلىٰ آخر السورة ، قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع .

(٢٠) أخرجه أحمد (١٧/١) (١٠٧) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦٥/٩) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر . اهـ . وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - في خ : يبلغ .

فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب ، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة ، [ولله الحمد][١] .

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو تقول علينا** ﴾، أي : محمد صلىٰ الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها ، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا ، وليس كذلك : لعاجلناه بالعقوبة ؛ ولهذا قال : ﴿ **لأخذنا منه باليمين** ﴾ ، قيل ، معناه لا نتقمنا منه باليمين ؛ لأنها أشد في البطش . وقيل : لأخذنا بيمينه .

﴿ **ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ ، قال ابن عباس : وهو نياط القلب ، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه . وكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحكم ، وقتادة ، والضحاك ، ومسلم البَطِين ، وأبو صخر حُمَيد بن زياد . وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه .

وقوله : ﴿ **فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ ، أي : فما يقدر أحد منكم علىٰ أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك ، والمعنىٰ في هذا : بل هو صادق بار راشد ؛ لأن الله - عز وجل - مقرر له ما يبلغه عنه ، مؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات .

ثم قال : ﴿ **وإنه لتذكرة للمتقين** ﴾ ، يعني : القرآن ، كما قال : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمًى** ﴾ ثم قال : ﴿ **وإنا لنعلم أن منكم مكذبين** ﴾ ، أي : مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن .

ثم قال : ﴿ **وإنه لحسرة على الكافرين** ﴾ - قال ابن جرير : وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة وحكاه عن قتادة بمثله . وروىٰ ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن أبي مالك : ﴿ **وإنه لحسرة علىٰ الكافرين** ﴾ ، يقول : لَنَدَامة[٢] . ويحتمل عود الضمير علىٰ القرآن ، أي : وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر علىٰ الكافرين ، كما قال : ﴿ **كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وإنه لحق اليقين** ﴾ ، أي : الخبر الصدق الحق الذي لا مرية

---

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز : الندامة .

فيه ، ولا شك ، ولا ريب .

ثم قال : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ : أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم .

آخر تفسير سورة[١] الحاقة ، ولله الحمد والمنة[٢] .

☆ ☆ ☆

[١] - سقط من ز .

[٢] - زيادة من خ .

تفسير سورة المعارج

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾

﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مُقدّر : استعجل سائل بعذاب واقع ، كقوله : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده** ﴾ . أي : وعذابه واقع لا محالة .

قال النسائي(١) : حدثنا بشر بن خالد حدثنا[١] أبو أسامة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، قال : النضر بن الحارث بن كَلَدَة ، وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **سأل سائل** ﴾ : دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة ، قال[٢] : وهو قولهم : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ .

وقال ابن زيد وغيره : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، أي : واد في جهنم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد ، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله : ﴿ **واقع * للكافرين** ﴾ أي : مرصد معد[٣] للكافرين .

---

(١) **رجاله ثقات ؛ إلا أن الأعمش مدلس** ، والأثر أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة المعارج ، حديث (١١٦٢٠) (٤٩٨/٦) . ورواه الحاكم من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير قوله . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورمز له الذهبي في التلخيص أنه على شرط البخاري . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، عن ابن عباس .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : معه .

وقال ابن عباس : ﴿ واقع ﴾ : جاء ﴿ ليس له دافع ﴾ ، أي : لادافع له إذا أراد الله كونه ، ولهذا قال : ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ ، قال الثوري : عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ذي المعارج ﴾ ، قال : ذو الدرجات .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ذي المعارج﴾ يعني : العلو والفواضل. وقال مجاهد : ﴿ ذي المعارج ﴾ : معارج السماء . وقال قتادة : ذي الفواضل والنعم .

وقوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ ، قال عبد الرزاق : عن معمر ، عن قتادة : ﴿ تعرج ﴾ : تصعد . وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله يشبهون الناس ، وليسوا ناسًا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم ، فإنها إذا قبضت يُصعَد بها إلى السماء ، كما دل عليه حديث البراء ، وفي[١] الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي، وابن ماجة ، من حديث المنهال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعًا(٢) الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة ، قال فيه : « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة » . والله أعلم بصحته ، فقد تكلم في بعض رواته ، ولكنه مشهور ، وله شاهد في حديث أبي هريرة(٣) فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة ، من طريق ابن أبي ذئب [٢]، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عنه . وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾

وقوله: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ فيه أربعة أقوال. أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز[٣] الذي في وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر [إلى قطر][٤] مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب « صفة العرش » . وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حكام ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف

(٢) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم آية : (٢٧) ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ...﴾ الآية .

[١] - في ز : كما في .
[٢] - في ز : الدنيا .
[٣] - في ز : الذكر .
[٤] - في ز : قطره .

سنة ﴾ ، قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلىٰ منتهى أمره من فوق السماوات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة . يعني بذلك تنزّل الأمر من السماء إلىٰ الأرض ، ومن الأرض إلىٰ السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن مابين السماء والأرض مقدار[١] مسيرة خمسمائة سنة .

وقد رواه ابن جرير(٤) عن ابن حميد ، عن حكام بن سَلم ، عن عُمر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس .

قال ابن أبي حاتم : وحدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق[٢] بن منصور ، حدثنا [روح المؤدب] [٣] عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه، عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض إلىٰ أرض خمسمائة عام ، وذلك سبعة آلاف عام : وغلظ كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء إلىٰ السماء خمسمائة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستّة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ .

القول الثاني : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق اللّٰه هذا العالم إلىٰ قيام الساعة ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبوزرعة ، أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم سماها اللّٰه تعالىٰ يوم ، ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم** ﴾ ، قال : اليوم : الدنيا .

وقال عبدالرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وعن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : الدنيا من أولها إلىٰ آخرها مقدار خمسين ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضىٰ ، ولا كم بقي إلا اللّٰه عز وجل .

القول الثالث : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جدًّا ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا بُهلول بن المورق ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، أخبرني محمد بن كعب : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

---

(٣) تقدم تخريجه في الموضع السابق .

(٤) تفسير الطبري (٧١/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : إبراهيم .

[٣] - في ز ، خ : نوح المعروف

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح . [ورواه الثوري][١] عن سماك بن حرب، عن عكرمة : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ : يوم القيامة . وكذا قال الضحاك ، وابن زيد .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : فهذا[٢] . يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار[٣] خمسين ألف سنة . وقد وردت أحاديث في معنىٰ ذلك ، قال الإمام أحمد (٥) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قيل لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، ما أطول هذا اليوم ! فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده إنه ليخفف علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا** ». ورواه ابن جرير(٦) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراج وشيخه ضعيفان ، واللّٰه أعلم .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة، عن أبي عمر الغُدّاني قال : كنت عند أبي هُرَيرة فمرّ رجل من بني عامر بن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامري مالًا . فقال أبو هريرة : رُدّوه [إليَّ فردوه][٤]. فقال : نبئت أنك ذو مال كثير ؟ فقال العامري : إي واللّٰه ، إن لي لمائة حُمْرًا ومائةً أدمًا - حتىٰ عد من ألوان الإبل ، وأفنان الرقيق ورباط الخيل - فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم - يُرَدّد ذلك عليه - حتىٰ جعل لونُ العامريّ يتغير - فقال : ما ذاك يا أبا هُرَيرة ؟ قال : سمعتُ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **من كانت له إبلٌ لا يعطي حَقها في نَجدتها ورِسْلها** » ، قلنا : يا رسول اللّٰه : ما نجدتُها ورِسْلها ؟ قال : « **في عُسرها ويسرِها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذّ ما كانت ، وأكثره ، وأسمنه ، وآشره حتى يبطح لها بقاع قَرقَر[٥] ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتىٰ يقضى بين الناس فيرىٰ**

---

(٥) المسند (٧٥/٣) (١١٧٣٤) . قال الترمذي (٣٤٠/١٠) : رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسناده حسن على ضعف في راويه .

(٦) تفسير الطبري (٧٢/٢٩) .

(٧) المسند (٤٨٩/٢ - ٤٩٠) .

---

[١] - في ز : رواه الترمذي .

[٢] - في ز ، خ : فهو .

[٣] - في ز : مقداره .

[٤] - زيادة من ز .

[٥] - في ز : قرقرة .

سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قَرقَر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتىٰ يقضى بين الناس فيرىٰ سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره ، حتىٰ يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقصاء ولاعَضباء ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتىٰ يقضىٰ بين الناس ، فيرىٰ سبيله » . فقال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطيَ الكريمة وتمنح الغزيرة[١] وتفقر الظهر وتسقي اللبن[٢] ، وتطرق الفحل . وقد رواه أبو داود(٨) من حديث شعبة ، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عَرُوبة ، كلاهما عن قتادة ، به .

طريق أخرىٰ لهذا الحديث : قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن شُهَيل [٣] بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمىٰ[٤] عليها في نار جهنم، فتكوىٰ بها جبهته وجنبه[٥] وظهره ، حتىٰ يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار »** ... وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه ، **« الخيل لثلاثة : [لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلىٰ رجل وزر][٦]»** إلىٰ آخره .

ورواه مسلم(١٠) في صحيحه بتمامه منفردًا به دون البخاري ، من حديث شُهَيل ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة في **« الأحكام »** ، والغرض من إيراده هاهنا قوله : **« حتىٰ يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »** .

وقد روىٰ ابن جرير(١١) عن يعقوب ، عن [ابن عُلَيّة][٧] ، وعبد الوهاب ، عن أيوب ،

---

(٨) سنن أبي داود في كتاب : الزكاة ، باب : في حقوق المال ، حديث (١٦٦٠) (١٢٥/٢) مختصرًا . والنسائي (١٢/٥) كتاب الزكاة ، باب : التغليظ في حبس الزكاة بنحو حديث أحمد .

(٩) أخرجه أحمد (٢٦٢/٢) .

(١٠) ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة ، حديث (٩٨٧/٢٦) (٩٤/٧ - ٩٦) .

(١١) أخرجه الطبري (٧٢/٢٩) .

---

[١] - في ز : العزيزة .

[٢] - في ز ، خ : الإبل .

[٣] - في ز : سهل .

[٤] - في ز : فحمي .

[٥] - في ز : وجبينه .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : ابن عيينة .

عن ابن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : فاتهمه[١] ، [فقيل له فيه][٢] ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثني . قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله بمالا أعلم .

وقوله : ﴿ **فاصبر صبرًا جميلاً** ﴾ ، أي : اصبر يا محمد علىٰ تكذيب قومك لك[٣] ، واستعجالهم العذاب استبعادًا لوقوعه ، كقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **إنهم يرونه بعيدًا** ﴾ ، أي : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع ، بمعنىٰ مستحيل الوقوع ، ﴿ **ونراه قريبًا** ﴾ ، أي : المؤمنون يعتقدون كونه قريبًا ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله - عز وجل - لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

يقول تعالىٰ : العذابُ واقع بالكافرين ، ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وغير واحد : كدرديّ الزيت ، [﴿ **وتكون الجبال كالعهن** ﴾ ، أي : كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي . وهذه الآية كقوله تعالىٰ :][٤] ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا يسأل حميم حميمًا * يبصرونهم** ﴾ ، أي : لا يسأل القريب قريبه[٥] عن حاله ، وهو يراه في أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره .

قال العوفي : عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من

---

[١] - في ز : فاتهم .
[٢] - سقط من .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : قريب .

بعض بعد ذلك ، يقول : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وهذه الآية الكريمة كقوله : ﴿ يا أيها الناس[١] اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق ﴾ ، وكقوله : ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ وكقوله : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وكقوله . ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ .

وقوله : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه * كلا ﴾ ، أي : لا يقبل منه فداء ولوجاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال[٢] ، ولو بملء الأرض ذهبًا ، أو من ولده الذي كان في الدنيا حُشَاشة كبده ، يودّ يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدي : ﴿ فصيلته ﴾ : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة : فَخذه الذي هو منهم . وقال أشهب : عن مالك : ﴿ فصيلته ﴾ : أمه .

وقوله : ﴿ إنها لظى ﴾ ، يصف النار وشدة حرها ، ﴿ نزاعة للشوى ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ نزاعة للشوى ﴾ : الجلود والهام . وقال مجاهد : ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبير : العصب . وقال أبو[٣] صالح : ﴿ نزاعة للشوى ﴾، يعني : أطراف اليدين والرجلين، وقال أيضًا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصري ، وثابت البناني : ﴿ نزاعة للشوى ﴾ ، أي : مكارم وجهه . وقال الحسن أيضًا : تحرق كل شيء فيه ، ويبقى فؤاده يصيح . وقال قتادة : ﴿ نزاعة للشوى ﴾ ، أي : نزاعة لهامته ومكارم وَجْهه وخَلْقه وأطرافه . وقال الضحاك : تبري اللحم والجلد عن العظم ، حتى لا تترك منه شيئًا . وقال ابن زيد : الشوى : الآراب العظام .

فقوله : ﴿نزاعة﴾ قال : تقطع [عظامه ثم يجدد خلقهم وتبدل جلودهم][٤] .

وقوله : ﴿ تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى ﴾ ، أي : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طَلق ذَلق ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب ، وذلك أنهم كما قال الله عزوجل : كانوا ممن ﴿ أدبر وتولى ﴾ ، أي : كذب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه ﴿ وجمع فأوعى ﴾ ، أي : جمع المال بعضه على بعض فأوعاه ، أي : أوكاه ومنع حق الله منه من

---

[١] - في ز : الذين آمنوا . [٢] - في ز : مال .

[٣] - في ز ، خ : ابن .

[٤] - في ز : عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم وتبدل جلودهم .

الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد في الحديث(١٢) : « ولا تُوعي فيوعي الله عليك » وكان عبد الله بن عكيم[١] لا يربط له كيسًا ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ وجمع فأوعىٰ ﴾ .

وقال الحسن البصري : يا بن آدم ، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا . وقال قتادة في قوله : ﴿ وجمع فأوعىٰ ﴾ ، قال : كان جَمُوعًا قَمُومًا[٢] للخبيث[٣] .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة : ﴿[إن الإنسان خلق][٤] هلوعًا ﴾ ، ثم فسره بقوله : ﴿ إذا مسه الشر جزوعًا ﴾ ، أي : إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ، ﴿ وإذا مسه الخير منوعًا ﴾ ، أي : إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها علىٰ غيره ، ومنع حق الله فيها .

قال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رَبَاح ، سمعت

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة فيما استطاع ، حديث (١٤٣٤) (٣٠١/٣) ، وطرفه في [٢٥٩١] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : الحث في الإنفاق وكراهة الإحصاء ، حديث (١٠٢٩/٨٩) (١٦٦/٧ - ١٦٧) . كلاهما من حديث أسماء - رضي الله عنها .

(١٣) المسند (٣٢٠/٢) (٨٢٤٦) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الجهاد ، باب : في الجرأة والجبن ، حديث (٢٥١١) (١٢/٣) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٩٢) .

[١] - في خ : عليم .
[٢] - بياض في ز .
[٣] - في ز : الحديث .
[٤] - في ز : لخلق .

أبي يحدث عن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **شر ما في رجل : شح هالع ، وجبن خالع** » .

ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح ، عن أبي عبد الرحمن المقري، به . وليس لعبد العزيز عنده سواه[١] .

ثم قال : ﴿ **إلا المصلين** ﴾ ، أي : الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه[٢] الله ووفّقَهُ[٣]، وهداه إلىٰ الخير ويسر له أسبابه ، وهم المصلون : ﴿ **الذين هم علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ . قيل : معناه يحافظون علىٰ أوقاتها وواجباتها ، قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم النخعي .

وقيل: المراد بالدوام هاهنا: السكون والخشوع، كقوله: ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ قاله عتبة[٤] بن عامر، ومنه الماء الدائم أي: الساكن الراكد. وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملًا داوموا عليه وأثبتوه ، كما جاء في الصحيح عن عائشة(١٤) ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **أحب الأعمال إلىٰ الله أدومها وإن قلّ** » ، وفي لفظ : « **ما داوم عليه صاحبه** »(١٥) ، قالت : وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا عمل عملًا داوم عليه(١٦) . وفي لفظ : أثبته(١٧) .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **الذين هم علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ : ذُكر لنا أن دانيال - عليه السلام - نعت أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يصلون صلاة لوصلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة . فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين[٥] حسن .

---

(١٤) صحيح البخاري ، كتاب : اللباس ، باب : الجلوس على الحصير ونحوه ، حديث (٥٨٦١) (١٠/ ٣١٤) .

(١٥) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : أحب الدين إلى الله أدومه ، حديث (٤٣) (١/١٠١) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : أمر من نعس في صلاته ....، حديث (٧٨٥/٢٢١) (٦/ ١٠٥) .

(١٦) صحيح البخاري في كتاب : الصوم ، باب : صوم شعبان ، حديث (١٩٧٠) (٤/٢١٣) بلفظ : « إذا صلى صلاة » .

(١٧) صحيح مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، حديث (٧٤٦/١٤١) .

---

[١] - في ز ، خ : بياض .
[٢] - في ز : عصم .
[٣] - في ز : وفق .
[٤] - في ز ، خ : عقبة .
[٥] - في ز : المؤمنين .

وقوله : ﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم** ﴾ ، أي : في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات . وقد تقدم الكلام على ذلك في « **سورة الذاريات** » .

وقوله : ﴿ **والذين يصدقون بيوم الدين** ﴾ ، أي : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال : ﴿ **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** ﴾ ، أي : خائفون وجلون ، ﴿ **إن عذاب ربهم غير مأمون** ﴾ ، أي : لا يأمنه أحد ممن عَقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالىٰ .

وقوله : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ ، أي : يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله . ولهذا قال : ﴿ **إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ ، أي : من الإماء ، ﴿ **فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ . وقد تقدم تفسير هذا[١] في أول سورة : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ أي : إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا . وهذه صفات المؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد [في الحديث][٢] الصحيح (١٨) : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد[٣] أخلف ، وإذا اؤتمن خان** » ، وفي رواية : « **إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » وقوله : ﴿ **والذين هم بشهاداتهم[٤] قائمون** ﴾ ، أي : محافظون عليها لا يزيدون فيها[٥]، ولا ينقصون منها[٦] ، ولا يكتمونها ، ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ .

ثم قال : ﴿**والذين هم على صلواتهم يحافظون**﴾ أي : علىٰ مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل علىٰ الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم في أول[٧] سورة : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ، سواء . ولهذا قال هناك : ﴿ **أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾

وقال هاهنا : ﴿**أولئك في جنات مكرمون**﴾ أي : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ

---

(١٨) تقدم تخريجه في أول سورة الصف .

---

[١] - في ز ، خ : هذه .

[٢] - في ز ، خ : به الحديث في .

[٣] - في خ : أوعد .

[٤] - في ز : بشهادتهم .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - سقط من ز .

﴿ أَمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الكفار الذين كانوا في زمن[١] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهم مشاهدون[٢] له ، ولما أرسله اللّٰه به من الهدىٰ وأيده به من المعجزات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله فارّون منه ، متفرقون عنه ، شاردون[٣] يمينًا وشمالًا ، فرقًا فرقًا ، وشيَعًا شيَعًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمالهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة** ﴾ ، الآية . وهذه مثلها ، فإنه قال تعالىٰ : ﴿ **فماللذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ ، أي : [فمال هؤلاء][٤] الكفار الذين عندك يا محمد ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصري : ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : منطلقين ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، واحدها عِزَةٌ ، أي : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أي : في حال تفرقهم واختلافهم ، كما قال الإمام أحمد في[٥] أهل الأهواء : فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون في الكتاب ، متفقون علىٰ مخالفة الكتاب .

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **فماللذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ ، قال : قبلك ينظرون ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، قال : العزين : العُصَب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قُرة ، عن الحسن في قوله : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، متفرقين ، يأخذون يمينًا وشمالًا يقولون : ما قال هذا الرجل؟ . وقال قتادة : ﴿ **مهطعين** ﴾ : عامدين ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، أي : فِرَقًا حول النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لايرغبون في كتاب اللّٰه ، ولا في نبيه صلىٰ اللّٰه عليه

(١٩) أخرجه الطبري (٨٥/٢٩) .

[١] - في ز ، خ : زمان .
[٢] - في ز : يشاهدون .
[٣] - في ز : شاردين .
[٤] - في ز : ما لهؤلاء .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وسلم . وقال الثوري ، وشعبة ، وعيسىٰ بن يونس ، وعبثر[١] بن القاسم ، ومحمد بن فضيل ، ووكيع ، ويحيىٰ القطان ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة، ، عن جابر بن سمرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق ، فقال : « **مالي أراكم عزين ؟** »

رواه أحمد(٢٠) ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي وابن جرير من[٢] حديث الأعمش به .

وقال ابن جرير(٢١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان[٣] ، عن عبدالملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج علىٰ أصحابه وهم حِلَق حِلق ، فقال : « **مالي أراكم عزين ؟** » وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا** ﴾ ، أي : أيطمع هؤلاء - والحالة هذه - من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق - أن يدخلوا جنات النعيم ؟ لا[٤] بل مأواهم نار الجحيم .

ثم قال تعالى مقررًا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلًا عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : ﴿ **إنا خلقناهم مما يعلمون** ﴾ ، أي : من[٥] المني الضعيف ، كما قال : ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين** ﴾ ، وقال : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه علىٰ رجعه لقادر * يوم تبلىٰ السرائر * فما له من قوة ولا ناصر** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾ ، أي : الذي خلق السماوات والأرض ، وجعل مشرقًا ومغربًا ، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في[٦] مغاربها ، وتقرير[٧] الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولاحساب ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع

(٢٠) أخرجه أحمد (٩٣/٥) (٢٠٩٤١) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : الأمر بالسكون في الصلاة ...، حديث (٤٣٠/١١٩) (٢٠٠/٤ - ٢٠١) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : التحلق ، حديث (٤٨٢٣) (٢٥٨/٤) . والنسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا** ﴾ ، حديث (١١٦٢٢) (٤٩٨/٦) . والطبري (٨٦/٢٩) .

(٢١) أخرجه الطبري (٨٥/٢٩ - ٨٦) .

[١] - في خ : عنبر .

[٢] - في ز ، خ : في .

[٣] - في الطبري : شقيق .

[٤] - زيادة من خ .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز : من .

[٧] - في ز : وتقدير .

وكائن لا محالة . ولهذا أتىٰ بـ « لا » في ابتداء القسم ليدل علىٰ أن المقسم عليه نفي ، وهو مضمون الكلام ، وهو الرد علىٰ زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة اللَّه تعالىٰ ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السماوات والأرض ، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أولم يروا أن اللَّه الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * علىٰ أن نبدل خيرًا منهم** ﴾ ، أي : يوم القيامة [ ][١] نعيدهم بأبدان خير من هذه، فإن قدرته صالحة لذلك ، ﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ ، أي : بعاجزين . كما قال تعالىٰ : ﴿ **أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه * بلىٰ قادرين علىٰ أن نسوي بنانه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين علىٰ أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ واختار ابن جرير ﴿ **علىٰ أن نبدل خيرًا منهم** ﴾ ، أي : أمة تطيعنا ، ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ . والمعنىٰ الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فذرهم** ﴾ ، أي : يامحمد ﴿ **يخوضوا ويلعبوا** ﴾ ، أي : دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، ﴿ **حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾ ، أي : فسيعلمون غِب ذلك ويذوقون وباله ، ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون** ﴾ ، أي : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالىٰ لموقف[٢] الحساب ، ينهضون سراعًا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إلى علم يسعون . وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير : إلىٰ غاية يسعون إليها .

وقد قرأ الجمهور : ﴿ **نَصْب** ﴾ ، بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنىٰ المنصوب . وقرأ الحسن البصري : ﴿ **نُصُب** ﴾ بضم النون والصاد ، وهو الصنم ، أي : كأنهم في إسراعهم إلىٰ الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلىٰ النصب إذا عاينوه يوفضون ، يبتدرون أيهم يستلمه أول ؟ وهذا مروي عن مجاهد ، ويحيى بن أبي كثير ، ومسلم البَطِين ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس، وأبي صالح ، وعاصم بن بهدلة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **خاشعة أبصارهم** ﴾ ، أي : خاضعة ﴿ **ترهقهم ذلة** ﴾ ، أي : في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ، ﴿ **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون** ﴾ .

[**آخر تفسير سورة « سأل سائل »**][٣] [ولله الحمد والمنة][٤] .

---

[١] - في ز : أي .
[٢] - في ز : لوقت .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز ، خ .

تفسير سورة نوح

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نوح - عليه السلام -: إنه أرسله إلىٰ قومه آمرًا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم ، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين** ﴾ أي : بَيِّن النّذارة ، ظاهر الأمر واضحه ، ﴿ **أن اعبدوا الله واتقوه** ﴾ ، أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه ، ﴿ **وأطيعون** ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه . ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم** ﴾ ، أي : إذا فعلتم ما أمرتكم به، وصدقتم ما أرسلت به إليكم ، غفر الله لكم ذنوبكم .

« ومن » هاهنا قيل : إنها زائدة . ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل . ومنه قول بعض العرب : « قد كان من مطر » . وقيل : إنها بمعنىٰ « عن » ، تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم . واختاره[١] ابن جرير . وقيل : إنها للتبعيض ، أي يغفر لكم الذنوب العظام التي[٢] وعدكم علىٰ ارتكابكم إياها الانتقام .

﴿ **ويؤخركم إلىٰ أجل مسمى** ﴾ ، أي : يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه : أوقعه بكم .

وقد يستدل بهذه الآية من يقول : إن الطاعة والبر وصلة الرحم ، يزاد بها في العمر حقيقة ، كما ورد به[٣] الحديث : « **صلة الرحم تزيد في العمر** »(١) .

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٢/٨) (٨٠١٤) من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٦٧٩/١) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١١٨/٣) : إسناده حسن . اهـ =

[١] - في ز ، خ : وأجازه . [٢] - في ز : الذي .
[٣] - في ز : بها .

وقوله : ﴿ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ ، أي : بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمر تعالىٰ بكون ذلك لا يرد ولا يمانع ، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء ، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله نوح - عليه السلام - أنه اشتكىٰ إلىٰ ربه عز وجل [ ][١] مالقي من قومه ، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وما بيَّن لقومه و[٢] وضَّح لهم ودعاهم إلىٰ الرشد والسبيل الأقوم ، فقال : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلًا ونهارًا ﴾ : أي: لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار، امتثالًا[٣] لأمرك وابتغاءً لطاعتك ، ﴿ فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا ﴾ ، أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحَادُوا عنه ، ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ﴾ ، أي : سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه ، كما أخبر تعالىٰ عن كفار قريش : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ .

= وفي الباب عن عبد الله بن عباس ، وعمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وأم سلمة ، ومعاوية بن حيدة - رضي الله عنهم - راجع الصحيحة للشيخ الألباني (١٩٠٨) .

[١] - في ز : و .

[٢] - في ز ، خ : وما . [٣] - في ز : اتباعًا .

﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ : قال ابن جريج عن ابن عباس : تنكروا له لئلا يعرفهم . وقال سعيد بن جبير والسدي : غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول .

﴿ وأصروا ﴾ ، أي : استمروا على ماهم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع ، ﴿ واستكبروا استكبارًا ﴾ ، أي : واستنكفوا[١] عن اتباع الحق والانقياد له .

﴿ ثم إني دعوتهم جهارًا ﴾ ، أي : جهرة بين[٢] الناس . ﴿ ثم إني أعلنت لهم ﴾ ، أي: كلامًا ظاهرًا بصوت عال ، ﴿ وأسررت لهم إسرارًا ﴾ ، أي : فيما بيني وبينهم ، فنوّع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم . ﴿ فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارًا ﴾ ، أي : ارجعوا إليه ، وارجعوا عما أنتم فيه ، وتوبوا إليه من قريب ، فإنه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه مهما كان في الكفر والشرك ؛ ولهذا قال : ﴿ فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارًا * يرسل السماء عليكم مدرارًا ﴾ ، أي : متواصلة الأمطار ، ولهذا يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء ؛ لأجل هذه الآية . وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(٢) أنه صعد المنبر ليستسقي ، فلم يزد على الاستغفار ، وقرأ الآيات في الاستغفار ، ومنها هذه الآية : ﴿ فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارًا * يرسل السماء عليكم مدرارًا ﴾ ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاديح[٣] السماء التي يستنزل بها المطر. وقال ابن عباس وغيره : يتبع بعضه بعضًا .

وقوله : ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا ﴾ ، أي : إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه ، كثر الرزق عليكم ، وأسقاكم من بركات السماء ، وأنبت لكم من بركات الأرض ، وأنبت لكم الزرع ، وأدرّ لكم[٤] الضرع ، وأمدكم بأموال وبنين ، أي : أعطاكم الأموال والأولاد ، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار ، وخللها بالأنهار الجارية بينها .

هذا مقام الدعوة بالترغيب . ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارًا ﴾ ، أي : عظمة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك . وقال ابن عباس : لا تعظمون الله حق عظمته . أي : لاتخافون من بأسه ونقمته، ﴿ وقد خلقكم أطوارًا ﴾ ، قيل : معناه من نطفة، ثم من علقة ، ثم من مضغة . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، ويحيى ابن رافع، والسدي ، وابن زيد .

وقوله : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقًا ﴾ ، أي : واحدة فوق واحدة ، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس ، مما علم من التسيير

---

[١] - في ز ، خ : واستكبروا .
[٢] - في ز : من .
[٣] - في ز ، خ : بمجادح .
[٤] - سقط من ز .

والكسوفات ، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضًا ، فأدناها القمر في السماء[١] الدنيا وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشترىٰ في السادسة ، وزُحَل في السابعة ، وأما بقية الكواكب - وهي الثوابت - ففي فَلَك ثامن يسمونه فَلَك الثوابت . والمتشرعون منهم يقولون : هو الكرسي ، والفلك التاسع ، وهو الأطلس ، والأثير عندهم الذي حركته علىٰ خلاف حركة سائر الأفلاك ، [وذلك أن حركته مبدأ الحركات ، وهي من المغرب إلىٰ المشرق ، وسائر الأفلاك ،][٢] عكسه من المشرق إلىٰ المغرب ، ومعها يدور سائر الكواكب تبعًا ، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها ، فإنها تسير من المغرب إلىٰ المشرق . وكل يقطع فلكه بحسبه ، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة ، والشمس في كل سنة مرة ، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة ، وذلك بحسب اتساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة .

هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام ، علىٰ اختلاف بينهم في مواضع كثيرة ، لسنا بصدد بيانها ، وإنما المقصود أن الله سبحانه خلق سبع سموات طباقًا . ﴿ **وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا** ﴾ ، أي : فاوت بينهما في الاستنارة ، فجعل كلا منهما أنموذجًا علىٰ حدة ، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر القمر منازل وبروجًا ، وفاوت نوره ، فتارة يزداد حتىٰ يتناهىٰ ثم يشرع في النقص حتىٰ يستسر ليدل علىٰ مضي الشهور والأعوام ، كما قال : ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾

وقوله : ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتًا** ﴾ : هذا اسم مصدر ، والإتيان به هاهنا أحسن ، ﴿ **ثم يعيدكم فيها** ﴾ ، أي : إذا متم ﴿ **ويخرجكم إخراجًا** ﴾ ، أي : يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ، ﴿ **والله جعل لكم الأرض بساطًا** ﴾ ، أي : بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات ، ﴿ **لتسلكوا منها سبلًا فجاجًا** ﴾ ، أي : خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم ، من[٣] نواحيها وأرجائها وأقطارها ، وكل هذا مما ينبههم[٤] به نوح - عليه السلام - علىٰ قدرة الله وعظمته في خلق السماوات والأرض ، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية ، فهو الخالق الرازق ، جعل السماء بناءً ، والأرض مهادًا ، وأوسع علىٰ خلقه من رزقه ، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد ، لأنه لانظير له ولا عَديل[٥] له ، ولا نِدَّ ولا كفء ، ولا صاحبة ولا ولد ، ولا وزير ولا مشير ، بل هو العلي الكبير .

---

[١] - في ز : سماء .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : في .
[٤] - في ز : ينبئهم .
[٥] - في ز : عدل .

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نوح - عليه السلام -: إنه أنهىٰ إليه - وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء - أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتملة علىٰ الترغيب تارة والترهيب أخرىٰ: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام؛ ولهذا قال: ﴿**واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا**﴾، قُرِئ: ﴿**ووُلْده**﴾ بالضم وبالفتح، وكلاهما متقارب.

وقوله: ﴿**ومكروا مكرًا كبارًا**﴾، قال مجاهد: ﴿**كبارًا**﴾، أي: عظيمًا. وقال ابن زيد: ﴿**كبارًا**﴾، أي: كبيرًا. والعرب تقول: أمر عجيب وعُجَاب وعُجّاب، ورجل حُسَان وحُسَّان، وجُمَال وجُمَّال، بالتخفيف والتشديد، بمعنى واحد. والمعنىٰ في قوله: ﴿**ومكروا مكرًا كبارًا**﴾، أي: بأتباعهم في تسويلهم لهم أنهم علىٰ الحق والهدىٰ، كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿**بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا**﴾، ولهذا قال هاهنا: ﴿**ومكروا مكرًا كبارًا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا**﴾، وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال البخاري(٣): حدثنا إبراهيم، حدثنا هشام، عن ابن جريج، و[١] قال عطاء، عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما وَدّ فكانت لكلب بدَومة الجندل؛ وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غُطَيف بالجُرُف[٢] عند سبأ، وأما يَعوقُ فكانت لهَمْدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كَلاع، وهي[٣] أسماء رجال صالحين من قوم نوح - عليه السلام - فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا

(٢) ذكره المصنف في «البداية والنهاية» (١٠٥/٧) وعزاه لابن أبي الدنيا من طريق إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن مطرف بن طريف عن الشعبي قال: خرج عمر يستسقى ... فذكره.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿**ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا**﴾، حديث (٤٩٢٠) (٦٦٧/٨).

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ز، خ: بالجوف.

[٣] - في ز، خ: نسرًا.

إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتىٰ إذا[١] هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عبدت .

وكذا روي عن عكرمة ، والضحاك ، وقتادة وابن إسحاق نحو هذا .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : هذه أصنام كانت تعبد في زمن[٢] نوح .

وقال ابن جرير(٤) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسىٰ ، عن[٣] محمد ابن قيس ﴿ ويعوق ونسرًا ﴾ ، قال : كانوا قومًا صالحين بين[٤] آدم ونوح ، وكان لهم أتباع[٥] يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صَوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقَوْن المطر . فعبدوهم .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر(٥) في ترجمة شيث - عليه السلام - من طريق إسحاق بن بشر قال : وأخبرني جُوَيبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم - عليه السلام - أربعون ولدًا ، عشرون غلامًا وعشرون جارية ، فكان ممن عاش منهم : هابيل ، وقابيل ، وصالح ، وعبد الرحمن - والذي كان سماه[٦] عبدالحارث - ووَدّ ، وكان وَدّ يقال له « شيث » ، ويقال له « هبة اللّٰه » ، وكان إخوته قد سَوّدوه ، وولد له سُواع ويغوث ويعوق ونسر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عُمَر الدّوريّ ، حدثني أبو إسماعيلَ المؤدّب ، عن عبد اللّٰه بن مسلم بن هُرمز ، عن أبي حزْرَة ، عن عروة بن الزّبير قال : اشتكىٰ آدم - عليه السلام - وعنده بنوه : ود ، ويغوث ، ويعوق ، وسواع ، ونسر ، وكان وَدّ أكبرَهم وأبرّهم به .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا يعقوب ، عن أبي المطهر[٧] قال : ذكروا عند أبي جعفر - وهو قائم يصلي - [يزيد بن][٨]

---

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/٩٨ - ٩٩) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/١٦٥ مخطوط) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤٢٨) وعزاه إلى عبد بن حميد من طريق أبي مطهر .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : زمان .

[٣] - في خ : ابن .

[٤] - في ز : عن .

[٥] - في خ : الذين .

[٦] - في ز ، خ : سماهم .

[٧] - في خ : الطهر .

[٨] - في ز : بين يدي .

المهلب ، قال : فلما انفتل من صلاته قال : ذكرتم يزيدَ بن المهلب ، أما إنه قتل في أول أرض عُبد فيها غير الله ، قال : ثم [ذكر ودًّا ،][١] [قال : وكان ودّ][٢] رجلًا مسلمًا ، وكان محببًا في قومه ، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه ، فلما رأىٰ إبليس جَزَعهم عليه ، تشبه في صورة إنسان ، ثم قال : إني أرىٰ جزعكم علىٰ هذا الرجل ، فهل لكم أن أصوّر لكم مثله ، فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم . فصوّر لهم مثله ، قال : ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه . فلما رأىٰ ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالًا مثله ، فيكون له في بيته ، فتذكرونه؟ قالوا : نعم. قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالًا مثله. فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به ، وتناسلوا ودَرَس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلهًا يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم ، فكان أول ما عبد غير الله : الصنم الذي سموه وَدًّا .

وقوله : ﴿ وقد أضلوا كثيرًا ﴾ ، يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقًا كثيرًا فإنه استمرت[٣] عبادتها في القرون إلىٰ زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم . وقد قال الخليل - عليه السلام - في دعائه : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا تزد الظالمين إلا ضلالًا** ﴾ : دعاء منه علىٰ قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم ، كما دعا موسىٰ علىٰ فرعون وملئه في قوله : ﴿ **ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ . وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه ، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به .

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ﴿ **مما خطاياهم** ﴾ وقرئ : ﴿ **خطيئاتهم** ﴾ .

﴿ **أغرقوا** ﴾ ، أي : من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم علىٰ كفرهم ومخالفتهم رسولهم ، ﴿ **أغرقوا فأدخلوا نارًا** ﴾ ، أي : نقلوا من تيار البحار إلىٰ حرارة النار ، ﴿ **فلم يجدوا لهم من**

[١] - في ز : ذكروا . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : استمر .

دون الله أنصارًا ﴾ ، أي : لم يكن لهم معين ولا مُغيث ولا مُجير ينقذهم من عذاب الله كقوله : **﴿ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾**

﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ﴾ ، أي : لا تترك على الأرض منهم أحدًا ولا تُومُريًّا[١] ، وهذه من صيغ توكيد[٢] النفي . قال الضحاك : **﴿ ديارًا ﴾** : واحدًا . وقال السدي : الديار الذي يسكن الدار .

فاستجاب الله له ، فأهلك جميع[٣] من على وجه الأرض من الكافرين ، حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه ، و : **﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾** .

وقال ابن أبي حاتم(٧) : [ ][٤] قرئ على يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني شَبيب ابن سعيد ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لو رحم الله من قوم نوح أحدًا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل ، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها ، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها . فلو رحم الله منهم أحدًا لرحم هذه المرأة »** .

هذا حديث غريب ، ورجاله ثقات . ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح -عليه السلام - وهم الذين أمره الله بحملهم معه .

وقوله : **﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾**، أي : إنك[٥] إن أبقيت منهم أحدًا أضلوا عبادك ، [أي : الذين][٦] تخلفهم بعدهم ، **﴿ ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا ﴾** ، أي : فاجرًا في الأعمال كافر القلب ، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عامًا .

ثم قال : **﴿ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا ﴾** ، قال الضحاك : يعني مسجدي . ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها ، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن ، وقد قال الإمام أحمد(٨) :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أنبأنا سالم بن غيلان : أن الوليد بن قيس التَّجيبيّ

(٧) أخرجه الحاكم (٣٤٢/٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا بنحو حديث ابن عباس . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بأن إسناده مظلم ، وموسى ليس بذاك .

(٨) المسند (٣٨/٣) (١١٣٥٣) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس =

[١] - في ز : دومريًّا .
[٢] - في ز ، خ : تأكيد .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : لما .
[٥] - سقط من ز، خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .

أخبره : أنه سمع أبا سعيد الخدري - أو : عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد -: أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لا تصحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي** » .

ورواه أبو داود والترمذي ، من حديث عبد الله بن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، به . ثم قال الترمذي : « إنما نعرفه من هذا الوجه » .

وقوله : ﴿ **وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ : دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات ، وذلك يَعُمّ الأحياءَ منهم والأموات ؛ ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء ، اقتداءً بنوح - عليه السلام - وبما جاء في الآثار والأدعية المشروعة .

وقوله : ﴿**ولا تزد الظالمين إلا تبارا**﴾ قال السدي : إلا [١] هلاكًا . وقال مجاهد : إلا خسارًا . أي : في الدنيا والآخرة .

آخر تفسير سورة نوح [عليه السلام ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة][٢] .

☆ ☆ ☆

= حديث (٤٨٣٢) (٢٥٩/٤) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في صحبة المؤمن ، حديث (٢٣٩٧) (١٢٣/٧) . قال الترمذي : هذا حديث حسن . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٤٥) .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - من ز .

تفسير سورة الجن

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن يخبر قومه : إن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالىٰ : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدي إلىٰ الرشد** ﴾ ، أي : إلىٰ السداد والنجاح ، ﴿ **فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا** ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن** ﴾ . وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادتها هاهنا .

وقوله : ﴿ **وأنه تعالىٰ جد ربنا** ﴾ : قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **جد ربنا** ﴾ ، أي : فعله وأمره وقدرته . وقال الضحاك عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه . وروي عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالىٰ جلاله وعظمته وأمره . وقال السدي : تعالىٰ أمر ربنا . وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضًا وابن جريج : تعالىٰ ذكره . وقال سعيد بن جبير : ﴿ **تعالىٰ جد ربنا** ﴾ أي : تعالىٰ ربنا .

فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن[١] عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد أب ، ولو علمت الجن أن في الإنس[٢] جدًّا[٣] ما قالوا : ﴿ **تعالىٰ جَدّ ربنا** ﴾ .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ، ولعله قد سقط شيء ، والله أعلم .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - في ز : الأرض .
[٣] - في ز : جد .

وقوله : ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا ﴾ ، أي : تعالىٰ عن اتخاذ الصاحبة والأولاد [أي : قالت][١] الجن : تنزه الرب تعالىٰ جلاله وعظمته حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

ثم قالوا : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا علىٰ اللّه شططًا ﴾ ، قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي : ﴿ سفيهنا ﴾ يعنون إبليس ﴿ شططًا ﴾ ، قال السدي : عن أبي[٢] مالك : ﴿ شططًا ﴾ ، أي : جورًا . وقال ابن زيد : ظلمًا كبيرًا[٣].

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم ﴿ سفيهنا ﴾ : اسم جنس لكل من زعم أن للّه صاحبة أو ولدًا ، ولهذا قالوا : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا ﴾ ، أي : قبل إسلامه ﴿ علىٰ اللّه شططًا ﴾ ، أي : باطلًا وزورًا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن علىٰ اللّه كذبًا ﴾ ، أي : ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون علىٰ الكذب علىٰ اللّه في نسبة الصاحبة والولد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به ، علمنا أنهم كانوا يكذبون علىٰ اللّه في ذلك .

وقوله : ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا﴾ أي : كنا نرى أن لنا فضلًا علىٰ الإنس ، لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أي : إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ، أن يصيبهم بشيء[٤] يسوؤهم ، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿ زادوهم رهقًا ﴾ ، أي : خوفًا وإرهابًا وذعرًا ، حتىٰ تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ فزادوهم رهقًا ﴾ ، أي : إثمًا ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة .

وقال الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ فزادوهم رهقًا ﴾ ، أي : ازدادت الجن عليهم جرأة . وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي ، قال : فإذا عاذ بهم من دون اللّه ، رَهَقتهم الجنّ الأذىٰ عند ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد [ ][٥] يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، حدثنا الزبير بن الخرّيت[٦] ، عن عكرمة قال : كان الجن يَفْرَقُون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : نعوذ [بسيد أهل][٧] هذا الوادي . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : ابن .
[٣] - في خ : كثيرًا .
[٤] - في ز : شيء .
[٥] - في ز ، خ : ابن .
[٦] - في ز ، خ : حرب .
[٧] - في ز ، خ : بأهل .

الإنس فأصابوهم بالخَبَل والجنون ، فذلك قول الله : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : ﴿ **رهقًا** ﴾ ، أي : خوفًا . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **فزادوهم رهقًا** ﴾ ، أي : إثمًا . وكذا قال قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانًا .

وقال ابن أبي حاتم (١) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي ، حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني[١] - عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كَردم بن أبي السائب الأنصاري قال : خرجت مع أبي من المدينة في حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بمكة ، فآوانا المبيت إلىٰ راعي غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَملا من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي، جارك. فنادى مناد [لا نراه، يقول:][٢] يا سرحان ، أرسله . فأتىٰ الحمل يشتد ، حتىٰ دخل في الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالىٰ علىٰ رسوله بمكة : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ .

ثم قال : ورُوي عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل - وهو ولد الشاة - كان جنيًّا حتىٰ يُرهب الإنسي ويخاف منه ، ثم رَدّه عليه لما استجار به ، ليضله ويهينه ، ويخرجه عن دينه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدًا** ﴾ أي : لن يبعث الله [ ][٣] بعد هذه المدة رسولًا . قاله الكلبي ، وابن جرير .

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالىٰ عن الجن حين بعث الله رسوله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم، وأنزل عليه القرآن ، وكان من[٤] حفظه له أن السماء مُلِئت حرسًا شديدًا ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت

---

(١) **ضعيف** ، أخرجه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (١٠١/١) في ترجمة إسحاق بن الحارث الكوفي . والطبراني (١٩١/١٩ - ١٩٢) (٤٣٠) . وأبو الشيخ في « العظمة » (١٦٦٤/٥ - ١٦٦٦) (١١٠٥) . كلهم من طريق القاسم بن مالك ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كردم بن أبي السائب=

---

[١] - في ز ، خ : المدني .
[٢] - في خ : يقول وهو لا يراه .
[٣] - في ز : أحدًا أي لن يبعث .
[٤] - في ز ، خ : في .

الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك ، لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة ، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرىٰ من الصادق ، و[١] هذا من لطف اللّٰه بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ؛ ولهذا قالت الجن : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا** ﴾ ، [أي : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا][٢] له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يمحقه ويهلكه ، ﴿ **وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ ، أي : ما ندري[٣] هذا الأمر الذي قد حدث في السماء ، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدًا ؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلىٰ غير فاعل ، والخير أضافوه إلىٰ اللّٰه عز وجل .

وقد ورد في الصحيح(٢) : « **والشر ليس إليك** » . وقد كانت الكواكب يُرمىٰ بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان ، كما في حديث [ابن عباس][٤] (٣) : بينما نحن جلوس مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا رمي بنجم فاستنار ، فقال : « **ما كنتم تقولون في هذا ؟** » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « **ليس كذلك ، ولكن اللّٰه إذا قضىٰ الأمر في السماء ...** » . وذكر تمام الحديث .

وقد أوردناه في « **سورة سبأ** » بتمامه . وهذا هو السبب الذي حَمَلهم علىٰ تطلب السبب في ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فوجدوا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذي حُفظت من أجله السماء ، فآمن من آمن منهم ، وتمرد في طغيانه من بقي ، كما تقدم في[٥] حديث ابن عباس في ذلك ، عند قوله في « **سورة الأحقاف** » : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ...** ﴾ . الآية ،

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها ، هال ذلك الإنس والجن، وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم ، كما قال السدي : لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين للّٰه ظاهر ، وكانت الشياطين قبل

= فذكره ، قال ابن عدي : إسحاق بن الحارث الكوفي ، قال البخاري يتكلمون فيه ، وفيه نظر . قال : وضعف أحمدُ عبدَ الرحمن بن إسحاق . اهـ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣٢/٧) : وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي وهو ضعيف .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، حديث (٧٧١/٢٠١) (٨٢/٦ - ٨٦) .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية : ٢٣.

---

[١] - في ز ، خ : وكان .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : تدرون .

[٤] - في ز ، خ : العباس .

[٥] - سقط من ز .

محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر ، فلما بعث اللّٰه محمدًا نبيًّا ، رُجموا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ؛ لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف ، أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلىٰ معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة - يعني محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين في تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها . فأتوه فشمَّ فقال : صاحبكم بمكة . فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قائمًا يصلي في المسجد الحرام يقرأ[١] القرآن ، فدنوا[٢] منه حرصًا علىٰ القرآن حتىٰ كادت كَلاكِلهم تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل اللّٰه تعالىٰ أمرهم علىٰ نبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من[٣] كتاب السيرة المطول ، واللّٰه أعلم ، وللّٰه الحمد والمنة .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك** ﴾ [أي : غير ذلك][٤] ﴿ **كنا طرائق قددًا** ﴾ ، أي : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : ﴿ **كنا طرائق قددًا** ﴾ أي : منا المؤمن ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه : حدثنا أسلم بن سهل بحشل حدثنا عليّ بن

[١] - في ز : يقرأن .
[٢] - في خ : فقدموا .
[٣] - في ز ، خ : في .
[٤] - سقط من ز ، خ .

الحسن[١] بن سليمان - وهو أبو الشعثاء الحضرمي ، شيخ مسلم - ، حدثنا أبو معاوية قال : سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جني ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز . قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرىٰ اللقم ترفع ولا أرىٰ أحدًا . فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم . قلت : فما الرافضة فيكم ؟ قال : شرنا . عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش .

وذكر الحافظ ابن عساكر(٤) في ترجمة العباس بن[٢] أحمد الدمشقي قال : سمعتُ بعض الجنّ ، [وأنا في منزلي][٣] بالليل ينشد :

قُلوبٌ بَرَاها الحبّ حَتىٰ تعلَّقت مَذَاهِبُها في كُلّ غَرب وشَارِقِ
تَهيم بحب اللّه ، واللّه رَبُّها مُعَلَّقة باللّه دُونَ الخَلائقِ

وقوله : ﴿ **وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا** ﴾ ، أي : نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا ، وأنا لا نعجزه في الأرض ، ولو أمعنا في الهرب ، فإنه علينا قادر ، لا يعجزه أحد منا .

﴿ **وأنا لما سمعنا الهدىٰ آمنا به** ﴾ : يفتخرون بذلك ، وهو مفخرٌ لهم ، وشرفٌ رفيعٌ ، وصفةٌ حسنةٌ .

وقولهم : ﴿ **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما : فلا يخاف أن يُنقَص من حسناته ، أو يحمل عليه غير[٤] سيئاته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا** ﴾ .

﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون** ﴾ ، أي : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق الناكب عنه ، بخلاف المقسط فإنه العادل ، ﴿ **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا** ﴾ ، أي : طلبوا[٥] لأنفسهم النجاة . ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا** ﴾ أي : وقودًا تُسعر بهم .

وقوله : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة لأسقيناهم ماء غدقًا * لنفتنهم فيه** ﴾ : اختلف المفسرون في معنىٰ هذا علىٰ قولين :

أحدِهما : وأن لو استقام القاسطون علىٰ طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ،

---

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٨٧/٨ مخطوط) .

---

[١] - في ز ، خ : الحسين .
[٢] - في ز : أن .
[٣] - في ز ، خ : زارنا في منزل .
[٤] - في ز : عن .
[٥] - في ز : ظنوا .

﴿ **لأسقيناهم ماء غدقًا** ﴾ ، أي : كثيرًا . والمراد بذلك سَعَة الرزق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ ، وكقوله : ﴿**ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض**﴾ . وعلىٰ هذا يكون معنىٰ قوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، أي : لنختبرهم ، كما قال مالك : عن زيد ابن أسلم : ﴿ **لنفتنهم** ﴾ : لنبتليهم ، مَن يستمر علىٰ الهداية ممن يرتد إلىٰ الغواية ؟

ذكر من قال بهذا القول

قال العوفي عن ابن عباس : ﴿**وألو استقاموا على الطريقة**﴾ : يعني بالاستقامة : الطاعة . وقال مجاهد : ﴿ **وألو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، قال : الإسلام . وكذا قال سعيد بن جُبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدي ، ومحمد بن كعب القرظي .

وقال قتادة : ﴿**وألو استقاموا على الطريقة**﴾ يقول : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا .

وقال مجاهد : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، أي : طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد علىٰ ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، أي : لنبتليهم به . وقال مقاتل[١]: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين .

والقول الثاني : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ : الضلالة ﴿ **لأسقيناهم ماء غدقًا** ﴾ ، أي : لأوسعنا عليهم في الرزق استدراجًا ، كما قال : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ . وكقوله : ﴿**أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون**﴾ وهذا قول أبي مِجْلز لاحق بن حُميد ، فإنه قال في قوله : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، أي : طريقة الضلالة . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبي ، وابن كيسان . وله[٢] اتجاه ، ويتأيد بقوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ .

وقوله : ﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه[٣] عذابًا صعدًا** ﴾ ، أي : عذابًا شاقًّا[٤] شديدًا موجعًا مؤلمًا . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿**عذابًا صعدًا**﴾ أي : مشقة لا راحة معها . وعن ابن عباس : جبل في جهنم ، وعن سعيد بن جبير : بئر[٥] فيها .

---

[١] - في خ : مجاهد .

[٢] - في ز : لا .

[٣] - في ز : نسلكه .

[٤] - في ز : مشقا .

[٥] - سقط من ز .

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ
أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ
نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده أن يُوحّدوه في محال عبادته ، ولا يدْعىٰ معه أحد ولا يشرك به ، كما قال قتادة في قوله : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ ، قال : كانت اليهود والنصارىٰ إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ، أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه صلىٰ الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر علي بن الحسين : حدثنا إسماعيل ابن بنت السدي ، أخبرنا رجل سماه ، عن السدي ، عن أبي مالك - أو : أبي صالح - ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ ، قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إليا : بيت المقدس . وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول الله ، ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك ، فأنزل الله : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ ، يقول : صلوا ، و[١] لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير(٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن محمود [٢] ، عن سعيد بن جبير : ﴿ **وأن المساجد لله** ﴾ قال : قالت الجن لنبي الله صلىٰ الله عليه وسلم : كيف لنا أن نأتي المسجد [ونحن ناءون ؟ وكيف نشهد الصلاة][٣]ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ .

وقال سفيان عن خُصيف عن عكرمة : نزلت في المساجد كلها .

---

(٥) أخرجه الطبري (١١٧/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : محمول .

[٣] - سقط من خ .

[قال سعيد بن جبير : نزلت في أعضاء السجود ، أي : هي لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد الله بن طاووس عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (٦) : « **أمرت أن أسجد علىٰ سبعة أعظم : علىٰ الجبهة - أشار بيده إلىٰ أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين** » .][١]

وقوله : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال العوفي(٧) : عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتىٰ أتاه الرسول فجعل يقرئه : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾ ، يستمعون القرآن .

هذا قوله[٢]، وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وقال ابن جرير (٨) : حدثني محمد بن معمر ، حدثنا [أبو مسلم][٣] ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : ﴿ **لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال : لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قال : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : ﴿ **لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ . وهذا قول ثان ، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضًا . وقال الحسن(٩) : [لما قام][٤] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لا إله إلا الله** » ، ويدعو الناس إلىٰ ربهم ، كادت العرب تَلبّد عليه جميعًا . وقال قتادة(١٠) في قوله : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال : تَلَبَّدت[٥] الإنس والجنّ علىٰ هذا الأمر ليطفئوه ، فأبىٰ الله إلا أن ينصره ويُمضيَه ويظهره علىٰ من ناوأه .

---

(٦) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : السجود على الأنف ، حديث (٨١٢) (٢٩٧/٢) ، ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب ....، حديث (٢٣٠/٤٩٠) (٢٧٦/٤) .

(٧) أخرجه الطبري (١١٨/٢٩) .

(٨) أخرجه الطبري (١١٨/٢٩) .

(٩) أخرجه الطبري (١١٩/٢٩) .

(١٠) أخرجه الطبري (١١٨/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : قول .

[٣] - في ز ، خ : ابن هشام .

[٤] - في ز : فأقام .

[٥] - في ز ، خ : يلبدون .

وهذا قول ثالث ، وهو مَروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختيار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : ﴿ **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا** ﴾ ، أي : قال لهم الرسول ، لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ، ليبطلوا ما جاء به من الحق ، واجتمعوا علىٰ عداوته : ﴿ **إنما أدعو ربي** ﴾ ، أي : إنما أعبد ربي وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه ، ﴿ **ولا أشرك به أحدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا** ﴾ ، أي : إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي وعبد من عباد الله ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع في ذلك كله إلىٰ الله - عز وجل - .

ثم أخبر عن نفسه أيضًا أنه لا يجيره من الله أحد ، أي : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد علىٰ إنقاذي من عذابه ، ﴿ **ولن أجد من دونه ملتحدًا** ﴾ ، [قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : لا ملجأ . وقال قتادة أيضًا : ﴿ **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا** ﴾ ،][١] أي : لا نصير ولا ملجأ . وفي رواية : لا وليّ ولا مَوْئِلَ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا بلاغًا من الله ورسالاته** ﴾ ، قال بعضهم : هو مستثنى من قوله : ﴿ **لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا... إلا بلاغًا** ﴾ ، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله : ﴿ **لن يجيرني من الله أحد** ﴾ ، أي : لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا** ﴾ أي : إنما أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء علىٰ ذلك نارُ جهنم خالدين فيها أبدًا ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا** ﴾ ، أي : حتىٰ إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة ، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا ، هم أم المؤمنون الموحدون لله- عز وجل - أي : بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عددًا من جنود الله عز وجل .

قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ

[١] - سقط من ز ، خ .

﴿يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا (٢٨)﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد، ﴿**قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدًا**﴾، أي: مدة طويلة.

وفي هذه الآية الكريمة دليل علىٰ أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه - عليه السلام - لا يؤلّف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب. وقد كان صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدىٰ له جبريل في صورة أعرابي، كان فيما سأله أن قال له[1]: يا محمد، فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»(١١). ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جَهوريّ فقال: يا محمد، متىٰ الساعة؟ قال: «**ويحك! إنها كائنة، فما أعددت لها؟**» قال: أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب اللّٰه ورسوله. قال: «**فأنت مع من أحببت**».

قال أنس: فَمَا فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث(١٢).

وقال ابن أبي حاتم(١٣): حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مصفّىٰ، حدثنا محمد بن حمير[2]، حدثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخُدْريّ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: «**يابني آدم، إن كنتم تعقلون[3] فعدوا أنفسكم من الموتىٰ، والذي نفسي بيده، إنما توعدون لآت**.

---

(١١) تقدم تخريجه في سورة الأعراف، آية ١٨٧.

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في اللّٰه، حديث (٦١٧١) (١٠/٥٥٧)، وطرفه في [٧١٥٣]. ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، حديث (١٦١ - ٢٦٣٩/١٦٤) (٢٨٥/١٦ - ٢٨٨). كلاهما من حديث أنس بنحو هذا اللفظ من طريق سالم بن أبي الجعد دون قول أنس. وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء أن المرء مع من أحب، حديث (٢٣٨٦) (١١٦/٧ - ١١٧). وأحمد (٣/ ١٠٤) (١٢٠٣١)، كلاهما من طريق حميد عن أنس بنحو حديث البخاري ومسلم وفيه إيراد قول أنس.

(١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص ٢٨ - ٢٩) حديث (٦). وأبو نعيم في الحلية (٩١/٦). والبيهقي في «شعب» الإيمان (٣٥٥/٧) (١٠٥٦٤) كلهم من حديث أبي سعيد. قال أبو نعيم: غريب من حديث عطاء وأبي بكر، تفرد به محمد. =

---

[١] - سقط من ت.
[٢] - في ز: جبير.
[٣] - في ز: تعلمون.

وقد قال أبو داود(١٤) في آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسىٰ بن سهل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عبدالرحمن بن جُبَير ، عن أبيه ، عن أبي ثَعلبة الخُشني قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لن يعجز[١] الله هذه الأمة[٢] من نصف يوم** » . انفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود(١٥) : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثني صفوان ، عن شُريح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم** » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود .

وقوله : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾ ، هذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه علىٰ شيء من علمه إلا مما[٣] أطلعه تعالىٰ عليه ، ولهذا قال : ﴿ **فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري .

ثم قال : ﴿ **فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، أي [٤]: يَخْتَصّه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله . ويساوقونه علىٰ ما معه من وحي الله ؛ ولهذا قال : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله : ﴿ **ليعلم** ﴾ : إلىٰ من يعود ؟ فقيل : إنه عائد علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

قال ابن جرير(١٦) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّي[٥] ، عن جعفر ، عن سعيد بن

= وقال في تخريج أحاديث الإحياء (٢٤٨٢/٦) (٣٩٠٥) : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بسند ضعيف .

(١٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب : قيام الساعة ، حديث (٤٣٤٩) (١٢٥/٤) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٤٣) .

(١٥) أخرجه أبو داود في الموضع السابق حديث (٤٣٥٠) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٥٦) .

(١٦) أخرجه الطبري (١٢٣/٢٩) بهذا الإسناد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به .

[١] - في ز : نعجز .
[٢] - في ز : الآية .
[٣] - في ز : بما .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : القيمي .

جبير في قوله : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، ﴿ **ليعلم** ﴾ محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي[١] ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدي ، ويزيد بن أبي حبيب . وقال عبدالرزاق عن معمر ، عن قتادة : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ ، قال : ليعلم نبي اللّٰه أن الرسل قد بلغت عن اللّٰه ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت[٢] عنها[٣] .

وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير . وقيل غير ذلك ، كما رواه العَوفي عن ابن عباس(١٧) في قوله : ﴿ **إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي من الشيطان ، حتىٰ يتبين الذي[٤] أرسل به[٥] إليهم ، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وكذا قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ ، قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفي هذا نظر .

وقال البغوي : قرأ يعقوب : ﴿ **لِيُعْلَم** ﴾ بالضم ، أي : ليعلم الناس أن الرسل قد بَلَّغُوا .

ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا إلىٰ اللّٰه - عز وجل - وهو قول حكاه ابن الجوزي في « **زاد المسير** » ويكون المعنىٰ في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ؛ ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما يُنَزِّلُ إليهم من الوحي ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب علىٰ عقبيه** ﴾ وكقوله : ﴿ **وليعلمن[٦] اللّٰه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** ﴾ ، إلىٰ أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالىٰ يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالة ولهذا قال بعد هذا : ﴿ **وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

آخر تفسير سورة الجن ، وللّٰه الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(١٧) أخرجه الطبري (١٢٢/٢٩) .

[١] - في خ : القيمي .
[٢] - في ز : ودفعتها .
[٣] - في خ : عن الله .
[٤] - في ز ، خ : الذين .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : وليعلم .

تفسير سورة المزمل

وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار(١) : حدثنا محمد بن موسىٰ القطان الواسطي ، حدثنا معلىٰ بن عبد الرحمن ، حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا : سموا هذا الرجل اسمًا يصدر الناس عنه . فقالوا : كاهن . قالوا : ليس بكاهن . قالوا : مجنون . قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر . فتفرق المشركون علىٰ ذلك ، فبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ، ﴿ يا أيها المدثر ﴾ .

ثم قال البزار : معلىٰ بن عبد الرحمن : قد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم ، واحتملوا حديثه ، لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

يأمر تعالىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن يترك التزمل ، وهو : التغطي في الليل ، وينهض إلىٰ القيام لربه - عز وجل - كما قال تعالىٰ : ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وكذلك[١] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثلًا ما أمره الله تعالىٰ به من قيام الليل ، وقد كان واجبًا عليه وحده ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ وهاهنا بيَّن له مقدار ما يقوم ، فقال تعالىٰ : ﴿ يأيها المزمل قم الليل إلا قليلًا ﴾ .

---

(١) أخرجه البزار (١١٣/٢ - ١١٤ مختصر) (١٥٢١) . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٣/٧) : رواه البزار والطبراني في الأوسط . وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطى وهو كذاب .اهـ .

---

[١] - في ز : ولذلك .

قال ابن عباس ، والضحاك ، والسدي : ﴿ يأيها المزمل ﴾ ، يعني : يا أيها النائم . وقال قتادة : المزمل في ثيابه . وقال إبراهيم النخعيّ : نَزَلت وهو مُتزمّل بقطيفة . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ يأيها المزمل ﴾ قال : يا محمد ، زملت القرآن .

وقوله : ﴿ نصفه ﴾ : بدل من الليل ، ﴿ أو انقص منه قليلًا أو زد عليه ﴾ أي : أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل ، لا حرج عليك في ذلك .

وقوله : ﴿ ورتل القرآن ترتيلًا ﴾ ، أي : اقرأه علىٰ تمهل ، فإنه يكون عونًا علىٰ فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ ، صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة : كان يقرأ السورة فيرتلها ، حتىٰ تكون أطول من أطول منها . وفي صحيح البخاري[(٢)] ، عن أنس أنه سُئِل عن قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : كانت مدًّا، ثم قرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم .

وقال ابن جريج . عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة : أنها سُئلت عن قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : كان يقَطع قراءته آية آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾ . رواه أحمد[(٣)] ، وأبو داود ، والترمذي .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ابن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » .

ورواه أبو داود والترمذي ، والنسائي من حديث سفيان الثوري به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة علىٰ استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ، كما جاء في الحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم »[(٥)] .

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : مد القراءة ، حديث (٥٠٤٦) (٩١/٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٢/٦) (٢٦٦٩٢) . وأبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٤٠٠١) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : في فاتحة الكتاب ، حديث (٢٩٢٨) (١٢٦/٨ - ١٢٧) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٧٩) .

(٤) أخرجه أحمد (١٩٢/٢) (٦٧٩٩) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة ، حديث (١٤٦٤) (٧٣/٢) . والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : الذي ليس في بيته قرآن كالبيت الخرب ، حديث (٢٩١٥) (١١٧/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : فضائل القرآن ، باب : الترتيل ، حديث (٨٠٥٦) (٢٢/٥) . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٥) أخرجه البخاري معلقا في كتاب : التوحيد ، باب : (٥٢) ، حديث (٧٥٤٤) (٥١٨/١٣) . وأخرجه مسندًا في خلق أفعال العباد (٢٥٠ ، ٢٥١) . وأخرجه أحمد (٢٨٣/٤) (١٨٥٤٥) . وأبو داود في=

و« **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** »[(٦)] . و« **لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود** » يعني : أبا موسى . فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرًا[(٧)].

وعن ابن مسعود أنه قال : لا تنثروه نثر الرمل ، ولا تهذوه هذّ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة رواه البغوي .

وقال البخاري[(٨)] : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة : سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة . فقال : هَذًّا كهذّ الشعر ، لقد عرفت النظائر التي كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقرن بينهن . فذكر عشرين سورة من المُفَصّل ، سورتين [من آل حم] في ركعة .

وقوله : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا** ﴾ ، قال الحسن ، وقتادة : أي العمل به .

وقيل : ثقيل وقت نزوله، من عظمته . كما قال زيد بن ثابت : أنزل على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وفَخذُه على فخذي ، فكادت تُرض فَخذي .

وقال الإمام أحمد [(٩)] : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عَمرو ابن الوليد ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : سألتُ النبي صلى اللَّه عليه وسلم : فقلت : يا رسول اللَّه ، هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أسمع صَلاصلَ ، ثم أسكتُ عند ذلك ، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تَفِيض** . **تفرد به أحمد** .

وفي أول صحيح البخاري[(١٠)] عن عبد اللَّه بن يوسف ، عن مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « **أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عَلَيّ فيفصم عني**[١]، **وقد وعيت**

= كتاب : الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة ، حديث (١٤٦٨) (٧٤/٢) . والنسائي (١٧٩ - ١٨٠) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : في حسن الصوت بالقرآن ، حديث (١٣٤٢) (٤٢٦/١). وصححه ابن حبان (٢٥/٣) (٧٤٩) .

(٦) تقدم تخريجه في سورة الحجر آية (٨٧) .

(٧) تقدم تخريجه في سورة سبأ ، آية : (١٠) .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : الجمع بين السورتين في الركعة ، حيث (٧٧٥) (٢٥٥/٢) ، وطرفاه في [٤٩٩٦ ، ٥٠٤٣] .

(٩) أخرجه أحمد (٢٢٢/٢) (٧٠٧١) . وصححه أحمد شاكر في المسند وله شاهد من حديث عائشة يأتي قريبًا .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الوحي ، باب : (٢) ، حديث (٢) (١٨/١) .

[١] - في ز : عنه .

عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقًا . هذا لفظه .

وقال الإمام أحمد(١١) : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : إن كان ليوحَىٰ إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو علىٰ راحلته ، فتضرب بجرانها .

وقال ابن جرير(١٢) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو علىٰ ناقته ، وضعت جرانها ، فما تستطيع أن تحرك حتىٰ يُسَرّى عنه . وهذا مرسل . الجران ، وهو باطن العنق .

واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معًا ، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين :

وقوله : **﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأقوم قيلًا ﴾** : قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : نشأ : قام بالحبشة

وقال عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير : الليل كله ناشئة . وكذا قال مجاهد ، وغير واحد يقال : نشأ : إذا قام من الليل . وفي رواية عن مجاهد : بعد العشاء . وكذا قال أبو[١] مِجْلَز وقتادة ، وسالم و أبو حازم ، ومحمد بن[٢] المنكدر .

والغرض أن ناشئة الليل هي : ساعاته وأوقاته ، وكل ساعة منه تسمىٰ ناشئة ، وهي الآنات[٣] . والمقصود أن قيام الليل هو أشدّ مواطأة بين القلب واللسان ، وأجمع علىٰ التلاوة ؛ ولهذا قال : **﴿ هي أشد وطئًا وأقوم قيلًا ﴾** ، أي : أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ؛ لأنه وقتُ انتشار الناس ، ولَغَط الأصوات ، وأوقات المعاش .

و[٤]قال الحافظ أبو[٥] يعلىٰ الموصلي(١٣) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا

(١١) أخرجه أحمد (١١٨/٦) (٢٤٩٨٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٦٠/٨) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(١٢) أخرجه الطبري (١٢٧/٢٩) .

(١٣) أخرجه أبو يعلى (٨٨/٧) (٤٠٢٣) . قال البزار : لا نعلم رواه عن الأعمش إلا الحماني ، وإنما =

[١] - في ز : ابن ،

[٢] - في ز : وابن .

[٣] - في ز : الآيات .

[٤] - في ز : وقد .

[٥] - في ز : ابن .

أبو أسامة ، حدثنا الأعمش : أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية : ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأصوب قيلا** ﴾ . فقال له رجل : إنما نقرؤها ﴿ **وأقوم قيلا** ﴾ فقال له : إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد .

ولهذا قال : ﴿ **إن لك في النهار سبحًا طويلًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، وعكرمة ، وعطاء ابن أبي مُسلم : الفراغ والنوم . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ،والربيع بن أنس ، وسفيان الثوري : فراغًا طويلًا . وقال قتادة : فراغًا وبغيةً ومنقلبًا . وقال السدي : ﴿ **سبحًا طويلًا** ﴾ : تطوعًا كثيرًا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **سبحًا طويلًا** ﴾ ، قال : لحوائجك ، فأفرغ لدينك الليل . قال : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن اللَّه من علىٰ العباد فخففها ووضعها ، وقرأ : ﴿ **قم الليل إلا قليلًا** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، ثم قال : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ [الليل نصفه أو ثلثه . ثم جاء أمر أوسع وأفسح وضع الفريضة عنه وعن أمته فقال :][١] وقال : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ . وهذا الذي قاله كما قاله .

والدليل عليه مارواه الإمام أحمد(١٤) في مسنده حيث قال : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن سعد[٢] بن هشام : أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارًا له بها ويجعله في الكراع والسلاح ، ثم يجاهد الروم حتىٰ يموت ، فلقي رهطًا من قومه فحدثوه أن رهطًا من قومه ستةً أرادوا ذلك علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **أليس لكم في أسوة ؟** » فنهاهم عن ذلك ، فأشهدهم علىٰ رَجعتها ، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتىٰ ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : ائت عائشة فاسألها ثم ارجع إليّ فأخبرني بردّها عليك . قال : فأتيت علىٰ حَكيم بن أفلحَ فاستلحقتُه إليها ، فقال : ما أنا بقاربها . إني نهيتها أن تقول في هاتين الشّيعَتَين شيئًا ، فأبت فيهما إلا مُضِيًّا . فأقسمتُ عليه ، فجاء معي، فدخلنا عليها فقالت : حكيم ؟ - وعرفته - قال : نعم . قالت : من هذا معك ؟ قال : سعد[٣] بن هشام . قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر . قال[٤] : فترحمت[٥] عليه وقالت : نعم المرء

= ذكرت ذلك لأبين أن الأعمش سمع من أنس . اهـ . قال الهيثمي في « المجمع » (١٥٩/٧) : رواه البزار (١٥٦٠ - مختصر) ، وأبو يعلى ... ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ورجال البزار ثقات . اهـ .

(١٤) أخرجه أحمد (٥٣/٦ - ٥٤) (٢٤٣٨٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها =

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : سعيد .
[٣] - في ز : سعيد .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : فرحبت .

كان عامر. قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلىٰ. قالت: فإن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان القرآن. فهممتُ أن أقوم، ثم بدا لي قيامُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن قيام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. قالت: ألست تقرأ هذه السورة: ﴿ يأيها المزمل ﴾؟ قلت: بلىٰ. فقالت: فإن الله افترض[١] قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه حولًا حتىٰ انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرًا، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعًا من بعد فريضة. فهممتُ أن أقومَ، ثم بدا لي وتر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. قالت: كنا نعد له سواكه وطَهُوره، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثماني ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربه [ويدعو ويستغفر ثم ينهض ولا يسلم، ثم يصلي التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدعو،][٢] ثم يسلم تسليمًا يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم. فتلك[٣] إحدىٰ عشرة ركعة[٤] يابني. فلما أسن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأخذ اللحم، أوتر بسبع، ثم صلىٰ ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم، فتلك تسع يابني. وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا صلىٰ صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شَغَله عن قيام الليل نوم أو وَجَعٌ أو مرض، صلىٰ من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، [ولا قام ليلة][٥] حتى أصبح، ولا صام شهرًا كاملًا غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال[٦]: صدقت[٧]، أما لو كنت أدخل عليها[٨] لأتيتها حتىٰ تشافهني مشافهة.

هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه. وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه[٩].

طريق أخرىٰ عن عائشة في هذا المعنى، قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا زيد بن الحباب، وحدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، قالا جميعًا، واللفظ لابن وكيع: عن موسىٰ بن عُبيدَة، حدثني محمد بن طحلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله

= باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، حديث (٧٤٦/١٣٩) (٣٧/٦ - ٤٠). والطبري (٢٩/ ١٢٥).

[١] - في ز: أفرض.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: لذلك.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - سقط من ز.
[٧] - في ز: فصدقت.
[٨] - في ز: إليها.
[٩] - في ز: نحوه.

صلىٰ اللَّه عليه وسلم حصيرًا يُصَلي عليه من الليل ، فتسامع الناس به[١] فاجتمعوا ، فخرج كالمغضَب - وكان بهم رحيمًا ، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل - فقال : « **أيها الناس ، اكلَفُوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن اللَّه لا يَمَلّ من الثواب حتى تملوا من العمل ، وخير الأعمال ماديمَ عليه** » ، ونزل القرآن : ﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا * أو زد عليه** ﴾ ، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى اللَّه ما يبتغون من رضوانه ، فرحمهم فردهم إلى الفريضة ، وترك قيام الليل .

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسىٰ بن عبيدة الربذي[٢] ، وهو ضعيف . والحديث في الصحيح(١٥) . بدون زيادة نزول هذه السورة ، وهذا السياق قد يُوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة ، وليس كذلك ، وإنما هي مكية . وقوله في هذا السياق : إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب ؛ فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن سماك الحنفي ، سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل أول المزمل ، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة .

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن أبي أسامة به(١٦) .

وقال الثوري ومحمد بن بشر العَبدي (١٧) ، كلاهما عن مسعر ، عن سماك ، عن ابن عباس : كان بينهما سنة . وروىٰ ابن جرير (١٨) ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا[٣] مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت : ﴿ **يأيها المزمل** ﴾ ، قاموا حولًا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ، حتى نزلت : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ قال : فاستراح الناس .

---

(١٥) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : صلاة الليل ، حديث (٧٣٠) (٢/٢١٤) ، وطرفه في [٥٨٦١] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، حديث (٧٨٢/٢١٥) (٦/١٠٠) . كلاهما من طريق أبي سلمة عن عائشة - رضي الله عنها - .

(١٦) تفسير الطبري (٢٩/١٢٤) .

(١٧) تفسير الطبري (٢٩/١٢٥) من طريق محمد بن بشر .

(١٨) تفسير الطبري (٢٩/١٢٦) .

(١٩) تفسير الطبري (٢٩/١٢٦) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : الزبدي .
[٣] - في ز : عن .

وكذا قال الحسن البصري .

وقال ابن أبي حاتم : [حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عُبَيد اللّه بن عمر القواريري ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي][١] عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفي ، عن سعد[٢] بن هشام قال : فقلت - يعني لعائشة - : أخبرينا عن قيام رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم . قالت : ألست تقرأ : ﴿ **يأيها المزمل** ﴾ ؟ قلت : بلىٰ . قالت : فإنها كانت قيام رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وأصحابه حتىٰ انتفخت أقدامهم ، وحُبس آخرها في السماء ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم نزل .

وقال معمر عن قتادة : ﴿ **قم الليل إلا قليلًا** ﴾ قاموا حولًا أو حولين ، حتىٰ انتفخت سُوقهم وأقدامهم ، فأنزل اللّه تخفيفها بعد في آخر السورة .

وقال ابن جرير(٢٠) : حدثنا ابن حُميد ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد - هو ابن جبير - قال : لما أنزل اللّه علىٰ نبيه صلىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ **يأيها المزمل** ﴾ ، قال ، مكث النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم علىٰ هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل اللّه عليه بعد عشر سنين : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وأقيموا[٣] الصلاة** ﴾ ، فخفف اللّه تعالىٰ عنهم بعد عشر سنين ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن رافع ، عن يعقوب القمّي به .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا *** [**أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا** ﴾ فأمر اللّه نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلّا قليلًا][٤] ، فشق ذلك علىٰ المؤمنين ، ثم خفف اللّه عنهم ورحمهم ، فأنزل بعد هذا : ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضىٰ وآخرون يضربون في الأرض** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ ، فوسع اللّه - وله الحمد - ولم يضيق .

وقوله : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلًا** ﴾ ، أي : أكثر من ذكره ، وانقطع إليه ، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك ، وما تحتاج إليه من أمور دنياك ، كما قال : ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ أي : إذا فرغت[٥] من مهامك[٦] فانصب في طاعته وعبادته ، لتكونَ فارغَ البال . قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه .

---

(٢٠) تفسير الطبري (١٢٥/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : سعيد .
[٣] - في ز : فأقيموا .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : تفرغت .
[٦] - في ز : مهامتك .

قال ابن عباس ومجاهد، وأبو[١] صالح وعطية، والضحاك والسدي: ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾، أي: أخلص له العبادة.

وقال الحسن: اجتهد وبتل[٢] إليه نفسك.

وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتل، ومنه الحديث المروي أنه[٣] نهىٰ عن التبتل(٢١). يعني الانقطاع إلى العبادة، وترك التزوج[٤]. وقوله: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾، أي: هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب، الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة[٥] [فأفرده بالتوكل][٦] ﴿فاتخذه وكيلا﴾، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾، وكقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، و[٧] آيات كثيرة في هذا المعنىٰ، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه.

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ
وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا
﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ
رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾
ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله مَن كذبه مِن سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا، وهو الذي لا عتاب معه. ثم قال له متوعدًا لكفار قومه ومتهددًا - وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء -: ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾، أي: دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال، فإنهم أقدر علىٰ الطاعة من غيرهم، وهم يطالبون من

(٢١) أخرجه أحمد (١٥٨/٣) (١٢٦٣٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٦١/٤): رواه أحمد، والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .اهـ. وصححه ابن حبان (٤٠٢٨).

[١] - في ز: ابن.
[٢] - في ز: وأبتل.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: التزويج.
[٥] - في ز: في العبادة.
[٦] - في ز: وأفردته في التوكل.
[٧] - في ز: في.

الحقوق بما ليس عند غيرهم ، ﴿ **ومهلهم قليلًا** ﴾ أي : رويدًا ، كما قال : ﴿ **نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ** ﴾ ؛ ولهذاقال هاهنا : ﴿ **إن لدينا أنكالًا** ﴾ ، وهي : القيود . قاله ابن عباس، وعكرمة ، وطاووس ، ومحمد بن كعب ، وعبد الله بن بُرَيدة ، وأبو عمران الجوني ، وأبو مجلز ، والضحاك ، وحماد بن أبي سليمان ، وقتادة ، والسدي ، وابن المبارك ، والثوري ، وغير واحد ﴿ **وجحيمًا** ﴾ ، وهي السعير المضطرمة [١] . ﴿ **وطعامًا ذا غصة** ﴾ : قال ابن عباس : ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج ، ﴿ **وعذابًا أليمًا * يوم ترجف الأرض والجبال** ﴾ ، أي: تزلزل ، ﴿ **وكانت الجبال كثيبًا مهيلًا** ﴾ ، أي : تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ، ثم إنها تنسف نسفًا فلا يبقىٰ منها شيء إلا ذهب ، حتىٰ تصير الأرض قاعًا صفصفًا ، لا ترى فيها عوجًا ، أي : واديًا، ولا أمتًا ، أي : رابية ، ومعناه : لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع .

ثم قال مخاطبًا لكفار قريش - والمراد سائر الناس: ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولًا شاهدًا عليكم** ﴾ ، أي : بأعمالكم ، ﴿ **كما أرسلنا إلىٰ فرعون رسولًا. فعصىٰ فرعون الرسول؛ فأخذناه أخذًا وبيلًا** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد، وقتادة والسدي، والثوري: ﴿ **أخذًا وبيلًا** ﴾ ، أي : شديدًا . أي : فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول ، فيصيبَكم ما أصابَ فرعونَ ، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ** ﴾ ، وأنتم أولىٰ بالهلاك والدمار إن كذبتم ، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسىٰ بن عمران . ويُروَىٰ عن ابن عباس ، ومجاهد .

وقوله : ﴿ **فكيف تتقون إن كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبًا** ﴾، يحتمل أن يكون ﴿ **يومًا** ﴾[٢] معمولًا لتتقون ، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود : « **فكيف تخافون أيها الناس يومًا يجعل الولدان شيبًا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟** » ويحتمل أن يكون معمولًا[٣] لكفرتم ، فعلىٰ الأول : كيفَ يحصلُ لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ؟ وعلىٰ الثاني: كيف يحصل لكم تقوىٰ إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ؟ وكلاهما معنىٰ حسن ، ولكن الأول أولىٰ ، والله أعلم .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **يومًا يجعل الولدان شيبًا** ﴾ أي : من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله لآدم : ابعَثْ بعثَ النار . فيقول : مِن كم ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار ، وواحد إلىٰ الجنة .

قال الطبراني(٢٢) : حدثنا يحيىٰ بن أيوب العلاف، حدثنا سعيد بن أبي مريم[٤] ، حدثنا

---

(٢٢) المعجم الكبير (١١/٣٦٦) (١٢٠٣٤) . قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٣٣) : رواه الطبراني =

---

[١] - في ز : المضطربة
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : هريم .

نافع بن يزيد، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ: ﴿ **يومًا يجعل الولدان شيبا** ﴾، قال: « **ذلك يوم القيامة، وذلك يوم يقول الله لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثًا إلىٰ النار. قال: من كم يارب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون**[١]، **وينجو واحد** ». فاشتد ذلك علىٰ المسلمين، وعرف ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم: « **إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من**[٢] **ولد آدم، وإنه لا يموت منهم رجل [حتىٰ ينتشر]**[٣] **لصلبه ألف رجل ففيهم**[٤] **وفي أشباههم جنة لكم** ».

هذا حديث غريب، وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث[٥].

وقوله: ﴿ **السماء منفطر به** ﴾: قال الحسن، وقتادة: أي بسببه من شدته وهوله[٦]. ومنهم من يعيد الضمير علىٰ الله عز وجل. [وروي عن ابن عباس ومجاهد،][٧]وليس بقوي: لأنه لم يجر له ذكر هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿ **كان وعده مفعولاً** ﴾: أي. كان وعد هذا اليوم مفعولاً، أي: واقعا لا محالة، وكائنًا لا محيد عنه.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠ ﴾

= وفيه عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف.

[١] - في ز: تسعين.
[٢] - في ز: في.
[٣] - بياض في ز.
[٤] - في ز: ومنهم.
[٥] - بياض في ز.
[٦] - سقط في ز.
[٧] - سقط في ز.

يقول تعالىٰ : ﴿ إن هذه ﴾ ، أي : السورة ﴿ تذكرة ﴾ ، أي : يتذكر[١] بها أولو الألباب ، ولهذا قال : ﴿ فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه سبيلًا ﴾ أي : ممن شاء الله هدايته ، كما قيده في السورة الأخرىٰ : ﴿ وما تشاءون إلّا أن يشاء الله ، إنّ الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ .

ثم قال : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ ، أي : تارة هكذا وتارة هكذا ، وذلك كله من غير قصد منكم ، ولكن لا تقدرون علىٰ المواظبة علىٰ ما أمركم به من قيام الليل ، لأنه يشق عليكم ؛ ولهذا قال : ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ ، أي : تارة يعتدلان ، وتارة يأخذ هذا من هذا ، أو هذا من هذا ، ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ ، أي : الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ ، أي : من غير تحديد بوقت ، أي : ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة ، كما قال في سورة سبحان : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ ، أي : بقراءتك ، ﴿ ولا تخافت بها ﴾ .

وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية - وهي قوله : ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ - علىٰ أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ، ولو بآية ، أجزأه ، واعتضدوا بحديث المسيء [ ][٢] صلاته الذي في الصحيحين (٢٣) : « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » .

وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت ، وهو في الصحيحين أيضًا : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لا صلاة [لمن لم][٣] يقرأ بفاتحة الكتاب »(٢٤) ، وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، فهي خداج ، فهي خداج ، غير تمام »(٢٥) . [يقرأ بأم القرآن][٤] وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعًا : « لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن »(٢٦) .

---

(٢٣) صحيح البخاري في كتاب : الأذان ، باب : أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يتم ركوعه بالإعادة ، حديث (٧٩٣) (٢/٢٧٦ - ٢٧٧) . ومسلم في كتاب : الأذان ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث (٤٥/٣٩٧) .

(٢٤) صحيح البخاري في كتاب : الأذان ، باب : وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات الخمس كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت ، حديث (٧٥٦) (٢/٢٣٧) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ... ، حديث (٣٩٤) (٤/١٣٢ - ١٣٣) .

(٢٥) صحيح مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . حديث (٣٨/٣٩٥) (٤/١٣٤) .

(٢٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/٢٤٨) (٤٩٠) .

---

[١] - في ز : ليذكر .
[٢] - في ز : في .
[٣] - في ز : إلا أن .
[٤] - سقط من ز .

وقوله : ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾ ، أي : علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل ، من مرضىٰ لا يستطيعون ذلك ، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله ، وهذه الآية - بل السورة كلها - مكية ، ولم يكن القتال شُرع بَعدُ ، فهي من أكبر دلائل النبوة ، لأنه من باب الإخبار[١] بالمغيبات المستقبلة ؛ ولهذا قال : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ ، أي : قوموا بما[٢] تيسر عليكم منه .

قال ابن جرير(٢٧) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء - محمد - قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، ولا يقوم به ، إنما يصلي المكتوبة ؟ قال : يتوسَّد القرآن ، لعن الله ذاك ، قال الله تعالىٰ للعبد الصالح : ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾ ، ﴿ **وعلمتم[٣] ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** ﴾ . قلت : يا أبا سعيد ، قال الله : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾ ؟ قال : نعم ، ولو خمس آيات .

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري ، أنه كان يرىٰ حقًّا واجبًا علىٰ حَمَلة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل ؛ ولهذا جاء في الحديث : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سُئل عن رجل نام حتىٰ أصبح ، فقال : « **ذاك رجل بال الشيطان في أذنه** »(٢٨) . فقيل : معناه : نام عن المكتوبة . وقيل : عن قيام الليل ، وفي السنن : « **أوتِرُوا يا أهل القرآن** »(٢٩) . وفي الحديث الآخر : « **من لم يوتر فليس منا** »(٣٠) .

(٢٧) أخرجه الطبري (١٤١/٢٩) .

(٢٨) أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه ، حديث (١١٤٤) (٢٨/٣) ، وطرفه في [٣٢٧٠] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، حديث (٧٧٤/٢٠٥) (٩١/٦) .

(٢٩) أخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : استحباب الوتر ، حديث (١٤١٦) (٦١/٢) . والترمذي في كتاب : الوتر ، باب : ما جاء أن الوتر ليس بحتم ، حديث (٤٥٣) (١٠٣/٢) . والنسائي (٢٢٨/٣ - ٢٢٩) كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب : الأمر بالوتر . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الوتر ، حديث (١١٦٩) (٣٧٠/١) . كلهم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال الترمذي : وفي الباب عن ابن عمر وابن مسعود وابن عباس . ثم قال : حديث عليٍّ حديث حسن . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٥٦) .

(٣٠) أخرجه أحمد (٣٥٧/٥) (٢٣١٢٥) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : فيمن لم يوتر ، حديث (١٤١٩) (٦٢/٢) . كلهم من حديث بريدة . وصححه الحاكم (٣٠٥/١ - ٣٠٦) وقال : أبو المنيب العتكي مروزي ثقة يجمع حديثه ، ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بأن البخاري قال : عنده مناكير . =

[١] - في ز : إخبار .
[٢] - في ز : ما .
[٣] - في ز : علمكم .

وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر عبد العزيز، من الحنابلة، من إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم.

وقال الطبراني (٣١) : حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجُدّي، حدثنا [أبو محمد][١] بن يوسف الزّبيدي، حدثنا عبد الرحمن. عن محمد بن عبد الله بن طاوس - من ولد طاووس - عن أبيه، عن طاووس، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾، قال: « مائة آية ».

وهذا حديث غريب جدًا، لم أره إلّا في معجم الطبراني رحمه الله.

وقوله: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾، أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدل لمن قال: إن[٢] فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النّصب والمخرَج لم تُبين إلا بالمدينة، والله أعلم.

وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نَسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولًا من قيام الليل. واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم.

وقد ثبت في الصحيحين(٣٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل: « خمس صلوات في اليوم والليلة ». قال: هل عليّ غيرها؟ قال: « لا، إلا أن تَطّوّع ».

[وقوله تعالى] [٣] : ﴿ وأقرضوا الله قرضًا حسنًا ﴾، يعني من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال: ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة ﴾.

= وضعفه الألباني في الإرواء (٤١٧). وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٤٤٣/٢). قال الزيلعي في «نصب الراية» (١١٣/٢): وهو منقطع، قال أحمد: لم يسمع معاوية بن قرة من أبي هريرة شيئًا، ولا لقيه، والخليل بن مرة ضعفه يحيى والنسائي، وقال البخاري: منكر الحديث.

(٣١) أخرجه الطبراني (٢٩/١١) (١٠٩٤٠). قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٣/٧): رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن طاوس، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا .اهـ.

(٣٢) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام، حديث (٤٦) (١٠٦/١). وأطرافه في [١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦]. وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام، حديث (١١/٨) (٢٣٣/١ - ٢٣٤). كلاهما من حديث أنس - رضي الله عنه - به.

[١] - في ز: أبو أحمد محمد. [٢] - في ز: بأن.

[٣] - سقط من ز.

وقوله : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا** ﴾ ، أي : جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٣٣) : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن[١] الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الحارث بن سُوَيد قال : قال عبد الله : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟** » قالوا : يارسول الله ، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ! قال : « **اعلموا ما تقولون** » . قالوا : ما نعلم إلا ذلك يارسول الله ؟ ! قال : « **إنما مال أحدكم ما قَدّم ومال وارثه ما أخر** » .

ورواه البخاري(٣٤) من حديث حفص بن غياث ، والنسائي من حديث [ ][٢] أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش به .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ ، أي : أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها، فإنه غفور رحيم لمن استغفره .

[آخر تفسير سورة المزمل ، ولله الحمد] .

☆ ☆ ☆

(٣٣) مسند أبي يعلى (٩/٩٧ - ٩٨) (٥١٦٣) .

(٣٤) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : ما قدم من ماله فهو له ، حديث (٦٤٤٢) (١١/٢٦٠) . والنسائي (٦/٢٣٧ - ٢٣٨) كتاب الوصايا ، باب : الكراهية في تأخير الوصية .

[١] - في ز : ابن . [٢] - في ز : ابن .

تفسير سورة المدثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

ثبت في صحيح البخاري عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: ﴿ **يأيها المدثر** ﴾. وخالفه الجمهور فذهبوا إلىٰ أن أول القرآن نزولًا قوله تعالى: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾، كما سيأتي بيان ذلك هنالك.

قال البخاري(١) : حدثنا يحيىٰ، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿ **يأيها المدثر** ﴾. قلت: يقولون: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾؟ فقال أبو[١] سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، و[٢] قلت له مثل ما قلتَ لي [٣]، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما[٤] حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: « **جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطتُ فنُوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا، فأتيت خديجة فقلت: دَثِّروني، وصُبّوا عليَّ ماء باردًا** » قال: « **فدثَّروني وصَبّوا عليّ ماءً باردًا** »، قال: فنزلت ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر** ﴾.

هكذا ساقه منْ هذا الوجه، وقد رواه مسلم(٢) [٥] من طريق عُقَيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي: « **فبينا أنا أمشي إذ[٦] سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري قِبَلَ السماء،**

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب: التفسير، حديث (٤٩٢٢) (٨/٦٧٦).

(٢) - صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (١٦١/٢٥٦).

---

[١] - في ز، خ: ابن.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - سقط من ز، خ.

[٤] - في ز: مثلما.

[٥] - في ز: ومسلم.

[٦] - سقط من ز، خ.

فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد علىٰ كرسي بين السماء والأرض ، فَجَثْتُ [١]**منه حتىٰ هَوَيتُ إلىٰ الأرض ، فجئت إلىٰ أهلي ، فقلت : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل اللّٰه : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر ﴾** إلىٰ : **﴿ فاهجر ﴾** - قال أبو سلمة : والرجز : الأوثان - ثم حَميَ الوحيُ وتَتَابع » .

هذا لفظ البخاري(٣) ، وهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ، لقوله : « **فإذا الملك الذي جاءني بحراء** » ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : **﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾** . ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا ووجه الجمع أن أولَ شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد(٤) :

حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنا عُقَيل ، عن ابن شهاب قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني جابر بن عبد اللّٰه : أنه سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتًا من السماء ، فرفعت بصري قِبَلَ السماء ، فإذا الملك الذي جاءني [بحراء الآن]**[٢] **قاعد علىٰ كرسي بين السماء والأرض ، فجثتُ**[٣] **منه فرقًا ، حتىٰ هَوَيت إلىٰ الأرض ، فجئت أهلي فقلت لهم : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل اللّٰه : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر ﴾** ، ثم حمي الوحي بعدُ[٤] وتتابع . أخرجاه(٥) من حديث الزهري به .

وقال الطبراني(٦) : حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بِشر البَجَلي ، حدثنا المعافىٰ بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبي مليكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا ، فلما أكلوا قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم : ليس بشاعر . وقال بعضهم : سحر يؤثر . فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر . فبلغ ذلك النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فحزن

(٣) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير، باب : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ ، حديث (٤٩٢٦) (٦٧٩/٨) . وأطرافه في : [٤ ، ٣٢٣٨ ، ٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٢٤ ، ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ ، ٤٩٥٤ ، ٦٢١٤] .

(٤) - المسند (٣٢٥/٣) (١٤٥٢٥) .

(٥) - راجع أطراف الأحاديث رقم (٢ ، ٣) .

(٦) - المعجم الكبير (١٢٥/١١ - ١٢٦) (١١٢٥٠) . وقال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٧) : وفيه إبراهيم ابن يزيد الخوزي وهو متروك .

[١] - في ز : فجثيت .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فجثيت .

[٤] - سقط من ز .

وقنع رأسه ، وَتَدثّر ، فأنزل اللّه : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر** ﴾ .

فقوله : ﴿ **قم فأنذر** ﴾ ، أي : شمر عن ساق العزم ، وأنذر الناس . وبهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . ﴿ **وربك فكبر** ﴾ أي : عظم .

وقوله : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال الأجلح الكندي عن عكرمة ، عن ابن عباس : إنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : لا تلبسها علىٰ معصية ولا علىٰ غَدْرة[١] . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة[٢] الثقفي :

فإني[٣] بحمد اللّه لا ثَوبَ فَاجر لبستُ ، ولا من غَدْرَة[٤] أتَقَنّع

وقال ابن جريج[٥] عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : في كلام العرب : نَقِيّ الثياب . وفي رواية بهذا الإِسناد : فطهر من الذنوب . وكذا قال إبراهيم ، والشعبي، وعطاء .

وقال الثوري[٦] عن رجل، عن عطاء ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : من الإثم .وكذا قال إبراهيم النخعي . وقال مجاهد : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، قال : [نفسك ، ليس ثيابه] [٧] . وفي رواية عنه : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ : عملك فأصلح. وكذا قال أبو رزين، وقال في رواية أخرىٰ : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، أي : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا . وقال قتادة : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ ، أي : طهرها من المعاصي ، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث[٨] ولم يَفِ بعهد اللّه إنه لَمُدَنّس الثياب ، وإذا وفىٰ وأصلح إنه لمطهر الثياب . وقال عكرمة والضحاك: لا تلبسها على معصية.

وقال الشاعر:

إذا المرءُ لم يَدْنَس منَ اللُؤم عرْضُه فَكُلّ رداء يَرْتَديه جَميلُ

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ : لا تكُ ثيابك التي تلبس من مكسب[٩] غير طائب[١٠] ، ويقال : لا تلبس ثيابك علىٰ معصية . وقال محمد بن سيرين: ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ أي : اغسلها بالماء. وقال ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره اللّه أن يتطهر وأن يطهر ثيابه . وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع

---

[١] - في ز : عذرة .
[٢] - في ز ، خ : مسلمة .
[٣] - في ز ، خ : إني .
[٤] - في ز : عذرة .
[٥] - في خ : جرير .
[٦] - في ز ، خ : البردي .
[٧] - في خ : يغسل لبس ثيابه .
[٨] - في ز : سكت .
[٩] - في ز ، خ : مليسة .
[١٠] - في ز ، خ : طايل .

طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه ، كما قال امرؤ القيس

أفاطمَ مَهْلًا بَعْضَ[١] هذا التدللِ[٢] وإنْ كُنتِ قَدْ أَزْمَعْتِ[٣] هجري فَأَجْمِلي
وإنْ تَكُ[٤] قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي[٥] ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ

وقال سعيد بن جبير: ﴿**وثيابك فطهر**﴾: وقلبك ونيتك فطهر. وقال محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري : وخُلقك فحسّن .

وقوله: ﴿**والرجز فاهجر**﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**والرجز**﴾ وهو الأصنام، فاهجر. وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهري ، وابن[٦] زيد : إنها الأوثان . وقال إبراهيم والضحاك: ﴿**والرجز فاهجر**﴾ أي: اترك المعصية. وعلىٰ كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك ، كقوله : ﴿ **يا أيها النبي؛ اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾ .

﴿**وقال موسىٰ لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين**﴾ .

وقوله: ﴿**ولا تمنن تستكثر**﴾ قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس [أكثر منها][٧] . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وأبو الأحوص ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم . وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: ولا تمنن أن تستكثر.

وقال الحسن البصري : لا تمنن بعملك علىٰ ربك تستكثره . وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير . وقال خُصَيف عن مجاهد في قوله : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ ، قال : لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال : تمنن في كلام العرب : تضعف . وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة علىٰ الناس، تستكثرهم بها ، تأخذ عليه عوضًا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم.

وقوله : ﴿ **ولربك فاصبر** ﴾ ، أي : اجعل صبرك علىٰ أذاهم لوجه الله - عز وجل - قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي : اصبر علىٰ[٨] عطيتك لله تعالى .

وقوله : ﴿ **فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع

---

[١] - في ز ، خ : بعد .
[٢] - في ز : التذلل .
[٣] - في خ : أرمقت .
[٤] - في ز : بك .
[٥] - في خ : فتبلى .
[٦] - في ز ، خ : وأبو .
[٧] - في ز ، خ : المن معها .
[٨] - سقط من ز .

ابن أنس ، والسدي ، وابن زيد : ﴿ **الناقور** ﴾ : الصور . قال مجاهد : وهو كهيئة القرن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن مُطَرِّف ، عن عطية العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾ ، فقال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنىٰ جبهته ، ينتظر متىٰ يؤمر فينفخ ؟** » فقال أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : فما تأمرنا يا رسول اللَّه ؟ قال : « **قولوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ، علىٰ اللَّه توكلنا** » .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٧) عن أسباط به .

ورواه ابن جرير(٨) عن أبي كريب ، عن ابن فضيل[١] وأسباط ، كلاهما عن مطرف به .

ورواه من طريق أخرىٰ ، عن العوفي ، عن ابن عباس ، به .

وقوله : ﴿ **فذلك يومئذ يوم عسير** ﴾، أي : شديد ، ﴿ **علىٰ الكافرين : غير يسير** ﴾ ، أي : غير سهل عليهم . كما قال تعالىٰ : ﴿ **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ وقد روينا عن زُرَارة بن أوفىٰ قاضي البصرة ، أنه صلىٰ بهم الصبح ، فقرأ هذه السورة ، فلما وصل إلىٰ قوله : ﴿ **فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ : شَهِقَ شهقة ، ثم خر ميتًا رحمه اللَّه(٩) .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ

(٧) - المسند (١/٣٢٦) (٣٠١٠) . وأخرجه الطبري (٢٩/١٥٠ - ١٥١) . وقال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٣٤) : وفيه عطية وهو ضعيف .

(٨) - تفسير الطبري (٢٩/١٥١) .

(٩) - أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٧/١١٠) ، والحاكم (٢/٥٠٧) .

[١] - في ز : فضل .

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٧) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٨) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٢٩)﴾ (٣٠)

يقول تعالىٰ متوعدًا لهذا الخبيث الذي أنعم اللَّه عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم اللَّه، وبدلها كفرًا، وقابلها بالجحود بآيات اللَّه والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر، وقد عدد اللَّه عليه نعمه حيث قال: ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾، أي: خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه اللَّه ﴿ **مالًا ممدودًا** ﴾، أي: واسعًا كثيرًا. قيل: ألف دينار. وقيل: مائة ألف دينار. وقيل: أرضًا يستغلها. وقيل غير ذلك. وجعل له ﴿ **بنين شهودًا** ﴾، قال مجاهد: لا يغيبون. أي: حضورًا عنده لا يسافرون في التجارات، بل مَواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويَتَملَّىٰ بهم. وكانوا - فيما ذكره السدي، وأبو مالك، وعاصم بن عمر بن قتادة - ثلاثة عشر، وقال ابن عباس، ومجاهد: كانوا عشرة. وهذا أبلغ في النعمة [وهو إقامتهم عنده][١]. ﴿ **ومهدت له تمهيدًا** ﴾، أي: مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك، ﴿ **ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا** ﴾، أي: معاندًا، وهو: الكفر علىٰ نعمه بعد العلم. قال اللَّه: ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾، قال الإمام أحمد(١٠):

[حدثنا حسن][٢]، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: « **ويل: [وادٍ] في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره، والصَّعُود: جبل من نار يصعد[٣] فيه سبعين خريفًا، ثم يهوي به كذلك فيه أبدًا** ».

وقد رواه الترمذي عن عبد [بن حُمَيد][٤]، عن الحسن بن موسىٰ الأشيب، به. ثم قال: « **غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج** » كذا قال.

وقد رواه ابن جرير، عن يونس، عن[٥] عبد اللَّه بن وهب، عن عمرو[٦] بن الحارث، عن دَرّاج. وفيه غرابة ونكارة: وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن - المعروف بعلان المصرى[٧] - قال[٨]: حدثنا منجاب، أخبرنا شريك، عن عمار الدُّهنيّ[٩]،

(١٠) - المسند (٣/٧٥) (١١٧٢٩). والترمذي في كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة قعر جهنم، حديث (٢٥٧٩) (٧/٢٤٩). والطبري (٢٩/١٥٥).

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - في ز: فيصعد.
[٤] - في ز، خ: الرحمن.
[٥] - في ز: بن.
[٦] - في ز: عمر.
[٧] - في ز، خ: البصري.
[٨] - في ز: قالا.
[٩] - في ز، خ: الذهبي.

عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، قال : « **هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده[١] ، فإذا وضع يده ذابت ، وإذا[٢] رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت** » .

ورواه البزار(١١) وابن جرير من حديث شريك به. وقال قتادة عن ابن عباس : صعود : صخرة عظيمة يسحب عليها الكافر علىٰ وجهه . وقال السدي: صعود: صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها. وقال مجاهد : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، أي : مشقة من العذاب . وقال قتادة : عذابًا لا راحة فيه . واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ **إنه فكر وقدر** ﴾ ، أي : إنما أرهقناه صعودًا ، أي : قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان ، لأنه فكر وقدر ، أي : تَرَوّىٰ ماذا يقول في القرآن حين سُئل عن القرآن ، ففكر ماذا يختلق[٣] من المقال ، ﴿ **وقدر** ﴾ ، أي : تروىٰ ، ﴿ **فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر** ﴾ : دعاء عليه ، ﴿ **ثم نظر** ﴾ ، أي : أعاد النظر[٤] والتروي ، ﴿ **ثم عبس** ﴾ ، أي : قبض بين[٥] عينيه وقطب ﴿ **وبسر** ﴾ ، أي : كلح وكره ، ومنه قول توبة بن الحُمَير الشاعر :

وَقَد رَابَنىٰ منها صُدُودٌ رَأَيتُهُ وَإعرَاضُها عَن حاجَتي وبُسُوْرُهَا

وقوله : ﴿ **ثم أدبر واستكبر** ﴾ ، أي : صُرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرًا عن الانقياد للقرآن ، ﴿ **فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾ ، أي : هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن[٦] قبله ويحكيه عنهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ ، أي : ليس بكلام اللّٰه .

وهذا المذكور في هذا السياق هو : الوليد بن المغيرة المخزومي ، أحد رؤساء قريش - لعنه اللّٰه - وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي ، عن ابن عباس(١٢) قال : دخل الوليد بن المغيرة علىٰ أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج علىٰ قريش فقال : يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة ، فواللّٰه ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهَذْيٍ من الجنون ، وإن قوله لمن كلام

---

(١١) أخرجه الطبري (١٥٥/٢٩) . والطبراني في الأوسط (٣٦٦/٥) (٥٥٧٣) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٤/٧) : وفيه عطية وهو ضعيف .

(١٢) - أخرجه الحاكم (٥٠٦/٢ - ٥٠٧) . والبيهقي في الدلائل (١٩٨/٢ - ١٩٨) كلاهما من طريق عكرمة عن ابن عباس بنحو هذا الحديث . قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

---

[١] - في ز : يصعد .
[٢] - في ز : فإذا .
[٣] - في ز ، خ: يخلق .
[٤] - في ت : النظرة .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ز : عمن .

الله . فلما سمع بذلك النفرُ من قريش ائتمروا فقالوا : والله لئن صبا الوليد لتصْبُوَنَّ قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا والله أكفيكم شأنه . فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته فقال للوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال : ألستُ أكثرهم مالًا وولدًا ؟ ! فقال له أبو جهل : يتحدثون أنك إنما تدخل علىٰ ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد : أقد تحدث به عشيرتي ؟ ! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ، ولا عمر ، ولا ابن أبي كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر . فأنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لا تبقي ولا تذر** ﴾ .

وقال قتادة : زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلَىٰ ، وما أشك أنه سحر . فأنزل الله : ﴿ **فقتل كيف قدر** ...﴾ الآية ... ﴿ **ثم عبس وبسر** ﴾ : قبض ما بين عينيه وكلح .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عَبّاد[١] ابن منصور ، عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ، فأتاه فقال : أي عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا . قال : لِمَ؟ قال : يعطونكه ، فإنك أتيت محمدًا تتعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أني أكثرها مالًا . قال : فقل فيه قولًا يعلم قومك أنك منكر لما قال ، وأنك كاره له .قال : فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من ذلك ، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإنه ليحطم[٢] ما تحته ، وإنه ليعلو وما يُعْلَىٰ . قال : والله لا يرضى قومك حتىٰ تقول فيه . قال : فدعني حتىٰ أفكر فيه . فلما فكر قال : هذا سحر يأْثُره عن غيره . فنزلت : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ [ ][٣] حتى بلغ : ﴿ **تسعة عشر** ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوًا من هذا . وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم علىٰ قول يقولونه فيه ، قبل أن يقدم عليهم وفودُ العرب للحج ليصدّوهم عنه ، فقال قائلون : شاعر . وقال آخرون : ساحر . وقال آخرون : كاهن . وقال آخرون : مجنون . كما قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ ، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ، ونظر وعبس وبسر ، فقال : ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر** ﴾ ، قال الله عز وجل : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ ، أي : سأغمره فيها من جميع جهاته ، ثم قال : ﴿ **وما أدراك ما سقر** ﴾ وهذا

---

[١] - في ز : عبادة . [٢] - في ز : أعظم .
[٣] - في ت : قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدًا .

تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ **لا تبقي ولا تذر** ﴾، أي: تأكل لحومهم وعروقهم وعَصَبهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما.

وقوله: ﴿**لواحة للبشر**﴾، قال مجاهد: للجلد، وقال أبو[١] رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل. وقال زيد بن أسلم: تلوح أجسادهم عليها.

وقال قتادة: ﴿**لواحة للبشر**﴾، أي: حراقة للجلد. وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان.

وقوله: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾، أي: [من مقدّمي][٢] الزبانية، عَظِيم خَلْقهم، غليظ خلُقُهم.

وقد قال ابن أبي حاتم(١٣): حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرني [حارث عن][٣] عامر عن البراء في قوله: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾، قال: إن رهطا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم، فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾. فأخبر أصحابه وقال: «**ادعهم، أما إني سائلهم عن تُربَة الجنة إن أتوني، أما إنها دَرْمَكَة بيضاء**». فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية، ثم قال: «**أخبروني عن تربة الجنة**». فقالوا: أخبرهم يا بن سلام. فقال: كأنها خبْزَة بيضاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما إن الخبز إنما يكون من الدرمَك**».

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء، والمشهور عن جابر بن عبد الله، كما قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا مندة[٤]، حدثنا أحمد بن عَبدَة، أخبرنا سفيان ويحيىٰ بن حكيم، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا محمد؛ غُلِب أصحابك اليوم. فقال: «**بأي شيء**»؟ قال: سألتهم يَهودُ هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفغلب قوم سئلوا عما لا يدرون فقالوا: لا ندرى حتى نسأل نبينا؟ عليّ بأعداء الله؟ لكن سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة**». فأرسل إليهم فدعاهم

(١٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٤٦٢) من طريق ابن أبي زائدة بإسناد ابن أبي حاتم فذكر إلى قوله ...: ﴿ عليها تسعة عشر ﴾.

[١] - في ز: ابن.

[٢] - في ز، خ: يعد من.

[٣] - في ز: مرثب بن.

[٤] - في ز: مسندة.

قالوا: يا أبا القاسم، كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: «هكذا»، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه، مرتين، وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «إن سُئلتم عن تُربة الجنة فهي الدَّرمك». فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «الخبز من الدَّرمَك».

وهكذا رواه الترمذي(١٤) عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان، به. وقال هو والبزار: «لا نعرفه إلا من حديث مجالد».

وقد رواه الإمام أحمد(١٥)، عن علي بن المديني، عن سفيان، فقص الدرمك فقط.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًاۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

يقول تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾، أي: خُزَّانها ﴿إلا ملائكة﴾، أي: غلاظًا شدادًا. وذلك ردٌّ على مشركي قريش حين ذكر[١] عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش؛ أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟، فقال الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾، أي: شديدي الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون. وقد قيل: إن أبا الأشدين - واسمه: كَلَدة بن أسيد بن خلف - قال: يا معشر قريش؛ اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم[٢] سبعة عشر، إعجابًا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه. قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك.

(١٤) سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر، حديث (٣٣٢٤) (٩/٦٤ - ٦٥).
(١٥) المسند (٣/٣٦١) (١٤٩٢٧).

[١] - في خ: ذكروا.
[٢] - في خ: اكفيكم منهم.

فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارًا، فلم يؤمن. قال: وقد نَسَب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم[١] بن المطلب.

قلت: ولا منافاة بين ما ذكراه، والله أعلم.

﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾، أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارًا منّا للناس، **﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾**، أي: يعلمون أن هذا الرسول حق؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله.

﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾، أي: إلى إيمانهم، أي: بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم **﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾**، أي: من المنافقين **﴿والكافرون: ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾**؟ أي يقولون: ما الحكمة في ذكر هذا هاهنا؟ قال الله تعالى: **﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾**، أي: من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام، ويتزلزل عند[٢] آخرين، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

وقوله: **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**، أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلَالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين، ومن تابعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها، وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهمُوا صدر الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله: **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**.

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما(١٦)، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «**فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخرَ ما عليهم**».

وقال الإمام أحمد(١٧): حدثنا أسود، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون، أطَت السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَ، ما فيها موضع أربع[٣] أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، ولا تَلَذَّذتم بالنساء على**

---

(١٦) تقدم تخريج كل هذه الروايات في أول سورة الإسراء.

(١٧) المسند (١٧٣/٥). والترمذي في كتاب: الزهد، باب: في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم=

---

[١] - في ز، خ: هشام.

[٢] - في ز: عنه.

[٣] - سقط من ز.

الفُرشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله، عز وجل». فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تُعضَد.

ورواه الترمذي وابن ماجة، من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: «**حسن غريب، ويروى عن أبي ذر موقوفًا**».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٨): حدثنا خير [١] بن عرفة المصري، حدثنا عروة بن مروان الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر ابن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا: سبحانك! ما عبدناك حَقَّ عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئًا**».

وقال محمد بن نصر المروزي (١٩) في «كتاب الصلاة»: حدثنا عمرو بن زرارة، أخبرنا عبد الوهاب بن[٢] عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام؛ قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم: «**هل تسمعون ما أسمع؟**» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أسمع[٣] أطيط السماء، وما تلام أن تَئِط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد**».

وقال أيضًا(٢٠): حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاد[٤]، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، سمعت الضحاك بن مزاحم، يحدث عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم. وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾**».

= لضحكتم قليلًا». وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الحزن والبكاء، حديث (٤١٩٠) (١٤٠٢/٢). وأورده الألباني في الصحيحة (١٧٢٢)، وحسنه في صحيح سنن ابن ماجة دون قوله: «والله لوددت .. إلخ» فإنه مدرج.

(١٨) المعجم الكبير (١٨٤/٢) (١٧٥١). وقال الهيثمي (٥٧/١): وفيه عروة بن مروان.

(١٩) تعظيم قدر الصلاة، (٢٥٨/١ - ٢٥٩) (٢٥٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٠).

(٢٠) تعظيم قدر الصلاة (٢٦٠/١) (٢٥٣). وحسنه الألباني في المصدر السابق.

[١] - في ز، خ: حسين.

[٢] - في ز: عن.

[٣] - سقط من ز.

[٤] - في ز، خ: مهراء.

وهذا مرفوع غريب جدًّا، ثم رواه(٢١) عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضُّحىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود؛ أنه قال: إن من السماوات سماءً ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائمًا، ثم قرأ: **﴿وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾**.

ثم قال(٢٢): حدثنا أحمد بن سيار[١]: حدثنا أبو جعفر بن[٢] محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه، حدثنا المغيرة بن عمر[٣] بن عَطية من بني عمرو بن عوف، حدثني سليمان بن أيوب، عن[٤] سالم بن عوف، حدثني عطاء بن زيد[٥] بن مسعود من بني الحبلى[٦]، حدثني سليمان بن عمرو ابن الربيع، من بني سالم، حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد - وقد شهد الفتح وما بعده - أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم؛ قال يومًا لجلسائه: **«هل تسمعون ما أسمع؟»**: قالوا: وما تسمع يا رسول اللّٰه؟ قال: **«أطت السماء وحُقّ لها أن تَئط، إنه ليس فيها موضع قَدَم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد، وقال الملائكة: ﴿وإنّا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾»**. وهذا إسناد غريب جدًّا.

ثم قال(٢٣): [حدثنا محمد بن يحيى][٧] حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفَرَوي، حدثنا عبد الملك[٨] بن قدامة، عن عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن دينار، عن أبيه، عن عبد اللّٰه ابن عمر؛ أن عمر جاء والصلاة قائمة، ونفر ثلاثة[٩] جلوس، أحدهم أبو جحش الليثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول اللّٰه. فقام اثنان وأبَىٰ أبو جحش أن يقوم، وقال: لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين، وأشد مني بطشًا فيصرعني، ثم يَدس وجهي في التراب. قال عمر: فصرعتُه ودسستُ وجهه في التراب، فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضبًا، حتى انتهى إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم؛ فقال: **«ما رأيك يا أبا حفص؟»**. فذكر له ما كان منه، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: **«إن[١٠] [رضي عمر رحمه][١١]»** واللّٰه لوددتُ أنك جئتني برأس الخبيث، فقام عمر يُوَجّهُ نحوه، فلما أبعد ناداه

(٢١) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٠ - ٢٦١) (٢٥٤).
(٢٢) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦١) (٢٢٥).
(٢٣) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٢ - ٢٦٤) (٢٥٦).

[١] - في ز، خ تقرأ: بشار. لكنها بغير نقط.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في تعظيم قدر الصلاة: عثمان.
[٤] - في تعظيم قدر الصلاة: من سني.
[٥] - في تعظيم قدر الصلاة: يزيد.
[٦] - في ز، خ: الحكم.
[٧] - زيادة من كتاب تعظيم قدر الصلاة.
[٨] - في تعظيم قدر الصلاة: عبد اللّٰه.
[٩] - في خ: يليه.
[١٠] - في ز، خ: إني.
[١١] - بياض في ز.

فقال: «اجلس حتى أخبرك بغنى الرب -عز وجل- عن صلاة أبي جحش، إن لله في السماء الدنيا ملائكة خشوعًا[١]، لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة. فإذا قامت رفعوا رءوسهم، ثم قالوا: ربنا، ما عبدناك حق عبادتك، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجودًا[٢]، لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم، وقالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك». فقال له عمر: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت؛ فقلها يا عمر في صلاتك».

فقال عمر: يا رسول الله؛ فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال: «قل هذا مرة وهذا مرة».

وكان الذي أمره به أن يقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سَخَطك[٣]، وأعوذ بك منك، جل وجهك».

هذا حديث غريب جدًا، بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق الفَروى روى عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني. وقال أبو حاتم الرازي: «كان صدوقًا إلا أنه ذهب بصره، فربما لقن[٤] وكتبه صحيحة». وقال مرة: هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي: تكلم فيه أيضًا.

والعجب من الإمام محمد بن نصر، كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عَرّف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله؟! غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه. ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلًا(٢٤)، قريبًا منه، ثم قال محمد بن نصر(٢٥):

حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ[٥] أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور، قال: سمعت عدي بن أرطاة، وهو يخطبنا على منبر المدائن؛ قال: سمعت رجلًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «إن لله تعالى ملائكة تَرعدُ فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم

(٢٤) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٣ - ٢٦٥) (٢٥٧).
(٢٥) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٦ - ٢٦٧) (٢٥٨).

[١] - في ز: خشوع.
[٢] - في ز: سجود.
[٣] - في ت: سخطتك.
[٤] - بياض في ز.
[٥] - في ز: مهراد.

القيامة. وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله - عز وجل - قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك». وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله: ﴿**وما هي إلا ذكرى للبشر**﴾، قال مجاهد وغير واحد: ﴿**وما هي**﴾، أي: النار التي وصفت، ﴿**إلا ذكرى للبشر**﴾.

ثم قال: ﴿**كلا والقمر* والليل إذ أدبر**﴾، أي: ولى، ﴿**والصبح إذا أسفر**﴾، أي: أشرق، ﴿**إنها لإحدى الكبر**﴾، أي: العظائم، يعني النار. قاله ابن عباس، ومجاهد. وقتادة، والضحاك، وغير واحد من السلف: ﴿**نذيرًا للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**﴾، أي: لمن شاء أن يقبل النّذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ
نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ
﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ
مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ
ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾
كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ
هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبرًا أن ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾، أي: معتقلة بعملها يوم القيامة. قاله ابن عباس وغيره ﴿**إلا أصحاب اليمين**﴾ فإنهم في جنات يتساءلون عن المجرمين، أي: يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿**ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين**﴾، أي: ما عبدنا ربنا ولا أحسنّا إلى خلقه من جنسنا، ﴿**وكنا نخوض مع الخائضين**﴾، أي: نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: كلما غوى غاو[١] غوينا معه، ﴿**وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين**﴾، يعني الموت. كقوله:

---

[١] - في ز: عاد

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما هو -يعني عثمان بن مظعون- فقد جاءه اليقين من ربه**»(٢٦).

قال الله تعالى: **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾**، أي: من كان متصفًا بهذه الصفات، فإنه لا تنفعه[١] يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلًا، فأم من وافى الله كافرًا يوم القيامة، فإنه[٢] له النار لا محالة، خالدًا فيها.

ثم قال تعالى: **﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾** [أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلَك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين][٣] **﴿كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة﴾**، أي: كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حُمُر من حمر الوحش، إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد. قاله أبو هريرة، وابن عباس- في رواية عنه- وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. أو: رام، وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول الجمهور.

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران[٤]، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحبشية قسورة، وبالفارسية شير[٥]، وبالنبطية أويا.

وقوله: **﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفًا منشرة﴾**، أي: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتابًا[٦] كما أنزل على النبي.

قاله مجاهد وغيره، كقوله: **﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته[٧]﴾**. وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل.

فقوله **﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾**، أي: إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقوعها. ثم قال تعالى: **﴿كلا إنه تذكرة﴾**، أي: حقًّا إن القرآن تذكرة **﴿فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ كقوله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾**.

وقوله: **﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾**، أي: هو أهل أن يُخاف منه، وهو أهل أن يَغفر ذنب من تاب إليه وأناب. قاله قتادة.

---

(٢٦) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٧ - ٢٦٨) (٢٦٠).

---

[١] - في ز: ينفعه.
[٢] - في ز: فإن.
[٣] - سقط من ز، خ.
[٤] - في ز، خ: ماهك.
[٥] - في ز، خ: سار.
[٦] - في ز: كتاب.
[٧] - في ز: رسالاته.

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا زيد بن الحباب، أخبرنى سهيل أخو حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك؛ قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿**هو أهل التقوى وأهل المغفرة**﴾، وقال: «**قال ربكم: أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا كان أهلًا أن أغفر له**».

ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافى بن عمران، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القُطَعي به.

وقال الترمذي: حسن غريب، وسهيل ليس بالقوى. ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هُدَبَة بن خالد، عن سُهَيل، به. وهكذا رواه أبو يعلى والبزّار والبَغَوي، وغيرهم، من حديث سُهَيل القُطَعي، به.

[آخر تفسير سورة المدثر، ولله الحمد والمنة][١]

☆ ☆ ☆

(٢٧) أخرجه أحمد (٣/١٤٢) (١٢٤٦٤). والترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر، حديث (٣٣٢٥) (٩/٦٥ - ٦٦). وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث (٤٢٩٩) (٢/١٤٣٧). والنسائي في الكبرى في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾، حديث (١١٦٣٠) (٦/٥٠١). وأبو يعلى (٦/٦٦) (٣٣١٧). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. سهيل ليس بالقوى في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت. اهـ.

[١] - سقط من ز.

تفسير سورة القيامة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه متى كان منتفيًا، جاز الإتيان بـ «لا» قبل القسم لتأكيد النفي. والمقسوم عليه هاهنا هو إثبات المعاد، والردّ على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بَعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: **﴿لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾** قال الحسن: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة. وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعًا. هكذا حكاه ابن أبي حاتم. وقد حكى ابن جرير، عن الحسن والأعرج أنهما قرأا: **﴿لأقسم﴾** [١] وهذا يوجه قول الحسن؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة، ونفى القسم بالنفس اللوامة. والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا، كما قاله قتادة، رحمه الله، وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره ابن جرير. فأما يوم القيامة فمعروف، وأما النفس اللوامة؛ فقال قرة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن - والله - ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدُمًا قُدُمًا ما يعاتب نفسه.

وقال جويبر: بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله: **﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾**، قال: ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم، عن إسرائيل، عن سماك؛ أنه سأل عكرمة عن قوله: **﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾**، قال: يلوم على الخير

---

[١] - في حاشية ز، وحاشية خ: «لعله: (ولأُقسِمَ بالنفس) على أحد الوجهين عن ابن كثير.

والشر: لو فعلت كذا وكذا.

ورواه ابن جرير(١)، عن أبي كُرَيب، عن وكيع عن إسرائيل به.

وقال ابن جرير(٢): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير في: ﴿**ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾، قال: تلوم على الخير والشر.

ثم رواه من وجه آخر(٣) عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك؛ فقال: هي النفس اللئوم.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**اللوامة**﴾: المذمومة[١]. وقال قتادة: ﴿**اللوامة**﴾: الفاجرة.

قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

وقوله: ﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**﴾، أي: يوم القيامة، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿**بلى قادرين على أن نسوي بنانه**﴾ - قال سعيد ابن جُبَير والعَوفي، عن ابن عباس: أن نجعله خفًّا أوحافرًا[٢].

وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن جرير. ووجَّهه ابنُ جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا.

والظاهر من الآية أن قوله ﴿**قادرين**﴾ حال من قوله: ﴿**نجمع**﴾، أي: أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نُسَوِّي بنانه، أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بنانه - وهي أطراف أصابعه - مستوية. وهذا معنى قول ابن قتيبة، والزجاج.

وقوله: ﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**﴾ - قال سعيد، عن ابن عباس: يعنى يمضي قُدُمًا.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿**ليفجر أمامه**﴾ يعنى الأمل[٣]، يقول الإنسان. أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة.

---

(٢) تفسير الطبري (١٧٤/٢٩).

(٣) تفسير الطبري في الموضع السابق.

---

[١] - في ز: مذمومة.

[٢] - في ز: حايفًا.

[٣] - في ز: الإبل.

وقال مجاهد: ﴿ليفجر أمامه﴾: يمضي أمامه راكبًا رأسه. وقال الحسن: لا يلقى[١] ابنُ آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُمًا قُدُمًا، إلا من عصمه الله.

وروي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وغير واحد من السلف: هو الذي يُعجِّل الذنوبَ ويُسوِّف التوبة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو الكافر يكذِّب بيوم الحساب.

وكذا قال ابن زيد، وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾، أي: يقول متى يكون يوم القيامة؟ وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾.

وقال تعالى هاهنا: ﴿فإذا برق البصر﴾ - قال أبو عمرو بن العلاء: (بَرِق) - بكسر الراء - أي: حار. وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى: ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء، من شدة الرعب.

وقرأ آخرون: (بَرَق) بالفتح، وهو قريب في المعنى من الأول. والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة، وتخشعُ وتحار وتذل من شدّة الأهوال، ومن عِظم ما يشاهده يوم القيامة من الأمور.

وقوله: ﴿وخَسَف القمر﴾، أي: ذهب ضوؤه، ﴿وجمع الشمس والقمر﴾. قال مجاهد: كُورا. وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية: ﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت﴾. وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: (وجُمع بين الشمس والقمر).

وقوله: ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾، أي: إذا عاين ابنُ آدمَ هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ [يريد أن][٢] يفر ويقول: أين المفر؟ أي: هل من ملجأ أو موئل؟ قال الله تعالى: ﴿كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر﴾.

قال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وغير واحد من السلف: أي لا نجاة.

وهذه كقوله: ﴿ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير﴾، أي: ليس لكم مكان تتنكرون[٣] فيه، [وكذا قال هاهنا: ﴿لا وَزَر﴾، أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه][٤]

---

[١] - في ز: لا يكف. وفي خ: لا يكفي.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - في ز، خ: تعتصمون،
[٤] - سقط من ز، خ.

ولهذا قال: ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾، أي: المرجع والمصير.

ثم قال تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾، أي: يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، [صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا﴾][١].

وهكذا قال هاهنا: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره﴾، أي: هو شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾، يقول: سمعهُ وبصرهُ [ويداه ورجلاه][٢] وجوارحُه. وقال قتادة: شاهد على نفسه. وفي رواية قال: إذا شئت والله رأيته بصيرًا بعيوب الناس وذنوبهم، غافلًا عن ذنوبه[٣]، وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوبًا: يا بن آدم، تُبصر القَذَاة في عين أخيك، وتترك الجِذْل[٤] في عينك لا تبصره.

وقال مجاهد: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾: ولو جادل عنها فهو بصير عليها. وقال قتادة: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾: ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه. وقال السدي: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾: حجته. وكذا قال ابن[٥] زيد، والحسن البصري، وغيرهم. واختاره ابن جرير.

وقال قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾، يقول: لو ألقى ثيابه[٦].

وقال الضحاك: ولو أرخى ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر: المعذار[٧].

والصحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾، وكقوله: ﴿يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾، هي: الاعتذار، ألم تسمع أنه قال: ﴿لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾، وقال: ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾، ﴿[فألقوا السلم][٨] ما كنا نعمل من سوء﴾ وقولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾.

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ز، خ: ويديه ورجليه.
[٣] - في ز: ذنبه.
[٤] - في ز: الجدح. وفي خ: الجذع.
[٥] - في ز: أبو.
[٦] - في ز: بهتانه.
[٧] - في ز: العذار.
[٨] - سقط من خ.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

هذا تعليم من الله -عز وجل- لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق[١] المَلَكَ في قراءته، فأمره الله -عز وجل- إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذى ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه.

فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه.

ولهذا قال: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجلَ به﴾**، أي: بالقرآن، كما قال: **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علمًا﴾**.

ثم قال: **﴿إن علينا جمعه﴾**، أي: في صدرك، **﴿وقرآنه﴾**، أي: أن[٢] تقرأه، **﴿فإذا قرأناه﴾**، أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل **﴿فاتبع قرآنه﴾**، أي: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك، **﴿ثم إن علينا بيانه﴾**، أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

وقال الإمام أحمد(٤): حدثنا عبد الرحمن، عن أبي عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، فكان[٣] يحرك شفتيه، قال: فقال لي ابن عباس: أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه.

وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه، فأنزل الله عز وجل: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾**، قال: جمعه في صدرك، ثم تقرؤه، **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾**: فاستمع[٤] له وأنصت، **﴿ثم إن علينا بيانه﴾**. فكان بعد ذلك

(٤) المسند (١/٣٤٣) (٣١٩١).

---

[١] - في ز: ويسارق. وفي خ: ويساوق.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: وكان.
[٤] - في ز: فاسمع.

إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه.

وقد رواه البخاري ومسلم(٥)، من غير وجه، عن موسى بن أبي عائشة به.

ولفظ البخاري: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده[١] الله عز وجل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عُرف في تحريكه شفتيه، يتلقى أوله ويحرك شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، فأنزل الله: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾.

وهكذا قال الشعبي، والحسن البصري، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد: إن هذه الآية نزلت في ذلك.

وقد روى ابن جرير(٦) من طريق العوَفي، عن ابن عباس: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾، قال: كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه، فقال الله: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا**﴾ [أن نجمعه لك][٢] ﴿**وقرآنه**﴾، أن نقرئك فلا تنسى.

وقال ابن عباس وعطية العوفي: ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾: تبين[٣] حلاله وحرامه. وكذا قال قتادة.

وقوله: ﴿**كلا بل تحبون[٤] العاجلة * وتذرون[٥] الآخرة**﴾، أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله -عز وجل- على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم- أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة**﴾، من النضارة، أي: حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة،

---

(٥) - صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحى، باب: (٤)، حديث (٥) (٢٩/١). وأطرافه في [٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤]. ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة، حديث (١٤٧، ١٤٨/٤٤٨).

(٦) تفسير الطبري (١٨٨/٢٩).

---

[١] - في ز: وعد.

[٢] - في ز، خ: جمعه.

[٣] - سقط من ز.

[٤] - في ز: يحبون.

[٥] - في ز: ويذرون.

﴿إلى ربها ناظرة﴾، أي: تراه عيانًا، كما رواه البخاري(٧) رحمه الله في صحيحه: «**إنكم سترون ربكم عيانًا**».

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله -عز وجل- في الدار الآخرة في[١] الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة - وهما في الصحيحين(٨) -: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم تَرَون ربكم كذلك**». وفي الصحيحين(٩) عن جرير قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر؛ فقال: «**إنكم تَرَون ربكم كما تَرَون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا**».

وفي الصحيحين(١٠) عن أبي موسى؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وفي أفراد مسلم(١١)، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنة الجنة؛ قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة**». ثم تلا هذه الآية: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**.

---

(٧) صحيح البخاري كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، حديث (٧٤٣٥) (٤١٩/١٣).

(٨) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، حديث (٧٤٣٧، ٧٤٣٨) (٤١٩/١٣ - ٤٢٠). ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث (١٨٢/٢٩٩) (٢٢/٣ - ٣١).

(٩) أخرجه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، حديث (٥٥٤) (٣٣/٢). وأطرافه في [٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٣٤٣، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦]. ومسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث (٢١١، ٦٣٣/٢١٢) (١٨٧/٥ - ١٨٨).

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد في الموضع السابق، حديث (٧٤٤٤) (٤٢٣/١٣). وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم - سبحانه وتعالى - حديث (٢٩٦/ ١٨٠).

(١١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم - سبحانه وتعالى - حديث (٢٩٧، ١٨١/٢٩٨) (٢١/٣ - ٢٢).

---

[١] - سقط من ز.

وفي أفراد مسلم(١٢) ، عن جابر في حديثه: «**إن الله يَتَجلّى للمؤمنين يضحك**» يعني في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم -عز وجل- في العرصات، وفي روضات الجنات.

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن أبجر، حدثنا [ثُوير][١] بن أبي [فاختة][٢] ، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين**».

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير قال: «**سمعت ابن عمر ...**». فذكره، قال: «**رواه عبد الملك بن أبجر، عن ثُوَير، عن مجاهد، عن ابن عمر، قوله**». وكذلك رواه الثوري، عن ثُوَير، عن مجاهد، عن ابن عمر، ولم يرفعه. ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقًا في مواضعَ من[٣] هذا التفسير، وبالله التوفيق.

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام.

ومن تأول[٤] ذلك بأن المراد: (إلى[٥]) مفرد الآلاء، وهي النعم، كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾، فقال: تنتظر الثواب من ربها.

رواه ابن جرير(١٤) من غير وجه عن مجاهد.

وكذا قال أبو صالح أيضًا فقد[٦] أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه. وأين هو من قوله تعالى: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ ؟ قال الشافعي؛ رحمه الله: ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلِم أن الأبرار يرونه، عز وجل. ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾. قال

(١٢) صحيح مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث (٣١٤/١٩٠) (٣/٥٧ - ٥٨).

(١٣) المسند (١٣/٢) (٤٦٢٣). والترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة القيامة، حديث (٣٣٢٧) (٦٧/٩) وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(١٤) تفسير الطبري (١٩٢/٢٩).

[١] - في ز، خ: يزيد.

[٢] - في خ: باحتة. وفي ز لا نقط.

[٣] - في ز: في.

[٤] - في ز: تأمل.

[٥] - في ز: بإلى.

[٦] - في ز: وقد.

ابن جرير(١٥) : حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك، عن الحسن: «﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾، قال: حسنة، ﴿إلى ربها ناظرة﴾، قال: تنظر إلى الخالق، وحُق[١] لها أن تَنضُر وهي تنظر إلى الخالق.

وقوله: ﴿ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يفعل بها فاقرة﴾: هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة* قال قتادة: كالحة. وقال السدى: تغير ألوانها. وقال ابن زيد ﴿باسرة﴾، أي: عابسة.

﴿تظن﴾، أي: تستيقن ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾، قال مجاهد: داهية[٢]. وقال قتادة: شر. وقال السدي: تستيقن أنها هالكة. وقال ابن زيد: تظن أن ستدخل النار. وهذا المقام كقوله: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾. وكقوله: ﴿وجوه يومئذ مسفرة* ضاحكة مستبشرة* ووجوه يومئذ عليها غبرة* ترهقها قترة* أولئك هم الكفرة الفجرة﴾. وكقوله: ﴿وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارًا حامية﴾ إلى قوله: ﴿وجوه[٣] يومئذ ناعمة* لسعيها راضية* في جنة عالية﴾، في أشباه ذلك من الآيات والسياقات.

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال - ثبتنا الله هناك بالقول الثابت - فقال تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾، إن جعلنا ﴿كلا﴾ رادعة فمعناها: لست يا بن آدم تكذب هناك بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عيانًا. وإن جعلناها بمعنى (حقًا) فظاهر، أي: حقًا إذا بلغت التراقي، أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك. والتراقي: جمع

(١٥) تفسير الطبري (١٩٢/٢٩).

[١] - في ز، خ: وعن.
[٢] - في خ: ذاهبة.
[٣] - في ز: ووجوه.

ترقوة، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، كقوله: ﴿**فلولا**[١] **إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾.

وهكذا قال هاهنا: ﴿**كلا إذا بلغت التراقي**﴾، ونذكر هاهنا حديث بُسْر بن جِحَاش[٢](١٦) الذي تقدم في سورة «يس». والتراقى: جمع ترقوة، وهي قريبة من الحلقوم.

﴿**وقيل من راق؟**﴾ قال: عكرمة، عن ابن عباس: أى مَن راق يرقي؟ وكذا قال أبو قلابة ﴿**وقيل من راق**﴾، أي: من طبيب شاف. وكذا قال قتادة، والضحاك، وابن زيد.

وقال ابن أبي حاتم(١٧): حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس: ﴿**وقيل: من راق**﴾، قال: قيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة.

وبهذا الإسناد(١٨)، عن ابن عباس في قوله: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾، [قال: التفت عليه الدنيا والآخرة.

وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾،][٣] يقول: آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحم الله.

وقال عكرمة: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾. الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهد: بلاء ببلاء. وقال الحسن البصري في قوله: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾: هما ساقاك إذا التفتا. وفي رواية عنه: ماتت[٤] رجلاه فلم تحملاه، وقد كان عليهما جوالًا. وكذا قال السدي، عن أبي مالك. وفي رواية عن الحسن: هو لفهما في الكفن. وقال الضحاك: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾، اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

وقوله: ﴿**إلى ربك يومئذ المساق**﴾، أي: المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله -عز وجل-: ردّوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. كما ورد في حديث البراء الطويل.

---

(١٦) تقدم في سورة يس، آية: (٧٧)، وفي سورة النحل، آية: (٤) أن النبي ﷺ بصق يومًا في كفه فوضع عليه أصبعه، ثم قال ﷺ - « قال الله تعالى: بنى آدم تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ... الحديث.

(١٧) أخرجه الطبري (١٩٥/٢٩) من طريق عمرو بن مالك به نحوه.

(١٨) أخرجه الطبري من طريق عمرو بن مالك (١٩٥/٢٩).

---

[١] - في ز: كلا.

[٢] - في ز، خ: حجاج.

[٣] - سقط من ز.

[٤] - في ز: ما ثبت.

وقد قال اللّه تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده * ويرسل عليكم حفظة * حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى اللّه مولاهم الحق * ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾.

وقوله: ﴿فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى﴾: هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبًا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنًا ولاظاهرًا؛ ولهذا قال: ﴿فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى؛ ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾، أي: جَذلًا أشرًا بَطِرًا كسلانًا، لا همة له ولا عمل، كما قال: ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين[١]﴾.

وقال: ﴿إنه كان في أهله مسرورًا * إنه ظن أن لن يحور﴾، أي: يرجع، ﴿بلى إن ربه كان به بصيرًا﴾. وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾: يختال. وقال قتادة، وزيد ابن أسلم: يتبختر.

قال اللّه تعالى: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾. وهذا تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيته، أي: يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد.

كقوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾. وكقوله: ﴿كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون﴾. وكقوله: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾. وكقوله: ﴿واعملوا[٢] ما شئتم﴾. إلى غير ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم(١٩): حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن - يعني: ابن مهدي، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة؛ قال: سألت سعيد بن جبير، قلت: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾؟ قال: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم لأبي جهل، ثم نزل به القرآن.

وقال أبو عبد الرحمن النسائي(٢٠): حدثنا [يعقوب بن إبراهيم][٣]، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة (ح) وحدثنا أبو داود: حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا أبو عوانة، عن

---

(١٩) أخرجه الطبري (٢٩/٢٠٠) من طريق موسى بن أبي عائشة بنحوه.

(٢٠) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، حديث (١١٦٣٨) (٦/٥٠٤).

---

[١] - في ز: فاكهين.

[٢] - في ز: اعملوا.

[٣] - عند النسائي: إبراهيم بن يعقوب.

موسى ابن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير؛ قال: قلت لابن عباس: ﴿أولىٰ لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾؟ قال: قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزله الله عز وجل.

قال ابن أبي حاتم(٢١): وحدثنا أبي، حدثنا، هشام بن خالد، حدثنا شعيب بن إسحاق، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾، وعيد على إثر وعيد، كما تسمعون [ ][١]، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبيّ الله بمجامع ثيابه، ثم قال: ﴿أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى﴾. فقال عدو الله أبو [٢]جهل: أتوعدني يا[٣] محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئًا، وإني لأعز من مشى بين جبليها.

وقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾، قال السدي: يعنى لا يبعث.

وقال مجاهد، والشافعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهى.

والظاهر أن الآية تعم الحالين، [أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى][٤]، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في دار الآخرة.

والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد؛ ولهذا قال مستدلًا على الإعادة بالبداءة فقال: ﴿ألم يك نطفة من مني يمنى﴾؟ أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، يمنى يراق من الأصلاب في الأرحام. ﴿ثم كان علقة فخلق فسوى﴾، أي: فصار علقة، ثم مضغة،ثم شُكّل ونفخ فيه الروح، فصار خلقًا آخر سَويًّا سليم الأعضاء، ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره؛ ولهذا قال: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾.

ثم قال: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾، أي: أما هذا الذي أنشا هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟ وتناولُ القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة، وإما مساوية على القولين في قوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه﴾. والأول أشهر كما تقدم في «سورة الروم» بيانه وتقريره، والله اعلم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن[٥] الصباح، حدثنا شبابة، عن شعبة، عن

(٢١) ذكره السيوطي بنحوه في الدر المنثور (٤٧٨/٦) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة به.

[١] - في خ: وتزعمون.
[٢] - في ز: أبا.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - سقط من خ.
[٥] - بياض في ز، خ.

موسى بن أبي عائشة، عن آخر: أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ: **﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾** قال؛ سبحانك اللهم؛ فبلى[١]. فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك.

وقال أبو داود رحمه الله(٢٢): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: **﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾**. قال: سبحانك، فبلى. فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تفرد به أبو داود، ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك.

وقال أبو داود (٢٣) أيضًا: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، حدثني إسماعيل ابن أمية: سمعت أعرابيًا يقول: سمعت أبا هُرَيرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين؟﴾** فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: **﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾** فانتهى إلى: **﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾** فليقل: بلى. ومن قرأ: **﴿والمرسلات﴾** فبلغ: **﴿فبأي حديث بعده يؤمنون؟﴾** فليقل: آمنا بالله».

ورواه أحمد، عن سفيان بن عيينة.

ورواه الترمذي عن ابن أبي[٢] عمر، عن سفيان بن عيينة.

وقد رواه شعبة، عن إسماعيل بن أمية؛ قال: قلت له: من حدثك؟ قال رجل صدق، عن أبي هريرة.

وقال ابن جرير(٢٤): حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾**؟: ذُكِرَ لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال: «**سبحانك، وبلى[٣]**».

---

(٢٢) سنن أبي داود في كتاب: الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، حديث (٨٨٤) (١/٢٣٣ - ٢٣٤). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٦).

(٢٣) سنن أبي داود في كتاب: الصلاة، باب: مقدار الركوع والسجود، حديث (٨٨٧) (١/٢٣٤). والمسند (٢/٢٤٩) (٧٣٨٥). وسنن الترمذي في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التين، حديث (٣٣٤٤) (٩/٧٧ - ٧٨). وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٨٨).

(٢٤) تفسير الطبري (٢٩/٢٠١).

---

[١] - في ز، خ: فبكى.

[٢] - سقط من ز، خ.

[٣] - سقط من خ.

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري[١] ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ أنه مرَّ بهذه الآية : ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟** ﴾ ، قال : سبحانك ، فبلى[٢] .

[آخر تفسير سورة القيامة ، ولله الحمد والمنة]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : الزهري .

[٢] - في خ : فبكى .

تفسير سورة الإنسان

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم(١) ، عن ابن عباس- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يومَ الجمعة ﴿**الم. تنزيل**﴾ السجدة ، و ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ .

وقال عبد الله بن وهب ، أخبرنا ابن زيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة : ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**﴾ ، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان ، زفر زفرة فخرجت نفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أخرج نفس صاحبكم- أو قال : أخيكم- الشوقُ إلى الجنة**» . مرسل غريب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر ، لحقارته ، وضعفه ، فقال : ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا**﴾ .

ثم بين ذلك فقال : ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**﴾ ، أي : أخلاط . والمشج والمشيج :الشيء الخَليط ، بعضه في بعض .

قال ابن عباس في قوله : ﴿**من نطفة أمشاج**﴾ ، يعنى : ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعدُ من طور إلى طور ، وحال إلى حال ، ولون إلى لون . وهكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

وقوله : ﴿**نبتليه**﴾ ، أي : نختبره ، كقوله : ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ . ﴿**فجعلناه سميعًا بصيرًا**﴾ ، أي : جعلنا له سمعًا وبصرًا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله : ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾ ، أي : بيناه له ووضحناه وبصرناه به ، كقوله : ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ . وكقوله : ﴿**وهديناه النجدين**﴾ ، أي : بينا له طريق الخير وطريق الشر . وهذا قول عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، ومجاهد - في المشهور عنه -

---

(١) تقدم تخريجه في أول سورة السجدة .

والجمهور.

ورُوى عن مجاهد، وأبي صالح، والضحاك، والسدي أنهم قالوا في قوله: ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾: يعني خروجه من الرحم. وهذا قول غريب، والصحيح المشهور الأول.

وقوله: ﴿**إما شاكرًا وإما كفورا**﴾ منصوب على الحال من «الهاء» في قوله: ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾: تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم[٢]، عن أبي مالك الأشعري؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فموبقها أو معتقها**». وتقدم في «سورة الروم»، عند قوله: ﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها**﴾ من رواية جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه [فإذا أعرب عنه لسانه]**[١]، **فإما شاكرًا وإما كفورًا**»[٣].

وقال الإمام أحمد[٤]: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هُرَيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: رايةٌ بيد مَلَك، وراية بيد شَيطان، فإن خرج لما يُحِبّ الله اتبعَه الملَك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته. وإن خرج لما يُسخِط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان، حتى يرجع إلى بيته**».

وقال الإمام أحمد[٥]: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن خُثَيم، عن عبد الرحمن ابن سابط، عن جابر بن عبد الله؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عُجْرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «**أمراء يكونون من بعدي، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، فمن صَدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يَرِدُون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعِنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون على حوضي، يا كعب بن عُجرة: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قُربان- أو قال: برهان. يا كعب بن عُجرةَ: إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب: الناس غَاديان، فمبتاعٌ**[٢] **نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها**».

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، حديث (٢٢٣/١) (١٢٥/٣ - ١٢٦).
(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية: ٣٠.
(٤) المسند (٨٢٦٩)، وصححه أحمد شاكر.
(٥) المسند (٣٢١/٣) (١٤٤٨٣).

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ز: فبائع.

ورواه عن عفّان (٦) ، عن وُهَيب ، عن عبد الله بن عثمان بنُ خثَيم به .

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خَلقه به من السلاسل والأغلال والسعير، وهو اللّهيب والحريق في نار جهنم، كما قال: ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يُسجرون** ﴾ .

ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا** ﴾ ، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة .

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل؛ ولهذا قال: ﴿ **عينا يشرب بها عباد الله، يفجّرونها تفجيرًا** ﴾ ، أي: هذا الذي مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صِرفًا بلا مزج ويُرْوَونَ[١] بها؛ ولهذا[٢] ضمن يشرَب «**يروى**» حتى عداه بالباء، ونصب ﴿ **عينا** ﴾ على التمييز .

قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور. وقال بعضهم: هو من عين كافور. وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوبًا بـ ﴿ **يشرب** ﴾ . حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير .

وقوله: ﴿ **يفجرونها تفجيرًا** ﴾ ، أي[٣]: يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم. والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى: ﴿ **وقالوا لن**

(٦) المسند (٣٩٩/٣) (١٥٣٢٤) .

[١] - في ز : ويسون . [٢] - في ز : هذا .
[٣] - سقط من ز .

نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا ﴾. وقال: ﴿ وفجرنا خلالهما[١] نهرًا ﴾. قال مجاهد: ﴿ يفجرونها تفجيرًا ﴾ يقودونها حيث شاءوا. وكذا قال عكرمة، وقتادة: وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا.

وقوله: ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرا ﴾، أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

قال الإمام مالك(٧)، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يَعصِه». رواه البخاري، من حديث مالك.

ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رَحِمَ الله.

قال ابن عباس: فاشيًا. وقال قتادة: استطار -والله- شرّ ذلك اليوم حتى مَلأَ السماوات والأرض. قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصَدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

فَبَانَتْ [٢] وَقَد أسْأرت في الفُؤا د صَدْعًا على نَأيها مُستَطيرًا

يعني: ممتدًّا فاشيًا.

وقوله: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾، قيل: على حب الله تعالى. وجعلوا الضمير عائدًا إلى الله -عز وجل- لدلالة السياق[٣] عليه. والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له. قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، [كقوله تعالى: ﴿ وآتى المال على حبه ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾.][٤]

وروى البيهقي(٨)، من طريق الأعمش، عن نافع؛ قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبًا أول ما

(٧) «الموطأ» كتاب: النذور والأيمان، باب: ما لا يجوز من النذور في معصية الله، حديث (٨) (١/ ٣٧٩). والبخاري في كتاب: الأيمان والنذر، باب: النذر في الطاعة، حديث (٦٦٩٦) (١١/٥٨١). وطرفه في [٦٧٠٠].

(٨) أخرجه البيهقي في السنن (٤/١٨٥) كتاب الزكاة، باب: ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ويؤثرون =

[١] - في ز: خلالها. [٢] - في ز: فباتت.

[٣] - في ز: الضمير.

[٤] - هذه العبارة مكانها في ز، خ بعد الفقرة القادمة.

جاء العنب فأرسلت صفية - يعني امرأته - فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتبع الرسولَ السائل[١]، فلما دخل به قال[٢] السائل: السائل. فقال ابن عمر أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودًا فاتبع الرسول السائلُ: فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: واللَّه إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيرًا أبدًا. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به.

وفي الصحيح(٩): «**أفضل الصدقة أن تَصَدّقَ وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر**»، أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى: «**ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا**» أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما. وأما الأسير فقال سعيد بن جبير، والحسن، والضحاك: الأسير: من أهل القبلة.

وقال ابن عباس(١٠): كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهد لهذا أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة.

وقد وصى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول: «**الصلاةَ وما ملكت أيمانكم**»(١١).

وقال عكرمة: هم العبيد - واختاره ابن جرير - لعموم الآية للمسلم والمشرك.

وقال مجاهد: هو المحبوس. أي: يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه، قائلين بلسان الحال: ﴿**إنما نطعمكم لوجه اللَّه**﴾، أي: رجاءَ ثواب اللَّه ورضاه، ﴿**لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا**﴾، أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا[٣] عند الناس.

= على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح، حديث (١٤١٩) (٣/ ٢٨٤ - ٢٨٥). ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، حديث (٩٢،٩٣/١٠٣٢) (١٧٣/٧ - ١٧٤). كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - به.

(١٠) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٣/٢٢) (٩٧٧) والصغير (١٤٦/١) من حديث أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير فذكر قصة في معنى ذلك. قال الهيثمي في «المجمع» (٨٩/٦): رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

(١١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحاقة، آية: (٣٤) برقم (٢٠).

---

[١] - في ز، خ: سائل.
[٢] - في ز: فقال.
[٣] - في ز: تشكروا منا.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب.

﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾، أي: إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطرير. قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿عبوسًا﴾: ضيقًا، ﴿قمطريرًا﴾: طويلًا. وقال عكرمة وغيره، عنه، في قوله: ﴿يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾، أي[١]: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عَرَق مثل القَطِرَان.

وقال مجاهد: ﴿عبوسًا﴾، العابس الشفتين ﴿قمطريرًا﴾، قال: تقبيض الوجه بالبُسُور.

وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قمطريرًا﴾: تقليص الجبين وما بين العينين، من الهول.

وقال ابن زيد: العبوس: الشر. والقمطرير: الشديد.

وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها، وأعلاها وأولاها - قولُ ابن عباس رضي الله عنه.

قال ابن جرير: والقمطرير هو: الشديد؛ يقال: هو يوم قمطرير ويوم قُمَاطِر، ويوم عَصِيب وعَصَبْصَب، وقد اقمطرّ اليومُ يقمطرّ اقمطرارًا، وذلك أشد الأيام وأطولها[٢] في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم.

بَني عَمّنا هل تَذكُرونَ بَلاءَنَا عَلَيكم إذَا ما كَانَ يَومُ قُمَاطرُ

قال الله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليو، ولقاهم نضرة وسرورًا﴾، وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾، أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿ولقاهم نضرة﴾، أي: في وجوههم، ﴿وسرورًا﴾، أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس.

وهذه كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة۔ ضاحكة مستبشرة﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ، استنار وجهه حتى كأنه قطعة[٣] قَمَر»(١٢).

وقالت عائشةُ: «دخل عَلَيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورًا تَبرُقُ أسَاريرُ

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ حديث (٣٥٥٦) (٥٦٥/٦). ومسلم في كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث (٢٧٦٩/٥٣) (١٤٧/١٧).

[١] - في ز :قال.

[٢] - في ز: أطوله. [٣] - في ز: فلقة.

وَجهه ...»(١٣) الحديث.

وقوله: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾، أي: بسبب صبرهم أعطاهم ونَولهم وبَوأهم ﴿جنة وحريرًا﴾، أي: منزلًا رحبًا، وعيشًا رَغَدًا، ولباسًا حَسَنًا.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الدّاراني قال: قرئ على أبي[١] سليمان الداراني سورة: ﴿هل أتى على الإنسان﴾، فلما بلغ القارئ إلى قوله: ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا﴾، قال: بما[٢] صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد:

كَم قَتِيلٍ بشَهوةٍ وأسيرِ ... أفّ مِنْ مُشتهى خِلافَ الجَمِيل
شَهوَاتُ الإنسانِ تورثه الذّلّ ... وَتُلْقيه في البَلَاءِ الطّويل

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العَمِيم فقال: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾. وقد تقدم الكلام على ذلك في «سورة الصافات» وذكر الخلاف في الاتكاء: هل هو الاضطجاع، أو التمرفق، أو التربع، أو التمكن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال.

وقوله: ﴿لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا﴾، أي: ليس عندهم حَر مزعج، ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سَرْمَديّ، ﴿لا يبغون عنها حولًا﴾.

(١٣) أخرجه البخاري في الموضع السابق برقم (٣٥٥٥). وأطرافه في [٣٧٣١، ٦٧٧٠، ٦٧٧١]. ومسلم في كتاب: الرضاع، باب: العمل بإلحاق القائف الولد، حديث (١٤٥٩/٣٨) (١٠/٥٩ - ٦٠).

[١] - في ز: ابن. [٢] - في ز: لما.

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾، أي: قريبة إليهم أغصانها، ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾، أي: متى تعاطاه دنا القطْفُ إليه وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وجنى الجنتين دان﴾. وقال تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾.

قال مجاهد: ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾: إن قام ارتفعت بقَدْره[١]، وإن قعد تَدَلَّتْ له[٢] حتى ينالها، وإن اضطجع تَدَلَّت له[٣] حتى ينالها، فذلك قوله: ﴿تذليلًا﴾.

وقال قتادة: لا يرد أيديَهم عنها شوك ولا بُعدُ.

وقال مجاهد: أرض الجنة من وَرِق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب[٤] والزبرجد والياقوت، والوَرَق والثمر بين ذلك. فمن أكل منها قائمًا لم يؤذه، ومن أكل منها قاعدًا لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعًا لم يؤذه.

وقوله: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾، أي: يطوف عليهم الخدمُ بأواني الطعام، وهي من[٥] فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

وقوله[٦]: ﴿كانت[٧] قواريرَ قوارير من فضة﴾، فالأول منصوب بخبر كان؛ أي[٨]: كانت قوارير. والثاني منصوب إما على البدلية، أو تمييز؛ لأنه بينه بقوله: ﴿قوارير من فضة﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن البصري، وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج. فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن المبارك، عن إسماعيل، عن رجل، عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿قدروها تقديرًا﴾، أي: على قدر ريّهم، لا تزيد عنه ولاتنقص[٩]، بل هي مُعَدّة لذلك، مقدرة بحسب ريّ صاحبها. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، وقتادة، وابن أبزى، وعبد الله بن عبَيد بن عمير، وقتادة، والشعبي، وابن زيد.

---

[١] - في ز: بقدر.
[٢] - في ز: تذللت.
[٣] - في ز: تذللت.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - في ز، خ: وهذه.
[٧] - سقط من ز.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - في ز: ينقص منه.

وقاله ابن جرير وغير واحد. وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة. وقال العوفى، عن ابن عباس: ﴿قدروها تقديرًا﴾، قدرت للكف.

وهكذا قال الربيع بن أنس. وقال الضحاك على قدر أُكُفّ الخُدام. وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مقدرة في القَدْر والرّي[١].

وقوله: ﴿ويُسْقَون فيها كأسًا كان مِزَاجُها زَنجبيلًا﴾ أي: ويسقون - يعني الأبرار أيضًا - في هذه الأكواب ﴿كأسًا﴾، أي: خمرًا، ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾، فتارة يمزَج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة.

وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرفًا، كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله: ﴿عينًا يشرب بها عباد الله﴾، وقال هاهنا: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلًا.

قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحِدّة جَريها.

وقال قتادة: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾: عين سَلِسَة مُستَقِيد ماؤها.

وحكى ابنُ جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلْق. واختار هو أنها تَعُمّ ذلك كلَّه، وهو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون. إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا﴾، أي: يطوف على أهل الجنة للخدْمَة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿مخلدون﴾، أي: على حالة واحدة مُخَلَّدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ومن فسرهم بأنهم مُخَرّصُونَ في آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك، لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير.

وقوله: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه.

---

[١] - في ز: والذي.

وقوله: ﴿**وإذا رأيت**﴾، أي: وإذا رأيت يا محمد ﴿**ثَمَّ**﴾، أي: هناكَ، يعني في الجنة ونعيمها وَسَعَتها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسرور، ﴿**رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا**﴾، أي: مملكةً للَّه هُناك عظيمةً وسلطانًا باهرًا.

وثبت في الصحيح (١٤) أن اللَّه تعالى يقول لآخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا إليها: إن لك مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها.

وقد قَدْمنا في الحديث المَرويّ من طريق ثُوَير بن أبي فاختة، عن ابن عمر (١٥) قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن[١] ينظر في ملكة مسيرة ألفي سنة ينظر إلى[٢] أقصاه كما ينظر إلى[٣] أدناه**» فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى.

وقد روى الطبراني(١٦) هاهنا حديثًا غَريبًا جدًّا فقال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار الموصلي، حدثنا عقبة[٤] بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال له رسول اللَّه: «**سل واستفهم**». فقال: يا رسول اللَّه، فُضِّلْتُم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنت به وعملتُ بمثل ما عملت به، إني لكائن معكَ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده إنه لَيُرَى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام**» ثم قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**من قال: لا إله إلا اللَّه، كان له بها عَهدٌ عند اللَّه، ومن قال: سبحان اللَّه وبحمده، كتب له مائة ألف حسنة، وأربعة وعشرون ألف حسنة**». فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله، فتقوم النعمة - أو: نعَم اللَّه فتكاد تستنفد ذلك كله، إلا أن يَتَغَمَّده اللَّه برحمته**». ونزلت هذه السورة: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**﴾ إلى قوله: ﴿**ملكًا كبيرًا**﴾ فقال الحبشي: وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة؟ قال: «**نعم**». فاستبكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: فَلَقد رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يدْليه في

(١٤) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث (١٨٨/٣١١) (٣/٥٣ - ٥٤). من حديث أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه.

(١٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة، آية: ٢٣، برقم (١٣).

(١٦) المعجم الكبير (٤٣٦/١٢ - ٤٣٧) (١٣٥٩٥). قال الهيثمي في «المجمع» (٤٢٣/١٠): وفيه أيوب ابن عتبة وهو ضعيف. اهـ.

[١] - في ز: أن. [٢] - [٣] - سقط من خ.

[٤] - عند الطبراني: عفيف.

حُفرَته بيده .

وقوله : ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ﴾ ، أي : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومنه سندس ، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان ، وهو مما يلي الظاهر ، كما هو المعهود في اللباس ، ﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير ﴾ .

ولما ذكر تعالى زينةَ الظاهِر بالحرير والحلي قال بعده : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا ﴾ ، أي : طهر بواطنهم من الحَسَد والحقد[١] والغل والأذى وسائر الأخلاق الرّديَّة ، كما روينا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه قال : إذا انتهى أهلُ الجنة إلى باب الجنة وَجَدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما [فأذهب اللّه][٢] ما في بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فَجَرت عليهم نضرةُ النعيم .

وقوله : ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورًا ﴾ ، أي : يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كقوله : ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ .

وكقوله : ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ .

وقوله : ﴿ وكان سعيكم مشكورًا ﴾ ، أي : جزاكم اللّه على القليل بالكثير .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ
كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ
لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾
نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ
تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : قال : يذهب .

يقول تعالى ممتنًا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما نَزّله[١] عليه من القرآن العظيم تنزيلًا: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾، أي: كما أكرمتُكَ بما أنزلتُ عليك، فاصبر على قضائه وقَدَره، واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره، ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورًا﴾، أي: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صَدّك عما أنزل إليك، بل بَلّغ ما أنزل إليك من ربك، وتوكل على الله؛ فإن الله يعصمك من الناس. فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر بقلبه.

﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلًا﴾، أي: أولَ النهار وآخره. ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلًا طويلًا﴾.

كقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾.

وكقوله: ﴿يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلًا. نصفه أو انقص منه قليلًا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا﴾.

ثم قال تعالى منكرًا على الكفار ومن أشبههم في حُبّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة. ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا﴾، يعني يوم القيامة.

ثم قال: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني خَلْقَهم.

﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلًا﴾، أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدَلناهم فأعدناهم خلقًا جديدًا. وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة.

وقال ابن[٢] زيد، وابن جرير: ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلًا﴾: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم. [كقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين، وكان الله على ذلك قديرًا﴾.][٣]

وكقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إن هذه﴾- يعني هذه السورة ﴿تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا﴾، أي: طريقًا ومسلكًا، أي: من شاء اهتدى بالقرآن كقوله: ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليمًا﴾.

ثم قال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾، أي: لا يقدر أحد أن يَهديَ نفسه، ولا

---

[١] - في ز: أنزله.

[٢] - في ز: أبو.

[٣] - سقط من ز، خ.

يدخل في الإيمان[١] **ولا يجر لنفسه نفعًا،** ﴿**إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا**﴾، [أي: عليم بمن يستحق الهداية فَيُيَسّرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغَوَاية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿**إن الله كان عليمًا حكيمًا**﴾.][٢]

ثم قال: ﴿**يدخل من يشاء في رحمته، والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا**﴾، أي: يهدى من يشاء ويضل من يشاء، ومن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادىَ له.

آخر سورة الإنسان

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز: إيمان.

[٢] - سقط من ز، خ.

تفسير سورة المرسلات

وهي مكية

قال البخاري(١) ، [ ][١] حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، [حدثنا أبي][٢] ، حدثنا الأعمش ، حدثني إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله هو ابن مسعود قال : بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى ، إذ نَزَلت عليه : ﴿والمرسلات﴾ ، فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وثَبَت علينا حَيَّة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اقتلوها » . فابتدرناها فذهبت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وُقِيَتْ شركم كما وُقِيتُم شَرّها » . وأخرجه مسلم أيضًا ، من طريق الأعمش .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، عن الزّهريّ ، عن عُبيد الله ، عن ابن عباس ، عن أمه : أنها سَمِعَت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات عُرفًا .

وفي رواية مالك(٣) ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس : أن أم الفضل سمعته يقرأ : ﴿والمرسلات عرفا﴾ . فقالت : يا بني ، ذَكَّرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب . أخرجاه في الصحيحين ، من طريق مالك ، بهم[٣] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب : جزاء الصيد ، باب : ما يقتل المحرم من الدواب ، حديث (١٨٣٠) (٤/ ٣٥) . وأطرافه [٣٣١٧ ، ٤٩٣٠ ، ٤٩٣١ ، ٤٩٣٤] . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : قتل الحيات وغيرها ، حديث (٢٢٣٤/١٣٧) (٣٣٤/١٤ - ٣٣٥) .

(٢) المسند (٣٣٨/٦) (٢٦٩٧٧) .

(٣) الموطأ كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في المغرب والعشاء ، حديث (٢٤) (٨٨/١) . ومن طريقه البخاري

---

[١] - في ز ، خ : حدثنا أحمد . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : به .

أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن سهل المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا الحسين بن واقد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة: ﴿**والمرسلات عرفًا**﴾، قال: الملائكة.

قال: ورُوي عن مسروق، وأبي الضحى، ومجاهد - في إحدى الروايات - والسدّي، والربيع بن أنس، مثل ذلك.

ورُوىَ عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وفي رواية عنه: هي الملائكة. وهكذا قال أبو[١] صالح في ﴿**العاصفات**﴾ و﴿**الناشرات**﴾، و﴿**الفارقات**﴾، و﴿**الملقيات**﴾: إنها الملائكة.

قال الثوري، عن سلمة بن كُهَيل، عن مُسلم البَطين، عن أبي العُبَيدَين قال: سألت ابنَ مسعود عن ﴿**المرسلات عرفًا**﴾، قال: الريح.

وكذا قال في: ﴿**فالعاصفات عصفًا والناشرات نشرًا**﴾: إنها الريح.

وكذا قال ابن عباس: ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح - في رواية عنه - وتوقف ابن جرير في ﴿**المرسلات عُرفًا**﴾: هل هي الملائكة أرسلت بالعُرْف، أو كَعُرْف الفَرَس يتبع بعضهم بعضًا؟ أو: هي الريح إذا هَبَّت شيئا فشيئًا وقطع بأن ﴿ **العاصفات عصفًا**[٢] ﴾ هى الرياح، كما قاله ابن مسعود ومن تابعه. وممن قال ذلك في العاصفات أيضًا: عليّ بن أبي طالب، والسدي. وتوقف في ﴿**الناشرات نشرًا**﴾، هل هي الملائكة أو الريح؟ كما تقدم.

وعن أبي صالح: أن الناشرات نشرًا: المطر.

والأظهر أن ﴿**المرسلات**﴾ هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته**﴾.

وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عصفت الريح إذا هَبَّت بتصويت.

في كتاب: الأذان، باب: القراءة في المغرب، حديث (٧٦٣) (٢/٢٤٦). وطرفه في [٤٤٢٩]. ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، حديث (٤٦٢/١٧٣) (٤/٢٣٨).

---

[١] - في ز، خ: ابن. [٢] - سقط من خ.

وكذا الناشرات هي : الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء ، كما يشاء الرب عز وجل .

وقوله : ﴿ **فالفارقات فرقًا * فالملقيات ذكرًا * عذرًا أو نذرًا** ﴾ ، يعني : الملائكة . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدّي ، والثوري . ولا خلاف هاهنا ؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغَي ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحيًا فيه إعذار إلى الخلق ، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره .

وقوله : ﴿ **إنما توعدون لواقع** ﴾ : هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام ، أي[١] : ما وعدتم به من قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، وبعث الأجساد ، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ومجازاة كل عامل بعمله ، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ، إن هذا كله - ﴿ **لواقع** ﴾ ، أي : لكائن لا محالة .

ثم قال : ﴿ **فإذا النجوم طمست** ﴾ ، أي : ذهب ضوؤها ، كقوله : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ .

وكقوله : ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ .

﴿ **وإذا السماء فرجت** ﴾ ، أي : انفطرت وانشقت ، وتدلت[٢] أرجاؤها ، وَوَهَت أطرافها .

﴿ **وإذا الجبالُ نُسِفت** ﴾ ، أي : ذُهِب بها ، فلا يبقى لها عين ولا أثر ، كقوله : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعًا صَفصفًا لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمتًا** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ويوم نُسَيِّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإذا الرسلُ أُقِّتَتْ** ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس : جمعت .

وقال ابن زيد : وهذه كقوله تعالى : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل** ﴾ .

وقال مجاهد : ﴿ **أُقِّتَتْ** ﴾ : أجلت .

وقال الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ **أُقِّتَتْ** ﴾ : أوعدت . وكأنه يجعلها كقوله : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها ووُضع الكتاب وجِيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **لأي يوم أجلت ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، يقول تعالى : لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها ؟ حتى تقوم الساعة ، كما قال

---

[١] - في ز : أن . [٢] - في ز : بدلت .

تعالى: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾. وهو يوم الفصل، كما قال: ﴿ليوم الفصل﴾.

ثم قال معظمًا لشأنه: ﴿وما أدراك ما يوم الفصل؟ ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي: ويل لهم من عذاب الله غدًا.

وقد قدمنا في الحديث أن «ويل» واد في جهنم. ولا يصح.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به، ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾، أي: ممن أشبههم.

ولهذا قال: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين﴾. قاله ابن جرير.

ثم قال ممتنًا على خلقه ومحتجًا على الإعادة بالبَدَاءة: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أي: ضعيف حقير بالنسبة إلى قُدرَة الباري عز وجل، كما تقدم في سورة ﴿يس﴾ في حديث بُسر ابن جحاش: «ابنَ آدم، [أنّى تُعجزُني][١] وقد خلقتك من مثل هذه؟!»(٤).

﴿فجعلناه في قرار مكين﴾، يعني: جمعناه في الرّحِم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معد لذلك[٢]، حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله: ﴿إلى قدر معلوم﴾، يعني إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر.

ولهذا قال: ﴿فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين﴾.

(٤) تقدم تخريجه في سورة يس، آية: (٧٧).

[١] - في ز: أي معجزين. [٢] - في ز: الملك.

ثم قال: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا. أحياء وأمواتًا﴾ قال ابن عباس: ﴿كفاتًا﴾: كنًّا[١]. وقال مجاهد: يُكفت الميّت فلا يُرَى منه شيء. وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم. وكذا قال مجاهد وقتادة.

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾، يعني: الجبال أرسى[٢] بها الأرض لئلا تميد وتضطرب.

﴿وأسقيناكم ماء فراتًا﴾: عذبًا زُلالًا من السحاب، أو مما أنبعه الله من عيون الأرض.

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، أي: ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مخاطبًا للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾، يعني لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعِدَ معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب، ﴿لا ظليل ولا يغني من اللّهب﴾، أي: ظل الدخان المقابل للّهب لا ظليل هو في نفسه، ولا يغني من اللّهب، يعني ولا يقيهم حر اللّهب.

وقوله: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾، أي: يتطاير الشرر[٣] من لهبها كالقصر.

قال ابن مسعود: كالحصون.

وقال ابن عباس وقتادة، ومجاهد، ومالك عن زيد بن أسلم، وغيرهم: يعني أصول الشجر.

﴿كأنه جمالت[٤] صفر﴾، أي: كالإبل السود. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة،

---

[١] - سقط من خ. [٢] - في ز: رسى.
[٣] - سقط من ت.
[٤] - في ز: جمالات. وكذلك تكررت في المواضع الآتية.

والضحاك. واختاره ابن جرير.

وعن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: ﴿**جمالت صفر**﴾، يعني: حبال السفن. وعنه أعني ابن عباس: ﴿**جمالت صفر**﴾: قطع نحاس.

وقال البخاري(٥): حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن ابن عابس قال: سمعت ابن عباس: ﴿**إنها ترمي بشرور كالقصر**﴾، قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوقَ ذلك، فنرفعه للشتاء[١]، فنسميه القَصَرَ، ﴿**كأنه جمالت صفر**﴾: حبال السفن، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال.

﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ثم قال تعالى: ﴿**هذا يوم لا ينطقون**﴾، أي: لا يتكلمون. ﴿**ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾، أي: لا يقدرون على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا، بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعرصات القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة، وعن هذه الحالة تارة؛ ليدل على شِدّة الأهوال والزلازل يومئذ.

ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام: ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾.

وقوله: ﴿**هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾: وهذه مخاطبة من الخالق لعباده يقول لهم: ﴿**هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين**﴾، يعني: أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي ويَنفُذُهم البصر.

وقوله: ﴿**فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾: تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتَنجُوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿**يا معشر الجن والإنس، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان**﴾.

وقد قال تعالى: ﴿**ولا تضرونه[٢] شيئًا**﴾.

وفي الحديث(٦): «**يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضَرّي فتضروني**».

---

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿كأنه جمالات صفر﴾، حديث (٤٩٣٣) (٨/ ٦٨٨) وطرفه في (٤٩٣٢).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، حديث (٥٥/٢٥٧٧) (١٦/١٩٩ - ٢٠٠).

---

[١] - في ز، خ: للنساء. [٢] - في ز: يضرونه.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن المنذر الطريقي[١] الأودي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن، عن حسان بن أبي المخارق، عن أبي عبد الله الجدَلَى قال: أتيت بيت المقدس، [فإذا عُبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس][٢]، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد، ينفذهم البصر ويُسمعهم الداعي، ويقول الله: **﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فإن كان لكم كيد فكيدون﴾**، اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: [فإنا، نحدث][٣] يومئذ أنه[٤] يخرج عنُقٌ من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت: أيها الناس، إني بُعثتُ إلىَ ثلاثَة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يُغيِّبهم[٥] عني وَزَر، ولا تُخفيهم عني خَافية: الذي جعل مع الله إلها آخر، وكل جبار عنيد، وكلَ[٦] شيطان مريد. فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة (٧).

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات: أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه، من ظل اليحموم، وهو: الدخان الأسود المنتن.

﴿وفواكه مما يشتهون﴾، أي: ومن سائر أنواع الثمار، مهما[٧] طلبوا وجدوا. **﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون﴾**، أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم.

ثم قال تعالى مخبرًا خبرًا مستأنفًا: **﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾**، أي: هذا جزاؤنا لمن

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٦/٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي عبد الله الجبلي به.

[١] - في ز: الطريفي.
[٢] - سقط من ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «كأنها تحدث».
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز، خ: يغنيهم.
[٦] - سقط من ز.
[٧] - في ز: مما.

أحسن العمل، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾.

وقوله: [﴿كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمَرَهم آمر تهديد ووعيد فقال تعالى][١] : ﴿كلوا وتمتعوا قليلًا﴾، أي: مدة قليلة قريبة قصيرة، ﴿إنكم مجرمون﴾، أي: [ثم تساقون][٢] إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، كما قال تعالى: ﴿نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾، وقال تعالى: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا، ثم إلينا مرجعهم، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾.

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾، أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه. ولهذا قال: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾.

ثم قال: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾، أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾.

قال ابن أبي حاتم(٨) : [ ][٣] حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية: سمعت رجلًا أعرابيًا بَدَويًا يقول: سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ: ﴿والمرسلات عرفًا﴾، فقرأ[٤] : ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنت بالله وبما أنزل.

وقد تقدم هذا الحديث في «سورة القيامة».

[آخر تفسير سورة «والمرسلات» ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

☆ ☆ ☆

(٨) تقدم في آخر سورة القيامه.

[١] - سقط من ز، خ.

[٢] - في ز، خ: هم يساقون.

[٣] - في ز، خ: «حدثنا أبي».

[٤] - في ز: يقرأ.

تفسير سورة النبأ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾
وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا
النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾
وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا
﴿١٦﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها: ﴿**عم يتساءلون [عن النبأ العظيم**﴾، أي: عن أي شيء يتساءلون؟][١] عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر. قال قتادة، وابن زيد: النبأ العظيم: البعث بعد الموت. وقال مجاهد: هو القرآن. والأظهر الأول لقوله: ﴿**الذي هم فيه مختلفون**﴾، يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر. ثم قال تعالى متوعدًا لمنكري القيامة: ﴿**كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون**﴾، وهذا تهديدٌ شديد ووعيد أكيد. ثم شرع تعالى يُبيِّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء[٢] الغريبة والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، فقال: ﴿**ألم نجعل الأرض مهادًا**﴾؟ أي: ممهدة للخلائق ذَلُولًا لهم، قارّةً ساكنة ثابتة، ﴿**والجبال أوتادًا**﴾، أي: جعلها لها أوتادًا أرساها[٣] بها وثبتها وقرّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال: ﴿**وخلقناكم أزواجًا**﴾، يعني: ذكرًا وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله: ﴿**ومن آياته أن خلق[٤] لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾. وقوله: ﴿**وجعلنا نومكم سباتًا**﴾، أي: قطعًا للحركة لتحصل[٥] الراحة من كثرة الترداد والسعي. في [المعايش في عرض][٦] النهار. وقد

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ز: الإنسان.
[٣] - في ز: رساها.
[٤] - في ز: جعل.
[٥] - في ز: فتحصل.
[٦] - في ز، خ: أرض.

تقدم مثل هذه الآية في «سورة الفرقان».

﴿ وجعلنا[١] الليل لباسًا ﴾ ، أي : يغشىٰ الناس ظلامه وسواده ، كما قال : ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ ، وقال الشاعر :

فلمَّا لَبِسْنَ الليلَ أو حِينَ نَصَّبَتْ لَهُ مِن خَذَا آذانِها وَهْوَ جَانِحُ

وقال قتادة في قوله : ﴿ وجعلنا الليل لباسًا ﴾ ، أي : سكنًا .

وقوله : ﴿ وجعلنا النهار معاشًا ﴾ ، أي : جعلناه مشرقًا مُنيرًا مضيئًا ، ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات ، وغير ذلك .

وقوله : ﴿ وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا ﴾ ، يعني : السموات السبع ، في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها ، وتزيينها بالكواكب الثوابت[٢] والسيارات ؛ ولهذا قال : ﴿ وجعلنا سراجًا وهاجًا ﴾ ، يعني : الشمس المنيرة علىٰ جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم .

وقوله : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجًا ﴾ قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ المعصرات ﴾ : الريح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا أبو داود الحَفَري ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ﴾ ، قال : الرياح ، وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، والكلبي ، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : إنها الرياح . ومعنىٰ هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ من المعصرات ﴾ ، أي : من السحاب . وكذا قال عكرمة أيضًا ، وأبو العالية ، والضحاك ، والحسن ، والربيع بن أنس ، والثوري . واختاره ابن جرير .

وقال الفراء : هي السحاب التي تَتَحلَّب بالمطر [ولم تُمطر][٣] بعدُ ، كما يقال[٤] : امرأة معصر : إذا دنا حيضها ولم تحض .

وعن الحسن وقتادة : ﴿ من المعصرات ﴾ يعني السماوات . وهذا قول غريب .

والأظهر أن المراد بالمعصرات : السحاب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء و[٥] يجعله كسفًا فترىٰ الودق يخرج من خلاله ﴾ ، أي : من بينه .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : يوم المطر .
[٤] - في ز : قال .
[٥] - في ز : ثم .

وقوله :﴿ ماءً ثجاجًا ﴾ - قال مجاهد وقتادة ، والربيع بن أنس : ﴿ ثجاجًا ﴾ : منصبًّا ، وقال الثوري : متتابعًا . وقال ابن زيد : كثيرًا .

قال ابن جرير : ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة : الثج ، وإنما الثج : الصب المتتابع ومنه قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « أفضلُ الحجّ العجّ والثجّ »(١) . يعني : صَبّ دماء البُدْن . هكذا قال . قلت : وفي حديث المستحاضة(٢) حين قال لها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أنعتُ لك الكُرسُفَ » - يعني : أن تحتشي بالقطن - قالت : يا رسول الله ، هو أكثر من ذلك ، إنما أثج ثجًا . وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصبّ المتتابع الكثير، والله أعلم .

وقوله : ﴿ لنخرج به حبًا ونباتًا وجناتٍ ألفافًا ﴾ ، أي : لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المُبَارَك ﴿ حبًا ﴾ يدخر للأناسي والأنعام ، ﴿ ونباتًا ﴾ ، أي : خضرا يؤكل رطبًا ، ﴿ وجنات ﴾ ، أي : بساتين وحدائقَ من ثمرات متنوعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة ، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من[١] الأرض مجتمعًا ؛ ولهذا قال : ﴿ وجنات ألفافًا ﴾ ؛ قال ابن عباس ، وغيره : ﴿ ألفافًا ﴾ : مجتمعة . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقىٰ بماءٍ واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل ...﴾ الآية .

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب : الحج ، باب : ما جاء في فضل التلبية والنحر ، حديث (٨٢٧) (١٧٥/٣) ، والدارمي (٣١/٢) كتاب المناسك ، باب : أي الحج أفضل . وصححه ابن خزيمة (١٧٥/٤) (٢٦٣١) . والحاكم (٤٥٠/١ - ٤٥١) كلهم من حديث أبي بكر الصديق ﷺ . وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٠٠) بشواهده .

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٩/٦) (٢٧٥٨١) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : من قال : إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة ، حديث (٢٨٧) (٧٦/١ - ٧٧) . والترمذي في كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في المستحاضة ، حديث (١٢٨) (١٤٨/١ - ١٥٠) . وابن ماجة في كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في البكر إذا ابتدأت مستحاضة أو كان لها أيام حيض فنسيتها ، حديث (٦٢٧) (٢٠٥/١ - ٢٠٦) . كلهم من حديث حمنة بنت جحش - رضي الله عنها - قال الترمذي : حسن صحيح . وقال : وسألت محمدًا عن هذا الحديث ؟ فقال : هو حديث حسن صحيح . اهـ . وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٨) .

---

[١] - في ز : في .

﴿شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ
حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾
فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يوم الفصل ، وهو يوم القيامة ، أنه مؤقت بأجل معدود ، لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، ولا يعلم وقته علىٰ التعيين إلا اللَّه - عز وجل - كما قال : **﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾** .

﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا ﴾ ؛ قال مجاهد : زُمَرًا زمرًا[١] . قال ابن جرير : يعني تأتي كل أمة مع رسولها ، كقوله : **﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾** .

وقال[٢] البخاري(٣) : **﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا ﴾** ، حدثنا محمد ، حدثنا أبو[٣] معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ما بين النفختين أربعون » . قالوا : أربعون يومًا ؟ قال : « أبيتُ » . قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : « أبيتُ » . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : « أبيتُ » . قال : « ثم يُنزلُ اللَّه من السماء ماءً فينبُتُونَ كما ينبتُ البقلُ ، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبْلَىٰ ، إلا عظمًا واحدًا ، وهو عَجْبُ الذنَب ، و[٤] منه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يوم القيامة » .

﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابًا ﴾ ، أي : طرقًا ومسالك لنزول الملائكة ، **﴿ وسيرت الجبال فكانت سرابًا ﴾** كقوله : **﴿ وترىٰ الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴾** ، وكقوله : **﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾** .

وقال هاهنا : **﴿ فكانت سرابًا ﴾** ، أي : يخيل إلىٰ الناظر أنها شيءٌ ، وليست بشيء ، وبعد هذا تَذهب بالكلية ، فلا عين ولا أثر ، كما قال : **﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا ﴾** ، وقال : **﴿ويوم نسيّر[٥] الجبال وترىٰ الأرض بارزة﴾** .

---

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا ﴾** زمرًا ، حديث (٤٩٣٥) (٨/٦٨٩ - ٦٩٠) .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : وقوله .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : تسير .

وقوله : ﴿ إن جهنم كانت مرصادًا ﴾ ، أي : مرصدة مُعَدّة ﴿ للطاغين ﴾ ، وهم : المَرَدة العصاة المخالفون[١] للرسل ، ﴿ مآبًا ﴾ ، أي : مرجعًا ومنقلبًا ومصيرًا ونُزُلًا . وقال[٢] الحسن ، وقتادة في قوله : ﴿ إن جهنم كانت مرصادًا ﴾ : يعني : أنه لا يدخل أحد[٣] الجنة حتىٰ يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس . وقال سفيان الثوري : عليها ثلاث قناطر .

وقوله : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ ، أي : ماكثين فيها أحقابًا ، وهي جمع « حُقب » ، وهو : المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره ، فقال ابن جرير(٤) ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن سفيان الثوري ، عن عَمّار الدّهنيّ ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قال علي بن أبي طالب لهلال الهَجَري : ما تجدونَ الحُقَبَ في كتاب اللّه المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة ، كل سنة اثنا عشر شهرًا ، كل شهر ثلاثون يومًا ، كل يوم ألف سنة .

وهكذا رُوي عن أبي هُرَيرة(٥) ، وعبد اللّه بن عَمرو(٦) ، وابن عباس(٧) ، وسعيد بن جُبَير ، وعَمرو ابن ميمون ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والضحاك . وعن الحسن(٨) ، والسّدّي أيضًا : سبعون سنة كذلك . وعن عبد اللّه بن عمرو : الحُقُبُ أربعون سنة ، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . رواهما ابن أبي حاتم .

وقال بشير بنُ كعب : ذُكِر لي أن الحُقُب الواحد ثلاثمائة سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم ألف سنة . رواه ابن جرير(٩) وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم(١٠) : ذكر عن عُمَر بن علي بن أبي بكر الأسْفَذْنيّ ، حدثنا مروان بن معاوية الفَزَاري ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في قوله : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ ، قال : فالحقب شهر ، الشهر ثلاثون يومًا ، والسنة

(٤) أخرجه الطبري (١١/٣٠) ، وهناد في الزهد (٢٢٠) من طريق سفيان به .

(٥) أخرجه الطبري (١١/٣٠) . وهناد في الزهد (٢١٩) كلاهما من حديث أبي هريرة بنحوه . وزاد السيوطي (٥٠٢/٦) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر (٥٠٣/٦).

(٧) أخرجه الطبري (١١/٣٠) .

(٨) أخرجه الطبري (١١/٣٠- ١٢) .

(٩) تفسير الطبري (١١/٣٠) .

(١٠) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٠٢/٦) ، والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف وزاد نسبته إلى ابن عمر العدني في مسنده ، وعزاه الهيثمي (١٣٦/٧) للطبراني مختصرًا وقال : فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف .

[١] - في ز : المخالفين . [٢] - في ز : وقوله .

[٣] - سقط من ز ، خ .

اثنا عشر شهرًا ، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون ، فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة : وهذا حديثُ منكر جدًّا ، والقاسم والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك .

وقال البزار(١١) : حدثنا محمد بن مِرْدَاس ، حدثنا سليمان بن[١] مسلم أبو المُعَلَّىٰ قال : سألت سليمان التيمي : هل يخرج من النار أحد ؟ فقال : حدثني نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « والله لا يخرج من النار أحد حتىٰ يمكث فيها أحقابًا » . قال : والحُقُب : بضع وثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا مما تعدون » .

ثم قال : سليمان بن مسلم بصري مشهور .

وقال السّدّي : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ : سبعمائة حُقب ، كل حُقب سبعون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم كألف سنة مما تعدون .

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾ .

وقال خالد بن معدان : هذه الآية . وقوله : ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ في أهل التوحيد . رواهما ابن جرير . ثم قال : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ متعلقا بقوله : ﴿ لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا ﴾ ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابًا من شكل آخر ونوع آخر . ثم قال : والصحيح أنها لا انقضاء لها ، كما قال قتادة والربيع بن أنس . وقد قال قبل ذلك :

حدثني محمد بن عبد الرحيم البَرْقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن زهير ، عن سالم : سمعت الحسن يسأل عن قوله : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ ، قال : أما الأحقاب فليس لها عِدّة إلا الخلود في النار ، ولكن ذكروا أن الحُقب سبعون سنة ، كل يوم منها[٢] كألف سنة مما تعدون .

وقال سعيد عن قتادة : قال الله تعالىٰ : ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ ، وهو : ما لا انقطاع له ، وكلما مضىٰ حُقب جاء حقب بعده ، وذكر لنا أن الحُقُب ثمانون سنة .

[وقال الربيع بن أنس : ﴿لابثين فيها أحقابًا﴾ : لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ، ولكن الحقب الواحد ثمانون سنة][٣] ، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم كألف سنة مما تعدون .

(١١) أخرجه البزار في كتاب : صفة جهنم ، باب : متى يخرج من النار من دخلها ، حديث (٣٥٠٣) (٤/ ١٨٦ - كشف) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٩٨) : رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جدًّا . اهـ .

[١] - في خ : أبو . [٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز ، خ .

رواهما أيضًا ابن جرير(١٢).

وقوله : ﴿ لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا ﴾ ، أي : لا يجدون في جَهنَّم بردًا لقلوبهم ، ولا شرابًا طيبًا يتغذون به ؛ ولهذا قال : ﴿ إلا حميمًا وغساقًا ﴾ . قال أبو العالية : استثنىٰ من البرد الحميم ومن الشراب الغساق . وكذا قال الربيع بن أنس .

فأما الحميم: فهو الحار الذي قد انتهى حره وحُموه . والغَسَّاق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم ، فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه . وقد قدمنا الكلام علىٰ الغساق في سورة « ص » بما أغنىٰ عن إعادته، أجارنا الله من ذلك بمنّه وكرمه .

قال ابن جرير : وقيل : المراد بقوله : ﴿ لا يذوقون فيها بردًا ﴾ ، يعني : النوم ، كما قال الكنديّ :

بَرَدَت مَرَاشفها عَلَيّ فصدّني عنها وَعَنْ قُبلاتها البرد

يعني بالبرد: النعاس والنوم . هكذا ذكره ولم يَعزه إلىٰ أحد .

وقد رواه ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن مرة الطيب . ونقله عن مجاهد أيضًا . وحكاه البغوي عن أبي عُبَيدة والكسائي أيضًا. وقوله : ﴿ جزاءً وفاقًا ﴾ ، أي : هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وَفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد .

ثم قال : ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابًا ﴾ ، أي : لم يكونوا يعتقدون أن ثَم دارًا يجازون فيها ويحاسبون ، ﴿ وكذبوا بآياتنا كذابًا ﴾ ، أي : وكانوا يكذبون بحجج اللّه ودلائله علىٰ خلقه التي أنزلها علىٰ رسله ، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة .

وقوله : ﴿ كذابًا ﴾ ، أي : تكذيبًا ، وهو مصدر من غير الفعل . قالوا : وقد سُمع أعرابي يستفتي الفَرّاءَ علىٰ المروة : الحلقُ أحبّ إليك أو القِصّار ؟ وأنشد بعضهم :

لَقَد طالَ ما ثَبَّطْتني عَن صَحَابَتي وعن حوَج قضّاؤها[١] من شفَائيا

وقوله تعالىٰ : ﴿ وكل شيء أحصيناه كتابًا ﴾ ، أي : وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم ، وكتبناها عليهم ، وسنجزيهم علىٰ ذلك ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

وقوله : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا ﴾ ، أي : يقال لأهل النار : ذوقوا ما أنتم فيه ،

---

(١٢) تقدم تخريجه برقم (٨) .

---

[١] - في ز : قصارها .

فلن نزيدكم إلا عذابًا من جنسه وآخر من شكله أزواج .

قال قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه : ﴿ **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا** ﴾ . قال : فهم في مزيد من العذاب أبدًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصّوري ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا[١] جَسر بن فَرقد ، عن الحسن قال : سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب اللّٰه على أهل النار . قال : سمعتُ رسولَ الله صلى اللّٰه عليه وسلم قرأ : ﴿ **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا** ﴾ ، فقال : « هلك القوم بمعاصيهم اللّٰه عزّ وجل »(١٣) .

جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦) ﴾

يقول تعالى مخبرًا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم ، فقال : ﴿ **إن للمتقين مفازًا** ﴾ . قال ابن عباس والضحاك : متنزهًا . وقال مجاهد ، وقتادة : فازوا فنجوا من النار . والأظهر هاهنا قول ابن عباس ؛ لأنه قال بعده : ﴿ **حدائق** ﴾ ، وهي البساتين من النخيل وغيرها ﴿ **وأعنابًا . وكواعب أترابًا** ﴾ ، أي : وحورًا كواعب . قال ابن عباس ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ **كواعب** ﴾ ، أي : نواهد ، يعنون أن [ثُدُيّهن نواهد][٢] لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب ، أي : في سن واحدة ، كما تقدم بيانه في سورة الواقعة .

قال ابن أبي حاتم(١٤) : حدثنا عبد اللّٰه بن أحمد بن عبد الرحمن الدَّشتَكيّ ، حدثني أبي ، عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن تيم ، حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث ، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي ، عن أبي أمامة ، أنه سمعه يحدث عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « إن قُمُص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله ، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم : يا أهل الجنة ، ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب » .

وقوله : ﴿ **وكأسًا دهاقًا** ﴾ - قال ابن عباس : مملوءة متتابعة . وقال عكرمة : صافية .

---

(١٣) أخرجه الطبري (٣٠/١١) .

(١٤) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (ص ٣١٨) حديث (٥٧٩) . وقال الهيثمي في « المجمع » (٧/ ١٣٦) : رواه الطبراني وفيه شعيب بن بيان وهو ضعيف .

---

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز ، خ : « بدنهن كواعب » .

وقال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿ **دهاقًا** ﴾ : الملأىٰ المترعة . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : هي المتتابعة .

وقوله : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا كذابا** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لا لغو فيها ولا تأثيم** ﴾ ، أي : ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ، ولا إثم كذب ، بل هي دار السلام ، وكل كلام فيها سالم من النقص .

وقوله : ﴿ **جزاءً من ربك عطاءً حسابًا** ﴾ ، أي : هذا الذي ذكرناه جازاهم اللّٰه به وأعطاهموه ، بفضله ومَنّه وإحسانه ورحمته ، ﴿ **عطاءً حسابًا** ﴾ ، أي : كافيًا وافرًا شاملًا كثيرًا ، تقول العرب : أعطاني فأحسبني ، أي : كفاني . ومنه : حسبى الله ، أي : الله كافي .

رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عظمته وجلاله ، وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء .

وقوله : ﴿ **لا يملكون منه خطابًا** ﴾ ، أي : لا يقدر أحد علىٰ ابتداء مخاطبته إلا بإذنه ، كقوله : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون** ﴾ : اختلف المفسرون في المراد بالروح ها هنا ، ما هو ؟ علىٰ أقوال :

أحدها : رواه العوفي ، عن ابن عباس : أنهم أرواح بني آدم .

الثاني : هم بنو آدم . قاله الحسن وقتادة [ ][١] : هذا مما كان ابن عباس يكتمه .

الثالث : أنهم خَلق من خَلق الله ، علىٰ صُوَر بني آدم ، وليسوا بملائكة ولا ببشر ، وهم يأكلون ويشربون . قاله ابن عباس، ومجاهد ، وأبو صالح ، والأعمش .

---

[١] - في خ : وقال قتادة .

والرابع : هو جبريل . قاله الشعبي ، وسعيد بن جبير ، والضحاك . ويستشهد لهذا القول بقوله : ﴿ نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك لتكون من المنذرين ﴾ وقال مقاتل بن حيان : الروح : أشرف الملائكة ، وأقرب إلىٰ الرب - عز وجل - وصاحب الوحي .

والخامس : أنه القرآن . قاله ابن زيد ، كقوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ...﴾ الآية .

والسادس : أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات ؛ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله : ﴿ يوم يقوم الروح ﴾ ، قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقًا .

وقال ابن جرير(١٥) : حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا رَوّاد بن الجراح ، عن أبي حمزة ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود قال : « الروح : في السماء الرابعة هو أعظم من السماوات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ، يخلق اللَّه من كل تسبيحة مَلكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفًّا وحده » .وهذا قول غريب جدًّا .

وقد قال الطبراني(١٦) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه [بن عرْس][١] المصري ، حدثنا وهب [اللَّه ابن روق بن هُبَيرة ، حدثنا بشر بن بكر][٢] ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني عطاء ، عن عبد اللَّه بن عباس : سمعت رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « إن للَّه ملكًا لو قيل له : التقم السماوات السبع والأرضين بلقمة واحدة ، لفعل ؛ تسبيحه : سبحانك حيث كنت » .

وهذا حديث غريب جدًّا ، وفي رفعه نظر ، وقد يكون موقوفًا علىٰ ابن عباس ، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات ، واللَّه أعلم .

وتَوَقَّفَ ابنُ جرير فلم يقطَع بواحد[٣] من هذه الأقوال كلها ، والأشبه - واللَّه أعلم - أنهم بنو آدم .

وقوله : ﴿ إلا من أذن له الرحمٰن ﴾ ، كقوله : ﴿ لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ كما[٤] ثبت في الصحيح : «ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل». وقوله : ﴿ وقال صوابًا ﴾ ، أي : حقًّا ، ومن الحق : « لا إله إلا الله » ، كما قاله أبو صالح ، وعكرمة .

---

(١٥) تفسير الطبري (٣٠/٢٢) .

(١٦) - المعجم الكبير (١١/١٩٥) (١١٤٧٦) . وقال الهيثمي (١/٨٥) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وتفرد به وهب بن رزق ، ولم أر من ذكر له ترجمة اهـ.

---

[١] - في ز ، خ : عوس .

[٢] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز : بواحدة .

[٤] - في ز : وكما .

وقوله : ﴿ **ذلك اليوم الحق** ﴾ ، أي : الكائن لا محالة ، ﴿ **فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه مآبًا** ﴾ ، أي : مرجعًا وطريقًا يهتدي إليه ومنهجًا يمر به عليه .

وقوله : ﴿ **إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا** ﴾ يعني : يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبًا ، لأن كل ما هو آت آت .

﴿ **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** ﴾ ، أي : يعرض عليه جميع أعماله ، خيرها وشرها ، قديمها وحديثها ، كقوله : ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضرًا** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر** ﴾ .

﴿ **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا** ﴾ ، أي : يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابًا ، ولم يكن خُلِقَ ، ولا خرج إلىٰ الوجود ، وذلك [حين عاين][١] عذابَ الله ، ونظر إلىٰ أعماله الفاسدة ، قد سُطّرت عليه بأيدي الملائكة السَّفَرة الكرام البَرَرة .

وقيل : إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا ، فيفصل بينها بحكمه[٢] العدل الذي لا يجور ، حتىٰ إنه ليقتص للشاة الجمَّاء من القرناء . فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني ترابًا ؛ فتصير ترابًا ، فعند ذلك يقول الكافر : ﴿ **يا ليتني كنت ترابًا** ﴾ ، أي : كنت حيوانًا فأرجع إلىٰ التراب . وقد ورد معنىٰ هذا في حديث الصّور المشهور(١٧) ، وورد فيه آثار عن أبي هريرة و[عن][٣] عبد الله بن عمرو وغيرهم .

[آخر تفسير سورة « عم »] .

☆ ☆ ☆

(١٧) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (ص ٣٣٦ - ٣٤٤) (٦٠٩) وقد تقدم تخريجه مطولًا .

[١] - في ز ، خ : « جزعًا من » . [٢] - في ز : بحكم .

[٣] - سقط من ز .

تفسير سورة النازعات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وسعيد بن جبير ، وأبو صالح ، وأبو الضحى ، والسّدّي : ﴿ **والنازعات غرقًا** ﴾ : الملائكة ، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعُنف فتغرق[١] في[٢] نزعها ، ومَن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حَلَّته من نشاط ، وهو قوله : ﴿ **والناشطات نشطًا** ﴾ قاله ابن عباس . وعن ابن عباس : ﴿ **والنازعات** ﴾ : هي أنفس الكفار ، تُنزَع ثم تُنشط ، ثم تغرق في النار .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد : ﴿ **والنازعات غرقًا** ﴾ : الموت . وقال الحسن ، وقتادة : ﴿ **والنازعات غرقًا والناشطات نشطًا** ﴾ : هي النجوم . وقال عَطَاءُ بنُ أبي رَباح في قوله : ﴿ **والنازعات** ﴾ و﴿ **الناشطات** ﴾ : هي القِسِيّ في القتال .

والصحيح الأول ، وعليه الأكثرون .

وأما قوله : ﴿ **والسابحات سبحًا** ﴾ فقال ابن مسعود : هي الملائكة .

ورُوي عن علي ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبَير ، وأبي صالح مثلُ ذلك .

وعن مجاهد : ﴿ **والسابحات سبحًا** ﴾ : الموت .

---

[١] - في ز : فيغرق . [٢] - في خ : من .

وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن. وقوله: ﴿ **فالسابقات**[١] **سبقًا** ﴾ رُوي عن علي، ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري: يعني الملائكة؛ قال الحسن: سبقت إلىٰ الإيمان والتصديق به. وعن مجاهد: الموت. وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء: هي الخيلُ في سبيل الله.

وقوله: ﴿ **فالمدبرات أمرًا** ﴾، قال علي، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي: هي الملائكة - زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض - يعني بأمر ربها عز وجل. ولم يختلفوا في هذا، ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك، إلا أنه حكىٰ في ﴿ **المدبرات أمرًا** ﴾ أنها الملائكة، ولا أثبت ولا نفى.

وقوله: ﴿ **يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة** ﴾ قال ابن عباس: هما النفختان الأولىٰ والثانية. وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغير واحد.

وعن مجاهد: أما الأولىٰ - وهي قوله -: ﴿ **يوم ترجف الراجفة** ﴾، [فكقوله جلت عظمته: ﴿ **يوم ترجف الأرضُ والجبال** ﴾، والثانية - وهي الرادفة -][٢] فهي كقوله: ﴿ **وحُملَت الأرض والجبالُ فَدُكّتا دكةً واحدةً** ﴾.

وقد قال الإمام أحمد(١): حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه قال: قال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه ». فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: « إذًا يكفيك اللَّه ما أَهَمَّكَ[٣] من دنياك وآخرتك ».

وقد رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث سفيان الثوري، بإسناده مثله، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم: كان رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا ذهب ثلثا[٤] الليل قام فقال: « **يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه** ».

وقوله: ﴿ **قلوب يومئذ واجفة** ﴾ قال ابن عباس: يعني خائفة. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٦/٥). والترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: (٢٤)، حديث (٢٤٥٩) (٧/ ١٦٤). وقال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٥٤). والطبري (٣٢/٣٠).

---

[١] - في ز: والسابقات.
[٢] - ما بين المعكوفين مكانه في ز، خ: « تتبعها الرادفة » قال ابن عباس: هما النفختان الأولى ».
[٣] - في ز: همك.
[٤] - في حاشية ز: ثلث. وعليها علامة « نسخة ».

﴿ **أبصارها خاشعة** ﴾ ، أي : أبصار أصحابها ، وإنما أضيف إليها ، للملابسة . أي : ذليلة حقيرة ؛ مما عاينت من الأهوال .

وقوله : ﴿ **يقولون أئنا لمردودون في الحافرة** ﴾ ؟ يعني مشركي قريش ، ومن قال بقولهم في إنكار المعاد ، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلىٰ الحافرة وهي القبور . قاله مجاهد . وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **أئذا كنا عظامًا نخرة** ﴾ وقرئ : (ناخرة) .

و[١] قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : أي بالية . قال ابن عباس : وهو العظم إذا بلىٰ ودَخَلت الريح فيه ﴿ **قالوا تلك إذًا كرة خاسرة** ﴾ .

وعن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي مالك ، والسدي ، وقتادة : الحافرة الحياة بعد الموت . وقال ابن زيد : الحافرة : النار وما أكثر أسماءها ! هي النار ، والجحيم، وسقر ، وجهنم ، والهاوية ، والحافرة ، ولظىٰ ، والحُطَمة .

وأما قولهم : ﴿ **تلك إذًا كرة خاسرة** ﴾ ، فقال محمد بن كعب : قالت قريش : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** ﴾ ، أي : فإنما هو أمر من اللَّه لا مثنوية فيه ولا تأكيد ، فإذا الناس قيام ينظرون ، وهو أن يأمر تعالىٰ إسرافيلَ فينفخ في الصّور نفخةَ البعث ، فإذا الأولون والآخرون قيامٌ بين يَدَي الربّ - عز وجل - ينظرون . كما قال : ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب** ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة** ﴾ : صيحة واحدة .

وقال إبراهيم التيمي : أشد ما يكون الرب غَضَبًا علىٰ خلقه يوم يبعثهم .

وقال الحسن البصري : زجرة من الغضب . وقال أبو مالك والربيع بن أنس : زجرة واحدة : هي النفخة الآخرة .

وقوله : ﴿ **فإذا هم بالساهرة** ﴾ قال ابن عباس : ﴿ **الساهرة** ﴾ الأرض كلها . وكذا قال سعيد بن جُبَير ، وقتادة ، وأبو صالح .

---

[١] - سقط من ز .

وقال عكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وابن[١] زيد : ﴿ **الساهرة** ﴾ وجه الأرض .

وقال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها - قال : و﴿ **الساهرة** ﴾ : المكان المستوي .

وقال الثوري : ﴿ **الساهرة** ﴾ أرض الشام ، وقال عثمان بن أبي العاتكة[٢] : ﴿ **الساهرة** ﴾ : أرض بيت المقدس . وقال وهب بن مُنَبه : ﴿ **الساهرة** ﴾ : جبل إلى جانب بيت المقدس . وقال قتادة أيضًا : ﴿ **الساهرة** ﴾ : جهنم .

وهذه أقوال كلها غريبة ، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى .

وقال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا خَزَر[٣] بن المبارك الشيخ الصالح ، حدثنا بشر بن السرى ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي : ﴿ **فإذا هم بالساهرة** ﴾ ، قال : أرض بيضاء عفراء كالخُبزَة النقِيّ .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ **فإذا هم بالساهرة** ﴾ ، يقول اللَّه -عز وجل- : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا للَّه الواحد القهار** ﴾ . ويقول : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويوم نسير[٤] الجبال وتَرَىٰ الأرض بارزة** ﴾ : وبرزت الأرض التي عليها الجبال ، وهي لا تعد من هذه الأرض ، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ، ولم يُهَراق عليها دم .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالىٰ رسوله محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن عبده ورسوله موسىٰ - عليه السلام -

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٥١٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

[١] - في ز ، خ : وأبو .
[٢] - في ز ، خ : العالية .
[٣] - في ز بلا نقط .
[٤] - في ز : تسير .

أنه ابتعثه إلىٰ فرعون ، وأيده بالمعجزات ، ومع هذا استمر علىٰ كفره وطغيانه ، حتىٰ أخذه اللَّه أخذ عزيز مقتدر . وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ، ولهذا قال في آخر القصة : ﴿ **إن في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ** ﴾ .

فقوله : ﴿ **هل أتاك حديث موسىٰ** ﴾ أي : هل سمعت بخبره ؟ ﴿ **إذ ناداه ربه** ﴾ ، أي : كلمه نداءً ، ﴿ **بالواد المقدس** ﴾، أي : المطهر ، ﴿ **طوىٰ** ﴾ ، وهو اسم الوادي علىٰ الصحيح ، كما تقدم في سورة « طه » . فقال له : ﴿ **اذهب إلىٰ فرعون إنه طغىٰ** ﴾ ، أي تجبر وتمرد وعتا ، ﴿ **فقل هل لك إلىٰ أن تزكىٰ** ﴾ أي : قل له : هل لك أن تجيب إلىٰ طريقة ومسلك تَزَكّىٰ به . أي : تسلم وتطيع . ﴿ **وأهديك إلىٰ ربك** ﴾ ، أي : أدلك إلىٰ عبادة ربك ، ﴿ **فتخشىٰ** ﴾ ، أي : فيصير قلبك خاضعًا له مطيعًا خاشيًا بعد ما كان قاسيًا خبيثًا بعيدًا من الخير . ﴿ **فأراه الآية الكبرىٰ** ﴾ ، يعني : فأظهر له موسىٰ مع هذه الدعوة الحقّ حجة قوية ، ودليلًا واضحًا علىٰ صدق ما جاءه به من عند الله ، ﴿ **فكذب وعصىٰ** ﴾ ، أي : فكذب بالحق[١] وخالف ما أمره به من الطاعة . وحاصِلُه أنه كَفَر قلبُه فلم ينفعل لموسىٰ بباطنه ولا بظاهره ، وعلمُهُ بأن ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ؛ لأن المعرفة علمُ القلب ، والإِيمان عمله ، وهو الانقياد للحق والخضوع له .

وقوله : ﴿ **ثم أدبر يسعىٰ** ﴾ ، أي : في مقابلة الحق بالباطل ، وهو جَمعُهُ السحرةَ ليقابلوا ما جاء به موسىٰ - عليه السلام - من المعجزة الباهرة ، ﴿ **فحشر فنادىٰ** ﴾ ، أي : في قومه ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلىٰ** ﴾ .

قال ابن عباس ومجاهد : وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله : ﴿ **ما علمت لكم من إلٰه غيري** ﴾ بأربعين سنة .

قال الله تعالى : ﴿ **فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ** ﴾ أي : انتقم الله منه انتقامًا جعله به عبرة ونكالًا لأمثاله من المتمردين في الدنيا ﴿ **ويوم القيامة ، بئس الرفد المرفود** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون** ﴾ ، هذا هو الصحيح في معنىٰ الآية أن المراد بقوله : ﴿ **نكال الآخرة والأولىٰ** ﴾ ، أي : الدنيا والآخرة . وقيل : المراد بذلك كلمتاه[٢] الأولىٰ والثانية . وقيل : كفره وعصيانه . والصحيح الذي لا شك فيه الأول .

وقوله : ﴿ **إنَّ في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ** ﴾ أي : لمن يتعظ وينزجر .

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾

[١] - في ز : الحق .
[٢] - في ز : كلمتيه .

وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ محتجًا علىٰ منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه : ﴿ **أأنتم** ﴾ أيها الناس ﴿ **أشدّ خلقًا أم السماء** ﴾ يعني بل السماءُ أشدّ خلقًا منكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ ، وقال : ﴿ **أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى ، وهو الخلاق العليم** ﴾ . **فقوله** : ﴿ **بناها** ﴾ فسره بقوله : ﴿ **رفع سمكها فسواها** ﴾ ، أي : جعلها عالية البناء ، بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء ، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء .

وقوله : ﴿ **وأغطش ليلها وأخرج ضحاها** ﴾ ، أي : جعل ليلها مظلمًا أسود حالكًا ، ونهارها مضيئًا مشرقًا نيرًا واضحًا .

قال ابن عباس : أغطش ليلها : أظلمه . وكذا قال مجاهد وعكرمة ، وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون .

﴿ **وأخرج ضحاها** ﴾ ، أي : أنار نهارها .

وقوله : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ فسره بقوله : ﴿ **أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾ ، وقد تقدم في سورة « حم السجدة » أن الأرض خلقت قبل السماء ، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء ، بمعنىٰ أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلىٰ الفعل . وهذا معنىٰ قول ابن عباس ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي ، حدثنا عبيد الله - يعني ابن عَمرو[١] - عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بن عَمْرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **دحاها** ﴾ : وَدَحْيها أن أخرج منها الماء والمرعىٰ ، وشقق الأنهار ، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام ، فذلك قوله : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ . وقد تقدم تقرير ذلك هنالك .

وقوله : ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ ، أي : قررها وأثبتها[٢] وأكَّدها في أماكنها ، وهو الحكيم العليم : الرءوف بخلقه الرحيم .

قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حَوشب ، عن سليمان بن أبي

(٣) المسند (١٢٤/٣) (١٢٢٧٤) . وسليمان بن أبي سليمان لم يوثقه غير ابن حبان ، وقال الحافظ في التقريب « مقبول » وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح . والحديث رواه الترمذي في التفسير ٣٣٦٩ عن =

[١] - في ز : عمر . [٢] - في ز : وثبتها .

سليمان ، عن أنس بن مالك عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فألقاها عليها ، فاستقرت ، فتعجبت الملائكةُ من خَلق الجبال فقالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد ، قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم ، النار . قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم ، الماء . قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم ، الريح ، قالت : يا رب ؛ فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم ، ابن آدم ، يتصدق بيمينه يخفيها من[١] شماله » .

وقال أبو جعفر بن جرير(٤) : حدثنا ابنُ حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن السُلَمي ، عن علي قال : لما خلق الله الأرض قمصت[٢] وقالت : تخلق عَلَي آدم وذريته ، يلقون عليّ نتنهم ويعملون عَلَيّ بالخطايا ، فأرساها الله بالجبال ، فمنها ما ترون ، ومنها ما لا ترون ، وكان أول قَرَار الأرض كلحم الجزور إذا نُحِر ، يختلج لحمه . غريب .

وقوله : ﴿ متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ ، أي : دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرىٰ أنهارها[٣] ، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها ، كل ذلك متاعًا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدّة احتياجهم إليها في هذه الدار إلىٰ أن ينتهي الأمد ، وينقضي الأجل .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

= ابن بشار ، عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب عنه به . وقال : غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه . ورواه عبد بن حميد ١٢١٥ . وأبو يعلى (٤٣١٠) (٧/٢٨٦-٢٨٧) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يزيد بن هارون به . والحديث صححه الضياء في « المختارة » (١/١٢٥/ب) .

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/٤٧) .

---

[١] - في خ : عن . [٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز : أنهارًا .

يقول تعالىٰ : ﴿ **فإذا جاءت الطامة الكبرىٰ** ﴾ ، وهو يوم القيامة . قاله ابن عباس ، سميت بذلك لأنها تَطمّ علىٰ كل أمرٍ هائل مفظع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والساعة أدهى وأمر** ﴾ .

﴿ **يوم يتذكر الإنسان ماسعىٰ** ﴾ ، أي : حينئذٍ يتذكرُ ابنُ آدم جميع عمله[١] خيره وشره ، كما قال : ﴿ **يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ** ﴾ . ﴿ **وبرزت الجحيم لمن يرىٰ** ﴾ ، أي : أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانًا . ﴿ **فأما من طغىٰ** ﴾ ، أي : تَمَرّد وعتا ، ﴿ **وآثر الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : قدمها علىٰ أمر دينه وأخراه ، ﴿ **فإن الجحيم هي المأوىٰ** ﴾ ، أي : فإن مصيرَه إلىٰ الجحيم ، وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم . ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوىٰ** ﴾ ، أي : خاف القيامَ بين يدي الله - عز وجل - وحكمَ اللَّه فيه ، ونهىٰ نفسه عن هواها ، ورَدّها إلىٰ طاعة مولاها ، ﴿ **فإن الجنة هي المأوىٰ** ﴾ أي : منقلبه ومصيره ومرجعه إلىٰ الجنة الفيحاء .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلىٰ ربك منتهاها** ﴾ ، أي : ليس علمها إليك ولا إلىٰ أحد من الخلق ، بل مَرَدّها ومَرجعها إلىٰ اللَّه - عز وجل - فهو الذي يعلم وقتها علىٰ التعيين ؛ ﴿ **ثَقُلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حَفيٌّ عنها قل إنما علمها عند الله** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **إلىٰ ربك منتهاها** ﴾ ؛ ولهذا[٢] لما سأل جبريلُ رسولَ الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن وقت الساعة قال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » .

وقوله : ﴿ **إنما أنت منذر من يخشاها** ﴾ ، أي : إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس اللَّه وعذابه ، فمن خشي اللَّه وخاف مقامه ووعيده ، اتبعك فأفلح وأنجح ، والخيبة والخسار علىٰ من كذبك وخالفك .

وقوله : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ ، أي : إذا قاموا من قبورهم إلىٰ المحشر يستقصرون مُدّة الحياة الدنيا ، حتىٰ كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضُحىٰ من يوم .

قال جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ ، أما عَشِيّة فما بين الظهر إلىٰ غروب الشمس ، ﴿ **أو ضحاها** ﴾ ، ما بين طلوع الشمس إلىٰ نصف النهار .

وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

[آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة] .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : وهذا .

تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

ذكر غيرُ واحدٍ من المفسرين أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يومًا يخاطبُ بعض عظماء قريش ، وقد طَمع في إسلامه ، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم - وكان ممن أسلم قديمًا - فجعل يسأل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن شيء ويلح عليه ، ووَدّ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك؛ ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعًا ورغبة في هدايته؛ وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل علىٰ الآخر ، فأنزل اللّٰه - عز وجل - : ﴿ **عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ وما يدريك لعله يزكىٰ** ﴾ أي : يحصل له زكاة[١] وطهارة في نفسه، ﴿ **أو يذكر فتنفعه الذكرىٰ** ﴾ ، أي : يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم ، ﴿ **أما من استغنىٰ فأنت له تصدىٰ** ﴾ ، أي : أما الغنيّ فأنت تتعرض له لعله يهتدي ﴿ **وما عليك ألا يزكىٰ** ﴾ أي : ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة[٢] . ﴿ **وأما من جاءك يسعىٰ وهو يخشىٰ** ﴾ أي : يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له ﴿ **فأنت عنه تلهى** ﴾ ، أي : تتشاغل . ومن ها هنا أمر اللّٰه - عز وجل - رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن لا يخص بالإنذار أحدًا ، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف ، والفقير والغني ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار . ثم اللّٰه يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم ، وله الحكمة البالغة[٣] ، والحجة الدامغة[٤] .

قال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده(١) : حدثنا محمد - هو ابن مهدي - حدثنا عبد الرزاق ،

(١) مسند أبي يعلى (٥/٤٣١ - ٤٣٢) (٣١٢٣) .

[١] - في ز : زكاء .
[٢] - في ز : زكاء .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

أخبرنا معمر ، عن قتادة عن أنس في قوله : ﴿ **عبس وتولىٰ** ﴾ ، جاء ابن أم مكتوم إلىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف ، فأعرض عنه ، فأنزل اللّه : ﴿ **عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ** ﴾ ، فكان النبيّ صلىٰ اللّه عليه وسلم بعد ذلك يكرمه .

وقال قتادة : وأخبرني أنس بن مالك ؛ قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ، ومعه راية سوداء ، يعني ابن أم مكتوم .

وقال أبو يعلى[٢] وابن جرير[٣] : حدثنا سعيد بن يحيىٰ الأموي ، حدثني أبي ، عن هشام بن عروة [مما عرضه][١] عليه عن عروة ، عن عائشة ؛ قالت : أنزلت : ﴿ **عبس وتولىٰ** ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمىٰ ، أتىٰ إلىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فجعل يقول : أرشدني - قالت : وعند رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم من عظماء المشركين - قالت : فجعل النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم يُعرض عنه ويقبل علىٰ الآخر ، ويقول : « أترىٰ بما أقول بأسًا ؟ ». فيقول : لا . ففي هذا أنزلت : ﴿ **عبس وتولىٰ** ﴾ .

وقد روىٰ الترمذي[٤] هذا الحديثَ ، عن سعيد بن يحيىٰ الأموي ، بإسناده مثله ، ثم قال : « وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : أنزلَت ﴿ **عبس وتولىٰ** ﴾ في ابن أم مكتوم ، ولم يذكر فيه عن عائشة » . قلت : كذلك هو في الموطأ .

ثم روىٰ ابن جرير[٥] وابن أبي حاتم أيضًا من طريق العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ** ﴾ ، قال : بينا رسولُ اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - يناجي عتبَة بن ربيعة ، وأبا جهل بنَ هشام ، والعباس بن عبد المطلب - وكان يتصدىٰ لهم كثيرًا ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا - فأقبل إليه رجل أعمىٰ - يقال له عبد اللّه بن أم مكتوم - يمشي وهو يناجيهم ، فجعل عبد اللّه يستقرئُ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم آية من القرآن ، وقال : يا رسول اللّه ؛ علّمني مما علمك اللّه ، فأعرض عنه رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وعبس في وجهه ، وتولىٰ وكره كَلامَه ، وأقبل علىٰ الآخرين ، فلما قضىٰ رسولُ اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم نجواه ، وأخذ ينقلب إلىٰ أهله ، أمسك اللّه بعض بصره ، ثم خَفَقَ برأسه ، ثم أنزل اللّه : ﴿ **عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ وما يدريك لعله يزكىٰ أو يذكر فتنفعه الذكرىٰ** ﴾ . فلما نزل فيه ما

---

(٢) مسند يعلى (٨/٢٦١) (٤٨٤٨) .

(٣) تفسير الطبري (٣٠/٥٠) .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة عبس ، حديث (٣٣٢٨) (٩/٦٧ - ٦٨) . وقال الترمذي : حسن غريب . وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥١ ، ٣٥٦٦) .

(٥) تفسير الطبري (٣٠/٥١) .

---

[١] - بياض في ز ، خ .

نزل ، أكرمه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكلمه ، وقال له النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ » وإذا ذهب من عنده قال : « هل لك حاجة في شيء ؟ » . وذلك لما أنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **أما من استغنىٰ فأنت له تصدىٰ وما عليك ألا يزكىٰ** ﴾ فيه غرابة ونكارة ، وقد تكلم في إسناده .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا عبد اللّٰه بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب ؛ قال : قال سالم بن عبد اللّٰه ، عن عبد اللّٰه ابن عمر : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « إن بلالًا يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتىٰ تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » . وهو الأعمىٰ الذي أنزل اللّٰه فيه : ﴿ **عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ** ﴾ ، وكان يؤذن مع بلال . قال سالم : وكان رجلًا ضرير البصر ، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس - حين ينظرون إلى بزوغ[١] الفجر - : أذن .

وهكذا ذكر عروة بن الزبير ، ومجاهد ، وأبو مالك ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغير واحد من السلف والخلف ؛ أنها نزلت في ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد اللّٰه ، ويقال : عمرو ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **كلا إنها تذكرة** ﴾ ، أي : هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم من شريفهم ووضيعهم .

وقال قتادة والسدي : ﴿ **كلا إنها تذكرة** ﴾ ؛ يعني القرآن . ﴿ **فمن شاء ذكره** ﴾ ، أي : فمن شاء ذكر اللّٰه في جميع أموره . ويحتمل عود الضمير علىٰ الوحي ؛ لدلالة الكلام عليه .

وقوله : ﴿ **في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة** ﴾ ، [أي : هذه السورة أو العظة ، وكلاهما متلازم ، بل جميع القرآن ﴿ **في صحف مكرمة** ﴾][٢] ، أي : معظمة موقرة . ﴿ **مرفوعة** ﴾ ، أي : عالية القدر ، ﴿ **مطهرة** ﴾ أي : من الدنس والزيادة والنقص .

وقوله : ﴿ **بأيدي سفرة** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ، والضحاك وابن[٣] زيد : هي الملائكة .

وقال وهب بن منبه : هم أصحاب محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وقال قتادة : هم القراء .

(٦) وأصله في الصحيحين دون ذكر أنه هو الذي أنزل الله فيه : ﴿ **عبس وتولى • أن جاءه الأعمى** ﴾ . أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : أذان الأعمى إذا كان له من يخبره ، حديث (٦١٧) (٢/٩٩) . وأطرافه في [٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ١٩١٨ ، ٢٦٥٦ ، ٧٢٤٨] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر . حديث (٣٦ ،٣٧/ ١٠٩٢) (٧/٢٨٤ - ٢٨٥) . كلاهما من طريق ابن شهاب بهذا الإسناد وقد ورد الحديث عن عدة من الصحابة ، راجع الإرواء (٢١٩) .

[١] - في ز : فروع .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : وأبو .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس : السفرة بالنبطية : القراء .

وقال ابن جرير : الصحيح أن السفرة الملائكة ، [والسفرة][١] يعني بين الله وبين خلقه ، ومنه يقال : السفير : الذي يسعىٰ بين الناس في الصلح والخير ، كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت

وقال البخاري(٧) : « سَفَرَة : الملائكة . سفرت : أصلحت بينهم . وجعلت الملائكةُ إذا نَزَلت بوحْي الله وتأديته[٢] كالسفير الذي يصلح بين القوم[٣] » .

وقوله : ﴿ كرام بررة ﴾ ، أي : خُلقهم كريم حَسَن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة . ومن ها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله علىٰ السداد والرشاد .

قال الإمام أحمد (٨): حدثنا إسماعيل ، حدثنا[٤] هشام ، عن قتادة ، عن زُرَارة بن أوفي ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة ؛ قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « الذي يقرأ القرآن - وهو ماهر به - مع السَفَرَة الكرام البَرَرَة ، والذي يقرؤه - وهو عليه شاق - له أجران » .

أخرجه الجماعة من طريق قتادة به .

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا

(٧) في كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس (٦٩١/٨) .

(٨) المسند (٤٨/٦) (٢٤٣٢٢) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس ، حديث (٤٩٣٧) (٦٩١/٨) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه ، حديث (٧٩٨/٢٤٤) (١٢١/٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في ثواب قراءة القرآن ، حديث (١٤٥٤) (٧٠/٢ - ٧١) . والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل قارئ القرآن ، حديث (٢٩٠٦) (١١١/٨ - ١١٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : فضائل القرآن ، باب : الماهر بالقرآن ، حديث (٨٠٤٥) (٢٠/٥) باب : المتتعتع في القرآن ، حديث (٨٠٤٦ ، ٨٠٤٧) (٢١/٥) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : ثواب القرآن ، حديث (٣٧٧٩) (١٢٤٢/٢) . قال الترمذي : حسن صحيح .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : تأديبه .
[٣] - في ز : الناس .
[٤] - في خ : أخبرنا .

﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم : ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾ . قال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **قتل الإنسان** ﴾ : لعن الإنسان . وكذا قال أبو مالك . وهذا لجنس الإنسان المكذب ؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند ، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم .

قال ابن جرير : ﴿ **ما أكفره** ﴾ : ما أشد كفره ! وقال ابن جرير : ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافرًا ؟ أي : ما حمله علىٰ التكذيب بالمعاد .

وقال قتادة - وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي - : ﴿ **ما أكفره** ﴾ ما ألعنه .

ثم بين تعالىٰ له كيف خَلَقَه اللَّه من الشيء الحقير ، وأنه قادر علىٰ إعادته كما بدأه ، فقال : ﴿ **من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره** ﴾ ، أي : قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد . ﴿ **ثم السبيل يسره** ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس : ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه . وكذا قال عكرمة ، والضحاك ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدي ، واختاره ابن جرير .

وقال مجاهد : هذه كقوله : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا** ﴾ . أي : بيّنا له ووضّحناه وسَهلنا عليه علمه ، وهكذا قال الحسن ، وابن زيد . وهذا هو الأرجح ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **ثم أماته فأقبره** ﴾ أي : إنه بعد خلقه له ﴿ **أماته فأقبره** ﴾ أي : جعله ذا قبر . والعرب تقول : « قبرتُ الرجل » : إذا ولّيٰ ذلك منه ، وأقبره اللَّه . « وعَضَبتُ[١] قرن الثور ، وأعضبه[٢] اللَّه ، وبترت ذنب البعير وأبتره اللَّه : وطردت عني فلانًا ، وأطرده اللَّه . أي : جعله طريدًا ، قال الأعشى :

لو أَسْنَدتَ مَيْتًا إلى نحرها[٣] عَـاش ولَم يُـنـقَـل إلـىٰ قـابـر

وقوله : ﴿ **ثم إذا شاء أنشره** ﴾ ، أي : بعثه بعد موته ، ومنه يقال : البعث والنشور ، ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ .

﴿ **وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا أبي ، حدثنا أصبغ بن الفَرج ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني

(٩) في رواية دراج عن أبي السمح ضعف لكن يشهد لبعضه ما بعده .

[١] - في ز : عصبت .
[٢] - في ز : وأعصبه .
[٣] - في ز : خدرها .

عمرو ابن الحارث : أن دراجًا أبا السمح أخبره ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « يأكل الترابُ كلّ شيء من الإنسان إلا عَجْبَ ذَنبِه[١] » . قيل : وما هو يا رسول اللّٰه ؟ قال : « مثل حبة خردل منه ينشئون » .

وهذا الحديث ثابت في الصحيح(١٠) من رواية الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، بدون هذه الزيادة ، ولفظه : « كل ابن آدم يبلىٰ إلا عَجْبُ الذنب ، منه خلق وفيه يركب » . وقوله : ﴿ **كلا ، لمَّا يقض ما أمره** ﴾ - قال ابن جرير : يقول : كلا ، ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر؛ من أنه قد[٢] أدىٰ حق اللّٰه عليه في نفسه وماله ، ﴿ **لما يقض ما أمره** ﴾ ، يقول : لم يُؤَدِّ ما فرض عليه من الفرائض لربه عز وجل .

ثم روىٰ هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ **كلا[٣] لما يقض ما أمره** ﴾ ، قال : لا يقضي أحد أبدًا كل ما افترض عليه . وحكاه البغوي ، عن الحسن البصري، بنحو من هذا . ولم أجد للمتقدمين فيه كَلامًا سوىٰ هذا . والذي يقع لي في معنىٰ ذلك - واللّٰه أعلم - أن المعنىٰ : ﴿ **ثم إذا شاء أنشره** ﴾ ، أي : بعثه ، ﴿ **كلا لما يقض ما أمره** ﴾ : لا يفعله الآن حتىٰ تنقضي المدة ، ويفرغ القدرمن بني آدم ممن كتب تعالىٰ له أن[٤] سيُوجَدُ منهم ، ويخرج إلىٰ الدنيا ، وقد أمر[٥] به تعالىٰ كونًا وقدرًا ، فإذا تناهى ذلك عند اللّٰه أنشر اللّٰه الخلائق وأعادهم كما بدأهم .

وقد روىٰ ابنُ أبي حاتم ، عن وهب بن مُنَبّه؛ قال : قال عُزَير عليه السلام : قال الملك الذي جاءني : فإن القبور[٦] هي بطنُ الأرض ، وإن الأرض هي أم الخلق ، فإذا خلق اللّٰه ما أراد أن يخلق ، وتمت هذه القبور التي مَدّ اللّٰه لها ، انقطعت الدنيا ومات من عليها ، ولفظت الأرض ما في جوفها ، وأخرجت القبورُ ما فيها . وهذا شبيه بما قلناه من معنىٰ الآية ، واللّٰه - سبحانه وتعالىٰ - أعلم بالصواب .

وقال : ﴿ **فلينظر الإنسان إلىٰ طعامه** ﴾ : فيه [امتنان وفيه][٧] استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة علىٰ إحياء الأجسام بعد ما كانت عظامًا بالية وترابًا ممزقًا[٨] : ﴿ **أنا صببنا الماء**

(١٠) أخرجه البخارى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللّٰه ....** ﴾ ، حديث (٤٨١٤) (٨/٥٥١ - ٥٥٢) وطرفه في [٤٩٣٥] . ومسلم في كتاب : الفتن ، باب : ما بين النفختين ، حديث (١٤١/٢٩٥٥) . كلاهما من رواية الأعمش بمعناه .

[١] - في خ : الذنب .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : أمره .
[٦] - في ز : الصور .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز : متمزقًا .

صبًّا ﴾ ، أي : أنزلناه من السماء علىٰ الأرض ، ﴿ ثم شققنا الأرض شقًّا ﴾ ، أي : أسكناه فيها فَدَخَلَ[١] في تُخُومها ، وتخلّل[٢] في أجزاء الحب المودَع فيها ، فنبت[٣] وارتفع ، وظهر علىٰ وجه الأرض ، ﴿ فأنبتنا فيها حبًّا وعنبًا وقضبًا ﴾ ، فالحب : كل ما يذكر من الحبوب ، والعنب معروف ، والقضب هو : الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة . ويقال لها : القت أيضًا . قال ذلك ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك والسدي .

وقال الحسن البصري : القضب : العلف .

﴿ وزيتونًا ﴾ ، وهو معروف ، وهو أدْمٌ وعصيره أدم ، ويستصبح به ، ويدهن به[٤] ، ﴿ ونخلًا ﴾ يؤكل بلحًا بسرًا[٥] ورطبًا ، وتمرًا ، ونيئًا ، ومطبوخًا ، ويعتصر منه رُبٌّ وخل . ﴿ وحدائق غلبًا ﴾ : أي بساتين . قال الحسن ، وقتادة : ﴿ غلبًا ﴾ : نخل غلاظ كرام . وقال ابن عباس ، ومجاهد : الحدائق : كل ما التف[٦] واجتمع . وقال ابن عباس أيضًا : ﴿ غلبًا ﴾ : الشجر الذي يستظل به . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وحدائق غلبًا ﴾ ، أي : طوال . وقال عكرمة : ﴿ غلبًا ﴾ أي : غلاظ الأوساط . وفي رواية : غلاظ الرقاب ، ألم تر إلىٰ الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل : والله إنه لأغلب . رواه ابن أبي حاتم ، وأنشد ابن جرير للفرزدق :

عوىٰ فأثار أغلب ضيغميًّا فويل ابن المراغة[٧] ما استثارا

وقوله : ﴿ وفاكهة وأبًّا ﴾ ، أما الفاكهة فهو كل[٨] ما يتفكه به من الثمار . قال ابن عباس : الفاكهة : كل ما أكل رطبًا ، والأب ما أنبتت الأرض ، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس - وفي رواية عنه : هو الحشيش للبهائم . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك : الأب : الكلأ . وعن مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم . وعن عطاء : كل شيء نبت علىٰ وجه الأرض فهو أبٌّ . وقال الضحاك : كل شيء أنبتته الأرض سوىٰ الفاكهة فهو أبٌّ .

وقال ابن إدريس ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأب : نبت الأرض مما [ ][٩] تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير(١١) من ثلاث طرق ، عن ابن

(١١) أخرجه الطبري (٦٠/٣٠) .

[١] - في ز : فيدخل .
[٢] - في ز : وتحلل .
[٣] - في ز : فينبت .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز : ملتف .
[٧] - في ز : المراعة .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : لا .

إدريس ، ثم قال :

حدثنا[١] أبو كريب وأبو السائب ؛ قالا : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : عدّ[٢] ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام . هذا لفظ أبي كريب وقال أبو السائب : ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام .

وقال العوفي عن ابن عباس : الأب : الكلأ والمرعىٰ . وكذا قال مجاهد والحسن ، وقتادة وابن زيد وغير واحد .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام(١٢) : حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا العوام بن حَوشب ، عن إبراهيم التيمي ؛ قال : سُئِل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ : ﴿ وفاكهة وأبًا ﴾ فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم .

وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق . فأمّا ما رواه ابن جرير(١٣) حيث قال :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عَدي ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس ؛ قال : قرأ عمر بن الخطاب ﴿ عبس وتولىٰ ﴾ فلما أتىٰ علىٰ هذه الآية : ﴿ وفاكهة وأبًا ﴾ قال : قد[٣] عرفنا ما الفاكهة ؟ فما الأب ؟ فقال : لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف .

فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس(١٤) ، به . وهو محمول علىٰ أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله : ﴿ فأنبتنا فيها حبًا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخلًا ، وحدائق غلبًا ، وفاكهة وأبًّا ﴾ وقوله : ﴿ متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ ، أي : عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلىٰ يوم القيامة .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ

(١٢) أخرجه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٣٧٥) .
(١٣) أخرجه الطبري (٥٩/٣٠) .
(١٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٣٧٥) من طريق حميد . وأخرجه البخاري في كتاب : الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال ...، حديث (٧٢٩٣) (٢٦٤/١٣ - ٢٦٥) من طريق حماد ابن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، فأخرج منه قول عمر - رضي الله عنه : « نهينا عن التكلف » . قال الحافظ في الفتح (٢٧٠/١٣ - ٢٧١) : هكذا أورده مختصرًا ، وذكر الحميدي أنه جاء في رواية أخرى عن ثابت عن أنس أن عمر - رضي الله عنه - قرأ ﴿ فاكهة وأبا ﴾... الحديث - نحو حديث الطبري وأبي عبيد - ثم قال : وهذا أولى أن يكمل به الحديث الذي أخرجه البخاري . اهـ .

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز : عدا .
[٣] - سقط من ت .

﴿وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

قال ابن عباس: ﴿الصاخة﴾ اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده.

قال ابن جرير: لعله اسم للنفخة[١] في الصور. وقال البغويّ: ﴿الصاخة﴾. يعني صيحة القيامة، سميت بذلك لأنها تَصُخّ الأسماع، أي: تبالغ في إسماعها حتىٰ تكاد تُصمّها.

﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾، أي: يراهم، ويفر منهم، ويبتعد[٢] عنهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جليل.

قال عكرمة: يلقىٰ الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه، أيّ بعل كنتُ لك؟ فتقول: نعم البعل كنتَ! وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليومَ حسنةً واحدةً تهبينها[٣] لي لعلي أنجو مما ترين[٤]. فتقول له: ما أيسر ما طلبتَ، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا أتخوف مثل الذي تخاف. قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق[٥] به فيقول: يا بني، أيّ والد كنتُ لك؟ فيثني بخير. فيقول له: يا بني؛ إني احتجت إلىٰ مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترىٰ. فيقول ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا. يقول الله تعالىٰ: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾.

وفي الحديث الصحيح(١٥) - في أمر الشفاعة - أنه إذا طلب إلىٰ كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: نفسي نفسي، لا أسأله اليوم إلا نفسي، حتىٰ إن عيسىٰ ابن مريم يقول: لا أسأله اليومَ إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾.

---

(١٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية: ٧٩.

---

[١] - في ز: النفخة.
[٢] - في ز: يتبعد.
[٣] - في ز: تهبيها.
[٤] - في ز: تري.
[٥] - في ز: فيعلق.

قال قتادة : الأحب فالأحب ، والأقرب فالأقرب ، من هول ذلك اليوم .

وقوله : ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ ، أي : هو في شُغُل شاغل عن غيره .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا الوليد بن صالح ، حدثنا ثابت أبو زيد العباداني ، عن هلال بن خَبَّاب[١] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة مشاة غُرلًا » . قال : فقالت زوجته : يا رسول الله ، أوَ يرىٰ بعضنا عورة بعض ؟ قال : « ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ » . أو قال : « ما أشغله عن النظر » .

وقد رواه النسائي(١٦) منفردًا به ، عن أبي داود ، عن[٢] عارم ، عن ثابت بن يزيد - وهو أبو زيد الأحول البصري ، أحد الثقات - عن هلال بن خَبَّاب[٣] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به . وقد رواه الترمذي عن عَبد[٤] بن حُميد ، عن محمد بن الفضل ، عن ثابت ابن يزيد[٥] ، عن هلال بن خَبَّاب[٦] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « تحشرون حفاة عراة غُرلًا » . فقالت امرأة : أيبصر - أو : يرىٰ - بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة ؛ ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ » . ثم قال الترمذي : « وهذا حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقال النسائي(١٧) : أخبرني عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، حدثنا الزبيدي ، أخبرني الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلًا » . فقالت عائشة : يا رسول الله ؛ فكيف بالعورات ؟ فقال : « ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه** ﴾ » . انفرد به النسائي من هذا الوجه .

ثم قال ابن أبي حاتم أيضًا[٧] : حدثنا أبي ، حدثنا أزهر بن حاتم ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، عن عائذ[٨] بن شَرَيح ، عن أنس بن مالك ؛ قال : سألَتْ عائشة - رضي الله عنها - رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ؛ بأبي أنتَ وأمي ، إني سائلتك عن

---

(١٦) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس ، حديث (١١٦٤٧) (٥٠٦/٦ - ٥٠٧) . وأخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة عبس ، حديث (٣٣٢٩) (٦٨/٩ - ٦٩) .

(١٧) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة عبس ، حديث (١١٦٤٨) (٥٠٧/٦) .

---

[١] - في ز : حباب .
[٢] - في ز : وعن .
[٣] - في ز : حباب .
[٤] - في ز : عبد الله .
[٥] - في ز ، خ : زيد .
[٦] - في ز : حباب .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز ، ت : عائد . والمثبت من الجرح والتعديل .

حديث فتخبرني أنتَ به . قال : « إن كان عندي منه علم » . قالت : يا نبي اللَّه ؛ كيف يُحشر الرجال ؟ قال : « حفاة عراة » . ثم انتظرتْ ساعة فقالت : يا نبي اللَّه ؛ كيف يحشر النساء ؟ قال : « كذلك حفاة عراة » . قالت : وا سوأتاه من[١] يوم القيامة ! قال : « وعن أي ذلك تسألين ، إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون » . قالت : أيةُ آية هي يا رسول اللَّه ؟ قال : « ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ[٢] شأن يغنيه ﴾ » .

وقال البغوي في تفسيره : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشّريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرني الحسين بن عبد اللَّه ، حدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد ابن عبد العزيز ، حدثنا ابن أبي أويس ، حدثنا أبي ، عن محمد بن أبي عياش ، عن عطاء بن يسار ، عن سودة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « يبعث الناس حفاة عراة غُرلًا قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحوم الآذان » . فقلت : يا رسول اللَّه ، وا سوأتاه ينظر بعضنا إلىٰ بعض ؟ فقال : « قد شُغل الناس ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ » . هذا حديث غريب من هذا الوجه جدًّا ، وهكذا رواه ابن جرير(١٨) عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي ، عن الفضل بن موسىٰ ، به . ولكن قال أبو حاتم الرازي : عائذ[٣] بن شريح ضعيف ، في حديثه ضعف .

وقوله : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ﴾ ، [أي : يكون الناس هنالك فريقين ﴿ وجوه مسفرة ﴾ ، أي : مستنيرة ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾][٤] ، أي : مسرورة فرحة من سرور قلوبهم ، قد ظهر البشر علىٰ وجوههم ، وهؤلاء أهل الجنة . ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾ ، أي : يعلوها ويغشاها قترة ، أي : سواد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن عثمان العسكري ، حدثنا أبو علي محمد مولىٰ جعفر بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة علىٰ وجوههم » . قال : « فهو قوله : ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ » .

وقال ابن عباس : ﴿ترهقها قترة﴾ أي : يغشاها سواد الوجوه .

وقوله : ﴿ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ ، أي : الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا ﴾

[آخر تفسير سورة عبس ، وللَّه الحمد والمنة] .

(١٨) تفسير الطبري (٣٠/٦١ - ٦٢) .

[١] - في ز ، خ : في .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : عائد . وفي خ : عابد .
[٤] - سقط من ز ، خ .

تفسير سورة التكوير

وهي مكية

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص، أن عبد الرحمن ابن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر؛ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وهكذا رواه الترمذي(٢) عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق، به .

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ يعنى أظلمت. وقال العوفى عنه : ذهبت. وقال مجاهد : اضمحلت وذهبت. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة : ذهب ضوؤها. وقال سعيد بن جبير : كورت : غورت. وقال الربيع بن خُثيم : كورت يعنى رمي بها. وقال أبو صالح : كورت : ألقيت، وعنه أيضًا نكست. وقال زيد بن أسلم : تقع في الأرض .

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على[١] بعض، ومنه تكوير العمامة، [وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكاره وهي][٢] وجمع الثياب بعضها إلى[٣] بعض، فمعنى قوله تعالى : ﴿ كورت ﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها .

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٧) (٤٨٠٦) .

(٢) والترمذي في كتاب : التفسير، باب : «ومن سورة إذا الشمس كورت»، حديث (٣٣٣٠) (٩/٦٩). وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨١) .

[١] - في ز : إلى .
[٢] - سقط من ز، خ .
[٣] - في ز : على .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، وعمرو بن عبد اللَّه الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن شيخ من بجيلة ، عن ابن عباس : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال : يكور اللَّه الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ، ويبعث اللَّه ريحًا دبورًا فتضرمها[١] نارًا . وكذا قال عامر الشعبي . ثم قال ابن أبي حاتم(٤) :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن ابن يزيد بن أبي مريم ، عن أبيه أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال في قول اللَّه : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال : « **كورت في جهنم** » .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٥) في مسنده : حدثنا موسىٰ بن محمد بن حيان[٢] ، حدثنا دُرُسْتُ[٣] بن زياد ، حدثنا يزيد الرقاشي ، حدثنا أنس؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الشمس والقمر ثوران[٤] عقيران في النار** » .

هذا حديث ضعيف ؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ، ثم قال البخاري(٦) :

حدثنا مسدد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا عبد اللَّه الداناج ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « **الشمس والقمر يكوران يوم القيامة** » . انفرد به البخاري وهذا لفظه ، وإنما أخرجه في كتاب « **بدء الخلق** » ، وكان جديرًا أن يذكره هاهنا أو يكرره ، كما هي عادته في أمثاله ! وقد رواه البزار فجود إيراده ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد اللَّه الداناج؛ قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن [عبد اللَّه][٥] القسريَّ في هذا المسجد مسجد الكوفة ، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث؛ قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة** » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وتقول -

(٣) تفسير الطبري (٦٨/٣٠) من طريق أبي أسامة بهذا الإسناد بنحوه .

(٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢٥/٦) وزاد نسبته إلى الديلمي .

(٥) مسند أبي يعلى (١٤٨/٧) (٤١١٦) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة الشمس والقمر ، حديث (٣٢٠٠) (٢٩٧/٦) .

[١] - في ز : فيضرمها .
[٢] - في ز : حبان .
[٣] - في ز ، خ : درسب .
[٤] - في ت : نوران .
[٥] - في ز : « عبد لقوم » . وغير واضحة في خ .

أحسبه قال[١] - : وما ذنبهما .

ثم قال : لا يروىٰ عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد اللّٰه الداناج عن أبي سلمة سوىٰ هذا الحديث .

وقوله : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، أي : انتثرت ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ . وأصل الانكدار[٢] : الانصباب .

قال الربيع بن أنس(٧) ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ؛ قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال علىٰ وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن إلىٰ الإنس والإنس إلىٰ الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش ، فماجوا بعضهم في بعض . ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : اختلطت ، ﴿ **وإذا العشار عطلت** ﴾ ، قال : أهملها أهلها ، ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ ، قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالخبر . قال : فانطلقوا إلىٰ البحر فإذا هو نار تأجج ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلىٰ الأرض السابعة السفلىٰ وإلىٰ السماء السابعة العليا ، قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

رواه ابن جرير(٨) - وهذا لفظه - وابن أبي حاتم ، ببعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم ، والحسن البصري وأبو صالح ، وحماد بن أبي سليمان ، والضحاك في قوله : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، أي : تناثرت .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، أي : تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم(٩) ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ ، قال : « **انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون اللّٰه فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسىٰ وأمه ، ولو رضيا أن يُعْبَدَا لدخلاها** » . رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم .

وقوله : ﴿ **وإذا الجبال سيرت** ﴾ أي : زالت عن أماكنها ونسفت ، فتركت الأرض قاعًا صفصفًا .

وقوله : ﴿ **وإذا العشار عطلت** ﴾ ، قال عكرمة ، ومجاهد : عشار الإبل . قال مجاهد :

---

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (ص ٨٥) (٢٣) .

(٨) والطبري (٣٠/٦٣ - ٦٤) .

(٩) تقدم تخريجه قريبًا .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : الانكباب .

﴿ **عطلت** ﴾ : تركت و[١] سُيِّبت .

وقال أبي بن كعب والضحاك : أهملها أهلها . وقال الربيع بن خثيم : لم تحلب ولم تصرّ ، تخلىٰ منها أربابها . وقال الضحاك أيضًا[٢] : تركت لا راعي لها .

والمعنىٰ في هذا كله متقارب . والمقصود أن العشار من الإبل - وهي : خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلىٰ الشهر العاشر ، واحدها : عشراء ، ولا يزال ذلك اسمها حتىٰ تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها ، بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل ، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها ، ووقوع مقدماتها .

وقيل : بل[٣] يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها ، وقد قيل في العشار : إنها السحاب يعطل عن المسير بين السماء والأرض ، لخراب الدنيا ، وقيل : إنها الأرض التي تعشر . وقيل : إنها الديار التي كانت[٤] تسكن تعطل لذهاب أهلها ، حكىٰ هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه « **التذكرة** » ، ورجح أنها الإبل ، وعزاه إلىٰ أكثر الناس. قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه ، والله أعلم.

وقوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، أي : جمعت . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ - قال ابن عباس : يحشر كل شيء حتىٰ الذباب[٥] . رواه ابن أبي حاتم . وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي ، وغير واحد . وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية : إن هذه [الخلائق موافية[٦] فيقضي][٧] الله فيها ما يشاء .

وقال عكرمة : حشرها موتها .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني علي [بن مسلم][٨] الطوسي ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : حشر البهائم موتها ، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس ؛ فإنهما يوقفان يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب(١١) ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلىٰ ، عن الربيع بن

(١٠) تفسير الطبري (٦٧/٣٠) .
(١١) تفسير الطبري (٦٧/٣٠) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : الدواب .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز : « يقضي » .
[٨] - سقط من ز ، خ .

خثيم : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : أتىٰ عليها أمر اللَّه . قال سفيان : قال أبي : فذكرته لعكرمة ، فقال : قال ابن عباس : حشرها موتها .

وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال : ﴿ **إذا الوحوش حشرت** ﴾ : اختلطت .

قال ابن جرير : والأولىٰ قول من قال : ﴿ **حشرت** ﴾ : جمعت ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **والطير محشورة** ﴾ ، أي : مجموعة .

وقوله : ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ ، قال ابن جرير(١٢) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُليَّة ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : قال علي رضي اللَّه عنه لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال : البحر . فقال[١] : ما أراه إلا صادقًا . ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ ، ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ مخففة[٢] .

وقال ابن عباس وغير واحد : يرسل اللَّه عليها الدبور فتسعرها ، وتصير[٣] نارًا تأجج . وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك عند قوله : ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو طاهر ، حدثني عبد الجبار ابن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه بمالك[٤] بن أنس - عن معاوية بن سعيد ؛ قال : إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض ، والأنهار كلها تصب فيه ، والبحر الكبير[٥] يصب فيه ، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أسجر .

وهذا أثر غريب عجيب . وفي سنن أبي داود(١٣) : « **لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز ، فإن تحت البحر نارًا ، وتحت النار بحرًا** » . الحديث . وقد تقدم الكلام عليه في « **سورة فاطر** » .

وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : ﴿ **سجرت** ﴾ أوقدت . وقال الحسن : يبست . وقال الضحاك ، وقتادة : غاض ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضًا : ﴿ **سجرت** ﴾ فجرت . وقال السدي : فتحت وسيرت . وقال الربيع بن خثيم : ﴿ **سجرت** ﴾ : فاضت .

---

(١٢) تفسير الطبري (٣٠/٦٧) .

(١٣) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم ، آية : ٤٨ .

---

[١] - في ز : قال .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فتصير .

[٤] - في ت : مالك .

[٥] - سقط من ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ [أي : جمع كل شكل إلى نظيره ، كقوله : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(١٤) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الصباح البزار ، حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾][١] ، قال : الضرباء ، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » . وذلك بأن الله - عز وجل - يقول : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون** ﴾ ، قال : « **هم الضرباء** » .

ثم[٢] رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير أن عمر خطب الناس فقرأ : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، فقال : تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم . وفي رواية : هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به[٣] الجنة أو النار .

وفي رواية عن النعمان(١٥) قال : سئل عمر عن قوله تعالى : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، فقال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ، فذلك تزويج الأنفس .

وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ؟ فسكتوا . قال : ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ، ثم قرأ : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ قال : ذلك حين يكون الناس أزواجًا ثلاثة .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، قال : الأمثال من الناس جمع بينهم . وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، وهو الصحيح .

(قول آخر) في قوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يسيل [ ][٤] واد من أصل

(١٤) وأخرجه ابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٥٢٧/٦) من حديث النعمان بن بشير بنحوه .

(١٥) أخرجه الطبري (٦٩/٣٠) . والحاكم (٥١٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي ، كلاهما من طريق سفيان=

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . [٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ . [٤] - في خ : « كماء » .

العرش من ماء فيما بين الصيحتين ، ومقدار ما بينهما أربعون عامًا ، فينبت منه كل خلق بلي ، من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض قد نبتوا ، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد ، فذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ .

وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والحسن البصري أيضًا في قوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، أي : زوجت بالأبدان . وقيل : زوج المؤمنون بالحور العين ، وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبي في « **التذكرة** » .

وقوله : ﴿**وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت**﴾ هكذا قراءة[١] الجمهور ﴿**سئلت**﴾ . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموءودة علىٰ أي ذنب قتلت ، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها ، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا ؟ !

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿**وإذا الموءودة سئلت**﴾ ، أي : سألت . وكذا قال أبو الضحىٰ (سألت[٢]) ، أي : طلبت بدمها . وعن السدي ، وقتادة ، مثله .

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة ، فقال الإمام أحمد(١٦) :

حدثنا عبد الله بن يزيد[٣] ، [حدثنا سعيد][٤] بن أبي أيوب ، حدثني أبو الأسود - وهو : محمد ابن عبد الرحمن بن نوفل - عن عروة ، عن عائشة ، عن جدامة[٥] بنت وهب - أخت عكاشة ؛ قالت : حضرت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في ناس وهو يقول : « **لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئًا** » . ثم سألوه عن العزل ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذلك[٦] الوأد الخفي ، وهو[٧] الموءودة سئلت** » .

ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ - وهو عبد الله بن يزيد - عن سعيد بن[٨]

= عن سماك عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - والحديث ذكره السيوطي في « الدر » (٥٢٧/٦) وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور وأبي نعيم في الحلية .

(١٦) أخرجه أحمد (٤٣٤/٦) (٢٧٥٥٤) . ومسلم في كتاب : النكاح ، باب : جواز الغيلة وهي =

[١] - في ز : قرأه .
[٢] - في ز : سئلت .
[٣] - في ز ، خ : زيد .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : خزامة .
[٦] - في ز : ذاك .
[٧] - في ز : وهي .
[٨] - في ز ، خ : عن .

أبي أيوب . ورواه أيضًا ابن[١] ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يحيىٰ بن إسحاق السيلحيني ، عن يحيىٰ بن أيوب .

ورواه مسلم(١٧) أيضًا وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث مالك بن أنس ، ثلاثتهم عن أبي الأسود ، به .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجعفي ؛ قال : انطلقت أنا وأخي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ؛ إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف ، وتفعل [وتفعل][٢] ، هلكت في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : « **لا** » . قلنا : فإنها كانت وأدت أختًا لنا[٣] في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : « **الوائدة والموءودة في النار ، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام ، فيعفو الله عنها** » .رواه النسائي من حديث داود بن أبي هند ، به .

وقال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة وأبي الأحوص ، عن ابن مسعود ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الوائدة والموءودة في النار** » .

وقال أحمد(٢٠) أيضًا : حدثنا إسحاق الأزرق ، أخبرنا عوف ، حدثتني حسناء[٤] ابنة معاوية الصريمية ، عن عمها[٥] .

= وطئ المرضع ، وكراهة العزل ، حديث (١٤٤٢/١٤١) (٢٥/١٠) . وابن ماجة في كتاب : النكاح ، باب : الغيل ، حديث (٢٠١١) (٦٤٨/١) .

(١٧) صحيح مسلم في الموضع السابق (١٤٤٢/١٤٠) (٢٣/١٠ - ٢٤) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الطب ، باب : في الغيل ، حديث (٣٨٨٢) (٩/٤) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الغيلة ، حديث (٢٠٧٨) (٢٦٦/٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : النكاح ، باب : الغيلة والعزل ، حديث (٥٤٨٥) (٣٠٦/٣ - ٣٠٧) . قال الترمذي : حسن غريب صحيح .

(١٨) أخرجه أحمد (٤٧٨/٣) (١٥٩٦٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التكوير ، حديث (١١٦٤٩) (٥٠٧/٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٤/١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والطبراني في الكبير بنحوه . اهـ .

(١٩) وأخرجه أبو داود في كتاب : السنة ، باب : في ذراري المشركين ، حديث (٤٧١٧) (٢٣٠/٤) من طريق علقمة به . وصححه الألباني من حديث عامر (٣٩٤٨) .

(٢٠) أخرجه أحمد (٥٨/٥) (٢٠٦٤٢) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٠٠ - ٢٥٢١) .

---

[١] - في ز : وابن .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : لها .

[٤] - في ز : خنساء .

[٥] - في ز ، خ : عمتها .

قال[١] : قلت : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « **النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والموءودة في الجنة** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا قرة ؛ قال : سمعت الحسن ؛ يقول : قيل : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « **الموءودة[٢] في الجنة** » .

هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن، ومنهم من قبله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني[٣] أبو عبد الله الظهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ؛ قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين في الجنة ، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** ﴾ ، قال ابن عباس : هي المدفونة .

وقال عبد الرزاق(٢١) : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب في قوله : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت** ﴾ ، قال : جاء قيس بن عاصم إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، إني وأدت بنات لي في الجاهلية ، فقال : « **أعتق عن كل واحدة منهن رقبة** » . قال : يا رسول الله ؛ إني صاحب إبل ؟ قال : « **فانحر عن كل واحدة منهن بدنة** » .

قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق ، ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه .

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال : أخبرنا أبو عبد الله الظهراني - فيما كتب إليّ - قال : حدثنا عبد الرزاق ... فذكره بإسناده مثله ، إلا أنه قال : وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية . وقال في آخره : « **فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة** » . ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ؛ قال : قدم قيس بن عاصم علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية - أو : ثلاث عشرة - قال : « **أعتق عددهن نسمًا** » . قال : فأعتق عددهن نسمًا ، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة ، فقال : يا رسول الله ، هذه صدقة قومي علىٰ أثر ما صنعت بالمسلمين . قال علي بن أبي

---

(٢١) أخرجه البزار (٢/١١٥ - مختصر) (١٥٢٥) . والبيهقي (٨/١١٦) كتاب : الديات ، باب : ما جاء في الكفارة في الجنين ، وغير ذلك . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٣٧) : رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي وهو ثقة .اهـ .

---

[١] - في ز ، خ : قالت .
[٢] - في ز : والموءودة .
[٣] - سقط من ز .

طالب : فكنا[١] نريحها ، ونسميها القيسية .

وقوله : ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ قال الضحاك : أعطي كل إنسان صحيفته[٢] بيمينه أو بشماله .

وقال قتادة : صحيفتك[٣] يا بن آدم ، تملي فيها ، ثم تطوىٰ ، ثم تنشر عليك يوم القيامة ، فلينظر[٤] رجل ماذا يملي في صحيفته .

وقوله : ﴿وإذا السماء كشطت﴾ قال مجاهد : اجتذبت . وقال السدي : كشفت . وقال الضحاك : تنكشط فتذهب .

وقوله : ﴿ وإذا الجحيم سعرت ﴾ ، قال السدي : أحميت . وقال قتادة : أوقدت . قال : وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم .

وقوله : ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ قال الضحاك وأبو مالك ، وقتادة والربيع بن خثيم : أي : قربت إلى أهلها .

وقوله : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ : هذا هو الجواب ، أي : إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك[٥] لها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿**ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر**﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن مطرف ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ؛ قال : لما نزلت : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، قال عمر : لما بلغ ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ ، قال : لهذا أجري[٦] الحديث .

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى

(٢٢) زاد السيوطي نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه (٥٢٨/٦) .

[١] - في ز : كنا .
[٢] - في ز : صحيفة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : فينظر .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز : حرى .

ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

روىٰ مسلم(٢٣) في صحيحه ، والنسائي في تفسيره عند هذه الآية ، من حديث مسعر بن كدام ، عن الوليد بن سريع ، عن عمرو بن حريث ؛ قال : صليت خلف النبي صلىٰ الله عليه وسلم الصبح ، فسمعته يقرأ : ﴿ **فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس** ﴾ .

ورواه النسائي(٢٤) عن بندار[١] ، عن غندر ، عن شعبة ، عن الحجاج بن عاصم ، عن أبي الأسود ، عن عمرو بن حريث ، به نحوه .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٥) ، من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن علي : ﴿ **فلا أقسم بالخنس [الجوار الكنس]**[٢] ﴾ ، قال : هي النجوم تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل .

وقال ابن جرير(٢٦) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن [جعفر ؛ قال : حدثنا][٣] شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت خالد بن عرعرة ، سمعت عليًا وسئل عن ﴿ **لا أقسم بالخنس . الجوار الكنس** ﴾ ، فقال : هي النجوم ، تَخنس بالنهار وتكنس بالليل .

وحدثنا أبو كريب(٢٧) ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن خالد ، عن علي ؛ قال : هي النجوم .

---

(٢٣) أخرجه مسلم في كتاب : الصلاة : باب : متابعة الإمام والعمل بعده ، حديث (٢٠١/٤٧٥) (٢٥٥/٤ - ٢٥٦) من طريق خلف بن خليفة الأشجعي عن الوليد بن سريع . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **والليل إذا عسعس** ﴾ ، حديث (١١٦٥١) (٥٠٧/٦ - ٥٠٨) مختصرًا .

(٢٤) سنن النسائي ، الكبرى ، الموضع السابق برقم (١١٦٥٠) (٥٠٧/٦).

(٢٥) أخرجه الطبري (٧٥/٣٠) .

(٢٦) أخرجه الطبري (٧٤/٣٠) .

(٢٧) أخرجه الطبري (٧٤/٣٠) . وليس فيه إسرائيل ، إنما أخرجه من طريق وكيع عن سماك .

---

[١] - في ز ، خ : سرار .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وهذا إسناد جيد صحيح إلىٰ[١] خالد بن عرعرة ، وهو السهمي الكوفي ، قال أبو حاتم الرازي : روىٰ عن علي ، وروىٰ عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، والله أعلم .

وروىٰ يونس ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ، أنها النجوم . رواه ابن أبي حاتم . وكذا رُوي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ، أنها النجوم .

وقال ابن جرير(٢٨) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا هوذة بن خليفة ، حدثنا عوف ، عن بكر ابن عبد الله في قوله : ﴿ **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس** ﴾ ، قال : هي النجوم الدراري ، التي تجري تستقبل المشرق .

وقال بعض الأئمة : إنما قيل للنجوم « **الخنس** » ، أي : في حال طلوعها ، ثم هي جوار في فلكها ، وفي حال غيبوبتها يقال لها « **كُنَّس** » ، من قول العرب : أوىٰ الظبي إلىٰ كناسة ، إذا تغيب فيه .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله ﴿ **فلا أقسم بالخنس** ﴾ ، [قال : بقر الوحش .

وكذا قال الثوري(٢٩) ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عبد الله : ﴿ **فلا أقسم بالخنس**][٢] **الجوار الكنس** ﴾ ، ما هي يا عمرو[٣] ؟ قلت : البقر . قال : وأنا أرىٰ ذلك .

وكذا روىٰ يونس بن أبي[٤] إسحاق عن أبيه .

وقال أبو داود الطيالسي ، عن عمرو ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : [﴿ **الجوار الكنس** ﴾ ، قال : البقر تكنس إلىٰ الظل . وكذا قال سعيد بن جبير .

وقال العوفي عن ابن عباس][٥] : هي الظباء . وكذا قال سعيد أيضًا ، ومجاهد والضحاك .

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد : هي الظباء والبقر .

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد :

---

(٢٨) أخرجه الطبري (٣٠/٧٥) .
(٢٩) أخرجه الطبري (٣٠/٧٥) .
(٣٠) أخرجه الطبري (٣٠/٧٦) مختصرًا .

---

[١] - في خ : عن .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : عمر .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

أنهما تذاكرا هذه الآية : ﴿ **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس** ﴾ ، فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا[١] نسمع فيها شيئًا ، وناس يقولون : إنها النجوم . قال : فقال إبراهيم : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها . قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون علىٰ عليّ ، هذا كما رووا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلىٰ ، والأعلىٰ الأسفل .

وتوقف ابن جرير في قوله : ﴿ **الخنس الجوار الكنس** ﴾ : هل هو النجوم ، أو الظباء وبقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مرادًا .

وقوله : ﴿**والليل إذا عسعس**﴾ فيه قولان :

أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وقال الحسن البصري : إذا غشي[٢] الناس . وكذا قال عطية العوفي .

وقال علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس : ﴿ **إذا عسعس** ﴾ : إذا أدبر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وكذا قال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : ﴿ **إذا عسعس** ﴾ ، أي : إذا ذهب فتولىٰ .

وقال أبو داود الطيالسي(٣١) : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتَري سمع أبا عبد الرحمن السلمي؛ قال : خرج علينا علي رضي الله عنه حين ثَوَّب المثوِّبُ بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر : ﴿ **والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس** ﴾ هذا حين أدبر[٣] حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ **إذا عسعس** ﴾ : إذا أدبر . قال : لقوله : ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ ، أي : أضاء ، واستشهد بقول الشاعر أيضًا :

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أي : أدبر . وعندي أن المراد بقوله . ﴿ **عسعس** ﴾ : إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله في الإدبار ، لكن الإقبال هاهنا[٤] أنسب ، كأنه أقسم تعالىٰ بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ والنهار إذا تجلىٰ** ﴾ ، وقال : [﴿ **والضحىٰ والليل إذا**][٥] **سجىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **فالق الإصباح وجعل**[٦] **الليل سكنًا** ﴾ ، وغير ذلك من

(٣١) أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ٢٥) (١٧٤) من طريق شعبة ، عن أبي التياح ، عن رجل من عنزة ، عن رجل من بنى أسد قال : خرج علينا على ... الحديث . فذكره بنحوه .

[١] - في ز ، خ : ما .
[٢] - في ز : عشي .
[٣] - في ز : دبر .
[٤] - في ز : هنا .
[٥] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « الضحاك : ﴿ والليل إذا ﴾ .
[٦] - في ز : جاعل .

الآيات .

وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة ﴿ عسعس ﴾ تستعمل في الإقبال والإدبار علىٰ وجه الاشتراك ، فعلىٰ هذا يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن ﴿ عسعس ﴾ : دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء : كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتًا :

عسعس حتىٰ لو يشاء ادّنا كان له من ضوئه مقبس

يريد : لو يشاء إذ دنا ، أدغم الذال في الدال . وقال الفراء : وكانوا يَرَون أن هذا البيت مصنوع .

وقوله : ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ ، قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروي عن علي ، رضي الله عنه .

وقال ابن جرير : يعني : وضوء النهار إذا أقبل وتبين .

وقوله : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ، يعني : إن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم ، أي : ملك شريف حَسَن الخلق ، بهي المنظر ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام .قاله ابن عباس ، والشعبي ، وميمون بن مهران ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

﴿ ذي قوة ﴾ كقوله : ﴿ علّمه شديد القوىٰ * ذو مرة ﴾ ، أي : شديد الخَلْق ، شديد البطش والفعل ، ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾ ، أي : له مكانة عند الله - عز وجل - ومنزلة رفيعة .

قال أبو صالح في قوله : ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾ قال : جبريل يدخل في سبعين حجابًا من نور بغير إذن .

﴿ مطاع ثم ﴾ أي : له وجاهة ، وهو مسموع القول مطاع في الملإ الأعلى .

قال قتادة : ﴿ مطاع ثم ﴾ ، أي : في السماوات ، يعني : ليس هو من أفناء[١] الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، معتنىٰ به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة[٢] .

وقوله : ﴿ أمين ﴾ : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدًا أن الرب - عز وجل - يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل ، كما زكىٰ عبده ورسوله البشري محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم بقوله : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ .

---

[١] - في ز : أفناد . [٢] - سقط من ت .

قال الشعبي ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم[١] ذكرهم : المراد بقوله : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ ، يعني : محمدًا ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، يعني : ولقد رأىٰ محمدٌ جبريلَ الذي يأتيه بالرسالة عن اللّٰه - عز وجل - علىٰ الصورة التي خلقه اللّٰه عليها له ستمائة جناح ، ﴿ **بالأفق المبين** ﴾ ، أي : البين ، وهي الرؤية الأولىٰ التي كانت بالبطحاء ، وهي المذكورة في قوله : ﴿ **علّمه شديد القوىٰ * ذو مرة فاستوىٰ * وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ** ﴾ ، كما تقدم تفسير ذلك وتقريره .

والدليل أن المرادَ بذلك جبريل عليه السلام . والظاهر - واللّٰه أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولىٰ ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوىٰ * إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ** ﴾ ، فتلك إنما ذكرت في سورة النجم ، وقد نزلت بعد الإسراء.

وقوله : ﴿ **وما هو علىٰ الغيب بظنين** ﴾ [أي : وما محمد علىٰ ما أنزله اللّٰه إليه بظنين][٢] ، أي : بمتهم . ومنهم من قرأ[٣] ذلك بالضاد ، أي : ببخيل ، بل يبذله لكل أحد .

قال سفيان بن عُيَينة : ظنين وضنين سواء ، أي : ما هو بكاذب ، وما هو بفاجر . والظنين : المتهم ، والضنين : البخيل .

وقال قتادة : كان القرآن غيبًا ، فأنزله اللّٰه علىٰ محمد ، فما[٤] ضَنَّ به علىٰ[٥] الناس ، [بل بَلغَه ونشره وبذله لكل من أراده][٦] . وكذا قال عكرمة ، وابن[٧] زيد ، وغير واحد . واختار ابن جرير قراءة الضاد .

قلت : وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح كما تقدم.

وقوله : ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم** ﴾ ، أي : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أي: لا يقدر علىٰ حمله ، ولا يريده[٨] ، ولا ينبغي له ، كما قال : ﴿ **وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأين تذهبون** ﴾ أي : فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره

---

[١] - في ز : بعدهم .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : قر .
[٤] - في ز : لما .
[٥] - في ز : عن .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : وأبو .
[٨] - في ز : يدبره .

ووضوحه ، وبيان كونه جاء من عند اللّه - عز وجل - كما قال الصديق رضي اللّه عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة ، فقال : ويحكم . أين يُذهب بعقولكم ؟ واللّه إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أي : من إله(٣٢) .

وقال قتادة : [﴿ **فأين تذهبون** ﴾][١] أي : عن كتاب اللّه وعن طاعته .

وقوله : ﴿ **إن هو**[٢] **إلا ذكر للعالمين** ﴾ ، أي : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتعظون ، ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ، أي : من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن ، فإنه منجاةٌ له وهداية ، ولا هداية فيما سواه ، ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء اللّه رب العالمين** ﴾ ، أي : ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اهتدىٰ ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة اللّه - عز وجل - ربِّ العالمين .

قال سفيان الثوري(٣٣) ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسىٰ : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ، قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم . فأنزل اللّه : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء اللّه ربُّ العالمين** ﴾

[آخر تفسير سورة التكوير ، وللّه الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

(٣٢) تقدم مطولًا في سورة يونس ، آية : (١٦) .
(٣٣) أخرجه الطبري (٣٠/٨٤) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : هذا .

تفسير سورة الانفطار

وهي مكية

قال النسائي(١) : أخبرنا محمد بن قدامة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن محارب بن دثار ، عن جابر؛ قال : قام معاذ فصلىٰ العشاء الآخرة فطول ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أفتان يامعاذ ؟ [أفتان يامعاذ ؟][١] أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلىٰ ، والضحىٰ ، وإذا السماء انفطرت ؟ !** » . و[٢] أصل الحديث مخرج في الصحيحين(٢) .

ولكن ذُكرَ ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ في أفراد النسائي : وتقدم من رواية عبد اللّٰه بن عمر(٣) ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من سَرّه أن يَنْظُرَ إلىٰ القيامة رأيَ عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾** » .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا
ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ
بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ
رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾

يقول تعالى : ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ أي : انشقت . كما قال تعالى : ﴿ **السماء منفطر به** ﴾ .

(١) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الانفطار ، حديث (١١٦٥٢) (٦/٥٠٨).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا وجاهلًا ... ، حديث (٦١٠٦) (١٠/٥١٥ - ٥١٦) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في العشاء ، حديث (١٧٨ ، ٤٦٥/١٧٩) (٤/٢٤٠ - ٢٤٢) . كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - في قصة طويلة .

(٣) تقدم تخريجه في أول سورة التكوير .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ أي: تساقطت.

﴿ **وإذا البحار فجرت** ﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض. وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط مالحها بعذبها، وقال الكلبي: ملئت.

﴿ **وإذا القبور بعثرت** ﴾، قال ابن عباس: بحثت. وقال السدي: تبعثر: تحرك فيخرج من فيها.

﴿ **علمت نفس ما قدمت وأخرت** ﴾ أي: إذا كان هذا حصل هذا.

وقوله: ﴿ **يا أيها الإنسان * ما غرك بربك الكريم** ﴾: هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب، حيث قال ﴿ **الكريم** ﴾، حتى يقول قائلهم: غره كرمه. بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا بن آدم بربك الكريم - أي: العظيم - حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: « **يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبتَ المرسلين؟** »(٤).

قال ابن أبي حاتم(٥): حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان [أن عمر][١] سمع رجلًا يقرأ[٢]: ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم** ﴾، فقال عمر: الجهل.

وقال أيضًا: حدثنا عمر بن شَبَّة[٣]، حدثنا أبو خلف، حدثنا يحيى[٤] البكاء، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم** ﴾، قال ابن عمر: غره - والله - جهله.

قال: وري عن ابن عباس والربيع بن خثيم، والحسن مثل ذلك.

وقال قتادة: ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾: شيءٌ ما غَرَّ ابن آدم [ ][٥]، وهذا العدو الشيطان.

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة. وقال أبو بكر

---

(٤) تقدم تخريجه في الحجر، رقم (٧١).

(٥) ورواه سعيد بن منصور كما في « الدر المنثور » (٦/٥٣٤) بنحوه.

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ز، خ: يقول.
[٣] - في ز، خ: شيبة.
[٤] - في خ: عن. كذا.
[٥] - في ت: غير.

الوراق : لو قال لي ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ ، لقلت : غرني كرم الكريم .

قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿**بربك الكريم**﴾ دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة.

وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل ؛ لأنه إنما أتىٰ باسمه ﴿ **الكريم** ﴾ ، لينبه علىٰ أنه لا ينبغي أن يُقَابل الكريم بالأفعال القبيحة ، وأعمال السوء .

وحكىٰ البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا : نزلت هذه الآية في الأخنس[١] بن شَريق ، ضرب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ولم يعاقب في الحالة الراهنة[٢] ، فأنزل الله : ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ ، أي : ما غرك بالرب الكريم ﴿ **الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ ، أي : جعلك سَوِيًّا معتدل القامة منتصبها ، في أحسن الهيئات[٣] والأشكال .

قال الإمام أحمد(٦): حدثنا أبو النضر[٤] ، حدثنا حَريزٌ[٥] ، حدثني عبد الرحمن بن مَيسرة ، عن جُبَير بن نُفير ، عن بُسْر[٦] بن جحَاش القرشي ، : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بصق يومًا في كفه ، فوضع عليها إصبعه ، ثم قال : « **قال الله عز وجل : ابنَ[٧] آدم ، أنَّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتىٰ إذا سَوّيتك وعدلتك ، مشيت بين بردين وللأرض منك وَئِيدٌ ، فجَمَعت ومَنعت ، حتىٰ إذا بلغت التراقي قلتَ : أتصدقُ ، وأنّى أوان الصدقة** » .

وكذا رواه ابن ماجة(٧) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن حَريز[٨] بن عثمان به .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّي : وتابعه يحيىٰ بن حمزة ، عن ثور بن يزيد ، عن عبد الرحمن ابن ميسرة .

---

(٦) تقدم تخريجه في سورة النحل ، آية : (٤) .
(٧) ينظر الموضع السابق .

---

[١] - في ز : الأسود .
[٢] - بياض في ز . وسقط من خ .
[٣] - في ز : الهبات .
[٤] - في ز ، خ : المغيرة .
[٥] - في ز ، خ : جرير .
[٦] - في ز : بشر .
[٧] - في ز : بني .
[٨] - في ز ، خ : جرير .

وقوله: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾ قال مجاهد: في أي شبه أبٍ أو أم، أو خالٍ أو عمٍ.

وقال ابن جرير(٨): حدثني [محمد بن سنان القزاز، حدثنا مُطَهَّر بن الهيثم، حدثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رَبَاح، حدثني][١] أبي، عن جدي؛ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال له: « **ما ولد لك؟** » قال: يا رسول الله، ما عسىٰ أن يولَد لي؟ إما غلام وإما جارية. قال: « **فمن يشبه؟** ». قال: يا رسول الله، من عسى أن يشبه؟ إما أباه وإما أمه. فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم عندها: « مه. **لا تقولَنّ هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾**، قال: سَلَكَكَ.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني(٩) من حديث مطهر بن الهيثم به[٢]. وهذا الحديث لو صح لكان فيصلًا في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت، لأن « **مُطَهّر بن الهيثم** » قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث، وقال ابن حبان: يَرْوي عن موسىٰ بن عُليّ وغيره ما لا يُشبهُ[٣] حَديثَ الأثبات. ولكن في الصحيحين(١٠) عن أبي هُرَيرة أن رَجُلًا قال: يا رسولَ الله، إن امرأتي وَلَدت غُلامًا أسودَ؟. قال: « **هل لك من[٤] إبل؟** ». قال: نعم. قال: « **فما ألوانها؟** ». قال: حُمر. قال: « **فهل فيها من أورَق؟** ». قال: نعم. قال: « **فأنّىٰ أتاها ذلك؟** ». قال: عسىٰ أن يكون نَزَعه عرْق. قال: « **وهذا عسىٰ أن يكون نزعه عرق** ».

وقد قال عكرمة في قوله: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة خنزير.

وقال قتادة: ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾، قال: قادر - والله - ربنا علىٰ ذلك. ومعنىٰ هذا القول عند هؤلاء: أن الله - عز وجل - قادر علىٰ خلق النطفة علىٰ شكل قبيح من

---

(٨) تفسير الطبري (٣٠/٨٧).

(٩) المعجم الكبير (٥/٧٤) (٤٦٢٤). قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٣٨): رواه الطبراني وفيه مطر بن الهيثم وهو متروك.

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: إذا عرَّض بنفي الولد، حديث (٥٣٠٥) (٩/٤٤٢). وطرفاه في [٦٨٤٧، ٧٣١٤]. ومسلم في كتاب: اللعان، حديث (١٨ - ١٥٠٠/٢٠) (١٠/١٨٧ - ١٨٩).

---

[١] - سقط من ز، خ.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - في ز: به.

[٤] - سقط من ز.

الحيوانات المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه علىٰ شكل حسن مستقيم معتدل تام ، حَسَن المنظر والهيئة .

وقوله : ﴿ **كلا بل تكذبون بالدين** ﴾ ، أي : بل إنما يحملكم علىٰ مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي ، تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون** ﴾ ، يعني : وإن عليكم لملائكة حفَظَة كرامًا كاتبين[١] فلا تقابلوهم بالقبائح ، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ومسعر ، عن علقمة بن مرثد[٢] ، عن مجاهد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدىٰ حالتين : الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره ، أو ليستره أخوه** » .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار(١١) ، فوصله بلفظٍ آخر ، فقال : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدثنا عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، عن حفص بن سليمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن اللّٰه ينهاكم عن التعرّي ، فاستحيوا من ملائكة اللّٰه الذين معكم ، الكرام الكاتبين ، الذين لا يُفارقونكم إلا عند إحدىٰ ثلاث حالات : الغائط ، والجنابة ، والغسل . فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه ، أو جرم حائط ، أو ببعيره** » .

ثم قال : حفص بن سليمان لين الحديث ، وقد روي عنه واحتمل حديثه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٢) : حدثنا زياد بن أيوب ، حدثنا مُبَشر بن إسماعيل الحلبي ، حدثنا تمام[٣] بن نجيح ، عن الحسن - يعني البصري - عن أنس ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما من حافظين يرفعان إلىٰ اللّٰه - عز وجل - ما حفظا في يوم فيرىٰ في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارًا إلا قال اللّٰه تعالىٰ : « قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة** » .

ثم قال : تفرد به تمام بن نجيح ، وهو صالح الحديث .

(١١) مختصر زوائد البزار (١٨١/١) (٢٠٥) بنحوه .

(١٢) مختصر زوائد البزار (٤٦٢/٢) (٢٢١٧) .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : يزيد .

[٣] - في ز ، خ : هشام .

قلت : وثقه ابن معين وضعفه البخاري ، وأبو زرعة ، وابن أبي[١] حاتم ، والنسائي ، وابن عدي . ورماه ابن حبان بالوضع . وقال الإمام أحمد : لا أعرف حقيقة أمره .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٣) : حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقُلوسي ، حدثنا بيان بن حمران ، حدثنا سلام ، عن منصور [بن زاذان][٢] ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن [لله ملائكة][٣] يعرفون بني آدم** - وأحسبه قال : **ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : هلك الليلة فلان** » .

ثم قال البزار: سلام هذا أحسبه سلامًا المدائني ، وهو لين الحديث .

وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله ، عز وجل ، ولم يقابلوه بالمعاصي .

وقد روى ابن عساكر(١٤) في ترجمة « **موسى بن محمد** » . عن هشام بن عمار ، عن عيسى ابن يونس بن أبي إسحاق ، عن عبيد الله ، عن محارب ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء** » .

ثم[٤] ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ، ولهذا قال : ﴿ **يصلونها يوم الدين** ﴾ ، أي : يوم الحساب والجزاء والقيامة ، ﴿ **وما هم عنها بغائبين** ﴾ ، أي : لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ، ولو يومًا واحدًا .

(١٣) مختصر زوائد البزار (٢/٤٥١) (٢١٩٥) بنحوه . قال ابن حجر : سلام متروك .
(١٤) تاريخ دمشق (١٧/٤٠٠ مخطوط) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : ملائكة الله .
[٤] - في ز : و .

وقوله : ﴿ **وما أدراك ما يوم الدين** ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ، ثم أكده بقوله : ﴿ **ثم ما أدراك ما يوم الدين** ﴾ . ثم فسره بقوله : ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا** ﴾ ، أي : لا يقدر واحد على نفع أحد ولا خَلاصه مما[١] هو فيه ، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ .

ونذكر هاهنا حديث : « **يا بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم [من النار]**[٢] ، **لا أملك لكم من الله شيئًا** »(١٥). وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء؛ ولهذا قال: ﴿ **والأمر يومئذٍ لله** ﴾ ، كقوله: ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمٰن** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ .

قال قتادة : ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله** ﴾ ، والأمر - والله - اليوم لله ، ولكنه يومئذ لا ينازعه فيه[٣] أحد .

[آخر تفسير سورة الانفطار ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

(١٥) تقدم تخريجه في سورة الإسراء .

[١] - في ز : عما .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ت .

[تفسير] سورة المطففين

[وهي مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

قال النسائي وابن ماجة [(١)] : أخبرنا محمد بن عقيل - زاد ابن ماجة : وعبد الرحمن بن بشر - قالا : حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، حدثني أبي ، عن يزيد - هو ابن أبي سعيد النحوي ، مولى قريش - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلًا فأنزل الله : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ فحسنوا الكيل بعد ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن النضر بن حماد ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن هلال بن طلق قال : بينا أنا أسير مع ابن عمر ، فقلت : من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلًا ؟ أهل مكة أو المدينة ؟ قال : حق لهم ، أما سمعت الله يقول : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ .

وقال ابن جرير[(٢)] : حدثنا أبو السائب ، حدثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله المكتب ، عن رجل ، عن عبد الله قال : قال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إن أهل المدينة ليوفون الكيل . قال : وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله عز وجل : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ .

فالمراد بالتطفيف هاهنا : البخس في المكيال والميزان ، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قضاهم . ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل ، بقوله : ﴿ **الذين إذا اكتالوا على الناس** ﴾ ، أي : من الناس ﴿ **يستوفون** ﴾ ، أي : يأخذون

---

(١) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة المطففين ، حديث (١١٦٥٤) (٥٠٨/٦) . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : التوقي في الكيل والوزن ، حديث (٢٢٢٣) (٧٤٨/٢) .

(٢) تفسير الطبري (٣٠/٩٠-٩١) بهذا الإسناد لكنه قال : عن ضرار عن عبد الله دون ذكر المكتب عن رجل .

حقهم بالوافي والزائد ، ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ ، أي : ينقصون . والأحسن أن يجعل « كالوا » و « وزنوا » متعديًا ، ويكون هم في محل نصب : ومنهم من يجعلها ضميرًا مؤكدًا للمستتر في قوله « كالوا » و « وزنوا » ، ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه ، وكلاهما متقارب .

وقد أمر الله تعالىٰ بالوفاء في الكيل والميزان ، فقال : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلًا ﴾ وقال : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسًا إلا وسعها ﴾ ، وقال : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم علىٰ ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان .

ثم قال تعالىٰ متوعدًا لهم : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ ، أي : أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر ، في يومٍ عظيم الهول ، كثير الفزع ، جليل الخطب ، من خسر فيه أدخل نارًا حامية !

وقوله : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ أي : يقومون حفاة عراة غرلًا ، في[١] موقف صعب[٢] حرج ضيق ضنك علىٰ المجرم ، ويغشاهم من أمر الله ما تعجز[٣] القوىٰ والحواس عنه .

قال الإمام مالك : عن نافع ، عن ابن عمر أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ حتىٰ يغيب أحدهم في رشحه إلىٰ أنصاف أذنيه » .

رواه البخاري(٣) من حديث مالك ، و[٤] عبد الله بن عون كليهما عن نافع به . ورواه مسلم من الطريقين أيضًا . وكذلك رواه صالح وأيوب بن يحيىٰ ، وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ، ومحمد ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

ولفظ الإمام أحمد(٤) : حدثنا يزيد ، أخبرنا ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ : لعظمة الرحمن - عز وجل - يوم القيامة ، حتىٰ إن العرق ليلجم الرجال إلىٰ أنصاف آذانهم » .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا ابن المبارك ،

---

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : يوم يقوم الناس لرب العاليمن ، حديث (٤٩٣٨) من طريق مالك ، وفي كتاب : الرقاق حديث (٦٥٣١) من طريق ابن عون . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : في صفة يوم القيامة ، حديث (٢٨٦٢/٦٠) (٢٨٤/١٧ - ٢٨٥) .

(٤) أخرجه أحمد (٣١/٢) (٤٨٦٢) . وصححه أحمد شاكر .

---

[١] - في ز ، خ : أي .
[٢] - في ز ، خ : ضعيف .
[٣] - في ز : يعجز .
[٤] - في ز ، خ : ابن .

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني سليم بن عامر، حدثني المقداد - يعني ابن الأسود الكندي - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد، حتى تكون قيد ميل[١] أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس، فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا** ».

رواه مسلم، عن الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة - والترمذي، عن سويد، عن ابن المبارك - كلاهما عن ابن جابر، به.

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٦): حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح: أن أبا عبد الرحمن حدثه، عن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا، تغلي[٢] منها الهوام كما تغلي[٣] القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق** ». انفرد به أحمد.

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٧): حدثنا حسن، حدثنا[٤] ابن لهيعة، حدثنا أبو عشّانة حيّ ابن يؤمن، أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « **تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ [العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ][٥] وسط فيه** » وأشار بيده فألجمها فاه - رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير[٦] هكذا - « **ومنهم من يغطيه عرقه** ». وضرب بيده إشارة. انفرد به أحمد.

وفي حديث: أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون. وقيل: يقومون ثلاثمائة سنة. وقيل: يقومون أربعين ألف سنة. ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة، كما في صحيح مسلم

---

(٥) أخرجه أحمد (٦/٣-٤) (٢٣٩٢٥). ومسلم في كتاب: الجنة، باب: في صفة يوم القيامة، حديث (٢٨٦٤/٦٢) (١٧/٢٨٥ - ٢٨٦). والترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: قرب الشمس من العباد يوم القيامة، حديث (٢٤٢٣) (١٣٨/٧).

(٦) أخرجه أحمد (٥/٢٥٤) (٢٢٢٨٦).

(٧) أخرجه أحمد (٤/١٥٧) (١٧٤٨٧).

---

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في ز: يغل.
[٣] - في ز: تغل.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - سقط من ز، خ.
[٦] - في خ: يشير بيده.

عن أبي هريرة مرفوعًا[(٨)] : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عون الزيادي ، أخبرنا عبد السلام بن عجلان ، سمعت أبا يزيد المدني ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لبشير الغفاري : « **كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين ، من أيام الدنيا ، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر** » . قال بشير : المستعان اللّٰه . قال : « **فإذا أويت إلىٰ فراشك فتعوذ باللّٰه من كرب يوم القيامة ، وسوء الحساب** » . ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به[(٩)] .

وفي سنن أبي داود[(١٠)] : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يتعوذ باللّٰه من ضيق المقام يوم القيامة وعن ابن مسعود : يقومون أربعين سنة رافعي رءوسهم إلىٰ السماء ، لا يكلمهم أحد ، قد ألجم العرق برهم وفاجرهم . وعن ابن عمر: يقومون مائة سنة. رواهما ابن جرير[(١١)] .

وفي سنن أبي داود[(١٢)] ، والنسائي ، وابن ماجة ، من[1] حديث زيد بن الحباب ، عن معاوية ابن صالح ، عن أزهر بن سعيد الحواري ، عن عاصم بن حميد ، عن عائشة ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرًا ، ويحمد عشرًا ، ويسبح عشرًا ، ويستغفر عشرًا ، ويقول : « **اللّٰهم؛ اغفر لي واهدني ، وارزقني وعافني** » . ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة المعارج ، آية (٤) .

(٩) أخرجه الطبري (٣٠/٩٣) .

(١٠) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : ما يستفتح به الصلاة بعد الدعاء (٧٦٦) .

(١١) أخرجه الطبري (٣٠/٩٢ ، ٩٣) .

(١٢) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، حديث (٧٦٦) (١/٢٠٣ - ٢٠٤) . والنسائي (٣/٢٠٨ - ٢٠٩) كتاب : قيام الليل ، باب : ذكر ما يستفتح به القيام . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل ، حديث (١٣٥٦) (١/٤٣١) وابن كثير أورده بالمعنى .

[١] - في ز ، خ : في .

أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

يقول : حقًّا ﴿ **إن كتاب الفجار لفي سجين** ﴾ ، أي : إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين - فعيل من السجن ، وهو الضيق - كما يقال : فسيق وشريب وخمير وسكير ، ونحو ذلك ؛ ولهذا عظم أمره فقال : ﴿ **وما أدراك ما سجين ؟** ﴾ ، أي : هو أمر عظيم ، وسجن مقيم وعذاب أليم .

ثم قد قال قائلون : هي تحت الأرض السابعة . وقد تقدم في حديث البراء بن عازب(١٣) ، في حديثه الطويل : يقول الله - عز وجل - في روح الكافر : اكتبوا كتابه في سجين . وسجين : هي تحت الأرض السابعة . وقيل : صخرة[١] تحت السابعة خضراء . وقيل : بئر في جهنم .

وقد روىٰ ابن جرير(١٤) في ذلك حديثًا غريبًا منكرًا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي ، حدثنا مسعود بن موسىٰ بن مشكان الواسطي ، حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **الفلق**[٢] : **جب في جهنم مغطى ، وأما سجين فمفتوح** » .

والصحيح أن « **سجينًا** » مأخوذ من السجن ، وهو الضيق ، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق ، [وكل ما تعالىٰ منها اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها][٣] أوسع وأعلىٰ من الذي دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها ، حتىٰ ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلىٰ المركز في وسط الأرض السابعة ، ولما كان مصير الفجار إلىٰ جهنم وهي أسفل السافلين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

---

(١٣) تقدم تخرجه في سورة إبراهيم في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ آية (٢٧) .

(١٤) أخرجه الطبري (٣٤٩/٣٠) فذكر أوله . وأخرجه (٩٥/٣٠ - ٩٦) .

---

[١] - في خ : حجرة .

[٢] - في ز : العلق .

[٣] - سقط من ز .

وقال هاهنا : ﴿ **كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين** ﴾ ، وهو يجمع الضيق والسفول ، كما قال : ﴿ **وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **كتاب مرقوم** ﴾ ليس تفسيرًا لقوله ، ﴿ **وما أدراك ما سجين** ﴾ ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلىٰ سجين ، أي : مرقوم مكتوب مفروغ منه ، لا يزاد[١] فيه أحد ولا ينقص منه أحد ، قاله محمد بن كعب القرظي .

ثم قال : ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، أي : إذا صاروا يوم القيامة إلىٰ ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين . وقد تقدم الكلام علىٰ قوله ﴿ **ويل** ﴾ بما أغنىٰ عن إعادته ، وأن المراد من ذلك [ ][٢] الهلاك والدمار ، كما يقال : ويل لفلان . وكما جاء في المسند(١٥) والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة[٣] ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك الناس ، ويل له ، ويل له** » .

ثم قال تعالىٰ مفسرًا للمكذبين الفجار الكفرة : ﴿ **الذين**[٤] **يكذبون بيوم الدين** ﴾ ، أي : لا يصدقون بوقوعه ، ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره . قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما يكذب به إلا كل معتد أثيم** ﴾ ، أي : معتد في أفعاله ، من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والأثيم في أقواله : إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر .

وقوله : ﴿ **إذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ ، أي : إذا سمع كلام الله من الرسول ، يكذب به ، ويظن به ظن السوء ، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** ﴾ . وقال : ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها . فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا** ﴾ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ ، أي : ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به[٥] ما عليها من الرين الذي قد

(١٥) أخرجه أحمد (٣/٥ ، ٥ ، ٧) (٢٠٠٧١ ، ٢٠٠٩٤ ، ٢٠١٠٣ ، ٢٠١٢١). وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في التشديد في الكذب ، حديث (٤٩٩٠) (٢٩٧/٤ - ٢٩٨) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس ، حديث (٢٣١٦) (٧٦/٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره** ﴾ ، حديث (١١١٢٦) (٣٢٩/٦) . ولم يعزه المزي في تحفة الأشراف (١١٣٨١) إلى ابن ماجة . قال الترمذي : حديث حسن . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٧٥) .

[١] - في ز : يزد . وفي خ : يزيد .
[٢] - في ز : أن .
[٣] - في ز ، خ : خلدة .
[٤] - في ز : الذي .
[٥] - سقط من خ .

لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** . والرين يعتري قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين .

وقد روىٰ ابن جرير(١٦) والترمذي والنسائي وابن ماجة . من طرق ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صقل[١] قلبه ، وإن[٢] زاد زادت ؛ فذلك قول اللّٰه : ﴿ كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** .

وقال الترمذي : « حسن صحيح » . ولفظ النسائي : « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل[٣] قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتىٰ يعلو قلبه ، فهو الران الذي قال اللّٰه : ﴿ كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون** » .

وقال أحمد(١٧) : حدثنا صفوان بن عيسىٰ[٤] ، أخبرنا ابن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، فإن زاد زادت حتىٰ يعلو قلبه ، وذاك الران الذي ذكر اللّٰه في القرآن : ﴿ كلا ، بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** .

وقال الحسن البصري : هو الذنب علىٰ الذنب ، حتىٰ يعمىٰ القلب ، فيموت . وكذا قال مجاهد [بن جبر][٥] وقتادة ، وابن[٦] زيد ، وغيرهم .

وقوله : **﴿ كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾** ، أي : لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ، ثم هم [يوم القيامة][٧] [مع ذلك][٨] محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم .

---

(١٦) أخرجه الطبري (٩٨/٣٠) . والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ويل للمطففين ، حديث (٣٣٣١) (٦٩/٩) . وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله : تعالى : **﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** ، حديث (١١٦٥٨) (٥٠٩/٦) . وفي كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يفعل من بلى بذنب وما يقول ، حديث (١٠٢٥١) (١١٠/٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر الذنوب ، حديث (٤٢٤٤) (١٤١٨/٢) . وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٤٢٢) .

(١٧) أخرجه أحمد (٢٩٧/٢) .

---

[١] - في ز : سقل .

[٢] - في ز : فإن .

[٣] - عند النسائي : صقلت .

[٤] - في ز ، خ : علية .

[٥] - في ز ، خ : وابن جبير .

[٦] - في ز ، خ : وأبو .

[٧] - سقط من ز .

[٨] - سقط من خ .

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي : هذه الآية دليلٌ على أن المؤمنين يرونه عزَّ وجلَّ يومئذ .

وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية ، كما دل عليه منطوق قوله : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلىٰ ربها ناظرة** ﴾ . وكما دلت علىٰ ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - في الدار الآخرة ، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة ، وفي روضات الجنان[١] الفاخرة .

وقد قال ابن جرير(١٨) : [حدثني محمد بن عمار الرازي][٢] : حدثنا أبو معمر المنقري ، حدثنا عبد الوارث[٣] بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن في قوله : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ ، قال : يكشف الحجاب ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون ، ثم يحجب عنه الكافرون ، وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية . أو كلامًا هذا معناه .

قوله : ﴿ **ثم إنهم لصالوا الجحيم** ﴾ ، أي : ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ، ﴿ **ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون** ﴾ ، أي : يقال لهم ذلك[٤] علىٰ وجه التقريع والتوبيخ ، والتصغير والتحقير .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ : حقًّا ﴿ **إن كتاب الأبرار** ﴾ ، وهم بخلاف الفجار ، ﴿ **لفي عليين** ﴾ ، أي : مصيرهم إلىٰ عليين ، وهو بخلاف سجين .

قال الأعمش(١٩) عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ؛ قال : سأل ابن عباس كعبًا وأنا

(١٨) أخرجه الطبري (١٠٠/٣٠) بأخصر من هذا .

(١٩) أخرجه الطبري (١٠١/٣٠) .

[١] - في ز : الجنات .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : عبد الرزاق .

[٤] - سقط من ز ، خ .

حاضر عن سجين ، قال : هي الأرض السابعة ، وفيها أرواح الكفار . وسأله عن عليين فقال : هي السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين . وهكذا قال غير واحد : إنها السماء السابعة .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **كلا ، إن كتاب الأبرار لفي عليين** ﴾ يعني : الجنة .

وفي رواية العوفي ، عنه : أعمالهم في السماء عند الله . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : عليون : ساق العرش اليمنى ، وقال غيره : عليون : عند سدرة المنتهى .

والظاهر : أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع[١] ، ولهذا قال معظمًا أمره ومفخمًا شأنه : ﴿ **وما أدراك ما عليون** ﴾ . ثم قال مؤكدًا لما كتب لهم : ﴿ **كتاب مرقوم . يشهده المقربون** ﴾ ، وهم الملائكة ، قاله قتادة .

وقال العوفي عن ابن عباس : يشهد من كل سماء مقربوها .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم** ﴾ ، أي : يوم القيامة هم في نعيم مقيم ، وجنات فيها فضل عميم . ﴿ **علىٰ الأرائك** ﴾ ، وهي : السرر تحت الحجال ، ﴿ **ينظرون** ﴾ ، قيل : معناه ينظرون في ملكهم ، وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد . وقيل : معناه ﴿ **علىٰ الأرائك ينظرون** ﴾ إلىٰ الله عز وجل . وهذا مقابلة لما وصف به أولئك الفجار : ﴿ **كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ ، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلىٰ الله - عز وجل - وهم علىٰ سررهم وفرشهم ، كما تقدم في حديث ابن عمر : « **إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ، يرىٰ أقصاه كما يرىٰ أدناه ، وإن أعلاه لمن ينظر إلىٰ الله في اليوم مرتين** » .

وقوله : ﴿ **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** ﴾ ، أي : تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم ، أي : صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة ، مما هم فيه من النعيم العظيم .

وقوله : ﴿ **يسقون من رحيق مختوم** ﴾ ، أي : يسقون من خمر من الجنة . والرحيق : من أسماء الخمر . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

قال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن سعد أبي المجاهد الطائي ، عن عطية ابن سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري - أراه قد رفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **أيما مؤمن سقىٰ مؤمنًا شربة علىٰ ظمإ ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق**

(٢٠) المسند (١٣/٣ - ١٤) (١١١١٥) . وضعفه الترمذي (٢٤٥١) وقد أخرجه من طريق عن عطية ، ثم

[١] - في ز : وارتفع . هي سقط من خ .

المختوم . وأيما مؤمن أطعم مؤمنًا علىٰ جوع ، أطعمه اللَّه من ثمار الجنة . وأيما مؤمن كسا مؤمنًا ثوبًا علىٰ عري كساه اللَّه من خُضْرِ الجنة » .

وقال ابن مسعود في قوله : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي : خلطه مسك . وقال العوفي ، عن ابن عباس : طيب اللَّه لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ، ختم بمسك . وكذا قال قتادة والضحاك .

وقال إبراهيم والحسن : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي : عاقبته مسك .

وقال ابن جرير(٢١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا أبو حمزة [١] ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن سابط[٢] ، عن أبي الدرداء : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ ، قال : شراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به شرابهم . ولو أن رجلًا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبقى ذو روح إلا وجد طيبها .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ ، قال : طيبه مسك .

وقوله : ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ ، أي : وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون ، وليتباهى ويكاثر ويستبق إلىٰ مثله المستبقون . كقوله : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومزاجه من تسنيم** ﴾ ، أي : ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم ، أي : من شراب يقال له : تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه[٣] . قاله أبو[٤] صالح والضحاك ، ولهذا قال : ﴿ **عينًا يشرب بها المقربون** ﴾ ، أي : يشربها المقربون صرفًا ، وتمزج لأصحاب اليمين [مزجًا][٥] . [قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وقتادة ، وغيرهم][٦] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾

= قال : قد روى هذا عن عطية عن أبي سعيد موقوفًا وهو أصح عندنا وأشبه . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٣٧١ - ١٦٨٢) .

(٢١) تفسير الطبري (١٠٧/٣٠) .

[١] - في ز ، خ : مرة .
[٢] - في ز : ساقط .
[٣] - في ز : أعلاها .
[٤] - في ز : ابن .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز .

﴿ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾

يخبر تعالىٰ عن المجرمين؛ أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ، أي : يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، أي : محتقرين لهم ، ﴿ **وإذا انقلبوا إلىٰ أهلهم انقلبوا فكهين**[١] ﴾ ، أي : إذا انقلب ، أي : رجع هؤلاء المجرمون إلىٰ منازلهم ، انقلبوا إليها فاكهين ، أي : مهما طلبوا وجدوا ، ومع هذا ما شكروا نعمة اللّٰه عليهم ، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم[٢] ، ﴿ **وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** ﴾ ، أي : لكونهم علىٰ غير دينهم ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلوا عليهم حافظين** ﴾ ، أي : وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين علىٰ هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم فلم اشتغلوا[٣] بهم ، وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريًا حتىٰ أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون . إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فاليوم** ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ **الذين آمنوا من الكفار يضحكون** ﴾ ، أي : في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ، ﴿ **علىٰ الأرائك ينظرون** ﴾ ، أي : إلىٰ اللّٰه - عز وجل - في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا[٤] بضالين ، بل هم من أولياء اللّٰه المقربين ، ينظرون إلىٰ ربهم في دار كرامته .

وقوله : ﴿ **هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟** ﴾ ، أي : هل جوزي الكفار علىٰ ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا ؟ يعني : قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

[آخر [تفسير سورة][٥] المطففين] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : فاكهين .
[٢] - في ز : يحسدوهم .
[٣] - في ز : استقلوا .
[٤] - في ز : ليس .
[٥] - سقط من ز .

[تفسير] سورة الانشقاق

[وهي مكية]

قال مالك[١] ، عن عبد الله بن يزيد ، عن أبي سلمة : إن أبا هريرة قرأ بهم : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ، فسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سجد فيها . رواه مسلم والنسائي ، من طريق مالك به .

وقال البخاري [٢] : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن بكر ، عن أبي رافع قال : صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ، فسجد ، فقلت له ، قال : سجدت خلف أبي القاسم صلىٰ الله عليه وسلم فلا أزال أسجد بها حتىٰ ألقاه .

ورواه أيضًا[٣] عن مسدد ، عن معتمر به . ثم رواه عن مسدد[٤] ، عن يزيد بن زريع ، عن التيمي ، عن بكر ، عن أبي رافع ، فذكره . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق ، عن سليمان بن طرخان التيمي به .

وقد روىٰ مسلم[٥] وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة - زاد النسائي [٦] : وسفيان

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب : القرآن ، باب : ما جاء في سجود القرآن ، حديث (١٢) (١/١٨١) . ومن طريقه مسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : سجود التلاوة ، حديث (٥٧٨/١٠٧) (٥/١٠٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الانشقاق ، حديث (١١٦٦٠) (٦/٥١٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : الجهر في العشاء ، حديث (٧٦٦) (٢/٢٥٠) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : سجود القرآن ، باب : من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها ، حديث (١٠٧٨) (٢/٥٥٩) .

(٤) صحيح البخاري كتاب : الأذان ، باب : القراءة في العشاء بالسجدة ، حديث (٧٦٨) (٢/٢٥٠ - ٢٥١) . ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : سجود التلاوة ، حديث (١١٠م/٥٧٨) (٥/١٠٨) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : السجود في ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ و﴿ **اقرأ** ﴾ ، حديث (١٤٠٨) (٢/٥٩) . والنسائي (٢/١٦٢) كتاب الافتتاح ، باب : السجود في الفريضة .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب : المساجد ، باب : سجود التلاوة ، حديث (٥٧٨/١٠٨) (٥/١٠٧) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : السجود في ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ و ﴿ **اقرأ** ﴾ ، حديث (١٤٠٧) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ و﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ والنسائي (٢/١٦٢) كتاب الافتتاح ، باب : والسجود في ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : عدد سجود القرآن ، حديث (١٠٥٨) .

(٦) في الموضع السابق - كذا قال المزي في تحفة الأشراف (١٤٢٠٦) . والحديث عنده في الكبرى أيضًا في كتاب الافتتاح . باب السجود في ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، حديث (١٠٣٩) (١/٣٣٣) من طريق السفيانين

الثوري - كلاهما - عن أيوب بن موسىٰ ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبي هريرة قال : سجدنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ، و﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ .

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، ﴿ **وأذنت لربها** ﴾ ، أي : استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق ﴿ **وحقت** ﴾ ، أي : وحق لها أن تطيع أمره ؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب ، بل قد قهر كل شيء ، وذل له كل شيء .

ثم قال : ﴿ **وإذا الأرض مدت** ﴾ . أي : بسطت ، وفرشت ووسعت .

قال ابن جرير(٧) رحمه اللّٰه : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ؛ أن النبيَّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، قال : « **إذا كان يوم القيامة مد اللّٰه الأرض مد الأديم ، حتىٰ لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعىٰ ، وجبريل عن يمين الرحمن ، واللّٰه ما رآه قبلها ، فأقول : يا رب ؛ إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ ؟ فيقول اللّٰه عز وجل : صدق . ثم أشفع فأقول : يا رب ، عبادك عبدوك في أطراف الأرض** » . قال : « **وهو المقام المحمود** » .

وقوله : ﴿ **وألقت ما فيها وتخلت** ﴾ ، أي : ألقت ما في بطنها من الأموات ، وتخلت منهم . قاله مجاهد ، وسعيد ، وقتادة ، ﴿ **وأذنت لربها وحقت** ﴾ كما تقدم .

وقوله : ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا** ﴾ أي : ساع إلى ربك سعيًا ، وعامل عملًا ، ﴿ **فملاقيه** ﴾ ، ثم إنك ستلقىٰ ما عملتَ من خير أو شر . ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي(٨) ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن أبي الزبير ، عن جابر ؛ قال : قال رسول اللّٰه

---

(٧) تفسير الطبري (١٤٢/١٥) دون قوله : « فأقول : يا رب ، عبادك عبدوك في أطراف الأرض » .

(٨) مسند الطيالسي (ص ٢٤٢) حديث (١٧٥٦) .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قال جبريل : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه . واعمل ما شئت فإنك ملاقيه** » .

ومن الناس من يعيد الضمير علىٰ قوله ﴿ **ربك** ﴾ ، أي : فملاق[١] ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكافئك علىٰ سعيك . وعلىٰ هذا فكلا القولين متلازم .

قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا** ﴾ . يقول : تعمل عملًا تلقىٰ اللَّه[٢] به ، خيرًا كان أو شرًا .

وقال قتادة : ﴿ **يا أيها الإنسان ؛ إنك كادح إلىٰ ربك كدحًا** ﴾ : إن كدحك - يا بن آدم - لضعيف ، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة اللَّه فليفعل ، ولا قوة إلا باللَّه .

ثم قال : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ أي : سهلًا . بلا تعسير ، أي : لا تحقق عليه جميع دقائق أعماله ، فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة .

قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، عن عبد اللَّه بن أبي مليكة ، عن عائشة ؛ قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من نوقش الحساب عذب** » . قالت : فقلت : أليس قال اللَّه : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ ؟ ، قال : « **ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب** » .

وهكذا رواه البخاري(١٠) ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير ، من حديث أيوب السختياني به .

وقال ابن جرير(١١) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو[٣] عامر الخزاز[٤] ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ؛ قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم :

---

(٩) المسند (٤٧/٦) (٢٤٣١١) . وابن كثير أورده هنا بالمعنى .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ ، حديث (٤٩٣٩) (٦٩٧/٨) . وفي كتاب : الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٦٥٣٦) (٤٠٠/١١) . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : إثبات الحساب ، حديث (٢٨٧٦/٧٩) (٣٠٢/١٧) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٢٤٢٨) (١٤٢/٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الانشقاق ، حديث (١١٦٥٩) (٥١٠/٦) . والطبري (٣٠/ ١١٦) .

(١١) تفسير الطبري (١١٦/٣٠) بنحو هذا اللفظ .

---

[١] - في ز : فلاق . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : ابن . [٤] - في خ : الجزار .

« **إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبًا** » . فقلت : أليس الله يقول : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ ؟ . قال : « **ذاك العرض ، إنه من نوقش الحساب عذب** » . وقال بيده علىٰ إصبعه كأنه[١] ينكت .

وقد رواه أيضًا(١٢) عن عمرو بن عليّ عن ابن أبي عدي ، عن أبي يونس القشيري ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة .. فذكر الحديث . أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري ، واسمه حاتم بن أبي صغيرة ، به .

و[٢] قال ابن جرير(١٣) : وحدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، حدثنا مسلم ، عن الحريش بن الخريت أخي الزبير ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة؛ قالت : من نوقش الحساب أو : من حوسب عذب . قال : ثم قالت : إنما الحساب اليسير عرض علىٰ الله - عز وجل - وهو يراهم .

وقال أحمد(١٤) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الواحد بن حمزة ابن عبد الله بن الزبير ، [عن عباد بن عبد الله بن الزبير][٣] ، عن عائشة؛ قالت : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول في بعض صلاته : « **اللهم؛ حاسبني حسابًا يسيرًا** » . فلما انصرف قلت : يا رسول الله ؛ ما الحساب اليسير ؟ قال : « **أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك** » . صحيح على شرط مسلم .

[وقوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **وينقلب إلىٰ أهله مسرورًا** ﴾ ، أي : ويرجع إلىٰ أهله في الجنة . قاله قتادة ، والضحاك : ﴿ **مسرورًا** ﴾ أي : فرحان مغتبطًا بما أعطاه الله عز وجل .

وقد روىٰ الطبراني(١٥) عن ثوبان - مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إنكم**

---

(١٢) تفسير الطبري (٣٠/١١٦ - ١١٧) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ حديث (٤٩٣٩) (٨/٦٩٧) . وفي كتاب : الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٦٥٣٧) (١١/٤٠٠) . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : إثبات الحساب ، حديث (٨٠/ ٢٨٧٦) (١٧/٣٠٣) .

(١٣) تفسير الطبري (٣٠/١١٦) .

(١٤) المسند (٦/٤٨) (٢٤٣٢٥) .

(١٥) معجم الطبراني (٢/٩٤) (١٤١٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٣٤) : رواه الطبراني وفيه يحيى ابن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف .اهـ .

---

[١] - في ز : فإنه .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - بياض في ز .

تعملون أعمالًا [لا تعرف][١] ويوشك العارف[٢] أن يثوب إلى أهله فمسرور[٣] ومكظوم ».

وقوله : ﴿ **وأما من أوتي كتابه وراء ظهره** ﴾ ، أي : بشماله من وراء ظهره ، تثنىٰ يده إلىٰ ورائه ويعطىٰ كتابه بها كذلك ، ﴿ **فسوف يدعو ثبورًا** ﴾ ، أي : خسارًا وهلاكًا ، ﴿ **ويصلىٰ سعيرًا . إنه كان في أهله مسرورًا** ﴾ ، أي : فرحًا لا يفكر في العواقب ، ولا يخاف مما أمامه ، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ، ﴿ **إنه ظن أن لن يحور** ﴾ ، أي : كان يعتقد أنه لا يرجع إلىٰ اللَّه ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما . والحور : هو الرجوع . قال اللَّه : ﴿ **بلىٰ [إن ربه][٤] كان به بصيرًا** ﴾ ، يعني : بلىٰ[٥] سيعيده اللَّه كما بدأه ، ويجازيه علىٰ أعماله خيرها وشرها ، فإنه كان به[٦] بصيرًا ، أي : عليمًا خبيرًا .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

روي عن عليّ ، وابن عباس ، وعبادة بن الصامت ، وأبي هريرة ، وشداد بن أوس ، وابن عمر ، ومحمد بن عليّ بن الحسين ، ومكحول[٧] ، وبكر بن عبد اللَّه المزني[٨] ، وبكير[٩] ابن الأشج ، ومالك ، وابن أبي ذئب ، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا : الشفق : الحمرة .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن ابن لبيبة[١٠] عن أبي هريرة ؛ قال : الشفق

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - كذا في ز ، ت . وفي بعض النسخ المطبوعة : الغائب . وفي الطبراني : العازب .

[٣] - في ز : لمسرور .

[٤] - في ز : إنه .

[٥] - في ز : بل .

[٦] - في ز : بها .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - في ز : الدني .

[٩] - في ز ، خ : وبكر .

[١٠] - في ز ، خ : أمية .

فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل[١] طلوع الشمس، كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها، كما هو معروف عند أهل اللغة.

قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق.

وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها[٢] في أول الليل[٣] إلى قريب[٤] من العتمة.

وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم(١٦) عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**وقت المغرب ما لم يغب[٥] الشفق**».

ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل. ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿ **فلا أقسم بالشفق** ﴾: هو النهار كله. وفي رواية عنه أيضًا أنه قال: الشفق الشمس. رواهما ابن أبي حاتم.

وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿**والليل وما وسق**﴾ أي: جمع. كأنه أقسم بالضياء والظلام.

وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبرًا، وبالليل مقبلًا. قال ابن جرير: وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض. وقالوا: هو[٦] من الأضداد.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ﴿ **وما وسق** ﴾: وما جمع - قال قتادة: وما جمع من نجم ودابة. واستشهد ابن عباس بقول الشاعر:

.... * مستوسقات لو تجدن سائقًا *

و[٧] قال عكرمة: ﴿ **والليل وما وسق** ﴾، يقول: ما ساق من ظلمة، إذا كان الليل

---

(١٦) صحيح مسلم في كتاب: المساجد، باب: أوقات الصلوات الخمس، حديث (١٧٣/٦١٢) (٥/١٥٧).

---

[١] - في خ: بعد.
[٢] - في ز: وجرها.
[٣] - في ز: النهار.
[٤] - في ت: قليل.
[٥] - في خ: يغرب.
[٦] - سقط من خ.
[٧] - في ت: قد.

ذهب كل شيء إلىٰ مأواه .

وقوله : ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ ، قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوىٰ . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ومسروق ، وأبو صالح ، والضحاك ، وابن زيد .

﴿والقمر إذا اتسق﴾ : إذا استوى، وقال الحسن: إذا اجتمع، إذا امتلأ. وقال قتادة إذا استدار.

ومعنىٰ كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر ، جعله مقابلًا للّيل وما وسق .

وقوله : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، قال البخاري(١٧) : أخبرنا سعيد بن النضر ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد قال : قال ابن عباس : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ : حالا بعد حال - قال هذا نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فيكون قوله « نبيكم » مرفوعًا علىٰ الفاعلية من « قال » وهو الأظهر ، واللّٰه أعلم ، كما قال أنس(١٨) : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه ، سمعته من نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد : أن ابن عباس كان يقول : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، قال : يعني نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : حالًا بعد حال . هذا لفظه .

وقال عليٌّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿طبقًا عن طبق﴾ حالًا بعد حال وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ، ومجاهد ، والحسن ، والضحاك .

ويحتمل أن يكون المراد : ﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ حالًا بعد حال: قال هذا.

يعني المراد بهذا نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيكون مرفوعًا علىٰ أن « هذا » و « نبيكم » يكونان مبتدأ وخبرًا[١] . واللّٰه أعلم ، ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلىٰ كثير من الرواة ، كما

(١٧) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، حديث (٤٩٤٠) (٨/ ٦٩٨) .

(١٨) صحيح البخاري في كتاب : الفتن، باب : لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه ، حديث (٧٠٦٨) (١٩/١٣ - ٢٠) .

(١٩) تفسير الطبري (١٢٢/٣٠) .

[١] - في ز : وخبر .

قال أبو داود الطيالسي(٢٠) وغندر : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ قال : محمد صلىٰ الله عليه وسلم .

ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وعامة أهل مكة والكوفة ﴿**لتَركبن طبقًا**﴾ بفتح التاء والباء.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ ، قال : لتركبن يا محمد سماء بعد سماء . وهكذا روي عن ابن مسعود ، ومسروق[١] ، وأبي العالية : ﴿ **طبقًا عن طبق** ﴾ : سماء بعد سماء .

قلت: يعنون ليلة الإسراء. وقال أبو إسحاق ، والسدي ، عن رجل ، عن ابن عباس : ﴿ **طبقًا عن طبق** ﴾ : منزلًا على منزل: وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس مثله- وزاد: « **ويقال**[٢] : **أمرًا بعد أمر وحالًا بعد حال** ».

وقال السدي نفسه : ﴿**لتركبن طبقًا عن طبق**﴾ : أعمال من قبلكم ، منزلًا عن منزل .

قلت : كأنه أراد معنىٰ الحديث الصحيح (٢١) : « **لتركبن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** » . قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارىٰ ؟ قال : « **فمن ؟** » وهذا محتمل.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا ابن جابر ؛ أنه سمع مكحولًا يقول في قول الله : ﴿**لتركبن طبقًا عن طبق**﴾. قال: في كل عشرين سنة تحدثون أمرًا لم[٣] تكونوا عليه .

وقال الأعمش : حدثني إبراهيم ؛ قال : قال عبد الله : ﴿ **لتركبن طبقًا عن طبق** ﴾ ، قال : السماء تنشق ثم تحمر ، ثم تكون لونًا بعد لون .

وقال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود: ﴿**طبقًا عن طبق**﴾ قال: و[٤] السماء مرة كالدهان ومرة تنشق.

وروىٰ البزار(٢٢) من طريق جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن

(٢٠) تفسير الطبري (١٢٣/٣٠) من طريق غندر ، إلا أنه فيه مجاهد عن ابن عباس .
(٢١) تقدم تخريجه في سورة التوبة آية : (٣٤) .
(٢٢) مختصر زوائد البزار (١١٦/٢) (١٥٢٧) . قال ابن حجر ، وجابر ضعيف .

[١] - في ز : وابن مسروق .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : ثم .
[٤] - سقط من ز .

مسعود : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، يا محمد ؛ يعني حالًا بعد حال . ثم قال : ورواه جابر عن مجاهد ، عن ابن عباس .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾ ، قال : قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم ، فارتفعوا في[١] الآخرة . وآخرون كانوا أشرافًا[٢] في الدنيا ، فاتضعوا[٣] في الآخرة .

وقال عكرمة : ﴿طبقًا عن طبق﴾ حالًا [بعد حال][٤] فطيمًا بعد ما كان رضيعًا وشيخًا بعد ما كان شابًا .

وقال الحسن البصري : ﴿ طبقًا عن طبق ﴾ ، يقول : حالًا بعد حال رخاءً بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرًا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقم بعد صحة .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عبد الله بن زاهر ، حدثني أبي ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر - هو الجعفي - عن محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ يقول : « **إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له ، إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيًا أو سعيدًا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكًا فيحفظه حتىٰ يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك . ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا حضره[٥] الموت ارتفع ذانك الملكان . وجاءه ملك الموت فقبض روحه ، فإذا دخل قبره رد الروح في جسده . ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ، ملكا القبر فامتحناه . ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فانتشطا كتابًا معقودًا في عنقه ، ثم حضرا معه : واحد سائقًا وآخر شهيدًا ، ثم قال الله عز وجل : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا ﴾** . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **﴿ لتركبن طبقًا عن طبق ﴾** » . قال : « **حالًا بعد حال** » . ثم قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن قدامكم لأمرًا عظيمًا لا تقدرونه ، فاستعينوا بالله العظيم** » .

هذا حديث منكر ، وإسناده فيه ضعفاء ، ولكن معناه صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكىٰ أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين[٦] : والصواب من التأويل قول من قال : لتركبن أنت - يا محمد - حالًا بعد حال ، وأمرًا بعد أمر من الشدائد ، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب[٧] إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم موجهًا - جميع الناس ، و[٨] أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالًا .

---

[١] - في ز ، خ : إلى .
[٢] - في ز ، خ : أسرا . كذا .
[٣] - في ز ، خ : فارتفعوا .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في ز : حضر .
[٦] - في ز : والمقربين .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - سقط من ز .

وقوله : ﴿ **فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** ﴾ ، أي : فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ . وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن وكلامه - وهو هذا القرآن ، لا يسجدون إعظامًا وإكرامًا واحترامًا ؟ وقوله : ﴿ **بل الذين كفروا يكذبون** ﴾ أي : من سجيتهم التكذيب ، والعناد والمخالفة للحق .

﴿ **والله أعلم بما يوعون** ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : يكتمون في صدورهم ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ ، أي : فأخبرهم - يا محمد - بأن الله - عز وجل - قد أعد لهم عذابًا أليمًا .

وقوله : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ : هذا استثناء منقطع ، يعني لكن الذين آمنوا - أي : بقلوبهم - وعملوا الصالحات بجوارحهم ، ﴿ **لهم أجر** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة .

﴿ **غير ممنون** ﴾ - قال ابن عباس : غير منقوص ، وقال مجاهد والضحاك : غير محسوب .

وحاصل قولهما أنه غير مقطوع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ . وقال السدي : قال بعضهم : ﴿ **غير ممنون** ﴾ : غير منقوص . وقال بعضهم : ﴿ **غير ممنون** ﴾ عليهم .

وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ، فإن[١] الله - عز وجل - له المنة علىٰ أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة ، وإنما دخولها بفضله ورحمته لا بأعمالهم ، فله عليهم المنة دائمًا سرمدًا ، والحمد لله وحده أبدًا ، ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس : ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

[آخر تفسير سورة الانشقاق ، ولله الحمد والمنه وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : قال .

[تفسير] سورة البروج

[وهي مكية]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا رزيق[١] بن أبي سلمىٰ ، حدثنا أبو المهزم ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء[٢] الآخرة بالسماء ذات البروج ، والسماء والطارق .

وقال أحمد(٢) : حدثنا أبو سعيد - مولىٰ بني هاشم - حدثنا حماد بن عباد السدوسي ، سمعت أبا المهزم يحدث عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء . تفرد به أحمد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

يقسم تعالىٰ بالسماء وبروجها ، وهي : النجوم العظام . كما تقدم بيان ذلك في قوله : ﴿ **تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا** ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : البروج : النجوم . وعن مجاهد أيضًا : البروج التي فيها الحرس .

وقال يحيى بن رافع : البروج[٣] : قصور في السماء . وقال المنهال بن عمرو : ﴿ والسماء

(١) المسند (٣٢٦/٢ - ٣٢٧) .

(٢) المسند (٣٢٧/٢) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢١/٢) : رواهما أحمد وفيهما أبو مهذم ضعفه شعبة ، وابن المديني ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والنسائي ، وقال أحمد : ما أقرب حديثه .

[١] - في ز : زريق .

[٢] - في ز : عشاء .

[٣] - سقط من ز .

ذات البروج ﴾ : الخلق الحسن .

واختار ابن جرير[١] أنها : منازل الشمس والقمر ، وهي اثنا عشر برجًا ، تسير الشمس في كل واحد منها شهرًا ، ويسير القمر في كل واحد يومين وثلثًا ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين .

وقوله ﴿ واليوم الموعود وشاهد ومشهود ﴾ : اختلف المفسرون في ذلك ، وقد قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عبد[٢] الله بن محمد بن عمرو الغزي ، حدثنا عبيد[٣] الله - يعني ابن موسىٰ - حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري ، عن عبد[٤] الله ابن رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة ، ﴿ وشاهد ﴾ يوم الجمعة . وما طلعت شمس ولا[٥] غربت علىٰ يوم أفضل من يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم[٦] يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه ، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه ، ﴿ ومشهود ﴾ يوم عرفة .

وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة[٧] من طرق عن موسىٰ بن عبيدة الربذي - وهو ضعيف الحديث - وقد روي موقوفًا[٨] - على أبي هريرة وهو أشبه .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار - مولىٰ بني هاشم - عن أبي هريرة - أما علي فرفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وأما يونس فلم يعد أبا هريرة - أنه قال في هذه الآية : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ ، قال : يعني الشاهد يوم الجمعة ، ويوم مشهود يوم القيامة .

(٣) المسند (٢/٢٩٨) (٧٩٥٩) . وفيه أن الشاهد : يوم عرفة ، والموعود : يوم القيامة . وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٩) ، والبيهقي (٣/١٧) . كلاهما من طريق أحمد ولفظهما : الشاهد : يوم عرفة ويوم الجمعة ، والمشهود : هو اليوم الموعود يوم القيامة . وأورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ، وفي الضعيفة (٣٧٥٤) . وصحح الحاكم الموقوف منه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

[١] - في ز : خثيمة . وغير واضحة في خ .
[٢] - في خ : عبيد .
[٣] - في ز ، خ : عبد .
[٤] - في ز ، خ : عبيد .
[٥] - في خ : وما .
[٦] - في خ : مؤمن .
[٧] - في ز : حزم .
[٨] - في خ : مرفوعًا .

وقال أحمد أيضًا(٤) : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارًا مولىٰ بني هاشم يحدث عن أبي هريرة وأنه قال في هذه الآية ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ ، قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة .

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال : اليوم الموعود يوم القيامة . وكذلك قال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . ولم أرهم يختلفون في ذلك ولله الحمد .

[ثم قال ابن جرير(٥) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اليوم الموعود يوم القيامة ، وإن الشاهد يوم الجمعة ، وإن المشهود يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذخره الله لنا** »][١] .

ثم قال ابن جرير(٦) : حدثنا سهل بن موسىٰ الرازي ، حدثنا ابن أبي فديك ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو الشاهد ، والمشهود يوم عرفة** » .

وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب . ثم قال ابن جرير(٧) :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف المكي ، عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ .

وحدثنا ابن حميد(٨) ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك[٢] قال : سأل رجل الحسن بن علي عن : ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ ، قال : سألت أحدًا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة . فقال : لا ، ولكن الشاهد محمد صلىٰ اللَّه عليه

---

(٤) المسند (٢٩٨/٢ - ٢٩٩) (٧٩٦٠) . والذي في المسند ... سمعت عمارًا مولى بني هاشم ، يحدث أنه قال في هذه الآية . ولعل الضمير هنا في (أنه) عائد على أبي هريرة كما يدل عليه الحديث السابق - كذا قال أحمد شاكر نحوًا من ذلك في تعليقه على المسند - ولعل ابن كثير أثبت أبا هريرة من نسخة أخرى للمسند أو توضيحًا لما أبهم في الإسناد .

(٥) تفسير الطبري (١٢٨/٣٠) فذكر صدره ، (١٢٩/٣٠) فذكر بقيته .

(٦) تفسير الطبري (١٢٩/٣٠) .

(٧) تفسير الطبري (١٣٠/٣٠) .

(٨) تفسير الطبري (١٣٠/٣٠) .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : سيال .

وسلم . ثم قرأ : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا** ﴾ ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ .

وهكذا قال الحسن البصري . وقال سفيان الثوري ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب : ﴿ **ومشهود** ﴾ يوم القيامة .

وقال مجاهد وعكرمة ، والضحاك : الشاهد ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة .

وعن عكرمة أيضًا : الشاهد محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والمشهود يوم الجمعة .

[وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : الشاهد اللَّه ، والمشهود يوم القيامة][1] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان ، عن أبي يحيىٰ القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ قال : الشاهد الإنسان . والمشهود يوم الجمعة . هكذا رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير(٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن [ابن أبي نجيح][2] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ ، الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود يوم القيامة .

وبه عن سفيان - هو الثوري - عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يوم الذبح ، ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود .

قال ابن جرير : وقال آخرون : المشهود يوم الجمعة . ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن(١٠) ، حدثني عمي عبد اللَّه بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسي ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهده[3] الملائكة** » .

وعن سعيد بن جبير : الشاهد اللَّه ، وتلا ﴿ **وكفىٰ باللَّه شهيدًا** ﴾ ، والمشهود نحن . حكاه البغوي ، وقال : الأكثرون علىٰ أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة .

(٩) تفسير الطبري (١٣١/٣٠) .

(١٠) تفسير الطبري (١٣١/٣٠) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « أبي يحيى القتات » . [٣] - في ز ، خ : وتشهده .

وقوله : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ ، أي : لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه أخاديد ، وهي الحفير في الأرض . وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلىٰ من عندهم من المؤمنين بالله - عز وجل - فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم ، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأججوا فيه نارًا ، وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم ، فقذفوهم فيها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود** ﴾ ، أي : مشاهدون[١] لما يفعل بأولئك المؤمنين .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ ، أي : وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه ، المنيع الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قدر علىٰ عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به ، فهو العزيز الحميد ، وإن خفي سبب ذلك علىٰ كثير من الناس .

ثم قال : ﴿ **الذي له ملك السمٰوات والأرض** ﴾ ، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، ﴿ **والله علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ ، أي : لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض ، ولا تخفىٰ عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة . من هم ؟ فعن علي رضي الله عنه أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم ، فامتنع عليه علماؤهم ، فعمد إلىٰ حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم ، واستمر فيهم تحليل المحارم إلىٰ اليوم .

وعنه أنهم كانوا قومًا باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم ، فغلب مؤمنوهم علىٰ كفارهم ، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين ، فخدوا لهم الأخاديد ، وأحرقوهم فيها .

وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود** ﴾ ، قال : ناس من بني إسرائيل ، خدوا أخدودًا في الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارًا ، ثم أقاموا علىٰ ذلك الأخدود رجالًا ونساء، فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه .

وهكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقيل غير ذلك . وقد قال الإمام أحمد(١١) :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن

---

(١١) المسند (١٧/٦) (٢٤٠٣٧) .

---

[١] - في ز : مشاهدين .

صهيب : أن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **كان ملك[١] فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : إني قد كبرت[٢] سني وحضر أجلي ، فادفع إليَّ غلامًا لأعلمه السحر . فدفع إليه غلامًا فكان[٣] يعلمه السحر ، وكان بين الساحر و[بين][٤] الملك راهب ، فأتىٰ الغلام علىٰ الراهب فسمع من كلامه ، فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا أتىٰ الساحر ضربه وقال : ما حبسك ؟ وإذا أتىٰ أهله ضربوه وقالوا : ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلىٰ الراهب ، فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل : حبسني أهلي . وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل : حبسني الساحر .**

قال : فبينما هو ذات يوم ، إذ أتىٰ علىٰ دابة فظيعة عظيمة ، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا ، فقال : اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلىٰ اللّٰه[٥] أم أمر الساحر ؟ قال : فأخذ حجرًا فقال : اللّٰهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضىٰ من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتىٰ يجوز الناس . ورماها فقتلها ، ومضىٰ الناس . فأخبر الراهب بذلك ، فقال : أي بني ، أنت أفضل مني ، وإنك ستبتلىٰ ، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ . فكان[٦] الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم[٧] ، وكان جليس للملك فعمي ، فسمع به ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفني ولك ما هاهنا أجمع . فقال : ما أنا أشفي أحدًا ، إنما يشفي اللّٰه - عز وجل - فإن آمنت به دعوت اللّٰه فشفاك . فآمن فدعا اللّٰه فشفاه . ثم أتىٰ الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان ، من رد عليك بصرك ؟ فقال : ربي ؟ فقال : أنا ؟ قال : لا ، ربي وربك اللّٰه . قال : ولك رب غيري ؟ قال : نعم ، ربي وربك اللّٰه . فلم يزل يعذبه حتىٰ دل علىٰ الغلام ، فبعث إليه فقال : أي بُني ، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟ . قال : ما أشفي أنا أحدًا ، إنما يشفي اللّٰه -عز وجل- . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أولك رب غيري ؟ قال : ربي وربك اللّٰه . فأخذه أيضًا بالعذاب ، فلم يزل به حتىٰ دل علىٰ الراهب ، فأتىٰ بالراهب[٨] فقال : ارجع عن دينك . فأبىٰ ، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتىٰ وقع شقاه ، وقال للأعمىٰ : ارجع عن دينك . فأبىٰ ، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتىٰ وقع شقاه إلىٰ الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك . فأبىٰ ، فبعث به مع نفر إلىٰ جبل كذا وكذا ، وقال : إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به ، فلما علوا به[٩] الجبل قال : اللّٰهم ، اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون . وجاء الغلام يتلمس حتىٰ دخل علىٰ الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال[١٠] : كفانيهم اللّٰه .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : كبر .
[٣] - في ز : كان .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز : وكان .
[٧] - في خ : وكان يشفيهم .
[٨] - في ز : الراهب .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - في ز : قال .

فبعث به مع نفر في قرقور فقال : إذا لججتم به[١] البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر . فلججوا به البحر فقال الغلام : اللّهم ، اكفنيهم بما شئت . فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتىٰ دخل علىٰ الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم اللّه . ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتىٰ تفعل ما آمرك به ، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني ، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني علىٰ جذع ، و[٢] تأخذ سهمًا من كنانتي ثم قل : باسم اللّه رب الغلام ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . ففعل ، ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه ، وقال : باسم اللّه رب الغلام . فوقع السهم في صدغه ، فوضع الغلام يده علىٰ موضع السهم ومات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد - واللّه - نزل بك ، قد آمن الناس كلهم . فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد ، وأضرمت فيها النيران ، وقال : من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها . قال : فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون[٣] ، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه ، فكأنها تقاعست أن تقع في النار ، فقال الصبي : اصبري يا أماه ، فإنك علىٰ الحق .

وهكذا رواه مسلم(١٢) في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة [به نحوه . ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة][٤] ومن طريق حماد بن زيد ، كلاهما عن ثابت به ، واختصروا أوله .

وقد جوده الإمام أبو عيسىٰ الترمذي ، فرواه(١٣) في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان[٥] وعبد بن حميد - [المعنىٰ واحد][٦] - قالا : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن صهيب قال : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إذا صلىٰ العصر همس - والهمس في [قول بعضهم][٧] : تحريك شفتيه كأنه يتكلم - فقيل له : إنك[٨] - يا رسول اللّه - إذا صليت العصر همست ؟ قال : « **إن نبيًا من الأنبياء كان أعجب بأمته فقال : من يقوم لهؤلاء ؟ فأوحىٰ اللّه إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم[٩] ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم . فاختاروا النقمة ، فسلط عليهم الموت ، فمات**

---

(١٢) صحيح مسلم في كتاب : الزهد ، باب : قصة أصحاب الأخدود . حديث (٣٠٠٥/٧٣) (١٧٧/١٨ - ١٨٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قتل أصحاب الأخدود ، حديث (١١٦٦١) (٥١٠/٦ - ٥١٢) من طريق حماد بن سلمة .

(١٣) سنن الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البروج ، حديث (٣٣٣٧) (٧١/٩ - ٧٤) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في خ : ثم .
[٣] - في ز : ويدافعون .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : عبدان .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : بعض قولهم .
[٨] - سقط من ز ، خ .
[٩] - سقط من ز ، خ .

منهم في يوم سبعون ألفًا » . قال : وكان إذا حدث بهذا الحديث ، [حدث بهذا الحديث][١] الآخر قال : كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلامًا فهمًا - [أو قال : فطنًا لقنًا][٢] - فأعلمه علمي هذا .. فذكر القصة بتمامها ، وقال في آخره : « **يقول الله عز وجل : ﴿ قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود ﴾** حتىٰ بلغ : **﴿ العزيز الحميد ﴾** . قال : فأما الغلام فإنه دفن قال[٣] : فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب ، وإصبعه علىٰ صدغه كما وضعها حين قتل » . ثم قال الترمذي : « **حسن غريب** » .

وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي صلىٰ الله عليه وسلم . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارىٰ ، والله أعلم .

وقد أورد محمد بن إسحاق(١٤) بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم ، فقال :

حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي - وحدثني أيضًا بعض أهل نجران ، عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريبًا من نجران - ونجران هي القرية العظمىٰ التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيمون - ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه ، قالوا : رجل نزلها - ابتنىٰ خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر ، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم[٤] إلىٰ ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان[٥] إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرىٰ من عبادته وصلاته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه ، حتىٰ أسلم فوحد الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتىٰ إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه[٦] إياه وقال له : يا بن أخي ، إنك لن تحمله ، أخشىٰ ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن[٧] ابنه يختلف إلىٰ الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأىٰ عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلىٰ أقداح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسمًا يعلمه إلا كتبه في قدح ، وكل اسم في قدح ، حتىٰ إذا أحصاها أوقد نارًا ثم جعل يقذفها فيها قدحًا قدحًا ، حتىٰ إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه ،

---

(١٤) سيرة ابن هشام (٢١/١) وما بعدها .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : وكان .
[٦] - في ز : فيكتمه .
[٧] - سقط من خ .

فوثب القدح حتىٰ خرج منها لم يضره شيء ، فأخذه ثم أتىٰ به صاحبه ، فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي كتمه فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا . قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع . قال : أي ابن أخي ، قد أصبته فأمسك علىٰ نفسك ، وما أظن أن تفعل .

فجعل عبد اللّٰه بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدًا به ضر إلا قال : يا عبد اللّٰه ، أتوحد اللّٰه وتدخل في ديني وأدعو اللّٰه لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم . فيوحد اللّٰه ويسلم ، فيدعو اللّٰه له فيشفىٰ ، حتىٰ لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه ، فاتبعه علىٰ أمره ودعا اللّٰه[١] له فعوفي ، حتىٰ رفع شأنه إلىٰ ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت عليَّ أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك . قال : لا تقدر علىٰ ذلك . قال : فجعل يرسل به إلىٰ الجبل الطويل ، فيطرح علىٰ رأسه ، فيقع إلىٰ الأرض ما به بأس ، وجعل يبعث به إلىٰ مياه بنجران ، بحور لا يلقىٰ فيها شيء إلا هلك ، فيلقىٰ به فيها ، فيخرج ليس به بأس . فلما غلبه قال له عبد اللّٰه بن الثامر : إنك - واللّٰه - لا تقدر علىٰ قتلي حتىٰ توحد اللّٰه فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت سلطت عليَّ فقتلتني . قال : فوحد اللّٰه ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد اللّٰه بن الثامر ، ثم ضربه بعصًا في يده فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، وهلك الملك مكانه . واستجمع أهل نجران علىٰ دين عبد اللّٰه بن الثامر - وكان علىٰ ما جاء به عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - من الإنجيل وحكمه - ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعضُ أهل نجران عن عبد اللّٰه بن الثامر ، واللّٰه أعلم أي ذلك كان .

قال : فسار إليهم ذو نواس بجنده ، فدعاهم إلىٰ اليهودية ، وخيرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا القتل ، فخد الأخدود ، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم ، حتىٰ قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا . ففي ذي نواس وجنده أنزل اللّٰه - عز وجل - علىٰ رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللّٰه العزيز الحميد * الذي له ملك السمٰوات والأرض واللّٰه علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو[٢] ذو نواس ، واسمه : زرعة ، وتسمىٰ في زمان مملكته بيوسف ، وهو ابن [تبان أسعد أبي كرب][٣] ، وهو تبع الذي غزا المدينة وكسىٰ الكعبة ، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة ، وكان[٤]

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : « قبا أسعد بن كريب » .
[٤] - في ت : فكان .

تهود [من تهود][١] من أهل اليمن علىٰ يديهما ، كما ذكره ابن إسحاق مبسوطًا ، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفًا ، ولم ينج منهم سوىٰ رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان[٢] ، ذهب فارسًا ، وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه[٣] ، فذهب إلىٰ قيصر ملك الشام ، فكتب إلىٰ النجاشي ملك الحبشة ، فأرسل معه جيشًا من نصارىٰ الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة ، فاستنقذوا[٤] اليمن من أيدي اليهود ، وذهب ذو نواس هاربًا فلجج في البحر ؛ فغرق . واستمر مُلكُ الحبشة في أيدي النصارىٰ سبعين سنة ، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارىٰ ، لما استجاش بكسرىٰ ملك الفرس ، فأرسل معه من في السجون ، وكانوا قريبًا من سبعمائة ، ففتح بهم اليمن ، ورجع الملك إلىٰ حمير . وسنذكر طرفًا من ذلك - إن شاء اللَّه - في تفسير سورة : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ .

وقال ابن إسحاق(١٥) : وحدثني عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو[٥] بن حزم ؛ أنه حُدِّث أن رجلًا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب ، حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجد عبد اللَّه بن الثامر تحت دفن فيها قاعدًا ، واضعًا يده علىٰ ضربة في رأسه ، ممسكًا[٦] عليها بيده ، فإذا أخذت يده عنها ثعبت[٧] دمًا ، وإذا أرسلت[٨] يده ردت عليها ، فأمسكت دمها ، وفي يده خاتم مكتوب فيه : ربيَ اللَّه . فكتب فيه إلىٰ عمر بن الخطاب يخبره بأمره ، فكتب عمر إليهم : أن أقروه علىٰ حاله ، وردوا عليه الدفن[٩] الذي كان عليه ؛ ففعلوا .

وقد قال أبو بكر عبد اللَّه بن محمد بن أبي الدنيا رحمه اللَّه : حدثنا أبو بلال الأشعري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب ، حدثني بعض أهل العلم ، أن أبا موسىٰ لما افتتح أصبهان وجد حائطًا من حيطان المدينة قد سقط ، فبناه فسقط[١٠] ، ثم بناه فسقط ، فقيل له : إن تحته رجلًا صالحًا . فحفر الأساس فوجد فيه رجلًا قائمًا معه سيف ، مكتوب فيه أنا الحارث بن مضاض ، نقمت علىٰ أصحاب الأخدود . فاستخرجه أبو موسىٰ ، وبنىٰ الحائط ، فثبت .

قلت : هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجرهمي ، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد نبت[١١] بن إسماعيل بن إبراهيم ، وولد الحارث هذا هو عمرو

(١٥) سيرة ابن هشام (١/٢٣ - ٢٤) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : تغلبان .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : فاستنقذا .
[٥] - في ز ، خ : هارون .
[٦] - في ز : ممسط .
[٧] - في خ : نبعت .
[٨] - في خ : أرسل .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - في خ : ثم سقط .
[١١] - في ز : بانت . وفي خ : ثابت .

ابن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة ، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلىٰ اليمن ، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام : إنه أول شعر قاله العرب :

كَأن لَم يَكُن بين الحجون إلىٰ الصّفا أنيس ، ولم يَسْمُر بمكّةَ سَامِرُ
بَلَىٰ[١] ، نحنُ كُنَّا أهلَها فَأبادَنَا صُروفُ اللّيَالِىٰ والجُدُود العَوَاثِرُ[٢]

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديمًا بعد زمان إسماعيل - عليه السلام - بقرب[٣] من خمسمائة سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم[٤] كانت في زمان الفترة التي بين عيسىٰ ومحمد - عليهما من اللّٰه السلام - وهو أشبه ، واللّٰه أعلم .

وقد يحتمل أن ذلك قد[٥] وقع في العالم كثيرًا ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير ؛ قال : كانت الأخدود في اليمن زمان تبع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارىٰ قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتونًا[٦] ، وألقي فيه النصارىٰ الذين كانوا علىٰ دين المسيح والتوحيد . وفي العراق في أرض بابل بُخْتَنَصَّر ، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وصاحباه : عزريا وميشائيل ، فأوقد لهم أتونًا وألقىٰ فيه[٧] الحطب والنار ، ثم ألقاهما فيه ، فجعلها اللّٰه عليهما بردًا وسلامًا ، وأنقذهما منها ، وألقىٰ فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط ، فأكلتهم النار .

وقال أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ ، قال : كانت[٨] الأخدود ثلاثة[٩] : خد بالعراق ، وخد بالشام ، وخد باليمن . رواه ابن أبي حاتم .

وعن مقاتل قال : كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن ، والأخرىٰ بالشام ، والأخرىٰ بفارس ، أما التي بالشام فهو انطنانوس الرومي ، وأما التي بفارس فهو بختنصر ، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس . فأما التي بفارس والشام فلم ينزل اللّٰه فيهم قرآنًا ، وأنزل في التي كانت بنجران .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي ، حدثنا عبد اللّٰه ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع - هو ابن أنس - في قوله : ﴿ **قتل أصحاب**

---

[١] - في ز : بل .
[٢] - في ز : الغواثر .
[٣] - في خ : بقريب .
[٤] - في ز : قضيتهم .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : اتوتا . كذا .
[٧] - في ز : فيها .
[٨] - في ز : كان .
[٩] - في ز ، خ : ثلاثة عشر .

الأخدود ﴾ ، قال : سمعنا أنهم كانوا قومًا في زمان الفترة ، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابًا ، **﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾** ، اعتزلوا إلىٰ قرية سكنوها ، وأقاموا علىٰ عبادة اللَّه **﴿ مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾** ، وكان هذا أمرهم حتىٰ سمع بهم جبار من الجبارين ، وحدث حديثهم ، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا ، وأنهم أبوا عليه كلهم ، وقالوا : لا نعبد إلا اللَّه وحده ، لا شريك له . فقال لهم : إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم . فأبوا عليه ، فخد أخدودًا من نار ، وقال لهم الجبار - ووقفهم عليها - فقال[١] : اختاروا هذه أو[٢] الذي نحن فيه . فقالوا : هذه أحب إلينا . وفيهم نساء وذرية ، ففزعت الذرية ، فقالوا لهم : لا نار من بعد اليوم . فوقعوا فيها ، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها ، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين ، فأحرقهم اللَّه بها ، ففي ذلك أنزل اللَّه عز وجل : **﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللَّه العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض واللَّه علىٰ كل شيء شهيد ﴾** .

ورواه ابن جرير(١٦) : حُدِّثت عن عمار ، عن عبد اللَّه بن أبي جعفر به نحوه .

وقوله : **﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾** ، أي : حرقوا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن أبزىٰ .

﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أي : لم يقلعوا عمَّا فعلوا ، ويندموا علىٰ ما أسلفوا .

﴿ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ ، وذلك أن الجزاء من جنس العمل . قال الحسن البصري : انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ

---

(١٦) أخرجه الطبري (٣٠/١٣٤ - ١٣٥) مختصرًا .

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في ز : و .

﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده المؤمنين أن ﴿ **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ ، بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ذلك الفوز الكبير** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ ، أي : إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره ، لشديد عظيم قوي ، فإنه تعالىٰ ذو القوة المتين ، الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر ، أو هو أقرب ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾ ، أي : من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ثم يعيده كما بدأه ، بلا ممانع ولا مدافع . ﴿ **وهو الغفور الودود** ﴾ ، أي : يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ، ولو كان الذنب من أي شيء كان .

والودود - قال ابن عباس وغيره - : هو الحبيب ﴿ **ذو العرش** ﴾ ، أي : [صاحب العرش][١] المعظم العالي علىٰ جميع الخلائق .

و﴿ **المجيد** ﴾ : فيه قراءتان : الرفع على أنه صفة للرب عز وجل ؛ والجر على أنه صفة للعرش ، وكلاهما معنى صحيح .

﴿ **فعال لما يريد** ﴾ ، أي : مهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ، لعظمته وقهره وحكمته وعدله ، كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له - وهو في مرض الموت - : هل نظر إليك الطبيب ؟ قال : نعم . قالوا : فما قال لك ؟ قال[٢] : قال لي : إني فعال لما أريد(١٧) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود** ﴾ ، أي : هل بلغك ما أحل اللّٰه[٣] بهم من البأس ، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد ؟ . وهذا تقرير لقوله : ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ أي : إذا أخذ الظالم أخذه أخذًا أليمًا شديدًا ، أخذ عزيز مقتدر .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ؛ قال : مر النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ امرأة تقرأ : ﴿ **هل أتاك حديث الجنود** ﴾ ، فقام يسمع ، فقال : « **نعم ، قد جاءني** » .

وقوله : ﴿ **بل الذين كفروا في تكذيب** ﴾ ، أي : هم في شك وريب وكفر وعناد ، ﴿ **والله من ورائهم محيط** ﴾ ، أي : هو قادر عليهم ، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ، ﴿ **بل**

(١٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٤/١) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

هو قرآن مجيد ﴾ ، أي : عظيم كريم ، **﴿ في لوح محفوظ ﴾** ، أي : هو في الملإ الأعلىٰ محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

قال ابن جرير(١٨) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا قرة بن سليمان ، حدثنا حرب بن سريج ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك في قوله : **﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾** قال : إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله : **﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾** ، في جبهة إسرافيل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا معاوية بن صالح : أن أبا الأعبس - هو عبد الرحمن بن سلمان - قال : ما من شيء قضىٰ الله - القرآن مما[١] قبله وما بعده - إلا وهو في اللوح المحفوظ . واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل ، لا يؤذن له بالنظر فيه .

وقال الحسن البصري : إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه .

وقد روىٰ البغوي من طريق إسحاق بن بشر ، أخبرني مقاتل وابن جريج[٢] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله . أدخله الجنة - قال : واللوح لوح من درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك .

قال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

وقال الطبراني(١٩) : حدثنا محمد بن عثمان [بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث][٣] ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن ليث ، عن[٤] عبد الملك ابن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء** » .

[آخر تفسير سورة البروج ، ولله الحمد] .

---

(١٨) أخرجه الطبري (٣٠/١٤٠) .

(١٩) معجم الطبراني الكبير(١٢/٧٢) (١٢٥١١) .

---

[١] - في ت : فما .

[٢] - في خ : جرير .

[٣] - بياض في ز ، خ .

[٤] - سقط من خ .

[تفسير] سورة الطارق

[وهي مكية]

قال عبد الله بن الإمام أحمد[١] : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن محمد - قال : عبد الله وسمعته أنا منه - حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني ، عن أبيه ، أنه أبصر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم علىٰ قوس - أو : عصىً - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿ والسماء والطارق ﴾ ، حتىٰ ختمها - قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام - قال : فدعتني ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقًّا لاتبعناه .

وقال النسائي[٢] : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعيم ، عن مسعر ، عن محارب بن دثار ، عن جابر قال : صلىٰ معاذ المغرب ، فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **أفتان يا معاذ ؟ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، ونحو هذا !** » .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

يقسم تعالىٰ بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ؛ ولهذا قال : **﴿ والسماء والطارق ﴾** ، ثم قال : **﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾** ، ثم فسره بقوله : **﴿ النجم الثاقب ﴾** .

قال قتادة وغيره : إنما سمىٰ النجم طارقًا ، لأنه إنما يرىٰ بالليل ويختفي بالنهار . ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح : نهي أن يطرق الرجل أهله طروقًا[٣] . أي : يأتيهم فجأة بالليل .

---

(١) زوائد المسند (٤/٣٣٥) (١٩٠١١) .

(٢) سنن النسائي ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الطارق ، حديث (١١٦٦٤) (٦/٥١٢) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : النكاح ، باب : لا يطرق أهله ليلًا إذا أطال الغيبة ...، حديث (٥٢٤٣) (٩/

وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء : « **إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن** »(٤) . وقوله : ﴿ **الثاقب** ﴾ ، قال ابن عباس : المضيء . وقال السدي : يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة : هو مضيء ومحرق للشيطان .

وقوله : ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ ، أي : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ...﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾ : تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ؛ لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **خلق من ماء دافق** ﴾ ، يعني المني ، يخرج دفقًا من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد بإذن الله - عز وجل - ولهذا قال : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ ، يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها .

قال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ : صلب الرجل وترائب المرأة ، أصفر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة والسدي ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر : سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ ، قال : هذه الترائب . ووضع يده علي صدره .

وقال الضحاك وعطية ، عن ابن عباس : تريبة[١] المرأة : موضع القلادة . وكذا قال عكرمة

---

٣٣٩) . وطرفه في [١٨٠١] . ومسلم في كتاب : الإمارة ، باب : كراهية الطروق ، حديث (١٨٢ ، ٧١٥/١٨٣) (١٠٦/١٣ ، ١٠٧) . كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - .

(٤) أخرجه أحمد (٤١٩/٣) (١٥٥٠١) . وأبو يعلى (٢٣٧/١٢ - ٢٣٨) (٦٨٤٤) . كلاهما من حديث عبد الرحمن بن خنبش في حديث طويل . وأخرجه مالك في كتاب : الشعر ، باب : ما يؤمر به من التعوذ ، حديث (١٠) (٧٢٥/٢) عن يحيى بن سعيد مرسلًا بنحو حديث عبد الرحمن . قال البخاري : في إسناده نظر ، وقال البزار بعد تخريجه : لم يرو عبد الرحمن غيره فيما أعلم . وقال ابن حبان : له صحبة ، وأخرج الحديث المذكور ابن أبي شيبة ، والحسن بن سفيان ، وأبو زرعة الرازي في مسانيدهم من طريق أبي التياح . وقال البغوي : سكن البصرة . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بنحوه ، ورجال أحد إسنادي أحمد وأبي يعلى وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح .

---

[١] - في خ : تربية .

وسعيد بن جبير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الترائب: بين ثدييها.

وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر. وعنه أيضًا. الترائب أسفل من التراقي.

وقال سفيان الثوري: فوق الثديين. وعن سعيد بن جبير: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل.

وعن الضحاك: الترائب بين الثديين والرجلين والعينين.

وقال الليث بن سعد، عن معمر بن أبي حبيبة المدني: أنه بلغه في قول الله عز وجل: ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾، [قال: هو عصارة القلب، من هناك يكون الولد.

وعن قتادة: ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾][١] من بين صلبه ونحره.

وقوله: ﴿**إنه على رجعه لقادر**﴾ فيه قولان:

أحدهما: علىٰ رجع هذا الماء الدافق إلىٰ مقره الذي خرج منه لقادر علىٰ ذلك. قاله مجاهد، وعكرمة، وغيرهما.

والقول الثاني: إنه علىٰ رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي: إعادته وبعثه إلىٰ الدار الآخرة لقادر؛ لأن من قدر علىٰ البداءة قدر علىٰ الإعادة.

وقد ذكر الله - عز وجل - هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك، واختاره ابن جرير، ولهذا قال: ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾، أي: يوم القيامة تبلىٰ فيه السرائر، أي: تظهر وتبدو، ويبقىٰ السر علانية والمكنون مشهورًا.

وقد ثبت في الصحيحين(٥)؛ عن ابن عمر: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **يرفع لكل غادر لواء عند استه، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان** ».

وقوله: ﴿ **فما له** ﴾ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿ **من قوة** ﴾، أي: في نفسه، ﴿ **ولا ناصر** ﴾، أي: من خارج منه، أي: لا يقدر علىٰ أن ينقذ نفسه من عذاب الله[٢]، ولا يستطيع له أحد ذلك.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما يدعى الناس بآبائهم، حديث (٦١٧٧، ٦١٧٨) (١٠/ ٥٦٣). ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: تحريم الغدر، حديث (١٧٣٥) (١٢/٦٢ - ٦٤).

[١] - سقط من ز.
[٢] - سقط من ز.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

قال ابن عباس: الرجع: المطر. وعنه هو السحاب فيه المطر. وعنه: ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾ تمطر ثم تمطر.

وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها، يأتين[١] من هاهنا. ﴿**والأرض ذات الصدع**﴾، قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، وغير واحد.

وقوله: ﴿**إنه لقول فصل**﴾ قال ابن عباس: حق. وكذا قال قتادة. وقال آخر: حكم عدل.

﴿**وما هو بالهزل**﴾، أي: بل هو حق جد.

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال: ﴿**إنهم يكيدون كيدًا**﴾، أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلىٰ خلاف القرآن.

ثم قال: ﴿**فمهل الكافرين**﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿**أمهلهم رويدًا**﴾ أي: قليلًا. أي: وترىٰ ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال: ﴿**نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ**﴾.

[آخر تفسير سورة الطارق، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة].

☆ ☆ ☆

---

[١] - في خ: نابتين.

[تفسير] سورة « سبح »

[وهي مكية]

والدليل علىٰ ذلك ما رواه البخاري(١) ، حدثنا عبدان : أخبرني[١] أبي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبيِّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين . ثم جاء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتىٰ رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول اللّٰه قد جاء ، فما جاء حتىٰ قرأت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ في سور مثلها .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن ثوير[٢] بن أبي فاختة ، عن أبيه ، عن علي ؛ قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يحب هذه السورة : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ . تفرد به أحمد ، وثبت في الصحيحين(٣) : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لمعاذ : « **هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلىٰ . والشمس وضحاها . والليل إذا يغشىٰ** » .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم ، عن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان بن بشير أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قرأ في العيدين : بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، و ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعًا .

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث . وقد رواه مسلم(٥) - في صحيحه - وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ، ثلاثتهم عن [إبراهيم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير، باب : سورة ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ ، حديث (٤٩٤١) (٨/ ٦٩٩ - ٧٠٠) .

(٢) المسند (٩٦/١) (٧٤٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٩/٧) : رواه أحمد وفيه ثوير بن أبي فاختة وهو متروك .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : من شكا إمامه إذا طول ، حديث (٧٠٥) (٢٠٠/٢) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في العشاء ، حديث (١٧٨ ، ٤٦٥/١٧٩) (٤/ ٢٤٠ - ٢٤٢). كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - بنحوه .

(٤) المسند (٢٧١/٤) (١٨٤٣٤) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة ، حديث (٨٧٨/٦٢) (٢٣٧/٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقرأ به في الجمعة ، حديث (١١٢٢) (٢٩٣/١) . والترمذي =

---

[١] - في ز ، خ : ثنا . [٢] - في ز : ثور .

ابن[١] محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير، به .

قال الترمذي : «**وكذا رواه الثوري ومسعر، عن إبراهيم – قال : ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم – عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان . ولا يعرف لحبيب رواية عن[٢] أبيه** » .

وقد رواه ابن ماجة(٦) عن محمد بن الصباح، عن سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان به. كما رواه الجماعة، والله أعلم. ولفظ مسلم وأهل السنن : كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة، بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾، و ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما .

وقد روىٰ الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب(٧)، وعبد الله بن عباس(٨)، وعبد الرحمن بن أبزىٰ(٩)، وعائشة أم المؤمنين(١٠) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾، و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾. زادت عائشة : والمعوذتين .

وهكذا روي هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدي بن عجلان، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم . ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية، والله أعلم .

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ

= في كتاب : الصلاة، باب : ما جاء في القراءة في العيدين، حديث (٥٣٣) (٢/١٥٠) . والنسائي (٣/ ١١٢) كتاب الجمعة، باب : ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة .

(٦) سنن ابن ماجة، كتاب : الإقامة، باب : ما جاء في القراءة في صلاة العيدين، حديث (١٢٨١) (١/ ٤٠٨).

(٧) المسند (٥/١٢٣) (٢١٢٢٢) من طريق عبد الرحمن بن أبزى عنه به .

(٨) المسند (١/٢٩٩، ٣٠٠) (٢٧٢٠، ٢٧٢٥) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٩) المسند (٣/٤٠٦) (١٥٣٩٣، ١٥٣٩٤) .

(١٠) المسند (٦/٢٢٧) (٢٦٠١٥) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : من .

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾
سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا
يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

قال الإمام أحمد(١١) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسىٰ - يعني ابن أيوب الغافقي - حدثنا عمي إياس بن عامر ، سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت : ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ ، قال لنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اجعلوها في ركوعكم** » . فلما نزلت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : « **اجعلوها في سجودكم** » ورواه أبو داود ، وابن ماجة من حديث ابن المبارك ، عن موسى بن أيوب به .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان إذا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : « **سبحان ربي الأعلىٰ** » .

وهكذا رواه أبو داود(١٣) عن زهير بن حرب ، عن وكيع به . وقال : خولف فيه وكيع ، رواه أبو وكيع وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفًا .

وقال الثوري(١٤) ، عن السدي ، عن عبد خير قال : سمعت عليًا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، فقال : سبحان ربي الأعلىٰ .

وقال ابن جرير(١٥) : حدثنا ابن[١] حميد ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الهمداني : أن ابن عباس كان إذا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، يقول : سبحان ربي الأعلىٰ ، وإذا قرأ : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ فأتىٰ علىٰ آخرها : ﴿ **أليس ذلك بقادر علىٰ أن**

---

(١١) المسند (٤/١٥٥) (١٧٤٦١) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٦٩) (١/٢٣٠) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : التسبيح في الركوع والسجود ، حديث (٨٨٧) (١/٢٨٧) . وضعفه الألباني في الإرواء (٢/٤٠) (٣٣٤) .

(١٢) المسند (١/٢٣٢) (٢٠٦٦) .

(١٣) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء في الصلاة ، حديث (٨٨٣) (١/٢٣٣) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٥) .

(١٤) أخرجه الطبري (٣٠/١٥١) .

(١٥) تفسير الطبري (٣٠/١٥١) .

---

[١] - في ز : أبو .

يحيي الموتىٰ ﴾ ، يقول : سبحانك وبلىٰ .

وقال قتادة(١٦) : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ : ذكر لنا أن نبىٰ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا قرأها ، قال : « **سبحان ربي الأعلىٰ** » .

وقوله : ﴿ **الذي خلق فسوىٰ** ﴾ ، أي : خلق الخليقة وسوىٰ كل مخلوق في أحسن الهيئات .

وقوله : ﴿ **والذي قدر فهدىٰ** ﴾ قال مجاهد : هدىٰ الإنسان للشقاوة[١] والسعادة ، وهدىٰ الأنعام لمراتعها .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ أنه قال لفرعون : ﴿ **ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ ، أي : قدر قدرًا ، وهدىٰ الخلائق إليه ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن عبد اللَّه بن عمرو : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه علىٰ الماء** » .

وقوله : ﴿ **والذي أخرج المرعىٰ** ﴾ ، أي : من جميع صنوف النباتات والزروع ، ﴿ **فجعله غثاءً أحوىٰ** ﴾ ، قال ابن عباس : هشيمًا متغيرًا . وعن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، نحوه .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرىٰ أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وأن معنىٰ الكلام : والذي أخرج المرعىٰ ، أحوىٰ ، أي : أخضر إلىٰ السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك . ثم قال ابن جرير : وهذا وإن كان محتملًا إلا أنه غير صواب ؛ لمخالفته أقوال أهل التأويل .

وقوله : ﴿ **سنقرئك** ﴾ - أي : يا محمد - ﴿ **فلا تنسىٰ** ﴾ . وهذا إخبار من اللَّه - عز وجل - ووعد منه له . بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ، ﴿ **إلا ما شاء اللَّه** ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة(١٧) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسىٰ شيئًا إلّا ما شاء الله .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **فلا تنسىٰ** ﴾ طلب ، وجعلوا معنىٰ الاستثناء علىٰ هذا ما يقع من النسخ ، أي : لا تنسىٰ ما نقرئك إلا ما يشاء اللَّه رفعه ، فلا عليك أن تتركه .

---

(١٦) أخرجه الطبري (١٥١/٣٠) .

(١٧) أخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث (٢٦٥٣/١٦) (٣١٠/١٦) .

---

[١] - في ز : للشقوة .

وقوله : ﴿ **إنه يعلم الجهر وما يخفىٰ** ﴾ أي : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونيسرك لليسرىٰ** ﴾ أي : نسهّل عليك أفعال الخير وأقواله ، ونشرع لك شرعًا سهلًا سمحًا مستقيمًا عدلًا ، لا اعوجاج فيه ولا حرج ، ولا عسر .

وقوله : ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرىٰ** ﴾ ، أي : ذكر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين علي(١٨) - رضي الله عنه - : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال(١٩) : حدث الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

وقوله : ﴿ **سيذكر من يخشىٰ** ﴾ ، أي : سيتعظ بما تبلغه - يا محمد - من قلبه يخشىٰ الله ويعلم أنه ملاقيه ، ﴿ **ويتجنبها الأشقىٰ . الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ . ثم لا يموت فيها ولا يحيىٰ** ﴾ ، أي : لا يموت فيستريح ولا يحيىٰ حياة تنفعه[١] ، بل هي مضرة عليه ، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب ، وأنواع النكال .

قال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا ابن أبي عدي ، عن سليمان - يعني التيمي - عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون ، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء ، فيأخذ الرجل أنصاره[٢] فينبتهم - أو قال : ينبتون - في نهر [الحياء - أو قال][٣] : الحياة - أو قال : الحيوان - أو قال : نهر الجنة فينبتون - نبات الحبة في حميل السيل** » - قال : وقال : النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ترون الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء ، [أو قال : تكون صفراء][٤] ، ثم تكون خضراء ؟** » - قال : فقال

(١٨) أخرجه مسلم في « مقدمة الصحيح » (١/١١٣) لكن الذي في مسلم من حديث ابن مسعود وليس من حديث علي - رضي الله عنهما - .

(١٩) أخرجه البخاري في كتاب : العلم ، باب : من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، حديث (١٢٧) (١/٢٢٥) من حديث علي .

(٢٠) أخرجه أحمد (٣/٥) (١١٠٢٩) . وأخرجه ابن منده في « الإيمان » (٨٢٦) من طريق محمد بن بشار ثنا محمد بن إبراهيم بن أبي عدى به . وأخرجه أيضًا - (٨٢٤ ، ٨٢٥) . وعبد بن حميد في المنتخب (٨٦٥) . من طرق ثلاثة عن سليمان التيمي به .

وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة ... (٣٠٦،٣٠٧) - (١٨٥) . وابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : ذكر الشفاعة - (٤٣٠٩) .

[١] - في ز : فتنفعه .
[٢] - في ز : الصارة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

بعضهم : كأن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان بالبادية .

وقال أحمد أيضًا(٢١) : حدثنا إسماعيل، حدثنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس – أو كما قال – تصيبهم النار بذنوبهم – أو قال : بخطاياهم – فيميتهم إماتة ، حتىٰ إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فنبتوا[١] علىٰ أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل** » . قال : فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان [في البادية][٢] .

ورواه مسلم من حديث بشر بن[٣] المفضل وشعبة ، كلاهما[٤] عن أبي مسلمة[٥] سعيد بن يزيد ، به مثله .

ورواه أحمد[٦] (٢٢) أيضًا عن يزيد ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أهل النار الذين لا يريد اللّٰه إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد اللّٰه إخراجهم يميتهم فيها إماتة ، حتىٰ يصيروا فحمًا ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون علىٰ أنهار الجنة ، [أو : يرش عليهم من أنهار الجنة][٧] ؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل** .

وقد قال الله إخبارًا عن أهل النار: ﴿**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ...**﴾ .

إلىٰ غير ذلك من الآيات في هذا المعنىٰ .

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾
وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ

(٢١) المسند (٣/١١) (١١٠٩١) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث (٣٠٦ ، ٣٠٧ /١٨٥) (٣/٤٦ - ٤٨) .
(٢٢) المسند (٣/٢٠) (١١١٦٥) .

[١] - في خ : فينبتون .
[٢] - في ت : بالبادية .
[٣] - في ز : أبو .
[٤] - في ت : كليهما .
[٥] - في ز ، خ : مسلم .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .

وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ** ﴾ ، أي : طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل اللّٰه علىٰ الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه ﴿ **وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ ، أي : أقام الصلاة في أوقاتها ، ابتغاء رضوان اللّٰه وطاعة لأمر اللّٰه وامتثالًا لشرع الله. وقد قال الحافظ أبو بكر البزّار(٢٣):

حدثنا عباد بن أحمد العرزمي ، حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عطاء ابن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد اللّٰه ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ** ﴾ ، قال : « **من شهد أن لا إله إلا اللّٰه ، وخلع الأنداد ، وشهد أني رسول اللّٰه** » ، ﴿ **وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ ، قال : « **هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها** » .

ثم قال : لا يروىٰ عن جابر إلّا من هذا الوجه .

وكذا قال ابن عباس : إن المراد بذلك الصلوات الخمس . واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي[١] ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبي خلدة قال : دخلت علىٰ أبي العالية فقال لي : إذا غدوت غدًا إلىٰ العيد فمر بي . قال : فمررت به فقال : هل طعمت شيئًا ؟ قلت : نعم . قال : أفضت علىٰ نفسك من الماء ؟ قلت : نعم . قال : فأخبرني ما فعلت [بزكاتك ؟ قلت][٢] : وكأنك قلت : قد وجهتها ؟ قال : إنما أردتك لهذا . ثم قرأ : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ . وقال : إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء .

قلت : وكذلك[٣] روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ، ويتلو هذه الآية ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ .

وقال أبو الأحوص : إذا أتىٰ أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدي صلاته زكاته ، فإن اللّٰه يقول : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ .

وقال قتادة في هذه الآية : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ ، وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ : زكىٰ ماله ،

(٢٣) كشف الأستار (٢/١١٧) (١٥٢٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٤٠) : رواه البزار عن شيخه عباد ابن أحمد العرزمي وهو متروك .

[١] - في ز ، خ : الأيلي .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : وقد .

وأرضىٰ خالقه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : تقدمونها علىٰ أمر الآخرة ، وتبدونها علىٰ ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم ، ﴿ **والآخرة خير وأبقىٰ** ﴾ ، أي : ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقىٰ ، [فإن الدنيا][1] دنية فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنىٰ علىٰ ما يبقىٰ ، ويهتم بما يزول عنه قريبًا ، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد .

قال الإمام أحمد(٢٤): حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ذويد عن أبي إسحاق ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له** » .

وقال ابن جرير(٢٥): حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا[2] أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عرفجة الثقفي قال : استقرأت ابن مسعود : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ فلما بلغ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ ترك القراءة ، وأقبل علىٰ أصحابه وقال[3] : آثرنا الدنيا علىٰ الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل .

وهذا منه علىٰ وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم .

و[قد][4] قال الإمام أحمد(٢٦) : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد الله ، عن أبي موسىٰ الأشعري : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقىٰ[5] علىٰ ما يفنىٰ** » تفرد به أحمد .

---

(٢٤) تقدم تخريجه في سورة الإسراء ، آية (١٨) . وفي سورة النجم ، آية (٢٩) .

(٢٥) أخرجه الطبري (١٥٧/٣٠) .

(٢٦) أخرجه أحمد (٤١٢/٤) (١٩٧٥١) . والحاكم (٣٠٨/٤،٣١٩) . والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٣٨-١٣٩) حديث (٤٠٣٨) . وابن حبان (٤٨٦/٢) حديث (٧٠٩) . والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٨٨) حديث (١٠٣٣٧) . والقضاعي في مسند الشهاب (٢٥٨/١-٢٥٩) . حديث (٤١٨) . والبيهقي في الكبرى (٣٧٠/٣) كتاب الجنائز ، باب : ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل والاستعداد للموت فإن الأمر قريب . كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبي موسى - رضي الله عنه - ... فذكره . قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه=

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فقال .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : بقي .

وقد رواه أيضًا(٢٧) عن أبي سلمة[١] الخزاعي ، عن الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، به مثله سواء .

وقوله : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ * صحف إبراهيم وموسىٰ** ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار (٢٨):

حدثنا نصر بن علي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ صحف إبراهيم وموسىٰ** ﴾ - قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **كان كل هذا - أو : كان هذا - في صحف إبراهيم وموسىٰ** » .

ثم قال : لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس غير هذا ، وحديثًا آخر أورده قبل هذا .

وقال النسائي(٢٩) : أخبرنا زكريا بن يحيىٰ ، أخبرنا نصر بن علي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : كلها في صحف إبراهيم وموسىٰ . فلما نزلت : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ قال : وفَّى ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ** ﴾ .

يعني أن هذه الآية كقوله في « سورة النجم » ﴿ **أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ * وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ * وأن سعيه سوف يرىٰ * ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ * وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ** ...﴾ الآيات إلىٰ آخرهن .

وهكذا قال عكرمة - فيما رواه ابن جرير(٣٠) ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة - في قوله : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ * صحف**

= وتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاع . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٥٢/١٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات . وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٨٥٣/٤) (٢٩٣٨) : وهو منقطع بين المطلب ابن عبد الله وبين أبي موسى .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٥٢/١٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات .

(٢٧) المسند (٤١٢/٤) (١٩٧٥٢) .

(٢٨) كشف الأستار (١١٧/٢) (١٥٣٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٤٠/٧) : رواه البزار وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢٩) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الأعلى ، حديث (١١٦٦٨) (٥١٣/٦).

(٣٠) تفسير الطبري (١٥٨/٣٠) .

---

[١] - في ز ، خ : مسلم .

إبراهيم وموسىٰ ﴾ ، يقول : الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلىٰ .

وقال أبو العالية : قصة هذه السورة في الصحف الأولىٰ . واختار ابن جرير أن المراد بقوله : **﴿ إن هذا ﴾** إشارة إلىٰ قوله : **﴿ قد أفلح من تزكىٰ وذكر اسم ربه فصلىٰ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقىٰ ﴾** ، ثم قال : **﴿ إن هذا ﴾** ، أي : مضمون هذا الكلام **﴿ لفي الصحف الأولىٰ . صحف إبراهيم وموسىٰ ﴾**

وهذا اختيارٌ حسن قوي ، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه ، والله أعلم.

[آخر تفسير سورة « سبح » ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

[تفسير] سورة الغاشية

[وهي مكية]

قد تقدم عن النعمان بن بشير(١) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ ، والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة .

وقال الإمام مالك(٢) ، عن ضمرة بن سعيد ، عن عبيد[١] الله بن عبد الله : أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير : بم كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ .

رواه أبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، كلاهما عن مالك ، به .

ورواه مسلم(٣) وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن ضمرة بن سعيد به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

الغاشية : من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ، لأنها تغشىٰ الناس وتعمهم . وقد قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ امرأة تقرأ : ﴿ هل أتاك حديث

(١) تقدم تخريجه في أول سورة الأعلى .

(٢) أخرجه مالك في كتاب : الجمعة ، باب : القراءة في صلاة الجمعة ، حديث (١٩) (١١٢/٠١) بنحو هذا اللفظ . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقرأ به في الجمعة ، حديث (١١٢٣) (٢٩٣/١) . والنسائي (١١٢/٣) كتاب الجمعة ، باب : ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة ، حديث (٨٧٨/٦٣) (٢٣٨/٦) . وأخرجه ابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في القراءة في الصلاة يوم الجمعة ، حديث (١١١٩) (٣٥٥/١) .

[١] - في ز ، خ : عبد .

الغاشية ﴾ ، فقام يستمع ويقول : « **نعم قد جاءني** » .

وقوله : ﴿ **وجوه يومئذٍ خاشعة** ﴾ أي : ذليلة . قاله قتادة .

وقال ابن عباس : تخشع ولا ينفعها عملها .

وقوله : ﴿ **عاملة ناصبة** ﴾ ، أي : قد عملت عملًا كثيرًا ، ونصبت فيه ، وصليت يوم القيامة نارًا حامية .

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني(٤) : حدثنا إبراهيم بن محمد المزكى[١] ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج ، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا سيار[٢] ، حدثنا جعفر قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : مر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بدير راهب ، قال : فناداه : يا راهب [يا راهب][٣] . فأشرف ، قال[٤] : فجعل عمر ينظر إليه ويبكي . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله - عز وجل - في كتابه ﴿ **عاملة ناصبة * تصلىٰ نارًا حامية** ﴾ ، فذاك الذي أبكاني .

وقال البخاري(٥) : قال ابن عباس : ﴿ **عاملة ناصبة** ﴾ : النصارىٰ .

وعن عكرمة ، والسدي : ﴿ **عاملة** ﴾ في الدنيا بالمعاصي ، ﴿ **ناصبة** ﴾ في النار بالعذاب والأغلال .

قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : ﴿ **تصلىٰ نارًا حامية** ﴾ ، أي : حارة شديدة الحر . ﴿ **تسقىٰ من عين آنية** ﴾ ، أي : قد انتهى حرها وغليانها . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والسدي .

وقوله : ﴿ **ليس لهم طعام إلّا من ضريع** ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : شجر من النار .

وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم . وعنه : أنها الحجارة .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو الجوزاء ، وقتادة : هو الشبرق - قال قتادة :

---

(٤) أخرجه الحاكم (٢/٥٢١ - ٥٢٢) من طريق سياد بن حاتم نحوه . قال الحاكم : هذه حكاية في وقتها فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر .

(٥) أخرجه البخاري في : التفسير ، باب : سورة ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ (١٤٨/١) معلقًا ووصله ابن أبي حاتم كما في « الفتح » .

---

[١] - في ز : المري . وفي خ : المدني .

[٢] - في خ : بشار .

[٣] - سقط من ت .

[٤] - سقط من خ .

قريش تسميه في الربيع الشبرق ، وفي الصيف الضريع - قال عكرمة : وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض .

وقال البخاري(٦) : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له الشبرق ، يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس ، وهو سم .

وقال معمر عن قتادة : ﴿ إلّا من ضريع ﴾ هو الشبرق إذا يبس سُمِّيَ الضريع .

وقال سعيد ، عن قتادة : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ : من شر الطعام وأبشعه وأخبثه .

وقوله : ﴿ لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾ يعني : لا يحصل به مقصود ، ولا يندفع به محذور .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

لما ذكر حال الأشقياء ، ثنىٰ بذكر السعداء فقال : ﴿ وجوه يومئذ ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ ناعمة ﴾ ، أي : يعرف النعيم فيها . وإنما حصل لها ذلك بسعيها .

وقال سفيان : ﴿ لسعيها راضية ﴾ : قد رضيت عملها .

وقوله : ﴿ في جنة عالية ﴾ ، أي : رفيعة بهية في الغرفات آمنون ، ﴿ لا تسمع فيها لاغية ﴾ ، أي : لا يسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو . كما قال : ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا ﴾ وقال : ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ ، وقال : ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا . إلا قيلًا سلامًا سلامًا ﴾ .

﴿ فيها عين جارية ﴾ ، أي : سارحة . وهذه نكرة في سياق الإثبات ، وليس المراد بها عينًا واحدة ، وإنما هذا جنس ، يعني : فيها عيون جاريات .

وقال ابن أبي حاتم(٧) : قرئ على الربيع بن سليمان : حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرة ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلىٰ الله

(٦) أخرجه البخاري في الموضع السابق .

(٧) أخرجه ابن حبان (٣٤٣/٨ - موارد) (٢٦٢٢) من طريق أسد بن موسى بنحو ذلك وحسنه حسين أسد.

عليه وسلم : « **أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو : من تحت جبال - المسك** » .

﴿ **فيها سرر مرفوعة** ﴾ ، أي : عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك ، عليها الحور العين . قالوا : فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له . ﴿ **وأكواب موضوعة** ﴾ ، يعني : أواني الشراب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها . ﴿ **ونمارق مصفوفة** ﴾ ، قال ابن عباس : النمارق الوسائد . وكذا قال عكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، والثوري ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وزرابي مبثوثة** ﴾ قال ابن عباس : الزرابي : البسط . وكذا قال الضحاك وغير واحد .

ومعنى مبثوثة ، أي : هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها .

ونذكر هاهنا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود(٨) : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبي ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسى : حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ألا هل من[١] مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر[٢] لها ، هي - ورب الكعبة - نور تتلألأ[٣]** ، **وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، في محلة عالية بهية ؟** » . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها . قال : « **قولوا : إن شاء الله** » . [قال القوم : إن شاء الله][٤] .

ورواه ابن ماجة(٩) عن العباس بن[٥] عثمان الدمشقي ، عن الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر به .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى

---

(٨) أخرجه ابن حبان (٣٨٩/١٦)(٧٣٨١) من طريق المعافري ، وانظر التالي.

(٩) أخرجه ابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : صفة الجنة ، حديث (٤٣٣٢) (١٤٤٨/٢) . قال البوصيري في الزوائد (٣٢٥/٣) : هذا إسناد فيه مقال ؛ الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات . وقال الذهبي في طبقات التهذيب كتاب مجهول . وسليمان بن موسى الأموى مختلف فيه ، وباقى الإسناد ثقات .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : حصر .
[٣] - في ت : يتلألأ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : عن .

ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة علىٰ قدرته وعظمته : ﴿ **أفلا ينظرون إلىٰ الإبل كيف خلقت** ﴾ ، فإنها خلق عجيب ، وتركيبها غريب ، فإنها في غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل ، وينتفع بوبرها ، ويشرب لبنها . ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ، وكان شريح القاضي يقول : اخرجوا بنا حتىٰ ننظر إلىٰ الإبل كيف خلقت ، وإلىٰ السماء كيف رفعت ؟ أي : كيف رفعها اللَّه - عز وجل - عن الأرض هذا الرفع العظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أفلم ينظروا إلىٰ السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** ﴾ .

﴿ **وإلىٰ الجبال كيف نصبت** ﴾ ، أي : جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن .

﴿ **وإلىٰ الأرض كيف سطحت** ﴾ ، أي : كيف بسطت ومدت ومهدت ، فنبَّه البدوي علىٰ الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه ، والسماء التي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه ، والأرض التي تحته علىٰ قدرة خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك[١] ، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه . وهكذا أقسم « **ضمام** » في سؤاله علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد(١٠) حيث قال :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كنا نهينا أن نسأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن شيء ، فكان[٢] يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن اللَّه أرسلك ؟ قال : « **صدق** » . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : « **اللَّه** » . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : « **اللَّه** » . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : « **اللَّه** » . قال : فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال ، آللَّه أرسلك ؟ قال : « **نعم** » . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟ قال : « **صدق** » . قال : فبالذي أرسلك ، آللَّه أمرك بهذا ؟ قال : « **نعم** » . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : « **صدق** » . قال : فبالذي أرسلك ، آللَّه أمرك

(١٠) المسند (٣/١٤٣) (١٢٤٧٩) وهو مروى بالمعنى .

[١] - في ز : الملك . [٢] - في ز : وكان .

بهذا ؟ قال : « **نعم** » . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ؟ قال : « **صدق** » . قال : ثم ولّىٰ فقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئًا ولا أنقص منهن شيئًا . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن صدق ليدخلن الجنة** » .

وقد رواه مسلم(١١) ، عن عمرو الناقد ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، به . وعلقه البخاري(١٢) ، ورواه الترمذي(١٣) والنسائي ، [من حديث سليمان بن المغيرة ، به . ورواه الإمام أحمد(١٤) والبخاري ، وأبو داود والنسائي وابن ماجة][١] ، من حديث الليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن شريك بن عبد اللّٰه بن أبي نمر ، عن أنس ، به بطوله ، وقال في آخره : وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر .

وقال الحافظ أبو[٢] يعلىٰ : حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد اللّٰه بن جعفر ، حدثني عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كثيرًا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية علىٰ رأس جبل ، معها ابن لها ترعىٰ غنمًا ، فقال لها ابنها : يا أمه ، من خلقك ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلقني ؟ قالت : اللّٰه قال : فمن خلق السماء ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : اللّٰه . قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : اللّٰه . قال : إني لأسمع للّٰه شأنًا . وألقىٰ نفسه من الجبل فتقطع .

قال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يحدثنا هذا[٣] .

---

(١١) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : السؤال عن أركان الإسلام ، حديث (١٢/١٠) (٢٣٧/١ - ٢٤٠) .

(١٢) صحيح البخاري في كتاب : العلم ، باب : ما جاء في العلم وقوله تعالى : ﴿ **وقل رب زدني علمًا** ﴾ (١٤٨/١) .

(١٣) سنن الترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك ، حديث (٦١٩) (١٩٩/٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : العلم ، باب : العرض على العالم ، حديث (٥٨٦٣) (٤٣٧/٣ - ٤٣٨) .

(١٤) أخرجه أحمد (١٦٨/٣) (١٢٧٤٢) . والبخاري في كتاب : العلم ، باب : ما جاء في العلم ، وقوله تعالى : ﴿ **وقل رب زدني علمًا** ﴾ ، حديث (٦٣) (١٤٨/١ - ١٤٩) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في المشرك يدخل المسجد ، حديث (٤٨٦) (١٣١/١) . والنسائي (١٢٢/٤ - ١٢٣) كتاب : الصيام ، باب : وجوب الصيام . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها ، حديث (١٤٠٢) (٤٤٩/١ - ٤٥٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : ابن .

[٣] - في ت : بهذا .

قال ابن دينار : كان ابن عمر كثيرًا ما يحدثنا بهذا .

في إسناده ضعف ، وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني ضعّفه ولده الإمام علي بن المديني وغيره .

وقوله : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر** ﴾ ، أي : فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ؛ ولهذا قال : ﴿ **لست عليهم بمسيطر** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما : لست عليهم بجبار .

وقال ابن زيد : لست بالذي تكرههم على الإيمان .

قال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم علىٰ الله عز وجل** » . ثم قرأ : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر** ﴾ .

وهكذا رواه مسلم في كتاب « **الإيمان** » ، والترمذي والنسائي في كتابي « **التفسير** » من سننيهما ، من حديث سفيان بن سعيد الثوري ، به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(١٦) من رواية أبي هريرة ، بدون ذكر هذه الآية .

وقوله : ﴿ **إلا من تولىٰ وكفر** ﴾ ، أي : تولىٰ عن العمل بأركانه ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه . وهذه كقوله : ﴿ **فلا صدق ولا صلىٰ * ولكن كذب وتولىٰ** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فيعذبه الله العذاب الأكبر** ﴾ قال الإمام أحمد(١٧) :

حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن علي بن خالد ؛ أن أبا أمامة الباهلي مر علىٰ خالد بن يزيد بن معاوية ، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلىٰ الله

---

(١٥) المسند (٣/٣٠٠) (١٤٢٥٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : الإيمان، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ ... ، حديث (٢١/٣٥) (١/٢٩١ - ٢٩٢) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الغاشية ، حديث (٣٣٣٨) (٩/٧٤) ، وقال حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الغاشية ، حديث (١١٦٧٠) (٦/٥١٤) .

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد، باب : دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، حديث (٢٩٤٦) (٦/ ١١١ - ١١٢) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ ... ، حديث (٢١/٣٣) (١/٢٩٠) . كلاهما من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عنه به .

(١٧) أخرجه أحمد (٥/٢٥٨) (٢٢٣٢٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٤٠٦) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد الدولي وهو ثقة .

عليه وسلم، فقال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « **ألا كلكم يدخل الجنة ، إلا من شرد علىٰ اللّٰه شراد البعير علىٰ أهله** » .

تفرد بإخراجه الإمام أحمد ، وعلي بن خالد، هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ، ولم يزد علىٰ ما هاهنا : روىٰ عن أبي أمامة ، وعنه سعيد بن أبي هلال .

وقوله : ﴿ **إن إلينا إيابهم** ﴾ ، أي : مرجعهم ومنقلبهم ، ﴿ **ثم إن علينا حسابهم** ﴾ ، أي : نحن نحاسبهم علىٰ أعمالهم ونجازيهم بها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

[آخر تفسير سورة الغاشية ، ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

[تفسير] سورة الفجر

[وهي مكية]

قال النسائي(١) : أخبرنا عبد الوهاب بن الحكم ، أخبرني يحيىٰ بن سعيد ، عن سليمان ، عن[١] محارب بن دثار وأبي صالح ، عن جابر؛ قال : صلىٰ معاذ صلاة ، فجاء رجل فصلىٰ معه فطول ، فصلىٰ في ناحية المسجد ثم انصرف ، فبلغ ذلك معاذًا[٢] فقال : منافق . فذكر ذلك لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسأل[٣] الفتىٰ ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ [جئت أصلي معه فطول][٤] عليَّ ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد ، فعلفت ناضحي . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أفتان**[٥] **يا معاذ ؟ أين أنت من ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ - و﴿الشمس وضحاها ﴾ و ﴿ الفجر ﴾ - و ﴿ الليل إذا يغشىٰ ﴾** » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

أما الفجر فمعروف ، وهو الصبح . قاله علي وابن عباس[٦] ، ومجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

وعن مسروق ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب : المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو خاتمة الليالي العشر .

وقيل المراد بذلك الصلاة التي تفعل عندهم ، كما قاله عكرمة .

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : و« الشفع » ، حديث (١١٦٧٣) (٦/٥١٥) .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - في ز : معاذ .
[٣] - في ز ، خ : قال .
[٤] - في ز : « حيث أصلي معه يطول » .
[٥] - في ز : أفتانا .
[٦] - بياض في ز ، خ .

وقيل : المراد به جميع النهار . وهو رواية عن ابن عباس .

والليالي العشر : المراد بها عشر ذي الحجة . كما قاله ابن عباس وابن الزبير ، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف . وقد ثبت في صحيح البخاري(٢) ، عن ابن عباس مرفوعًا : « **ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن [ ][١] من هذه الأيام** » - يعني : عشر ذي الحجة - قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « **ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجلًا خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء** » . وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم ، حكاه أبو جعفر بن جرير ولم يعزه إلى أحد .

وقد روى أبو كدينة ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **وليال عشر** ﴾ ، قال : هو العشر الأول من رمضان .

والصحيح القول الأول ؛ قال الإمام أحمد(٣) :

حدثنا زيد[٢] بن الحباب ، حدثنا عياش بن عقبة ، حدثني خير بن نعيم[٣] ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر** » .

ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله ، كل منهما عن زيد بن الحباب ، به .

ورواه ابن جرير(٤) وابن أبي حاتم ، من حديث زيد بن الحباب به . [وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندي أن المتن في رفعه نكارة ، والله أعلم][٤] .

وقوله : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة ، لكونه التاسع ، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر . وقاله ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك أيضًا .

(قول ثان) ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثني عقبة بن خالد ، عن واصل بن السائب قال : سألت عطاء عن قوله : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قلت[٥] : صلاتنا

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : العيدين ، باب : فضل العمل في أيام التشريق ، حديث (٩٦٩) (٢/٢/ ٤٥٧) ولفظه «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه ... » الحديث . وقد بين ابن حجر في شرحه الروايات الواردة في ذلك وأزال الإشكال الوارد في هذه الرواية فليراجع فإن فيه فوائد جمة .

(٣) المسند (٣٢٧/٣) (١٤٥٥٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، سورة الفجر ، حديث (١١٦٧١ ، ١١٦٧٢) (٥١٤/٦) .

(٤) تفسير الطبري (١٦٩/٣٠) طرفًا منه .

---

[١] - في ز ، خ : العمل .

[٢] - في خ : يزيد .

[٣] - في ز : أحيم .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

[٥] - في ز : قال .

وترنا هذا ؟ قال : لا ، ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى .

(قول ثالث) ، و[١] قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني ، حدثني أبي ، عن النعمان - يعني ابن عبد السلام - عن أبي سعيد بن عوف ، حدثني بمكة قال : سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن الشفع والوتر . فقال : الشفع قول الله عز وجل : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه** ﴾ ، والوتر قوله : ﴿ **ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾ .

وقال ابن جريج[٢] : أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق ، والوتر آخر أيام التشريق .

وفي الصحيحين(٥) من رواية أبي هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر** » .

(قول رابع) ، قال الحسن البصري ، وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ، ووتر ، أقسم تعالى بخلقه . وهو رواية عن مجاهد ، والمشهور عنه الأول .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قال : الله وتر واحد ، وأنتم شفع . ويقال : الشفع صلاة الغداة ، والوتر : صلاة المغرب .

(قول خامس) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد[٣] الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عز وجل .

وقال أبو عبد[٤] الله عن مجاهد : الله الوتر ، وخلقه الشفع ، الذكر[٥] والأنثى .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ : كل شيء خلقه الله شفع ، السماء والأرض ، والبر والبحر ، والجن والإنس ، والشمس والقمر ، ونحو هذا . ونحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالى : ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ أي : لتعلموا أن خالق الأزواج واحد .

(قول سادس) ، قال قتادة ، عن الحسن : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ : هو العدد ، منه شفع ومنه

---

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفاتحة .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : جرير .
[٣] - في ز ، خ : عبد .
[٤] - في ز : عبيد .
[٥] - في ز : والذكر .

وتر .

(قول سابع) في الآية الكريمة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ثم قال ابن جرير(٦) : وروي عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي[١] الزبير : حدثني عبد اللَّه بن أبي زياد القطواني[٢] ، حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرني عياش بن عقبة ، حدثني خير[٣] بن نعيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **الشفع اليومان ، والوتر اليوم الثالث** » .

هكذا أورد[٤] هذا الخبر بهذا اللفظ ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم ، وما رواه هو أيضًا ، واللَّه أعلم .

قال أبو العالية ، والربيع بن أنس ، وغيرهما : هي الصلاة ، منها شفع كالرباعية والثنائية ، ومنها وتر كالمغرب ، فإنها ثلاث ، وهي وتر النهار . وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من[٥] الليل .

وقد قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمران بن حصين : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ ، قال : هي الصلاة المكتوبة ، منها شفع ومنها وتر ، وهذا منقطع وموقوف ، ولفظه خاص بالمكتوبة . وقد روي متصلًا مرفوعًا إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم ولفظه عام، قال الإمام أحمد(٧) :

حدثنا أبو داود هو الطيالسي ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام[٦] ؛ أن شيخًا حدثه من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر ؛ فقال : « **هي الصلاة ، بعضها شفع ، وبعضها وتر** » .

هكذا وقع في المسند ، وكذا رواه ابن جرير(٨) عن بندار ، عن عفان وعن أبي كريب ، عن عبيد اللَّه بن موسىٰ ، كلاهما[٧] عن همام - وهو ابن يحيىٰ - عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن شيخ ، عن عمران بن حصين .

---

(٦) تفسير الطبري (١٧٢/٣٠) .
(٧) المسند (٤٣٧/٤) (١٩٩٧٣) .
(٨) تفسير الطبري (١٧٢/٣٠) .

---

[١] - في خ : ابن .
[٢] - في ز ، خ : القطناني .
[٣] - في ز ، خ : حر . وفي المطبوع من الطبري : جبير .
[٤] - في ت : ورد .
[٥] - في ز : في .
[٦] - في ز : عاصم .
[٧] - في ت : كليهما .

وكذا رواه أبو عيسىٰ الترمذي(٩) ، عن عمرو بن علي ، عن ابن مهدي وأبي داود ، كلاهما[١] عن همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن رجل من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين ، به . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس [ ][٢] أيضًا عن قتادة .

وقد روي عن عمران بن عصام ، عن عمران نفسه، والله أعلم .

قلت : ورواه ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام الضبعي ، - شيخ من أهل البصرة - عن عمران ابن حصين ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ... فذكره ، هكذا رأيته في تفسيره ، فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام .

وهكذا رواه ابن جرير(١٠) : حدثنا نصر بن علي ، حدثني أبي ، حدثني خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن عمران بن حصين ، عن النبي- صلىٰ الله عليه وسلم في الشفع والوتر قال : **« هي الصلاة ، منها شفع ، ومنها وتر »** .

فأسقط ذكر الشيخ المبهم ، وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري ، إمام مسجد بني ضبيعة ، وهو والد أبي جمرة[٣] نصر بن عمران الضبعي . روىٰ عنه قتادة ، وابنه أبو جمرة[٤] ، والمثنىٰ[٥] بن سعيد ، وأبو التياح يزيد بن حميد . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ، وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة ، وكان شريفًا نبيلًا[٦] حظيًا عند الحجاج بن يوسف ، ثم قتله يوم الزاوية سنة ثلاث وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث ، وليس له عند الترمذي سوىٰ هذا الحديث الواحد . وعندي أن وقفه علىٰ عمران بن حصين أشبه ، والله أعلم .

ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر .

وقوله : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أي إذا ذهب .

وقال عبد الله بن الزبير: ﴿ **والليل إذا يسر**[٧] ﴾ حتىٰ يذهب بعضه بعضًا .

---

(٩) سنن الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الفجر ، حديث (٣٣٣٩) (٩/٧٠) .
(١٠) تفسير الطبري (١٧٢/٣٠) .

---

[١] - في ت : كليهما .
[٢] - في ز : بن قيس . كذا .
[٣] - في ز ، خ : حمزة .
[٤] - في ز ، خ : حمزة .
[٥] - في ز : وأنس .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : يسري . وكذلك في كل موضع تذكر فيه بعد ذلك .

وقال مجاهد ، وأبو العالية ، وقتادة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم وابن زيد : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ : إذا سار .

وهذا يمكن[١] حمله علىٰ ما قال ابن عباس ، أي : ذهب . ويحتمل أن يكون المراد إذا سار ، أي : أقبل . وقد يقال : إن هذا أنسب ، لأنه في مقابلة قوله : ﴿ **والفجر** ﴾ ، فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل ، فإذا حمل قوله : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ ، علىٰ إقباله كان قسمًا بإقبال الليل وإدبار النهار . وبالعكس ، كقوله : ﴿ **والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس** ﴾ . وكذا قال الضحاك : ﴿ **إذا يسر** ﴾ أي : يجري .

وقال عكرمة : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ ، يعني : ليلة جمع[٢] . رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا كثير بن عبد الله ابن عمرو قال : سمعت محمد بن كعب القرظيَّ ، يقول في قوله : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ ، قال : اسر يا سار[٣] ولا تبيتن إلا بجَمْع .

وقوله : ﴿ **هل في ذلك قسم لذي حجر** ﴾ ، أي : لذي عقل ولب وحجًا[٤] ، وإنما سمىٰ العقل حجرًا لأنه يمنع الإنسان من[٥] تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال ، ومنه حِجْر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي . ومنه حجر اليمامة ، وحَجَرَ الحاكم علىٰ فلان : إذا منعه التصرف ، ﴿ **ويقولون حجرًا محجورًا** ﴾ ، كل هذا من قبيل واحد ، ومعنىً متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة ، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها المتقون المطيعون له ، الخائفون منه ، المتواضعون[٦] لديه ، الخاشعون لوجهه الكريم .

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟** ﴾ ، وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين ، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله ، جاحدين لكتبه ، فذكر تعالىٰ كيف أهلكهم ودمرهم ، وجعلهم أحاديث وعِبَرًا : فقال : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد** ﴾ : وهؤلاء عاد الأولىٰ ، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ، قاله ابن إسحاق ، وهم الذين بعث الله[٧] فيهم رسوله هودًا - عليه السلام - فكذبوه وخالفوه ، فأنجاه الله من بين أظهرهم ، ومن آمن معه منهم ، وأهلكهم بريح صرصر

---

[١] - في ز : ممكن .
[٢] - في ز : أجمع .
[٣] - في ز : ساري .
[٤] - في خ : وحجار .
[٥] - في ز : عن .
[٦] - في خ : الخاضعون .
[٧] - سقط من ز .

عاتية ، ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا * فترىٰ القوم فيها صرعىٰ * كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترىٰ لهم من باقية ﴾ . وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ؛ ليعتبر بمصرعهم المؤمنون .

فقوله تعالىٰ : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ : عطف بيان ، زيادة تعريف بهم .

وقوله : ﴿ ذات العماد ﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشَّعر التي ترفع بالأعمدة الشداد ، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشًا ؛ ولهذا ذكرهم هود[١] بتلك النعمة ، وأرشدهم إلىٰ أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم ، فقال : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ فأما[٢] عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ ، أي : القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم ، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم .

قال مجاهد : إرم : أمة قديمة . يعني عادًا الأولىٰ ، كما قال قتادة بن دعامة ، والسدي : إن إرم بيت مملكه[٣] عاد . وهذا قول حسن جيد قوي .

وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله : ﴿ ذات العماد ﴾ كانوا أهل عمود لا يقيمون .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : إنما قيل لهم : ﴿ ذات العماد ﴾ لطولهم .

واختار الأول ابن جرير ، ورد الثاني فأصاب .

وقوله : ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ : أعاد ابن زيد الضميرَ علىٰ العماد ، لارتفاعها ، وقال : بنوا عُمُدًا بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد . وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير علىٰ القبيلة ، أي : لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد ، يعني في زمانهم . وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه - ضعيف ، لأنه لو كان أراد ذلك لقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد ، وإنما قال : ﴿ لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(١١) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عمن حدثه عن المقدام ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ فقال : « كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم » .

(١١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٥٨٣) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : وأما . كذا .
[٣] - في ت : مملكة .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا أنس بن عياض ، عن ثور بن زيد الديلي . قال : قرأت كتابًا - قد سمىٰ حيث قرأه - : أنا شداد بن عاد ، وأنا الذي رفعت العماد ، وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد ، وأنا الذي كنزت كنزًا على سبعة أذرع ، لا يخرجه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

قلت : فعلىٰ كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها ، أو أعمدة بيوتهم للبدو ، أو سلاحًا يقاتلون به ، أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم ، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع ، المقرونون بثمود كما هاهنا ، والله أعلم .

ومن زعم أن المراد بقوله : ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ مدينة إما دمشق ، كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة - أو إسكندرية كما روي عن القُرَظي - أو غيرهما - ففيه نظر ، فإنه كيف يلتئم الكلام علىٰ هذا : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد** ﴾ ، إن جعل ذلك بدلًا أو عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم .

وإنما نبهت علىٰ ذلك[١] لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية ، من ذكر مدينة يقال لها : ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ ، مبنية بلبن الذهب والفضة ، قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها لآلئ وجواهر ، وترابها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة ، وثمارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ، ليس بها داع ولا مجيب . وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلًا من الأعراب - وهو عبد الله بن قلابة - في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت ، فبينما هو يتيه في ابتغائها ، إذ اطلع علىٰ مدينة عظيمة لها سور وأبواب ، فدخلها فوجد فيها قريبًا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها ، وأنه رجع فأخبر الناس ، فذهبوا معه إلىٰ المكان الذي قال فلم يروا شيئًا .

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ هاهنا مطولة جدًّا ، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلىٰ ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهَوَس والخبال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين ، من وجود مطالب تحت الأرض ، فيها قناطير الذهب والفضة ، وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والإكسير الكبير ، لكن

[١] - في ز : هذا .

عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها ، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ، ويَطْنزُون بهم . والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزًا كثيرة ، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما[١] على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت ، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولونه إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم ، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب .

وقول ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿ إرم ﴾ قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها ، فلذلك[٢] لم تصرف - فيه نظر ؛ لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ ، يعني يقطعون الصخر بالوادي[٣] . قال ابن عباس : ينحتونها ويخرقونها . وكذا قال مجاهد وقتادة ، والضحاك وابن زيد ، ومنه يقال « مُجْتابي النّمار » إذا خرقوها ، واجتاب الثوب : إذا [فتحه . و][٤] منه الجيب أيضًا . وقال الله تعالى : ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين ﴾ .

وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا قول الشاعر:

ألا كُلّ شيء - ما خَلَا اللّه - بائد كَما بَاد حَيّ من شنيف ومارد
هم ضربوا في كل صماء صعدة بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن إسحاق : كانوا عربًا ، وكان منزلهم بوادي القرى . وقد ذكرنا [قصة عاد][٥] مستقصاة في سورة الأعراف ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : الأوتاد : الجنود الذين يشدون له أمره . ويقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها . وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد ، وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي . قال السدي : كان يربط الرجل ، [ ][٦] كل قائمة من قوائمه في وتد ، ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشدخه .

وقال قتادة: بلغنا أنه كانت له مطال وملاعب ، يُلْعَب له تحتها ، من أوتاد وحبال .

وقال ثابت البناني ، عن أبي رافع : قيل لفرعون ذي الأوتاد ، لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : فكذلك .
[٣] - في ز : بالواد .
[٤] - في ز : فتحت .
[٥] - في ز : قصته .
[٦] - في ز : في .

وقوله : ﴿ **الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد** ﴾ ، أي : تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس ، ﴿ **فصب عليهم ربك سوط عذاب** ﴾ ، أي : أنزل عليهم رجزًا من السماء ، وأحل بهم عقوبة لا يَرُدّها عن القوم المجرمين .

وقوله : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ قال ابن عباس : يسمع ويرىٰ .

يعني : يرصد خلقه فيما يعملون ، ويجازي كلًّا بسعيه في الدنيا والأخرىٰ ، وسيعرض الخلائق كلهم عليه ، فيحكم فيهم بعدله ، ويقابل كلًّا بما يستحقه . وهو المنزه عن الظلم والجور .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا جدًّا - وفي إسناده نظر و[١] في صحته - فقال : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا يونس الحذاء ، عن أبي حمزة البيساني ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا معاذ ، إن المؤمن لدىٰ الحق أسير . يا معاذ ، إن المؤمن لا يسكن روعه ، ولا يأمن اضطرابه حتىٰ يُخلّف جسر جهنم خلف ظهره . يا معاذ ، إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته ، وعن أن يهلك فيها هو بإذن اللَّه - عز وجل - فالقرآن دليله ، والخوف محجته ، والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه - عز وجل - من وراء ذلك كله بالمرصاد** » .

قال ابن أبي حاتم : [يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان ، وأبو حمزة عن معاذ مرسل . ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنًا . أي : لو كان من كلامه لكان حسنًا . ثم قال ابن أبي حاتم][٢] :

حدثنا أبي ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أيفع بن عبد الكلاعي ، أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول : إن لجهنم سبع قناطر - قال : والصراط عليهن ، قال : - فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولىٰ ، فيقول : ﴿ **قفوهم إنهم مسئولون** ﴾ ، قال : فيحاسبون علىٰ الصلاة ويُسألون عنها ، قال : فيهلك فيها من هلك ، وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حُوسبوا علىٰ الأمانة كيف أدوها ، وكيف خانوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئلوا عن الرحم كيف وَصَلوها وكيف قطعوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال : والرحم يومئذ متدلية[٣] إلىٰ الهُويّ في جهنم تقول : اللَّهم من وصلني فَصِلْه ، ومن قطعني فاقطعه ، قال : وهي التي يقول اللَّه عز وجل : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ . [هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه][٤] .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : متدل .
[٤] - سقط من ت .

وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الإنسان في اعتقاده إذا وسع اللَّه عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من اللَّه إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان. كما قال تعالىٰ: ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾. وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه[١] وضيّق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من اللَّه إهانة له. قال اللَّه: ﴿ **كلا** ﴾، أي: ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، فإن اللَّه يعطي المال [من يحب ومن لا يحب، ويضيق علىٰ من يحب ومن لا يحب][٢]، وإنما المدار في ذلك علىٰ طاعة اللَّه في كلّ من الحالين، إذا كان غنيًا بأن يشكر اللَّه علىٰ ذلك، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر.

وقوله: ﴿ **بل لا تكرمون اليتيم** ﴾، فيه أمر بالإكرام له، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد اللَّه بن المبارك(١٢)، عن سعيد بن أبي[٣] أيوب، عن يحيىٰ بن أبي[٤] سليمان، عن زيد[٥] بن أبي عتاب[٦]، عن أبي هُرَيرة، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُسَاء إليه - ثم قال بإصبعه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** ».

وقال أبو داود(١٣): حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان، أخبرنا عبد العزيز - يعني: ابن

---

(١٢) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (ص ٢٣٠) (٦٥٤). وأخرجه ابن ماجة (٣٦٧٩) مختصرًا. قال البوصيري في « الزوائد » (١٦٥/٣): هذا إسناد ضعيف؛ يحيى بن سليمان - أبو صالح - قال فيه البخاري: منكر. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات.

(١٣) سنن أبي داود في كتاب: الأدب، باب: في من ضم اليتيم، حديث (٥١٥٠) (٣٣٨/٤). وأخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: اللعان، حديث (٥٣٠٤) (٤٣٩/٩) وطرفه في [٦٠٠٥].

---

[١] - في ز: فامتحنه.
[٢] - في خ: « لمن يحب ولا يحب ».
[٣] - سقط من ز.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز، خ: يزيد.
[٦] - في ز، خ: غياث.

أبي حازم[١] - حدثني أبي ، عن سهل - يعني : ابن سعيد[٢] - أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة** » . وقرن بين إصبعيه[٣] : الوسطىٰ والتي تلي الإبهام .

﴿ **ولا تحاضون[٤] علىٰ طعام المسكين** ﴾ ، يعني : لا يأمرون بالإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين ، ويحث بعضهم علىٰ بعض في ذلك ، ﴿ **وتأكلون التراث** ﴾ يعني : الميراث ﴿ **أكلًا لمًّا** ﴾ ، أي : من أي جهة حصل لهم ، من حلال أو حرام ، ﴿ **وتحبون المال حبًّا جمًّا** ﴾ ، أي : كثيرًا - زاد بعضهم : فاحشًا .

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى
عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة ، فقال : ﴿ **كلا** ﴾ ، أي : حقًّا ﴿ **إذا دكت الأرض دكا دكا** ﴾ ، أي : وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال ، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ، ﴿ **وجاء ربك** ﴾ ، يعني لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم علىٰ الإطلاق محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم بعد ما يسألون أولي العزم [من الرسل][٥] واحدًا بعد واحد ، فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم ، حتىٰ تنتهي النوبة إلىٰ محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم فيقول : « **أنا لها ، أنا لها** » . فيذهب فيشفع عند اللّه في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه[٦] اللّه في ذلك ، وهي أول الشفاعات ، وهي المقام المحمود ، كما تقدم بيانه في سورة « **سبحان** » . فيجيء الرب تعالىٰ لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا .

وقوله : ﴿ **وجيء يومئذ بجهنم** ﴾ ، قال الإمام مسلم بن الحجاج(١٤) في صحيحه : حدثنا

---

(١٤) صحيح مسلم في كتاب : الجنة ، باب : في شدة حر نار جنهم ، حديث (٢٨٤٢/٢٩) (٢٦١/١٧) .

---

[١] - في ز ، خ : حاتم .
[٢] - في ز ، خ : سعد .
[٣] - في ز : أصابعه .
[٤] - في ز : تحضون .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز ، خ : فيستغفر .

عمر بن حفص بن غيَاث ، حدثنا أبي ، عن العلاء بن خالد[١] الكاهلي ، عن شقيق ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يؤتىٰ بجهنم يومئذ لها سبعون ألف [زمام ، مع كل زمام سبعون ألف][٢] مَلَك يجرونها** » وهكذا رواه الترمذي(١٥) عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن عُمَر بن حفص ، به[٣] . ورواه أيضًا(١٦) عن عبد بن حُمَيد عن أبي عامر ، عن سفيان الثوري ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق بن سلمة - وهو أبو وائل - عن عبد الله بن مسعود ، قوله ولم يرفعه . وكذا رواه ابنُ جرير(١٧) ، عن الحسن ابن عرفة ، عن مَرْوان بن معاوية الفزاري ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قوله .

وقوله : ﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان** ﴾ ، أي : عملَه وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه ، ﴿ **وأنَّىٰ له الذكرىٰ** ﴾ ، أي : وكيف تنفعه الذكرىٰ ؟ يقول : ﴿ **يا ليتني قدمت لحياتي** ﴾ ، يعني : يندم علىٰ ما كان سلف منه من المعاصي - إن كان عاصيًا - ويود لو كان ازداد من الطاعات - [إن كان طائعًا][٤] - كما قال الإمام أحمد بن حنبل(١٨) :

حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله - يعني : ابن المبارك - حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن محمد بن أبي عَميرَة[٥] - وكان من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **لو أن عبدًا خر علىٰ وجهه من يوم ولد إلىٰ أن يموت هَرِمًا[٦] في طاعة الله ، لحَقِره يوم القيامة ، ولودّ أنه يُرَدّ إلىٰ الدنيا كيما[٧] يزداد مَن الأجر والثواب** » .

[وقد رواه أيضًا][٨] [بَحِيرُ بنُ سَعد(١٩)][٩] عن خالد بن معدان ، عن عتبة بن عبد[١٠]

---

(١٥) سنن الترمذي ، كتاب : صفة جنهم ، باب : ما جاء في صفة النار ، حديث (٢٥٧٦) (٧/٢٤٧) .
(١٦) سنن الترمذي في الموضع السابق .
(١٧) والطبري (٣٠/١٨٨) .
(١٨) المسند (٤/١٨٥) (١٧٧٠١) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٢٢٨) : رواه أحمد موقوفًا ورجاله رجال الصحيح .
(١٩) المسند (٤/١٨٥) (١٧٧٠٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٢٢٨) : رواه أحمد وإسناده جيد .

---

[١] - في ز : مخلد .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : عمرة .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : كما .
[٨] - في ت : ورواه .
[٩] - بياض في ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : عبيد .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد** ﴾ ، أي : ليس أحد[١] أشد عذابًا من تعذيب الله من عصاه ، ﴿ **ولا يوثق وثاقه أحد** ﴾ ، أي : وليس أحد أشد قبضًا ووثقًا من الزبانية لمن كفر بربهم - عز وجل - هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين ، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك** ﴾ ، أي : إلىٰ جواره وثوابه وما أعد لعباده في[٢] جنته ، ﴿ **راضية** ﴾ ، أي : في نفسها ﴿ **مرضية** ﴾ ، أي : قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها ، ﴿ **فادخلي في عبادي** ﴾ ، أي : في جملتهم ، ﴿ **وادخلي جنتي** ﴾ . وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضًا ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، وكذلك هاهنا .

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية ، فروىٰ الضحاك ، عن ابن عباس : نزلت في عثمان بن عفان . وعن بُرَيدة بن الحُصَيب : نزلت في حَمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

وقال العَوفيّ ، عن ابن عباس : يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك** ﴾ ، يعني صاحبك ، وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا ، ﴿ **راضية مرضية** ﴾ .

وروي عنه أنه كان يقرؤها : (**فادخلي في عَبْدِي وادخلي جنتي**) وكذا قال عكرمة والكلبي ، واختاره ابن جرير وهو غريب ، والظاهر الأول ؛ لقوله : ﴿**ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**﴾ ، ﴿ **وأن مَرَدَّنا إلىٰ الله** ﴾ أي : إلى حكمه والوقوف[٣] بين يديه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية** ﴾ ، قال : نزلت وأبو بكر جالس ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذا . فقال : « **أما[٤] إنه سيقال لك هذا** » .

ثم قال : حدثنا أبو سعيد الأشج(٢٠) ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : قرئت[٥] عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك**

(٢٠) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٨٣ - ٢٨٤) من طريق أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير .

[١] - في ز : أحدًا .
[٢] - في ز ، خ : إلى .
[٣] - في ز : وتوبره . كذا بلا نقط . وفي خ : وموقفه .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في الأصول : قرأت .

راضية مرضية ﴾ ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن هذا لحسن[١] . فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت » .

وكذا رواه ابن جرير(٢١) عن أبي كريب ، عن ابن يمان به ، وهذا مرسل حسن .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجزري[٢] ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طير لم ير علىٰ خَلْقه ، فدخل نعشه ، ثم[٣] لم ير خارجًا منه فلما دفن تُليت هذه الآية علىٰ شفير القبر ، ما يدرىٰ من تلاها : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ .

رواه الطبراني(٢٢) عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الأفطس ، به فذكره .

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشَكَّر - في كتاب العجائب بسنده عن قُبَاث بن رَزين أبي هاشم قال : أسرتُ في بلاد الروم ، فجمَعنا الملك وعَرَض علينا دينه ، علىٰ أن من امتنع ضربت عنقه . فارتد ثلاثة ، وجاء الرابع فامتنع ، فضربت عنقه ، وألقي رأسه [في نهر][٤] هناك ، فرسب في الماء ثم طفا علىٰ وجه الماء ، ونظر إلىٰ أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان - يناديهم بأسمائهم - قال الله تعالىٰ في كتابه : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ . ثم غاص في الماء ، فكادت النصارىٰ أن يسلموا ، ووقع[٥] سرير الملك ، ورجع أولئك الثلاثة إلىٰ الإسلام . قال : وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر(٢٣) في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي ، عن أبيها : حدثني سليمان بن حبيب المحاربي[٦] ، حدثني أبو أمامة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لرجل : « قل : اللهم ، إني أسألك نفسًا بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضىٰ

---

(٢١) أخرجه الطبري (١٩١/٣٠) من طريق ابن يمان عن جعفر عن سعيد به .

(٢٢) معجم الطبراني (٢٩٠/١٠) (١٠٥٨١) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨٨/٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٩/١٩ مخطوط) .

---

[١] - في ت : حسن .
[٢] - في خ : الجوزي .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : برنهر . كذا بلا نقط .
[٥] - في ز : ورفع .
[٦] - في ز ، خ : المكاري .

بقضائك ، وتقنع بعطائك » .

ثم روي عن أبي سليمان(٢٤) بن أبي[١] زَبْر أنه قال : حديث رواحة هذا واحد أمّة

آخر تفسير سورة الفجر ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

☆ ☆ ☆

(٢٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٩/١٩ - ٤٢٠ مخطوط) .

[١] - سقط من ز .

تفسير سورة البلد

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (٢) وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ (٥) يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا (٦) أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧) أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ (٨) وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ (٩) وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ (١٠)﴾

هذا قسم من الله -عز وجل- بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالًّا، لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

قال خصيف عن مجاهد ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾: لا: رد عليهم أقسم بهذا البلد.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾، يعني: مكة، ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾، قال: أنت - يا محمد - يحل لك أن تقابل[١] به وكذا رُوي عن سعيد بن جُبَير، وأبي صالح، وعطية، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك.

وقال قتادة: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾، قال: أنت به من غير حَرَج ولا إثم.

وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار.

وهذا المعنى الذي قالوه قد وَرَد به الحديث المتفق على صحته(٢٥): **«إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حَرَام بحُرمَة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضَد شجره ولا يختلى خلاه. وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»**. وفي لفظ: **«فإن أحد تَرَخّص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم»**.

---

(٢٥) تقدم تخريجه في سورة البقرة، آية: (١٢٦).

---

[١] - في خ: تقاتل.

وقوله : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ ، قال ابن جرير(٢٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن خُصَيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ ، الوالد : الذي يلد ، وما ولد : العاقر الذي لا يولد له .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث شريك - وهو ابن عبد الله القاضي به .

وقال عكرمة : الوالد : العاقر ، وما ولد : الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، والحسن البصري ، وخُصَيف ، وشرحبيل بن سعد وغيرهم : يعني بالوالد : آدم ، وما ولد : ولده .

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ[١] قوي ؛ لأنه تعالىٰ لما أقسم بأم القرىٰ وهي المساكن أقسم بعده بالساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده .

وقال أبو عمران الجوني : هو إبراهيم وذريته . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده . وهو محتمل أيضًا .

وقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ : رُوي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وخيثمة ، والضحاك ، وغيرهم : يعني منتصبًا - زاد ابن عباس في رواية عنه - في بطن أمه .

والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنىٰ هذا القول : لقد خلقنا الإنسان سويًّا مستقيمًا كقوله : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ وكقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ وقال ابن جريج وعطاء ، عن ابن عباس : في كبد ، قال[٢] : في شدَة خلق ، ألم تر إليه ... وذكر مولده ونبات أسنانه .

وقال مجاهد : ﴿ **في كبد** ﴾ : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة يتكبد في الخلق - قال مجاهد : وهو كقوله : ﴿ **حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا** ﴾ ، وأرضعته كرهًا ، ومعيشته كره ، فهو يكابد ذلك .

وقال سعيد بن جبير[٣] : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ : في شدة وَطَلَب معيشة . وقال عكرمة : في شدة وطول . وقال قتادة : في[٤] مشقة .

(٢٦) تفسير الطبري (١٩٥/٣٠) .

[١] - في خ : حق .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، سمعت محمد بن علي أبا[١] جعفر الباقر سأل رجلًا من الأنصار عن قول الله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ قال : في قيامه واعتداله ، فلم ينكر عليه أبو جعفر .

وروي من طريق أبي مودود : سمعت الحسن(٢٧) قرأ هذه الآية : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ ، قال : يكابد أمرًا من أمر الدنيا ، وأمرًا من أمر الآخرة - وفي رواية : يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة .

وقال ابن زيد : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ قال : آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد

واختار ابن جرير أن المراد مكابدة الأمور ومشاقها .

وقوله : ﴿ **أيحسب [ ][٢] أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ . [قال الحسن البصري : يعني ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ يأخذ ماله][٣] .

وقال قتادة : ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ ، قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال : من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟ .

وقال السدي : ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ ؟ قال : الله عز وجل .

وقوله : ﴿ **يقول أهلكت مالًا لبدًا** ﴾ ، أي : يقول ابن آدم : أنفقت مالًا لبدًا ، [أي : كثيرًا][٤] قاله مجاهد ، وقتادة والسدي وغيرهم .

﴿ **أيحسب أن لم يره أحد** ﴾ ، قال مجاهد : أي[٥] أيحسب أن لم يره الله عز وجل . وكذا قال غيره من السلف .

وقوله : ﴿ **ألم نجعل له عينين** ﴾ ، أي : يبصر بهما ، ﴿ **ولسانًا** ﴾ ، أي : ينطق به ، فَيُعبِّر عما في ضميره ، ﴿ **وشفتين** ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالًا لوجهه وفمه[٦] .

وقد روى الحافظ ابن عساكر(٢٨) في ترجمة أبي الربيع الدمشقي ، عن مكحول قال : قال

(٢٧) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٩٤/٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد بنحوه .
(٢٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦/١٩ - مخطوط) .

[١] - في خ : أخبرنا .
[٢] - في ز ، خ : الإنسان .
[٣] - ما بين المعكوفين مكانه في ز : « قاله » .
[٤] - مكانه في ز : لبدًا .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : وبسمه .

النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالىٰ : يا ابن آدم ، قد أنعمت عليك نعمًا عظامًا لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما . وجعلت لهما غطاءهما**[١] ، [**فانظر بعينيك إلىٰ ما أحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما**][٢] . **وجعلت لك لسانًا ، وجعلت له غلافًا ، فانطق بما أمرتك وأحللت لك ، فإن عَرَضَ لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجًا ، وجعلت لك سترًا ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فَأَرْخ عليك سترك . يا ابن آدم ، إنك لا تحمل سخطي ، ولا تطيق انتقامي** » .

﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال : الخير والشر . وكذا رُوي عن علي ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي وائل ، وأبي صالح ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وعطاء الخراساني في آخرين .

وقال عبد اللّٰه بن وهب(٢٩) : أخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير** » .

تفرد به سنان بن سعد - ويقال : سعد بن سنان - وقد وثقه ابن معين .

وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني : منكر الحديث . وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه . وروى خمسة عشر حديثًا منكرة كلها ، ما أعرف منها حديثًا واحدًا . يشبه حديثُه حديثَ الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديثَ أنس .

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن[٣] علية ، عن أبي رجاء قال : سمعت الحسن يقول : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ قال : ذكر لنا أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يقول : « **يا أيها الناس ؛ إنهما النجدان ، نجد الخير ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير** » .

وكذا رواه حبيب بن الشهيد، ويونس بن عبيد، وأبو وهب عن الحسن مرسلًا، وهكذا

---

(٢٩) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١١٩٣/٣) من طريق ابن وهب بهذا الإسناد في ترجمة سعد بن سنان.

(٣٠) تفسير الطبري (٢٠٠/٣٠) .

---

[١] - في ت : غطاء . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : أبو .

أرسله قتادة(٣١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عيسىٰ بن عقال[١] ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال : الثديين .

وروي عن الربيع بن خُثَيم ، وقتادة وأبي حازم ، مثل ذلك . ورواه ابن جرير(٣٢) عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عيسىٰ بن عقّال[٢] ، به ثم قال : والصواب القول الأول .

ونظير هذه الآية قوله[٣] : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا** ﴾ .

فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَـٰمٌ فِى يَوۡمٍ ذِى مَسۡغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينًا ذَا مَتۡرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٌ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

قال ابن جرير(٣٣) : حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن عطية[٤] .

عن ابن عمر في قوله : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، قال : جبل في جهنم [ ][٥] .

وقال كعب الأحبار : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ : هو سبعون درجة في جهنم . وقال الحسن البصري : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، قال : عقبة في جهنم . وقال قتادة : إنها قحمة[٦] شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال قتادة : وقوله[٧] : ﴿ **وما أدراك ما العقبة** ﴾ ثم أخبر[٨]

---

(٣١) تفسير الطبري (٢٠١/٣٠) عن قتادة مرسلًا .

(٣٢) تفسير الطبري (٢٠١/٣٠) .

(٣٣) تفسير الطبري (٢٠١/٣٠) .

---

[١] - في ز : عفان .

[٢] - في ز : عال . كذا .

[٣] - في ز : بقوله .

[٤] - في ز : أبي عطية .

[٥] - في ز : أزل .

[٦] - في ز : فحمة .

[٧] - سقط من ت .

[٨] - في ز : فسر .

عن اقتحامها فقال ﴿ **فك رقبة أو إطعام** ﴾ .

وقال ابن زيد : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، أي : أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير . ثم بينها[١] فقال : ﴿ **وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام** ﴾ .

قرئ ﴿ **فك رقبة** ﴾ بالإِضافة ، وقُرئ على أنه فعل ، وفيه ضمير الفاعل ، والرقبة مفعوله . وكلتا[٢] القراءتين معناهما متقارب .

قال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا علي بن إبراهيم ، حدثنا عبد اللّٰه - يعني ابن سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم - مولىٰ آل الزبير - عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هُرَيرة يقول : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق اللّٰه بكل[٣] إرب منها إربًا منه من النار ، حتىٰ إنه ليعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج** » . فقال علي بن الحسين : أنتَ سَمعتَ هذا من أبي هُرَيرة ؟ فقال سعيد : نعم . فقال علي بن الحسين لغلام له : - أفْرَهَ غلمانه - ادع مطرفًا . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حر لوجه اللّٰه .

وقد رواه البخاري(٣٥) ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن سعيد بن مرجانة ، به . وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه عليٌّ بن الحسين زين العابدين كان قد أعطىٰ فيه عشرة آلاف درهم .

وقال قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مَعدانَ بن أبي طلحة ، عن أبي نَجِيح قال : سمعتُ رسولَ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتقَ رَجُلًا مسلمًا ، فإن اللّٰه جاعلٌ وفاء كل عظم من عظامه عظمًا من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن اللّٰه جاعل وفاء[٤] كل عظم من عظامها عظمًا من عظامها من النار » .

(٣٤) المسند (٤٢٢/٢) هكذا . وأخرجه (٤٢٠/٢) فجعل (مكى) مكان (على) والذي في الأطراف (٢٥٧/٧) مكى .

(٣٥) صحيح البخاري ، كتاب : العتق ، باب : العتق وفضله ، حديث (٢٥١٧) (١٤٦/٥) ، وطرفه في [٦٧١٥] . ومسلم في كتاب : العتق ، باب : فضل العتق ، حديث (٢١ - ١٥٠٩/٢٤) (٢١٢/١٠ ، ٢١٣) . والترمذي في كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في ثواب من أعتق رقبة ، حديث (١٤٥١) (٢٥٩/٥ - ٢٦٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : العتق ، باب : فضل العتق ، حديث (٤٨٧٤ - ٤٨٧٦) (١٦٨/٣) .

[١] - في ز : يثنيها .
[٢] - في ز : كلا .
[٣] - في ز : كل .
[٤] - في ز : وقاء .

رواه ابن جرير(٣٦) هكذا . وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة[١] السلمي - رضي الله عنه .

قال الإمام أحمد(٣٧) : حدثنا حيوة بن شُرَيح ، حدثنا بقية ، حدثني بَحِير[٢] بن سعد ، عن خالد ابن معدان ، عن كثير بن مُرَّة ، عن عمرو بن عَبَسَة[٣] : أنه حدثهم : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من بنىٰ مسجدًا ليذكر اللَّه فيه ، بنىٰ اللَّه له بيتًا في الجنة . ومن أعتق نفسًا مسلمة ، كانت فديته من جهنم . ومن شاب شيبة في الإِسلام ، كانت له نورًا يوم القيامة** » .

(طريق أخرىٰ) ، قال أحمد (٣٨): حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا حَريز[٤] ؛ عن سُليم بن عامر : أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبَسَة[٥] : حَدّثنا حديثًا ليس فيه تَزَيّدٌ ولا نسيان . قال عمرو : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار ، عضوًا بعضو . ومن شاب شيبة في سبيل اللَّه ، كانت له نورًا يوم القيامة . ومن رمىٰ بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ ، كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل** » وروى أبو داود(٣٩) والنسائي بعضه .

(طريق أخرىٰ) ، قال أحمد(٤٠) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الفرج ، حدثنا لقمان ، عن أبي أمامة ، عن عمرو بن عَبَسَة[٦] السلمي قال : قلت له : حدّثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا وَهَم . قال : سمعته يقول : « **من وُلد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث ، أدخله اللَّه الجنة بفضل رحمته إياهم . ومن شاب شيبة في سبيل اللَّه كانت له نورًا يوم القيامة ، ومن رَمَىٰ بسهم في سبيل اللَّه ، بلغ به العدو ، أصاب أو أخطأ ، كان له عتق رقبة . ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق اللَّه بكل عضو منه**

(٣٦) تفسير الطبري (٣٠/٢٠٢) .

(٣٧) المسند (٣٨٦/٤) (١٩٤٩٧) .

(٣٨) المسند (١١٣/٤) .

(٣٩) سنن أبي داود في كتاب : العتق ، باب : أي الرقاب أفضل ، حديث (٣٩٦٦) (٣٠/٤) . والنسائي في « الكبرى » في كتاب : العتق ، باب : فضل العتق ، حديث (٤٨٨٤) (١٧٠/٣) . كلاهما من طريق شرحبيل بن السمط عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنهما - به مختصرًا . والحديث بطرقه في الصحيحة (١٧٥٦) .

(٤٠) المسند (٣٨٦/٤) (١٩٤٩٥) .

[١] - في ز : عنبسة .
[٢] - في ز : محمد .
[٣] - في ز : عنبسة .
[٤] - في ز : جرير .
[٥] - في ز : عنبسة .
[٦] - في ز : عنبسة .

عضوًا منه[١] من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل اللَّه ، فإن للجنة ثمانية أبواب ، يدخله اللَّه من أي باب شاء منها » . وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد .

(حديث آخر) ، قال أبو داود(٤١) : حدثنا عيسىٰ بن محمد الرملي ، حدثنا ضمرة ، عن ابن أبي عَبْلة ، عن الغريف بن الديلمي قال : أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له[٢] : حَدِّثنا حديثًا ليس فيه زيادة ولا نقصان . فغضب وقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته ، فيزيد وينقص . قلنا : إنما أردنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . قال : أتينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب - يعني النار - بالقتل ، فقال : **« أعتقوا عنه يُعتق اللَّه بكل عضو منه عضوًا منه من النار »** .

وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عَبلة ، عن الغَريف بن عياش الديلمي ، عن واثلة ، به .

(حديث آخر) ، قال أحمد(٤٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن قيس الجذامي ، عن عقبة بن عامر الجهني : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار »** .

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف(٤٣) ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر أن قيسًا الجذامي حَدّث عن عقبة بن عامر: أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : **« من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار »** . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد(٤٤) : حدثنا يحيىٰ بن آدم وأبو أحمد قالا : حدثنا عيسىٰ بن عبد الرحمن البجلي - من بني بجيلة - من بني سليم - عن طلحة - قال أبو أحمد : حدثنا طلحة بن مصرف - عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ، علمني عملًا يدخلني الجنة . فقال : **« لئن كنت أقصرت الخطبة[٣] لقد أعرضت المسألة . أعتق النسمة ، وفك الرقبة »** . فقال : يا رسول اللَّه ، أو ليستا بواحدة ؟ قال : **« لا ، إن عتق النسمة أن**

---

(٤١) سنن أبي داود في كتاب : العتق ، باب : في ثواب العتق ، حديث (٣٩٦٤) (٢٩/٤) . وسنن النسائي الكبرى ، كتاب : العتق ، باب : ذكر اسم هذا الولى ، حديث (٤٨٩١) (١٧٢/٣) .

(٤٢) المسند (١٥٠/٤) (١٧٤٠٥) .

(٤٣) المسند (١٤٧/٤) (١٧٣٧٤) .

(٤٤) المسند (٢٩٩/٤) (١٨٧٠١) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : الخطية .

تنفرد[١] بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها . والمنحة الوكوف ، والفيء على ذي الرحم الظالم ، فإن لم تُطِق ذلك فأطعم الجائعَ ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير » .

وقوله : ﴿ **أو إطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾ ، قال ابن عباس : ذي مجاعة . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغير واحد . والسغب : هو الجوع .

وقال إبراهيم النخعي : في يومٍ الطعام فيه عزيز .

وقال قتادة : في يوم يشتهى[٢] فيه الطعام .

وقوله : ﴿ **يتيمًا** ﴾ ، أي : أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا ، ﴿ **ذا مقربة** ﴾ ، أي : ذا قرابة منه . قاله ابن عباس ، وعكرمة والحسن ، والضحاك ، والسدي . كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤٥) :

حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة بنت سيرين[٣] عن سلمان[٤] بن عامر قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **الصدقة على المسكين[٥] صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة** » .

وقد رواه الترمذي والنسائي ، وهذا إسناد صحيح .

وقوله : ﴿ **أو مسكينًا ذا متربة** ﴾ ، أي : فقيرًا مدقعًا لاصقًا بالتراب ، وهو الدقعاء أيضًا .

قال ابن عباس : ﴿ **ذا متربة** ﴾ هو المطروح في الطريق ، الذي لا بيت له ، ولا شيء يقيه من التراب - وفي رواية : هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شيء - وفي رواية عنه : هو البعيد التربة[٦] .

قال ابن أبي حاتم : يعني الغريب عن وطنه .

وقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج .

---

(٤٥) المسند (٢١٤/٤) (١٧٩٣٩) . وأخرجه الترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء في الصدقة على ذي القرابة ، حديث (٦٥٨) (٢٠/٣) . والنسائي (٩٢/٥) كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة على الأقارب . كلاهما من طريق حفصة عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر به مرفوعًا . قال الترمذي : حديث حسن .

---

[١] - في ز : تفرد .
[٢] - بياض في ز .
[٣] - في ز : شريف .
[٤] - في ز : سليمان .
[٥] - في ز : المسلمين .
[٦] - في ز : المتربة .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي لا أحد له .

وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال . وكل هذه قريبة المعنى .

وقوله : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا** ﴾ ، أي : ثم هو مع هذه[١] الأوصاف الجميلة الطاهرة ، مؤمن بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا** ﴾ وقال : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ...** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** ﴾ ، أي : كان من المؤمنين العاملين صالحاً ، المتواصين بالصبر علىٰ أذىٰ الناس ، وعلىٰ الرحمة بهم . كما جاء في الحديث(٤٦) : « **الراحمون يرحمهم الرحمن**[٢] ، **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » وفي الحديث الآخر(٤٧) : « **لا يرحم الله من لا يرحم الناس** » وقال أبو داود(٤٨) : حدثنا بن أبي شيبة ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عامر ، عن عبد الله بن عَمْرو - يرويه[٣] - قال : « **من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا ، فليس منا** » .

وقوله : ﴿ **أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين .

ثم قال : ﴿ **والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة** ﴾ ، أي : أصحاب الشمال ، ﴿ **عليهم نار مؤصدة** ﴾ ، أي : مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعطية العوفي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **مؤصدة** ﴾ ، أي : مطبقة . قال ابن عباس : مغلقة الأبواب . وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش[٤] : أي أغلقه .

---

(٤٦) المسند (٢/١٦٠) (٦٤٩٤) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الرحمة ، حديث (٤٩٤١) (٤/٢٨٥) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في رحمة الناس ، حديث (١٩٢٥) (٦/ ١٧٢) . كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٤٧) صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ ، حديث (٧٣٧٦) (١٣/٣٥٨) من حديث جرير بن عبد الله بهذا اللفظ . وأخرجه البخاري (٦٠١٣) ، ومسلم (٦٦/٢٣١٩) من حديث جرير بمعناه .

(٤٨) سنن أبي داود في كتاب : الأدب ، باب : في الرحمة ، حديث (٤٩٤٣) (٤/٢٨٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٣٤) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : الله .

[٣] - في ز : به وبشر .

[٤] - بياض في ز ، خ .

وسيأتي في ذلك حديث في سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ .

وقال الضحاك : ﴿مؤصدة﴾ حيط لا باب له .

وقال قتادة : ﴿ مؤصدة ﴾ : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال أبو عمران الجوني : إذا كان يوم القيامة أمر اللّٰه بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يَخاف الناس في الدنيا شره ، فأوثقوا في الحديد ، ثم أمر بهم إلىٰ جهنم ، ثم أوصدوها عليهم - أي : أطبقوها - قال : فلا واللّٰه لا تستقر أقدامهم علىٰ قرار أبدًا ، ولا واللّٰه لا ينظرون فيها إلىٰ أديم سماء أبدًا ، ولا واللّٰه لا تلتقي جفون أعينهم علىٰ غَمْض نوم أبدًا ولا واللّٰه لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا . رواه ابن أبي حاتم .

آخر تفسير سورة البلد ، وللّٰه الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

[تفسير] سورة والشمس وضحاها

[وهي مكية]

تقدم حديث جابر(١) الذي في الصحيح[١] : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لمعاذ : « هلا صليت :بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ ، و ﴿ الشمس وضحاها ﴾ و ﴿ الليل إذا يغشىٰ ﴾ ؟ » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)

قال مجاهد : ﴿والشمس وضحاها﴾ أي : وضوئها . وقال قتادة : ﴿وضحاها﴾ النهار كله .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهر هو[٢] النهار .

﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ ، [قال مجاهد : تبعها . وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾][٣] ، قال : يتلو النهار . وقال قتادة : ﴿ إذا تلاها ﴾ ليلة الهلال ، إذا سقطت الشمس رؤي الهلال .

وقال ابن زيد : هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ، ثم هي تتلوه . وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر .

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الانفطار في فضائلها .

---

[١] - في ت : الصحيحين .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقوله: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ قال مجاهد: أضاء. وقال قتاده: ﴿والنهار إذا جلاها﴾: إذا غشيها النهار.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة، لدلالة الكلام عليها.

قلت: ولو أن هذا القائل تأول بمعنى ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾، أي: البسيطة، لكان أولىٰ [ويصح تأويله في قوله][١] : ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾، فكان[٢] أجود وأقوىٰ، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ إنه كقوله: ﴿ والنهار إذا تجلىٰ ﴾. وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله علىٰ الشمس، لجريان ذكرها. وقالوا في قوله: ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾، يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب، فتظلم الآفاق.

وقال بقية بن الوليد، عن صفوان، حدثني يزيد بن ذي حمامة قال: إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله: غشي عبادي خلقي العظيمُ، فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿ والسماء وما بناها ﴾: يحتمل أن تكون « ما » هاهنا مصدرية، بمعنىٰ: والسماء وبنائها، وهو قول قتادة. ويحتمل أن تكون بمعنىٰ « مَن » يعني[٣] : والسماء وبانيها. وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع، كقوله ﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾، أي: بقوة ﴿ وإنا لموسعون. والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ وهكذا قوله: ﴿ والأرض وما طحاها ﴾، قال مجاهد: ﴿ طحاها ﴾ دحاها. وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿ وما طحاها ﴾: أي: خلق فيها.

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿طحاها﴾ قسمها.

وقال مجاهد، وقتادة، [والضحاك][٤] ، والسدي، والثوري، وأبو صالح، وابن زيد: ﴿ طحاها ﴾: بسطها.

وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته، أي: بسطته.

وقوله: ﴿ ونفس وما سواها ﴾، أي: خلقها سوية مستقيمة علىٰ الفطرة القويمة، كما[٥] قال تعالىٰ: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق

[١] - ما بين المعكوفين في ت: « ولصح قول الله ». [٢] - في ز: لكان.
[٣] - في ز: بمعنى.
[٤] - سقط من ز. [٥] - في ز: و.

الله ﴾ . وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه أو[١] ينصرانه أو[٢] يُمَجِّسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جَمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟** » أخرجاه من رواية أبي هريرة(٢) .

وفي صحيح مسلم(٣) من رواية عياض بن حمَار[٣] المجاشعي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يقول الله - عز وجل - : إنّي خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم[٤] عن دينهم** » .

وقوله : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ ، أي : فأرشدها إلىٰ فجورها وتقواها ، أي : بين لها ذلك ، وهداها إلىٰ ما قدر لها .

قال ابن عباس : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ : بين لها الخير والشر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والثوري .

وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر . وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها .

وقال ابن جرير(٤) : حدثنا ابن بشار[٥] ، حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، وأبو عاصم النبيل ؛ قالا : حدثنا عزرة بن ثابت ، حدثني يحيىٰ بن عقيل ، عن يحيىٰ بن يعمر[٦] ، عن أبي الأسود الدّيلي ؛ قال : قال لي[٧] عمران بن حُصَين : أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه ، أشيء قضى عليهم ومضىٰ عليهم مِن قَدر قد سبق ، أو فيما يُستَقبَلُون مما أتاهم به نبيهم صلىٰ الله عليه وسلم ، وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قضي عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلمًا ؟ قال : [ففزعت منه][٨] فزعًا شديدًا ، قال : قلت له : ليس شيء إلا وهو [خَلق ذلك بيده][٩] ، لا يُسألُ عما يفعل وهم يسألون . قال : سددك الله ، إنما سألت لأخبر عقلك ، إن رجلًا من مُزَينة - أو : جهينة - أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أشيء قضي عليهم ومضىٰ عليهم من قدر قد[١٠] سبق ، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم . وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال : « بل

---

(٢) تقدم تخريجه في سورة النساء ، آية : (١١٩) .

(٣) تقدم تخريجه في سورة الأعراف آية : (١٧٢) .

(٤) تفسير الطبري (٢١١/٣٠) .

---

[١] - في ز : و .

[٢] - في ز : و .

[٣] - في ز ، خ : حماد .

[٤] - في ز : فاختالتهم .

[٥] - في ز ، خ : خالد .

[٦] - في ز ، خ : معمر .

[٧] - سقط من خ .

[٨] - في ز : فقرعت سنه .

[٩] - في ت : « خلقه وملك يده » .

[١٠] - سقط من ز .

شيء [قد قضي][١] عليهم » . قال : ففيم[٢] نعمل ؟ قال : « من كان الله خلقه لإحدىٰ المنزلتين يهيئه لها ، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ **ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ . رواه أحمد(٥) ، ومسلم من حديث عزرة[٣] بن ثابت به .

وقوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ : يحتمل أن يكون المعنىٰ : قد أفلح من زكىٰ نفسه ، أي : بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . ويُروىٰ نحوه[٤] عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير . وكقوله : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ .

﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ ، أي : دسَّسها ، أي : أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهُدَىٰ ، حتىٰ ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل .

وقد يحتمل أن يكون المعنىٰ : قد أفلح من زكىٰ الله نفسه ، وقد خاب من دَسَّى الله نفسه ، كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبي وأبو زرعة ؛ قالا : حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا أبو مالك - يعني [عمرو][٥] بن هشام - عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول في قول الله : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أفلحت نفس زكاها الله** » .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به ، وجويبر هو ابن سعيد ، متروك الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس .

وقال الطبراني(٧) : حدثنا يحيىٰ بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا مر بهذه

---

(٥) المسند (٤٣٨/٤) (١٩٩٩٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته ، حديث (٢٦٥٠/١٠) (٣٠٤/١٦ - ٣٠٥) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦٠٢/٦) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه والديلمي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنه - به مرفوعًا .

(٧) معجم الطبراني (١٠٦/١١) (١١١٩١) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٤١/٧) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

---

[١] - في ز : مضى .

[٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : عروة .

[٤] - في ز : غيره .

[٥] - في ز ، خ : عمرو بن الحارث .

الآية : ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ وقف ، ثم قال : « اللَّهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يعقوب بن حميد المدني ، حدثنا عبد اللَّه بن عبد اللَّه الأموي ، حدثنا معن بن محمد الغفاري ، عن حنظلة بن علي الأسلمي ، عن أبي هريرة قال : سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقرأ : « ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ، قال : اللَّهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا وكيع عن نافع - يعني[١] ابن عمر - عن صالح بن سُعَيد ، عن عائشة : أنها فَقَدت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم من مضجعه ، فلمسته بيدها ، فوقعت عليه وهو ساجد ، وهو يقول : « رب ؛ أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » . تفرد به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد اللَّه بن الحارث ، عن زيد بن أرقم : قال كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « اللَّهم ؛ إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم ، والجبن والبخل وعذاب القبر . اللَّهم ، آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللَّهم ؛ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن .

رواه مسلم من حديث أبي معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد اللَّه بن الحارث - وأبي عثمان النهدي ، عن زيد بن أرقم ، به .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ

(٨) المسند (٢٠٩/٦) (٢٥٨٦٥) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣١/٢) : رواه أحمد ورجاله ثقات . اهـ . وقال في (١١٣/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن سعيد الراوى عن عائشة وهو ثقة .اهـ .

(٩) المسند (٣٧١/٤) (١٩٣٦٣) . ومسلم في كتاب : الذكر والدعاء ، باب : التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، حديث (٢٧٢٢/٧٢) (٦٣/١٧ - ٦٤) .

[١] - في ز ، خ : عن .

فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن ثمود : أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **بطغواها** ﴾ ، أي : بأجمعها .

والأول أولىٰ ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . فأعقبهم ذلك تكذيبًا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدىٰ واليقين .

﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ ، أي : أشقىٰ القبيلة ، وهو قُدَار بن سالف عاقر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذي قال تعالىٰ : ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر * فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ . وكان هذا الرجل عزيزًا فيهم ، شريفًا في قومه ، نسيبًا رئيسًا مطاعًا ، كما قال الإمام أحمد(١٠) :

حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال : ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ : انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة .

و[١] رواه البخاري في التفسير ، ومسلم في صفة النار ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة ، به .

وقال ابن أبي حاتم(١١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خُثيم ، عن محمد بن كعب

---

(١٠) المسند (٤/١٧) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾ ، حديث (٤٩٤٢) (٨/٧٠٥). ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٤٩/٢٨٥٥) (١٧/٢٧٤) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾، حديث (٣٣٤٠) (٩/٧٥) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الشمس ، حديث (١١٦٧٥) (٦/٥١٥) . والطبرى (٣٠/٢١٤) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١١) المسند (٤/٢٦٣) (١٨٣٧٤) . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : الخصائص ، باب : ذكر أشقى الناس ، حديث (٨٥٣٨) (٦/١٥٣) . كلاهما من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد به مطولًا . قال الهيثمي في « المجمع » (٩/١٣٩) : رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعى لم يسمع من عمار . اهـ . قال الألباني في الصحيحة (١٧٤٣) : ولكن للحديث شواهد من حديث صهيب وجابر بن سمرة وعلى بأسانيد فيها ضعف غير حديث على فإسناده حسن كما قال الهيثمي ... اهـ.

---

[١] - سقط من ز .

القرظي ، عن محمد بن خُثَيم أبي[١] يزيد ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ » . قال : بلى ، قال : « رجلان : **أحيمر ثمود الذي عَقَر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذا** - يعني قَرنه - **حتى تبتل منه هذه** » يعني لحيته .

وقوله : ﴿ **فقال لهم رسول الله** ﴾ ، يعني : صالحاً عليه السلام : ﴿ **ناقة الله** ﴾ ، أي : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿ **وسقياها** ﴾ ، أي : لا تعتدوا[٢] عليها في سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله : ﴿ **فكذبوه فعقروها** ﴾ ، أي : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم[٣] ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله[٤] من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ، ﴿ **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم**[٥] ﴾ ، أي : غضب عليهم ، فدمَّر عليهم ، ﴿ **فسواها** ﴾ ، أي : فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء .

قال قتادة : بلغنا أن أحمير ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه[٦] صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم[٧] فسواها .

وقوله : ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ وقرئ ﴿ **فلا يخاف عقباها** ﴾ .

قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة . وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم .

وقال الضحاك والسدي : ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ ، أي : لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع .

والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

آخر تفسير « والشمس وضحاها » [ولله الحمد] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز ، خ : ابن .

[٢] - في ز : تعدوا .

[٣] - في ز : وأعقبهم .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في خ : بايعه .

[٧] - في ت : بذنوبهم .

[تفسير] سورة الليل

[وهي مكية]

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : « فهلا صلّيت : بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ ، و ﴿ الشمس وضحاها ﴾ ، ﴿ والليل إذا يغشىٰ ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة : أنه قدم الشام ، فدخل مسجد دمشق ، فصلىٰ فيه ركعتين وقال : اللّهم ، ارزقني جليسًا صالحًا . قال[١] : فجلس إلىٰ أبي الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : ممن أنت ؟ قال : من أهل الكوفة . قال : كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ [ ][٢] : ﴿ والليل إذا يغشىٰ * والنهار إذا تجلىٰ ﴾ ؟ قال علقمة : (والذكر والأنثىٰ) . فقال أبو الدرداء : لقد سمعتها من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فما زال هؤلاء حتىٰ شككوني . ثم قال : ثم[٣] ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره ، و[٤] الذي أجير[٥] من الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخاري(٢) هاهنا ومسلم ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم قال : قدم أصحاب

---

(١) المسند (٦/٤٤٩) (٢٧٦٤٥) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ ، حديث (٤٩٤٤) (٨/ ٧٠٧) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : ما يتعلق بالقرآن ، حديث (٢٨٢/٨٢٤) (٦/١٥٧) . والقصة عند مسلم من طريق إبراهيم عن علقمة وهو كذلك عند البخاري في الباب الذي قبله ، وقال =

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : فقرأ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز : أجر .

عبد الله على أبي الدرداء ، فطلبهم فوجدهم ، فقال : أيكم يقرأ علي قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا ، قال : أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلىٰ علقمة ، فقال : كيف سمعته يقرأ : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ** ﴾ ؟ قال (**والذكر والأنثي**) قال : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا . وهؤلاء يريدون[١] أن أقرأ : ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ والله لا أتابعهم .

هذا لفظ البخاري : هكذا قرأ ذلك ابن مسعود ، وأبو الدرداء - ورفعه أبو الدرداء - وأما الجمهور فقرءوا ذلك كما هو مُثبَت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق : ﴿ **وما خلق الذكر والأنثىٰ** ﴾ ، فأقسم تعالىٰ ﴿ **بالليل إذا يغشى** ﴾ ، أي : إذا غَشيَ الخليقة بظلامه ، ﴿ **والنهار إذا تجلىٰ** ﴾ ، أي : بضيائه وإشراقه ، ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وخلقناكم أزواجًا** ﴾ وكقوله : ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ﴾ .

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم[٢] عليه أيضًا متضادًا ، ولهذا قال : ﴿ **إن سعيكم لشتىٰ** ﴾ ، أي : أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضًا ومتخالفة ، فمن فاعلٍ خيرًا ومن فاعلٍ شرًا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فأما من أعطىٰ [واتقىٰ** ﴾ أي : أعطىٰ][٣] ما أمر بإخراجه ، واتقىٰ الله في أموره ، ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ ، أي : بالمجازاة علىٰ ذلك قاله قتادة . وقال خُصَيف : بالثواب . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وزيد بن أسلم : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ [أي : بالخلف . وقال أبو عبد الرحمن السلمي ، والضحاك : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾][٤] أي : بلا إله إلا الله . وفي رواية عن عكرمة : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ ، أي : بما أنعم الله عليه . وفي رواية عن زيد بن أسلم : ﴿ **وصدق بالحسنىٰ** ﴾ ، قال : الصلاة والزكاة والصوم . وقال مرة : وصدقة الفطر .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا زهير بن محمد ، حدثني مَن سَمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أُبي بن كعب قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الحسنىٰ قال : « الحسنىٰ : الجنة » .

وقوله : ﴿ **فسنيسره لليسرى** ﴾ - قال ابن عباس : يعني للخير . وقال زيد بن أسلم : يعني : للجنة .

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنة بعدها . ومن جزاء السيئة السيئة بعدها . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأما من بخل** ﴾ ، أي : بما عنده ، ﴿ **واستغنىٰ** ﴾ ، قال عكرمة ، عن

= ابن حجر في الفتح (٧٠٧/٨) : هذا صورته الإرسال لأن إبراهيم ما حضر القصة .

(٣) تقدم في سورة يونس ، آية : (٢٦) .

[١] - في ت : يريدوني .

[٢] - في ت : القسم .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

ابن عباس ؛ أي [بخل بماله][١] ، واستغنىٰ عن ربه عز وجل . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وكذب بالحسنىٰ ﴾ ، أي : بالجزاء في الدار الآخرة ، ﴿ فسنيسره للعسرىٰ ﴾ ، أي لطريق[٢] الشر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ . والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة دالة علىٰ أن اللّٰه - عز وجل - يجازي مَن قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان . وكل ذلك بقدر مقدر ، والأحاديثُ الدالة علىٰ هذا المعنىٰ كثيرة .

رواية أبي بكر الصديق رضي اللّٰه عنه ، قال الإمام أحمد(٤) : حدثنا علي بن عَيَّاش[٣] ، حدثني العطاف بن خالد ، حدثني رجل من أهل البصرة ، عن طلحة بن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه قال : سمعت أبي يذكر : أن[٤] أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : يا رسول اللّٰه ؛ أنعمل علىٰ ما فرغ منه أو علىٰ أمر مؤتنف ؟ قال : « بل علىٰ أمر قد فُرغ منه » . قال : ففيم العملُ يا رسول اللّٰه ؟ قال : « كل ميسر لما خلق له » .

رواية علي رضي اللّٰه عنه ، قال البخاري(٥) ، حدثنا أبو نعيم : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب قال : كنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في بقيع الغَرقد في جنازة ، فقال : « ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » . فقالوا : يا رسول اللّٰه ؛ أفلا نتكل ؟ فقال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له » . قال : ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ فسنيسره لليسرىٰ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ للعسرىٰ ﴾ .

وكذا رواه من طريق شعبة(٦) ووكيع(٧) ، عن الأعمش ، بنحوه . ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة(٨) ، عن جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن ، عن[٥] علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه قال[٦] : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه

(٤) المسند (١/٥ - ٦) (١٩) . وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، لكن يشهد له ما بعده .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ ، حديث (٤٩٤٥) (٧٠٨/٨).
(٦) صحيح البخاري ، باب : ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ ، حديث (٤٩٤٦) (٧٠٨/٨) .
(٧) صحيح البخاري ، باب : ﴿ وأما من بخل واستغنى ﴾ ، حديث (٤٩٤٧) (٧٠٨/٨ - ٧٠٩) .
(٨) صحيح البخاري ، باب : ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ ، حديث (٤٩٤٨) (٧٠٩/٨) .

[١] - في ز ، خ : على ماله .
[٢] - في ز : بطريق .
[٣] - في ز ، خ : عباس .
[٤] - في خ : عن .
[٥] - في ز ، خ : هو .
[٦] - سقط من ت .

عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مِخصرة فنكس[١] فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحد - أو ما من نفس منفوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ أفلا نتكل علىٰ كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلىٰ أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة[٢] فسيصير إلىٰ أهل الشقاء ؟ فقال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون [إلىٰ عمل][٣] أهل الشقاء » . ثم قرأ : ﴿ **فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ [فسنيسره لليسرىٰ][٤]** ﴾ الآية .

وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعد[٥] بن عبيدة به .

رواية عبد الله بن عمر[٦] ، وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال : سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر ؛ قال : قال عمر : يا رسول الله ؛ أرأيت ما نعمل فيه ؟ أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال : « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلًّا ميسر أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء ، فإنه يعمل للشقاء » .

ورواه الترمذي في القدر عن بندار ، عن ابن مهدي ، به ، وقال : حسن صحيح .

(حديث آخر) من رواية جابر ، قال ابن جرير(١٠) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : يا رسول الله ؛ أنعمل لأمر قد فرغ منه ، أو لأمر نستأنفه ؟ فقال : « لأمر قد فرغ منه » . فقال سراقة : ففيم العمل إذًا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عامل ميسر لعمله » .

ورواه مسلم، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب به .

(حديث آخر) قال ابن جرير(١١) : حدثني يونس ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن طلق بن حبيب ، عن بشير بن كعب العدوي ؛ قال : سأل غلامان شابان النبي صلىٰ الله

(٩) المسند (٥٢/٢) (٥١٤٠) . وأخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : ما جاء في الشقاء والسعادة ، حديث (٢١٣٦) (٣٠٨/٦) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(١٠) تفسير الطبري (٢٢٤/٣٠) . ومسلم في كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، حديث (٢٦٤٨/٨م) (٣٠٣/١٦) .

(١١) تفسير الطبري (٢٢٤/٣٠ - ٢٢٥) .

[١] - في ت : فنكث .
[٢] - في ت : الشقاء .
[٣] - في خ : لعمل .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز ، خ : سعيد .
[٦] - في ز : عمرو .

عليه وسلم فقالا : يا رسول اللّٰه ؛ أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أو في شيء يستأنف ؟ فقال : « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » . قالا : ففيم العمل إذًا ؟ قال : « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » . قالا : فالآن[١] نجد ونعمل .

(رواية أبي الدرداء) قال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا هيثم[٢] بن خارجة ، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي ، عن يونس بن ميسرة بن حلبس ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء قال : قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ أرأيت ما نعمل ، أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال : « بل أمر قد فرغ منه » . قالوا : فكيف بالعمل يا رسول اللّٰه ؟ قال : « كل امرئ مهيأ لما خلق له » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) ، قال ابن جرير(١٣) : حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة ، حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، حدثني خُلَيد العصري ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق اللّٰه كلهم إلا الثقلين : اللّهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا » . وأنزل اللّٰه في ذلك القرآن : ﴿ **فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ فسنيسره لليسرىٰ * وأما من بخل واستغنىٰ وكذب بالحسنىٰ فسنيسره للعسرىٰ** ﴾ ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة بإسناده مثله .

(حديث آخر) ، قال ابن أبي حاتم(١٤) : حدثني أبو عبد اللّٰه الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني[٣] ، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلًا كان له نخل ، ومنها نخلة فرعها إلىٰ[٤] دار رجل صالح فقير ذي عيال ، فإذا جاء الرجل فدخل داره وأخذ التمر من نخلته ، فتسقط التمرة فيأخذها صبيان الفقير[٥] ، فنزل من نخلته فنزع التمرة من أيديهم ، وإن أدخل [أحدهم التمرة في فمه][٦] أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع التمرة من حلقه . فشكا ذلك الرجل إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « اذهب » .

---

(١٢) المسند (٦/٤٤١) (٢٧٥٩٤) . وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٣٣) .

(١٣) تفسير الطبري (٣٠/٢٢١) .

(١٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٠٣ - ٦٠٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وضعف سنده .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : هشيم .

[٣] - في ت : العداني .

[٤] - في خ : في .

[٥] - في خ : الرجل .

[٦] - في ز ، خ : التمرة في فم أحدهم .

ولقي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم صاحب النخلة ، فقال له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم « أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له[١] : لقد أعطيت ، ولكن يعجبني ثمرها ، وإن لي [لنخلًا كثيرًا][٢] ما فيها نخلة أعجب إليَّ ثمرة من ثمرها . فذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ومن صاحب النخلة ، فقال الرجل : يا رسول اللَّه ؛ إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتها أتعطيني بها ما أعطيته بها نخلة في الجنة ؟ قال : « نعم » . ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة - ولكليهما[٣] نخل - فقال له : أخبرك أن محمدًا أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة ، فقلت له : قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها . فسكت عنه الرجل فقال له : أتراك إذًا بعتها ؟ قال : لا ، إلا أن أعطى بها شيئًا ، ولا أظنني أعطاه . قال : وما مناك بها[٤] ؟ قال : أربعون نخلة . فقال له[٥] الرجل : لقد جئت بأمر عظيم ، نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ؟ ! ثم سكتا وأنشآ في كلام ، ثم قال : أنا أعطيك[٦] أربعين نخلة ، فقال : أشهد لي إن كنت صادقًا . فأمر بأناس فدعاهم فقال : اشهدوا أني قد أعطيته [من نخلي][٧] أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان . ثم قال : ما تقول ؟ فقال صاحب النخلة : قد رضيت . ثم قال بعد : ليس بيني وبينك بيع لم نفترق . قال له : قد أقالك اللَّه ، ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة . فقال صاحب النخلة : قد رضيت علىٰ أن تعطيني الأربعين علىٰ ما أريد . قال : تعطينيها علىٰ ساق . [ثم مكث ساعة ثم قال : هي لك علىٰ ساق . وأوقف له شهودًا ، وعد له أربعين نخلة علىٰ ساق][٨] فتفرقا فذهب الرجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ؛ إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي ، فهي لك . فذهب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ الرجل صاحب الدار فقال له : « النخلة لك ولعيالك » . قال عكرمة : قال ابن عباس : فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فأما من أعطىٰ واتقىٰ * وصدق بالحسنىٰ * فسنيسره لليسرىٰ * وأما من بخل واستغنىٰ * وكذب بالحسنىٰ * فسنيسره للعسرىٰ** ﴾ إلىٰ آخر السورة .

هكذا[٩] رواه ابن أبي حاتم ، وهو حديث غريب جدًا .

قال ابن جرير(١٥) : وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه : حدثني

---

(١٥) تفسير الطبري (٣٠/٢٢١) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : النخل كثير .
[٣] - في ز : ولكلاهما .
[٤] - في ز ، خ : فيها .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ت : أعطيتك .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .
[٩] - في ز : هذا .

هارون بن إدريس الأصم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه : أي بني ؛ أراك تعتق أناسًا ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالًا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟ ! فقال : أي أبت ؛ إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله ، قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه : ﴿ **فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما يغني عنه ماله إذا تردى** ﴾ ، قال مجاهد : أي : إذا مات . وقال أبو صالح ومالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تردى في النار .

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)

قال قتادة : ﴿ **إن علينا للهدى** ﴾ ، أي : نبين الحلال والحرام . وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله . وجعله كقوله تعالى : ﴿ **وعلى الله قصد السبيل** ﴾ . حكاه ابن جرير .

وقوله : ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾ أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما .

وقوله : ﴿ **فأنذرتكم نارًا تلظى** ﴾ ، قال مجاهد : أي توهج .

[قال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : « [أنذركم النار أنذرتكم النار][١] ، أنذرتكم النار » - حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا . قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه][٢] .

---

(١٦) المسند (٤/٢٧٢) (١٨٤٤٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢/١٩٠ - ١٩١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

وقال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني أبو إسحاق : سمعت[١] النعمان بن بشير يخطب ويقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما[٢] دماغه » رواه البخاري .

وقال مسلم(١٨) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ الله عليه وسلم : « إن أهون أهل[٣] النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا ، وإنه لأهونهم عذابًا » .

وقوله: ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقىٰ** ﴾ أي: لا يدخلها دخولًا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقىٰ . ثم فسره فقال : ﴿ **الذي كذب** ﴾ ، أي : بقلبه ، ﴿ **وتولىٰ** ﴾ ، أي : عن العمل بجوارحه وأركانه .

قال الإمام أحمد(١٩) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد ربه[٤] بن سعيد ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « لا يدخل النار إلا شقي » . قيل : ومن[٥] الشقي ؟ قال : « الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية » .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا يونس وسريج قالا : حدثنا فُليح ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبىٰ » . قالوا : ومن يأبىٰ يا رسول الله ؟ قال: « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبىٰ » . ورواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح به .

وقوله : ﴿ **وسيجنبها الأتقىٰ** ﴾ ، أي : وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقىٰ . ثم فسره

(١٧) المسند (٢٧٤/٤) (١٨٤٦٤) . والبخاري في كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٦١) (٤١٧/١١) وطرفه في [٦٥٦٢] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : أهون أهل النار عذابًا ، حديث (٢١٣/٣٦٣) (١٠٦/٣) .

(١٨) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : أهون أهل النار عذابًا ، حديث (٢١٣/٣٦٤) (١٠٧/٣) .

(١٩) المسند (٨٥٧٨ - شاكر) . وصححه أحمد شاكر .

(٢٠) المسند (٨٧/٣ - شاكر) . والبخاري في كتاب : الاعتصام ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، حديث (٧٢٨٠) (٢٤٩/١٣).

[١] - في ز : سمعنا .
[٢] - في ز : منها .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : الله .
[٥] - في ز : ما .

بقوله : ﴿ **الذي يؤتي ماله يتزكىٰ** ﴾ أي : يصرف ماله في طاعة ربه ، ليزكي نفسه وماله وما وهبه اللَّه من دين ودنيا ، ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ** ﴾ ، أي : ليس بذله ماله[١] في مكافأة من أسدىٰ إليه معروفًا ، فهو يعطي في مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك ﴿ **ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ** ﴾ ، أي : طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولسوف يرضىٰ** ﴾ ، أي : ولسوف يرضىٰ من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه حتىٰ إن بعضهم حكىٰ الإجماع من المفسرين علىٰ ذلك . ولا شك أنه داخل فيها ، وأولىٰ الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **وسيجنبها الأتقىٰ * الذي يؤتي ماله يتزكىٰ * وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ** ﴾ ، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ، فإنه كان صديقًا تقيًا كريمًا جوادًا بذالًا لأمواله في طاعة مولاه ، ونصرة رسول اللَّه ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلىٰ أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه علىٰ السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف ، يوم صلح الحديبية - : أما واللَّه لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال : ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ * ولسوف يرضىٰ** ﴾ . وفي الصحيحين(٢١) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين في سبيل اللَّه دعته خزنة الجنة : يا عبد اللَّه ، هذا خير » فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، ما علىٰ من يُدعىٰ منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال : « نعم » وأرجو أن تكون منهم » .

آخر تفسير سورة الليل ، وللَّه الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

---

(٢١) تقدم في سورة الزمر ، آية : (٧٣) .

---

[١] - في ز : حاله .

[تفسير] سورة الضحى

[وهي مكية]

رُوِّينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد اللّٰه بن أبي بزة المقرئ قال : قرأت علىٰ عكرمة بن سليمان ، وأخبرني أنه قرأ علىٰ إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد ، فلما بلغت ﴿ **والضحىٰ** ﴾ قالا لي : كبر حتىٰ تختم مع خاتمة كل سورة ، فإنا قرأنا علىٰ ابن كثير فأمرنا بذلك ، وأخبرنا أنه قرأ علىٰ مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره [مجاهد أنه قرأ علىٰ ابن عباس فأمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أنه قرأ علىٰ أبيّ بن كعب فأمره بذلك ، وأخبره أبيّ][١] أنه قرأ علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأمره بذلك .

فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد اللّٰه البزي ، من ولد القاسم بن أبي بزة ، وكان إمامًا في القراءات . فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال : لا يحدث[٢] عنه .

وكذلك أبو جعفر العقيلي ؛ قال : هو منكر الحديث . لكن حكىٰ الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلًا يكبر هذا التكبير في الصلاة ، فقال له : أحسنت ، وأصبت السنة ، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث .

ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر من[٣] آخر ﴿ **والليل إذا يغشىٰ** ﴾ . وقال آخرون : من آخر ﴿ **والضحىٰ** ﴾ : وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : اللّٰه أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول : اللّٰه أكبر ، لا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر .

وذكر الفراء في مناسبة التكبير من أول « سورة الضحىٰ » ؛ أنه لما تأخر الوحي عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وفتر تلك المدة جاءه الملك فأوحىٰ إليه : ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ** ...﴾ السورة بتمامها - كبر فرحًا وسرورًا . ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، فاللّٰه أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : أحدث .
[٣] - في ز ، خ : في .

﴿فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ؛ قال : سمعت جندبًا ؛ يقول : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتت امرأة فقالت : يا محمد ؛ ما أرى شيطانك إلا قد تركك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ .

و[١] رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من طرق[٢] ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب - هو ابن عبد الله البجلي ، ثم العلقي به ، وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس : سمع جندبًا ؛ قال : أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون : وُدِّعَ محمد . فأنزل الله ﴿ **والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، وعمرو بن عبد الله الأودي ؛ قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثني سفيان ، حدثني الأسود بن قيس ، أنه سمع جندبًا ؛ يقول : رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر في أصبعه فقال : هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت ؟ .

قال : فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم ، فقالت له امرأة : ما أرى شيطانك إلا قد تركك . فنزلت : ﴿ **والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ - والسياق لأبي سعيد .

---

(١) المسند (٣١٣/٤) (١٨٨٥٨) . والبخاري في كتاب : التهجد ، باب : ترك القيام للمريض ، حديث (١١٢٤) (٨/٣) . وأطرافه في : [١١٢٥ ، ٤٩٥٠ ، ٤٩٨٣] . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث (١١٤، ١٧٩٧/١١٥) (٢١٦/١٢ - ٢١٨) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الضحى ، حديث (٣٣٤٢) (٧٦/٩) بمعناه وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الضحى ، حديث (١١٦٨١) (٥١٧/٦) . والطبري (٢٣١/٣٠) .

(٢) وأصله في الصحيحين من طريق الأسود ؛ أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : من ينكب في سبيل الله ، حديث (٢٨٠٢) (١٩/٦) ، وطرفه في [٤١٤٦] . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث (١١٢، ١٧٩٦/١١٣) (٢١٥/١٢ - ٢١٦) . كلاهما من طريق الأسود عن جندب به نحوه .

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في ز ، خ : طريق .

قيل : إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب ، وذكر أن إصبعه ، عليه السلام ، دميت . وقوله - هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون - ثابت في الصحيحين ولكن الغريب هاهنا جعله سببًا لتركه القيام ، ونزول هذه السورة ، فأما ما رواه ابن جرير(٣) : حدثنا ابن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، عن عبد الله بن شداد ؛ أن[١] خديجة قالت للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - ما أرىٰ ربك إلا قد قلاك . فأنزل الله : ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ .

وقال أيضًا(٤) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : أبطأ جبريل علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فجزع جزعًا شديدًا ، فقالت خديجة : إنىٰ أرىٰ ربك قد قلاك مما يرى[٢] من جزعك . قال : فنزلت : ﴿ **والضحىٰ * والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ ... إلىٰ آخرها .

فإنه حديث مرسل من [هذين الوجهين][٣] ، ولعل ذكر خديجة ليس محفوظًا ، أو قالته علىٰ وجه التأسف والتحزن ، والله أعلم .

وقد ذكر بعض السلف - منهم ابن إسحاق - أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين تبدىٰ له في صورته التي خلقه الله عليها ، ودنا إليه وتدلىٰ منهبطًا عليه وهو بالأبطح ، ﴿ **فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ** ﴾ قال : قال له هذه السورة : ﴿ **والضحىٰ والليل إذا سجىٰ** ﴾ .

قال العوفي ، عن ابن عباس : لما نزل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم القرآن ، أبطأ عنه جبريل أيامًا ، فتغير[٤] بذلك ، فقال المشركون : ودعه ربه وقلاه . فأنزل الله : ﴿ **ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ .

وهذا قسم منه تعالىٰ بالضحىٰ وما جعل فيه من الضياء ، ﴿ **والليل إذا سجىٰ** ﴾ ، أي : سكن فأظلم وادلهم . قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم . وذلك دليل ظاهر علىٰ قدرة خالق هذا وهذا ، كما قال : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ والنهار إذا تجلىٰ** ﴾ وقال : ﴿ **فالق الإصباح وجعل[٥] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾

(٣) تفسير الطبري (٢٣١/٣٠) .
(٤) تفسير الطبري (٢٣٢/٣٠) .

[١] - في خ : عن .
[٢] - في ت : نرى .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في الطبري : فعير .
[٥] - في ز : « وجاعل » ، وهي قراءة ابن كثير .

وقوله : ﴿ ما ودعك ربك ﴾ ، أي : ما تركك ، ﴿ وما قلىٰ ﴾ أي : وما أبغضك ، ﴿ وللآخرة خير لك من الأولىٰ ﴾ ، أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ؛ ولهذا كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا ، وأعظمهم لها اطِّراحًا ، كما هو معلوم من سيرته . ولما خير - عليه السلام - في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلىٰ آخرها ثم الجنة ، وبين الصيرورة إلىٰ اللّٰه - عز وجل - اختار ما عند اللّٰه علىٰ هذه الدنيا الدنية .

قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا يزيد ، حدثنا المسعودي ، عن عمرو[١] بن مرة ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - قال : اضطجع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ حصير ، فأثر في جنبه ، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول اللّٰه ؛ ألا آذنتنا حتىٰ نبسط لك علىٰ الحصير شيئًا ؟ فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « مالي وللدنيا ؟ ! ما أنا والدنيا ؟ ! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » . ورواه الترمذي، وابن ماجة من حديث المسعودي به، وقال الترمذي: حسن صحيح .

وقوله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ ﴾ أي : في الدار الآخرة يعطيه حتىٰ يرضيه في أمته ، وفيما أعده[٢] له من الكرامة ، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، وطينه مسك أذفر ، كما سيأتي .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي ، عن إسماعيل بن عبيد اللّٰه بن أبي[٣] المهاجر المخزومي ، عن علي بن عبد اللّٰه بن عباس ، عن أبيه ؛ قال : عرض علىٰ رسول اللّٰه ما هو مفتوح علىٰ أمته من بعده كنزًا كنزًا ، فسر بذلك ، فأنزل اللّٰه ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ فأعطاه في الجنة ألف[٤] قصر ، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم[٥] .

رواه ابن جرير(٦) من طريقه ، وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس . ومثل[٦] هذا ما يقال إلا عن توقيف .

---

(٥) المسند (١/٣٩١) (٣٧٠٩) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما أنا في الدنيا إلا كراكب ، حديث (٢٣٧٨) (٧/١١٠) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : مثل الدنيا ، حديث (٤١٠٩) (٢/١٣٧٦) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(٦) تفسير الطبري (٣٠/٢٣٢) .

---

[١] - في ز : عمر .

[٢] - في خ : وعده .

[٣] - في ز ، خ : بشر .

[٤] - في ت : ألف ألف .

[٥] - في ت : والخدام .

[٦] - في ز : وقبل .

وقال السدي عن ابن عباس: من رضا محمد -صلى الله عليه وسلم- أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. رواه[١] ابن جرير(٧)، وابن أبي حاتم.

وقال الحسن: يعني بذلك: الشفاعة، وهكذا قال أبو جعفر الباقر[٢].

وقال أبو بكر بن أبي شيبة(٨): حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد[٣] ابن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾».

ثم قال تعالىٰ - يعدد نعمه[٤] علىٰ عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿**ألم يجدك يتيمًا فآوىٰ**﴾، وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد عليه السلام. ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلىٰ أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره، ويكف عنه أذىٰ قومه بعد أن ابتعثه الله علىٰ رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب علىٰ دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره، إلىٰ أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلىٰ بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرىٰ الله سُنّته[٥] علىٰ الوجه الأتم الأكمل. فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه - رضي الله عنهم أجمعين - وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله: ﴿**ووجدك ضالًا فهدىٰ**﴾ كقوله: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم**﴾ ومنهم من قال: المراد بهذا أنه - عليه السلام - ضل[٦] في شعاب مكة وهو صغير، ثم رجع. وقيل: إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبًا ناقة في الليل، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة ذهب منها [إلىٰ الحبشة][٧]، ثم عدل بالراحلة إلىٰ الطريق. حكاهما البغوي.

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/٢٣٢). وفي إسناده الحكم بن ظهير وهو متروك.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» في كتاب: الفتن، باب: ما ذكر في عثمان، حديث (٧٤) (٨/ ٦٩٧) مطولًا بأتم من ذلك وليس فيه ذكر الآية.

[١] - في ت: ورواه.

[٢] - سقط من ز، خ.

[٣] - في ت: زيد.

[٤] - في ز: نعمته.

[٥] - في ز: سببه.

[٦] - في ز: صلى.

[٧] - في ز، خ: ذي الجنبة.

وقوله: ﴿ووجدك عائلًا فأغنىٰ﴾ ، أي: كنت فقيرًا ذا عيال ، فأغناك الله عمن سواه ، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقال قتادة في قوله: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى ووجدك ضالًّا فهدى ووجدك عائلًا فأغنىٰ﴾ ، قال: كانت هذه منازل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير(٩) وابن أبي حاتم .

وفي الصحيحين (١٠)- من طريق عبد الرزاق - عن معمر ، عن همام بن منبه؛ قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: [«ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس» .

وفي صحيح مسلم(١١) عن عبد الله بن عمرو ، قال: قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم][١] -: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنّعه الله بما أتاه» .

ثم قال: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أي: كما[٢] كنت يتيمًا فآواك الله فلا تقهر[٣] اليتيم ، أي: لا تذله وتنهره وتهنه ، ولكن أحسن إليه ، وتلطف به .

قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم .

﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي كما كنت ضالًّا فهداك الله ، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد .

قال ابن إسحاق: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ ، أي: فلا تكن جبارًا ، ولا متكبرًا ، ولا فحّاشًا ، ولا فظًّا علىٰ الضعفاء من عباد الله .

---

(٩) أخرجه الطبري (٣٠/٢٣٣) .

(١٠) المسند (٨١٥٩) من هذا الطريق ، ولم أجده عند البخاري ومسلم من طريق عبد الرزاق هذا ، إنما الذي عند البخاري من طريق أبي صالح عن أبي هريرة، أخرجه في كتاب: الرقاق ، باب: الغنى غنى النفس ، حديث (٦٤٤٦) (١١/٢٧١) . وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة ، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض ، حديث (١٢٠/١٠٥١) (٧/١٩٨) . من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . وقال الشيخ أحمد شاكر: ولم يروه الشيخان من طريق الصحيفة . اهـ . يعني صحيفة همام بن منبه أي من هذا الطريق فوافق ما ذكرته والحمد لله .

(١١) صحيح مسلم ، كتاب: الزكاة ، باب: في الكفاف والقناعة ، حديث (١٢٥/١٠٥٤) (٧/٢٠٤ - ٢٠٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز: تنهر .

وقال قتادة: يعني: رد المسكين برحمة ولين.

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ أي: وكما كنت عائلًا فقيرًا فأغناك الله، فحدث بنعمة الله عليك، كما جاء في الدعاء المأثور النبوي: «واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قابليها، وأتمها[١] علينا».

وقال ابن جرير(١٢): حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلية، حدثنا سعيد بن [إياس][٢] الجُرَيْري، عن أبي نضرة؛ قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد(١٣): حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا الجراح بن مليح، عن أبي عبد الرحمن، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [علىٰ المنبر][٣]: «من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. والتحدث[٤] بنعمة الله شكر، وتركها كفر؛ والجماعة رحمة، والفرقة عذاب». إسناده ضعيف.

وفي الصحيحين(١٤)، عن أنس، أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله؛ ذهب الأنصار بالأجر كله. قال: «لا، ما دعوتم[٥] الله لهم، وأثنيتم[٦] عليهم».

وقال أبو داود(١٥): حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الربيع بن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال: «لا يشكر[٧] الله من لا يشكر

---

(١٢) أخرجه الطبري (٢٣٤/٣٠).

(١٣) أخرجه عبد الله بن أحمد (٢٧٨/٤) (١٨٥٠٠) في زوائد المسند.

(١٤) لم أجده في الصحيحين. والحديث أخرجه أحمد (٢٠٠/٣ - ٢٠١) (١٣٠٩٨) وأبو داود في كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، حديث (٤٨١٢) (٢٥٥/٤). والترمذي في كتاب: صفة القيامة، باب: مواساة الأنصار للمهاجرين، حديث (٢٤٨٩) (١٨٤/٧). والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول لمن صنع إليه معروفًا، حديث (١٠٠٠٩) (٥٣/٦). والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٥٩، ٢١٧). كلهم من طرق عن أنس - رضي الله عنه - به مثله ونحوه. قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. والحديث في تحفة الأشراف (٣٤٠) ولم يعزه إلى البخاري ولا مسلم، وعزاه إلى أبي داود والنسائي.

(١٥) سنن أبي داود في كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، حديث (٤٨١١) (٢٥٥/٤). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٢٦).

---

[١] - في ز: وأتممها.

[٢] - سقط من ز، خ.

[٣] - سقط من ز، خ.

[٤] - في ز: والمحدث.

[٥] - في ز: دعوهم.

[٦] - في ز: وأثنيتهم.

[٧] - في ز: شكر.

الناس » .

ورواه الترمذي(١٦) عن أحمد بن محمد ، عن ابن المبارك ، عن الربيع بن مسلم ، وقال : صحيح .

وقال أبو داود(١٧) : حدثنا عبد الله بن الجراح ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « من أبلىٰ بلاء فذكره فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره » . تفرد به أبو داود .

وقال أبو داود(١٨) : حدثنا مسدد ، حدثنا بشر ، حدثنا عمارة بن غزية ، حدثني رجل من قومي ، عن جابر بن عبد الله؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من أعطي[١] عطاء فوجد فليجز به ، فإن لم يجد فليثن به ، فمن أثنىٰ به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » . قال أبو داود : ورواه يحيىٰ بن أيوب ، عن عمارة بن غزية ، عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه. تفرد به أبو داود .

وقال مجاهد : يعني النبوة التي أعطاك ربك . وفي رواية عنه : القرآن .

وقال ليث عن رجل عن الحسن بن[٢] علي : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ، قال : ما عملت من خير فحدث إخوانك .

وقال محمد بن إسحاق : ما جاءك الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها[٣] ، وادع إليها ، وقال : فجعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرًا[٤] إلىٰ من يطمئن إليه من أهله ، وافترضت عليه الصلاة ، فصلىٰ .

آخر تفسير سورة الضحى

[ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

☆ ☆ ☆

(١٦) سنن الترمذي ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، حديث (١٩٥٥) (٦/ ١٨٧ ، ١٨٨) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(١٧) سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب : في شكر المعروف ، حديث (٤٨١٤) (٤/٢٥٦) . وصححه الألباني في الصحيحة (٦١٨) .

(١٨) سنن أبي داود في الموضع السابق ، حديث (٤٨١٣) (٤/٢٥٥ - ٢٥٦) .

[١] - في ز : أعطا .

[٢] - في خ : عن .

[٣] - في ز : فاذكرها .

[٤] - في خ : سواء .

[تفسير] سورة « ألم نشرح »

[وهي مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ ، يعني أما شرحنا لك صدرك ، أي : نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا ، كقوله : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحًا واسعًا سمحًا سهلًا ، لا حرج فيه ولا إصر ، ولا ضيق .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ : شرح صدره ليلة الإسراء ، كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي(١) هاهنا . وهذا وإن كان واقعًا ، ولكن لا منافاة ، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء ، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضًا ، والله أعلم .

قال عبد الله بن الإمام أحمد(٢) : حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيىٰ البزاز ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب ، حدثني أبي محمد بن معاذ ، [عن معاذ][١] عن محمد ، عن أبي بن كعب ؛ أن أبا هريرة كان جريًّا علىٰ أن يسأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال : يا رسول الله ؛ ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالسًا ، وقال : « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني لفي صحراء[٢] ابن عشر سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسي ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ [قال : نعم][٣] فاستقبلاني بوجوه لم أرها

(١) تقدم تخريجه في أول سورة الإسراء .

(٢) المسند (٥/١٣٩) (٢١٣٣٨) . وإسناده ضعيف : قال ابن المديني : حديث مدني إسناده مجهول كله ، ولا نعرف محمداً ولا أباه ، لا جده . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين : الأول (٨/ ٢٢٢، ٢٢٣) وقال : « رواه عبد الله ورجاله ثقات ، وثقهم ابن حبان . والثاني (٩/ ٣٦١) وقال : أيضًا « رجاله ثقات » .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ت : الصحراء .

[٣] - سقط من ز ، خ .

الخلق[١] قط ، وأرواح لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلا إليّ يمشيان ، حتى أخذ كل [ ][٢] واحد منهما بعضدي ، لا أجد لأحدهما مسًّا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . [ ][٣] فأضجعاني بلا قصر ولا هصر . فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فهوى[٤] أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع ، فقال له : أخرج الغل والحسد . فأخرج شيئًا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها ، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة ، فإذا مثل القمر[٥] أخرج شبه الفضة ، ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال : اغد واسلم . فرجعت بها أعدو [ ][٦] ، رقة على الصغير ، ورحمة للكبير[٧] » .

[وقوله : ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ بمعنى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ . ﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾ الإنقاض : الصوت . وقال غير واحد من السلف في قوله : ﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾ ، أي أثقلك حمله][٨] .

وقوله : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ ، قال مجاهد : لا أذكر إلا ذكرت[٩] معي[١٠] : أشهد أن لا إله إلا الله ، و[١١] أشهد أن محمدًا رسول الله ، وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

و[١٢] قال ابن جرير(٣) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن دراج[١٣] ، عن [أبي الهيثم][١٤] ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : « أتاني جبريل فقال : إن ربي وربك يقول : كيف رفعت ذكرك ؟ قال : الله أعلم . قال : إذا ذكرت ذكرت معي » . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى به . ورواه أبو يعلى(٤) من طريق ابن لهيعة ، عن دراج .

---

(٣) تفسير الطبري (٣٠/٢٣٥) .
(٤) وأبو يعلى (٢/٥٢٢) (١٣٨٠) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : وأخذ كل .
[٣] - في ز ، خ : فأضجعه .
[٤] - في ز : فحدا .
[٥] - في ت : الذي .
[٦] - في ز ، خ : بها .
[٧] - في ز : الكبير .
[٨] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٩] - في خ : ذكر .
[١٠] - في ز : ففي .
[١١] - سقط من ز .
[١٢] - سقط من ت .
[١٣] - في ز ، خ : رواحة .
[١٤] - في ز ، خ : إبراهيم .

وقال ابن أبي حاتم(٥) : حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحوضي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته . قلت : قد كانت قبلي أنبياء ، منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من يحيي الموتىٰ . قال : يا محمد ، ألم أجدك يتيمًا فآويتك ؟ قلت : بلىٰ يارب . قال : ألم أجدك ضالًا فهديتك ؟ قلت : بلىٰ يارب . قال : ألم[١] أجدك عائلًا فأغنيتك ؟ قال[٢] : قلت : بلىٰ يارب . قال : ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أرفع لك ذكرك ؟ قلت : بلىٰ يارب » .

[وقال أبو نعيم في دلائل النبوة(٦) : حدثنا أبو أحمد الغطريفي ، حدثنا موسىٰ بن سهل الجوني ، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي ، حدثنا نصر بن حماد ، عن عثمان بن عطاء ، عن الزهري ، عن أنس؛ قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم : « لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السماوات والأرض قلت : يارب ، إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته ، جعلت إبراهيم خليلًا ، وموسىٰ كليمًا ، وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين[٣] ، وأحييت لعيسىٰ الموتىٰ ، فما جعلت لي ؟ قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ، أني لا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت صدور أمتك أناجيل[٤] يقرءون القرآن ظاهرًا ، ولم أعطها أمة ، وأعطيتك كنزًا من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم][٥] »] .

وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد، أن المراد بذلك: الأذان، يعني: ذكره فيه، وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغَـرُّ ، عَـلَـيـه لـلـنـبـوة خَـاتَـم مِنَ اللّه من نُور يَلوحُ وَيشْهد
وَضمّ الإلهُ اسم النبي إلىٰ اسمه إذا قَالَ في الخَمْس المؤذنُ : أشهدُ
وَشَـقّ لَـهُ مِـنَ اسـمـه لـيُـجلَّـه فَذُو العَرْش محمودٌ ، وَهَذا مُحَمَّدُ

وقال آخرون : رفع الله ذكره في الأولين والآخرين[٦] ، ونوه به ، حين أخذ الميثاق علىٰ

(٥) أخرجه الطبراني (١١/٤٥٥) (١٢٢٨٩) . والحاكم (٢/٥٢٦) وصححه ووافقه الذهبي . والبيهقي في « دلائل النبوة » (٧/٦٢ - ٦٣) كلهم من طريق حماد بن زيد بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» (٨/٢٥٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط .اهـ .

(٦) لم أجده في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وقد جاء في هامش طبعة الشعب : لم يقع لنا هذا الحديث في دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه أن طبعة حيدر أباد هذه غير كاملة . اهـ .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من ز ، خ .

جميع النبيين أن يؤمنوا به ، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ، ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه . وما أحسن ما قال الصرصري - رحمه الله :

لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب [في الفم المرضى][١]

وقال أيضًا :

[ألم تر أنَّا لا يصح أذاننا ولا فرضنا إنْ لم نُكرّره فيهما][٢]

وقوله : ﴿ فإن[٣] مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا ﴾ ، أخبر تعالىٰ أن مع العسر يوجد اليسر ، ثم أكد هذا[٤] الخبر .

قال ابن أبي حاتم(٧) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا حميد بن حماد بن [ ][٥] خوار أبو الجهم ، حدثنا عائذ بن شريح ؛ قال : سمعت أنس بن مالك ؛ يقول : كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم جالسًا[٦] وحياله حجر ، فقال : « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتىٰ يدخل عليه فيخرجه[٧] ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ [فإنَّ][٨] مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا ﴾ .

ورواه أبو بكر البزار(٨) في مسنده عن محمد بن معمر ، عن حميد بن حماد به ، ولفظه : « لو جاء العسر حتىٰ يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتىٰ يخرجه » . ثم قال : ﴿ [فإن مع العسر يسرًا][٩] * إن مع العسر يسرًا ﴾ ، ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح .

قلت : وقد قال فيه أبو حاتم الرازي : في حديثه ضعف ، ولكن رواه شعبة ، عن معاوية ابن[١٠] قرة ، عن رجل ، عن عبد الله بن مسعود موقوفًا .

---

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/١٤٥ - ١٤٦) (١٥٢٥) . وأبو نعيم في أخبار أصفهان (١٠٧/١) والحاكم (٢٥٥/٢) . والبيهقي في « الشعب » (٢٠٦/٧) (١٠٠١٢) كلهم من طريق حميد بن حماد به مثله ونحوه .

(٨) مختصر زوائد البزار (١١٩/٢) (١٥٣٤) . قال البزار : لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ . قال ابن حجر : وهو ضعيف . قال الحاكم : هذا حديث غريب ، غير أن الشيخين لم يحتجا بعائذ بن شريح . قال الذهبي في التلخيص : تفرد به حميد بن حماد عن عائذ ، وحميد منكر الحديث كعائذ .

---

[١] - في ز ، خ : المرضي به .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز : إن .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : أبي .
[٦] - في ز : جالس .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : إن .
[٩] - سقط من ز .
[١٠] - في ز ، خ : عن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا أبو قطن ، حدثنا المبارك ابن فضالة ، عن الحسن؛ قال : كانوا يقولون : لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين[١] .

وقال[٢] ابن جرير(٩) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن؛ قال : خرج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومًا مسرورًا فرحًا وهو يضحك ، وهو يقول : « لن يغلب عسر يسرين . لن يغلب عسر يسرين . إن مع العسر يسرًا ، إن مع العسر يسرًا » .

وكذا رواه(١٠) من حديث عوف الأعرابي[٣] ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلًا . وقال سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بشر أصحابه بهذه الآية فقال : « لن يغلب عسر يسرين » .

ومعنىٰ هذا أن العسر معرف في الحالين ، فهو مفرد ، واليسر منكر فتعدد ؛ ولهذا قال : « لن يغلب عسر يسرين » ، يعني قوله : ﴿ **فإن[٤] مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا** ﴾ ، فالعسر الأول عين الثاني ، واليسر تعدد .

وقال الحسن بن سفيان(١١) : حدثنا يزيد بن صالح ، حدثنا خارجة ، عن عباد بن كثير ، عن أبي الزناد ، عن أبي صالح عن أبي هريرة ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « نزل المعونة من السماء علىٰ قدر المئونة ، ونزل الصبر علىٰ قدر المصيبة » . ومما يروىٰ عن الشافعي - رضي الله عنه - أنه قال :

صبرًا جميلًا ما أقرَب الفرَجا ... مَن رَاقَب اللّٰه في الأُمور نجَا
مَن صدَق اللّٰه لَم يَنَلْه أذىٰ ... وَمَن رجاه يَكون حيث رجَا

وقال ابن دُرَيد : أنشدني أبو حاتم السجستاني :

إذا اشتَمَلَتْ عَلَىٰ اليَأسِ القُلوبُ ... وَضَاقَ لمَا به الصَّدْرُ الرَّحيبُ
وأوطَات المَكَاره واطمَأنَّتْ ... وَأرْسَت في أمَاكنها الخُطوبُ
وَلم تَرَ لانكشاف الضُّر وجْهًا ... وَلَا أغْنىٰ بحيلَتِهِ الأريبُ

(٩) تفسير الطبري (٢٣٦/٣٠) . وأخرجه الحاكم من طريق آخر عن الحسن (٥٢٨/٢) وقال : إسناده مرسل وتبعه الذهبي .

(١٠) تفسير الطبري (٢٣٦/٣٠) .

(١١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٧/٥ مخطوط) .

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : الأعرافي .
[٤] - في ز : إن .

أَتَاكَ عَلَىٰ قُنُوطٍ مِنْكَ غَوثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الفَرَجُ القَرِيبُ

وقال آخر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَىٰ ... ذَرْعًا ، وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا المَخْرَجُ
كَمُلَتْ ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا ... فُرِجَتْ ، وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

وقوله : ﴿ **فإذا فرغت فانصب * وإلىٰ ربك فارغب** ﴾ ، أي : إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها ، فانصب في العبادة ، وقم إليها نشيطًا فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة . ومن هذا القبيل قوله صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث المتفق[١] علىٰ صحته(١٢) : « لا صلاة بحضرة طعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان » . وقوله(١٣) : صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعَشاء » .

قال مجاهد في هذه الآية : إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلىٰ الصلاة ، فانصب لربك ، وفي رواية عنه : إذا قمت إلىٰ الصلاة فانصب في حاجتك ، وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب[٢] في قيام الليل . وعن ابن عياض نحوه . وفي رواية عن ابن مسعود : ﴿ **فانصب * وإلىٰ ربك فارغب** ﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ يعني : في الدعاء .

وقال زيد بن أسلم ، والضحاك : ﴿ **فإذا فرغت** ﴾ ، أي : من الجهاد[٣] ﴿ **فانصب** ﴾ ، أي : في العبادة . ﴿ **وإلى ربك فارغب** ﴾ قال الثوري : اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل .

آخر تفسير سورة ألم نشرح ، ولله الحمد [والمنة وبه التوفيق والعصمة]

☆ ☆ ☆

---

(١٢) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ، حديث (٥٦٠/٦٧) (٦٥/٥) من حديث عائشة - رضي الله عنها . ولم أجده في البخاري ، وقد أورده ابن حجر في الفتح من حديث عائشة ونسبه لمسلم دون البخاري كما في فتح الباري (٢٤٢/٢) . والذي في الصحيحين الحديث الذي بعده .

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب : الأطعمة ، باب : إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشائه ، حديث (٥٤٦٥) (٥٨٤/٩) . ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ... حديث (٥٥٨/٦٥) (٦٣/٥) . كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها - به .

---

[١] - في ز : المبين . كذا .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : الحاد . كذا .

[تفسير] سورة « والتين والزيتون »

[وهي مكية]

قال مالك وشعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في سفر في إحدى الركعتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه . أخرجه الجماعة في كتبهم(١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

اختلف المفسرون هاهنا على أقوال كثيرة ، فقيل : المراد بالتين مسجد دمشق . وقيل : هي نفسها . وقيل : الجبل الذي عندها .

وقال القرطبي : هو مسجد أصحاب الكهف .

---

(١) أخرجه مالك في كتاب : الطهارة ، باب : القراءة في المغرب والعشاء ، حديث (٢٧) (٨٩/١) عن يحيى ابن سعيد عن عدي بن ثابت . ومن طريقه النسائي (١٧٣/٢) كتاب الافتتاح باب : القراءة فيها بالتين والزيتون . وفي الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التين، حديث (١١٦٨٢) (٥١٨/٦) .

وأخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، في باب : الجهر في العشاء ، حديث (٧٦٧) (٢٥٠/٢) وأطرافه في [٧٦٩ ، ٤٩٥٢ ، ٧٥٤٦] . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في العشاء ، حديث (١٧٥/ ٤٦٤) (٢٣٩/٤ - ٢٤٠) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : قصر قراءة الصلاة في السفر ، حديث (١٢٢١) (٨/٢) . كلهم من طريق شعبة .

وأخرجه البخاري (٧٦٩) ، ومسلم (٤٦٤/١٧٧) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : القراءة في صلاة العشاء ، حديث (٨٣٥) (٢٧٣/١) . كلهم من طريق مسعر عن عدي بن ثابت .

وأخرجه الترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة العشاء ، حديث (٣١٠) (١/ ٤١٧) من طريق أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عدى وقال : حسن صحيح .

والروايات مختصرة ومطولة فمن طريق مالك وشعبة وأبي معاوية روى الحديث دون قوله : فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا ، وروى بتمامه من طريق مسعر عن عدي .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذي علىٰ الجودي .

وقال مجاهد : هو تينكم هذا .

﴿ **والزيتون** ﴾ ، قال كعب الأحبار ، وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس .

وقال مجاهد ، وعكرمة : هو هذا[١] الزيتون الذي تعصرون .

﴿ **وطور سنين** ﴾ ، قال كعب الأحبار وغير واحد : هو الجبل الذي كلم الله عليه موسىٰ ﴿ **وهذا البلد الأمين** ﴾ : يعني مكة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وإبراهيم النخعي ، وابن زيد ، وكعب الأحبار . ولا خلاف في ذلك .

وقال بعض الأئمة : هذه محالّ ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محلة التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسىٰ ابن مريم . والثاني : طور سنين ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسىٰ بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا ، وهو الذي أرسل فيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم . قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسىٰ - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسىٰ - واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة الذي[٢] أرسل الله فيها[٣] محمدًا صلى الله عليه وسلم - فذكرهم علىٰ الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ؛ ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما .

وقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ ، هذا هو المقسم عليه ، وهو أنه تعالىٰ خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل ، منتصب القامة ، سِوَيَّ الأعضاء حَسَنَها .

﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ أي : إلىٰ النار . قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم . ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلىٰ النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

وقال بعضهم : ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ ، أي : إلىٰ أرذل العمر . روي هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ، حتىٰ قال عكرمة : من جمع القرآن لم يرد إلىٰ أرذل العمر . واختار ذلك ابن جرير . ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك ؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ما ذكرناه ، كقوله : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ت : التي . [٣] - في ت : منها .

وقوله[١] : ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ أي : غير[٢] مقطوع كما تقدم .

ثم قال : ﴿ فما يكذبك ﴾ ، يعني : يا بن آدم ﴿ بعد[٣] بالدين ﴾ أي : بالجزاء في المعاد وقد علمت البدأة ، وعرفت أن من قدر على البدأة ، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ .

قال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور؛ قال : قلت لمجاهد : ﴿ فما يكذبك بعد بالدين ﴾ ، عنى به النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : معاذ الله ! عنى به الإنسان . وهكذا قال عكرمة وغيره .

وقوله : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ ، أي : أما هو أحكم الحاكمين ، الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه . وقد قدمنا في حديث أبي هريرة(٣) مرفوعًا « فإذا قرأ أحدكم ﴿ والتين والزيتون ﴾ فأتى على آخرها : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ ، فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين »

آخر تفسير سورة « والتين والزيتون » ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/٢٤٩) من طريق سفيان .

(٣) تقدم تخريجه في آخر تفسير سورة القيامة .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - سقط من ز .

[تفسير] سورة « اقرأ »

[وهي أول شيء نزل من القرآن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ؛ قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ؛ ثم حبب إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو : التعبد الليالي ذوات العدد - ويتزود لذلك ثم يرجع إلىٰ خديجة فتزوده لمثلها حتىٰ فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ . فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فغطني الثالثة حتىٰ بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ .

قال : فرجع بها ترجف بوادره حتىٰ دخل علىٰ خديجة ؛ فقال : « زملوني زملوني » . فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع . فقال : يا خديجة ؛ ما لي ؟ فأخبرها الخبر وقال : قد خشيت علي . فقالت له : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين علىٰ نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي - وهو ابن عم خديجة ، أخي أبيها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي - فقالت خديجة : أي ابن عم ؛ اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابن أخي ، ما ترىٰ ؟ فأخبره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما رأى ... فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ ، يا[١] ليتني فيها جذعًا أكون حيًا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أو مخرجي هم ؟ » . فقال ورقة :

(١) المسند (٦/٢٣٢ - ٢٣٣) (٢٦٠٦٨) . والبخاري في كتاب : بدء الوحي ، باب : (٣) ، حديث (٣)=

[١] - سقط من ت .

نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا .

ثم[١] لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة حتىٰ حزن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيما بلغنا - حزنًا غدا منه[٢] مرارًا كي يتردىٰ من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفي بذروة جبل لكي[٣] يلقي نفسه منه ، تبدىٰ له جبريل فقال له[٤] : يا محمد؛ إنك رسول اللَّه حقًّا . فيسكن بذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفىٰ بذروة جبل تبدىٰ له جبريل ، فقال له مثل ذلك .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ، وقد تكلمنا علىٰ هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصىٰ ، فمن[٥] أراده فهو هناك محرر[٦] ، ولله الحمد والمنة .

« فأول شيء نزل[٧] من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات[٨] ، وهن أول رحمة رحم اللَّه بها العباد ، وأول نعمة أنعم اللَّه بها عليهم .» وفيها التنبيه علىٰ ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تعالىٰ أن علم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم علىٰ الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون في اللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ، ذهني ولفظي ورسمي ، والرسمي يستلزمهما من غير عكس ، فلهذا : قال ﴿ **اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . وفي الأثر(٢) : قيدوا العلم بالكتابة وفيه أيضًا(٣): « من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يكن يعلم[٩] » .

= (٢٣/١) . وأطرافه في [٣٣٩٢ ، ٤٩٥٣، ٤٩٥٦ ، ٤٩٥٧ ، ٦٩٨٢] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (١٦٠) (٢٥٩/٢) وما بعدها .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٣٩٥) . وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٢٨/٢) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٧٠/١) (٦٣٧) كلهم من حديث أنس مرفوعًا . وقد روى موقوفًا ومرفوعًا . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس . وقد حسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٢٦) وذكر فيه بحثًا مطولًا فليراجعه من شاء .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٤/١٠ - ١٥) بنحوه . وحكم الألباني بوضعه في الضعيفة (٤٢٢) .

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : كي .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : لمن .
[٦] - في ت : محررًا .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز : المباركة .
[٩] - سقط من ت .

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان ، إذا رأىٰ نفسه قد استغنىٰ وكثر ماله . ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال ، ﴿ إن إلىٰ ربك الرجعىٰ ﴾ ، أي ، إلىٰ اللّٰه المصير والمرجع ، وسيحاسبك علىٰ مالك : من أين جمعته ؟ وفيم صرفته ؟ .

قال ابن أبي حاتم(٤) : حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو عميس ، عن عون ؛ قال : قال عبد اللّٰه : منهومان لا يشبعان ، صاحب العلم وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضىٰ الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيتمادىٰ في الطغيان . قال : ثم قرأ عبد اللّٰه : ﴿ إن الإنسان ليطغىٰ * أن رآه استغنىٰ ﴾ . وقال للآخر[١] : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وقد روي هذا مرفوعًا(٥) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ أرأيت الذي ينهىٰ عبدًا إذا صلىٰ ﴾ : نزلت في أبي جهل لعنه اللّٰه ، توعد النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ الصلاة عند البيت ، فوعظه اللّٰه تعالىٰ بالتي هي أحسن أولًا فقال : ﴿ أرأيت إن كان علىٰ الهدىٰ ﴾ ، أي : فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه علىٰ الطريق المستقيمة في فعله ، ﴿ أو أمر بالتقوىٰ ﴾ بقوله ، وأنت تزجره وتتوعده علىٰ صلاته ، ولهذا قال : ﴿ ألم يعلم بأن اللّٰه يرىٰ ﴾ أي : أما علم هذا الناهي لهذا[٢] المهتدي أن اللّٰه يراه

(٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦٢٥/٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٢٩٨/٦) من حديث أنس في ترجمة محمد بن أحمد بن يزيد وقال عنه : ضعيف حدثنا بأشياء منكرة ويسرق الحديث ولم يكن من أهل الحديث . وأخرجه الحاكم (٩٢/١) وصححه ووافقه الذهبي من طريق آخر عن أنس بنحوه. وأخرجه الطبراني (٢٢٣/١٠) (١٠٣٨٨) . وابن عدي في « الكامل » (١٤٥٧/٤) .

[١] - في ز : الآخر . [٢] - في ز : هذا .

ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء .

ثم قال تعالىٰ متوعدًا ومتهددًا : ﴿ كلا لئن لم ينته ﴾ ، أي : لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ، ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ أي : لنسمنها[١] سوادًا يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ يعني : ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها .

﴿ فليدع ناديه ﴾ ، أي : قومه وعشيرته ، أي[٢] : ليدعهم يستنصر بهم ، ﴿ سندع الزبانية ﴾ ، وهم ملائكة العذاب ، حتىٰ يعلم[٣] من يغلب : أحزبنا أو حزبه .

قال البخاري(٦) : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن علىٰ عنقه . فبلغ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « لئن فعله لأخذته الملائكة » . ثم قال : تابعه[٤] عمرو بن خالد ، عن عبيد الله - يعني ابن عمرو - عن عبد الكريم .

وكذا رواه الترمذي ، والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن زكريا بن عدي ، عن عبيد الله بن عمرو به .

وروىٰ أحمد(٧) ، والترمذي ، [ ][٥] ، وابن جرير - وهذا لفظه - من طريق داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي عند المقام ، فمر به أبو جهل بن هشام ؛ فقال : يا محمد ، ألم أنهك عن[٦] هذا ؟ وتوعده فأغلظ له

= كلاهما من طريق أبي بكر الداهري عن إسماعيل بن أبي خالد عن زيد بن وهب عن عبد الله به . قال الهيثمي في « المجمع » (١٤٠/١) : رواه الطبراني في « الكبير » وفيه أبو بكر الداهري وهو ضعيف . وأخرجه الطبراني (٧٦/١١ - ٧٧) (١١٠٩٥) من حديث عبد الله بن عباس بنحوه . قال الهيثمي (١٤٠/١) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ﴾ حديث (٤٩٥٨) (٧٢٤/٨) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، حديث (٣٣٤٥) (٧٨/٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة العلق ، حديث (١١٦٨٥) (٥١٨/٦) . والطبري (٢٥٦/٣٠ - ٢٥٧) .

(٧) أخرجه أحمد (٣٢٩/١) (٣٠٤٥) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، حديث (٣٣٤٦) (٧٨/٩) . والطبري (٢٥٦/٣٠) . وصححه أحمد شاكر في تعليقات المسند.

---

[١] - في ز : ليسمها .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : نعلم .
[٤] - في خ : حدثنا .
[٥] - في ز ، خ : والنسائي .
[٦] - في ز : من .

رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وانتهره ، فقال : يا محمد ؛ بأي شيء تهددني ؟ أما واللّٰه إني لأكثر هذا الوادي ناديًا ! فأنزل اللّٰه : ﴿ فليدع ناديه * سندع الزبانية ﴾ ، قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٨) : حدثنا إسماعيل بن زيد[١] أبو يزيد ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال أبو جهل : لئن رأيت رسول اللّٰه يصلي[٢] عند الكعبة لآتينه حتىٰ أطأ علىٰ عنقه . قال : فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا[٣] مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا » .

وقال ابن جرير أيضًا(٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، أخبرنا يونس بن أبي[٤] إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس ؛ قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه . فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ، حتىٰ بلغ هذه الآية : ﴿ لنسفعًا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع[٥] ناديه * سندع الزبانية ﴾ . فجاء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فصلىٰ ، فقيل : ما يمنعك ؟ قال : قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : واللّٰه لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه .

وقال ابن جرير(١٠): حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر عن أبيه ، حدثنا نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فقال : واللات والعزىٰ ، لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن علىٰ رقبته ، ولأعفّرن وجهه في التراب ، فأتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يصلي ليطأ علىٰ رقبته ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص علىٰ عقبيه ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقًا[٦] من نار وهولًا وأجنحة . قال : فقال رسول اللّٰه : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا » . قال : وأنزل اللّٰه - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - ﴿ كلا إن الإنسان ليطغىٰ ...﴾ إلىٰ آخر السورة .

وقد رواه أحمد بن حنبل ، ومسلم ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، من حديث معتمر بن

---

(٨) أخرجه أحمد (٢٤٨/١) (٢٢٢٥) . وصححه أحمد شاكر .

(٩) أخرجه الطبري (٢٥٦/٣٠) .

(١٠) أخرجه الطبري (٢٥٦/٣٠) . وأحمد (٨٨١٧) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : قوله : ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ ، حديث (٢٧٩٧/٣٨) (٢٠٣/١٧ - ٢٠٤) . والنسائي =

---

[١] - في ز ، خ : يزيد .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : وأروا .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : سندع . كذا .
[٦] - في ز : حدقًا .

سليمان به .

وقوله : ﴿ كلا لا تطعه ﴾ ، يعني : يا محمد ، [لا تطعه][١] فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها ، وصل حيث شئت ولا تباله ، فإن الله حافظك وناصرك ، وهو يعصمك من الناس ، ﴿ واسجد واقترب ﴾ ، كما ثبت في الصحيح عند مسلم(١١) من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو ابن الحارث ، عن عمارة بن غزية ، عن سُمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » .

وتقدم أيضًا(١٢) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ،و ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .

[آخر تفسير سورة « اقرأ » ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق]

☆ ☆ ☆

= في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : « سورة العلق » ، حديث (١١٦٨٣) (٦/٥١٨) .

(١١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، حديث (٢١٥/٤٨٢) (٤/ ٢٦٦ - ٢٦٧) .

(١٢) تقدم تخريج ذلك في أول سورة الانشقاق .

[١] - سقط من ز ، خ .

[تفسير] سورة « ليلة القدر »

[مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

يخبر الله[١] تعالىٰ أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل: **﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾** وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى: **﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾**.

قال ابن عباس(١) وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالىٰ معظمًا لشأن ليلة القدر، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: **﴿ وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾**.

قال أبو عيسىٰ الترمذي(٢) عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلىٰ الحسن ابن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين - أو: يا مسود وجوه المؤمنين - فقال: لا تؤنبني - رحمك الله - فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أري بني أمية علىٰ منبره، فساءه ذلك، فنزلت: **﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾** يا محمد، يعني نهرًا في الجنة، ونزلت: **﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾**، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يومًا ولا تنقص يومًا.

---

(١) تقدم تخريجه في الإسراء رقم (٣٧٣)

(٢) سنن الترمذي في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ليلة القدر، حديث (٣٣٤٧) (٧٩/٩).

---

[١] - سقط من ز.

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا [من هذا الوجه][١] من حديث القاسم ابن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيىٰ القطان وابن مهدي . قال : وشيخه يوسف بن سعد - ويقال : يوسف بن مازن - رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث ، علىٰ هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

وقد روىٰ هذا الحديث الحاكم في مستدركه(٣) ، من طريق القاسم بن الفضل ، عن يوسف ابن مازن ، به . وقول الترمذي : إن يوسف هذا مجهول - فيه نظر ، فإنه قد روىٰ عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ، ويونس بن عبيد . وقال فيه يحيىٰ بن معين : هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسىٰ بن مازن ، كذا قال ، وهذا يقتضي اضطرابًا في هذا الحديث ، والله أعلم . ثم هذا الحديث علىٰ كل تقدير منكر جدًا ، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة[٢] أبو الحجاج المزي : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل الحداني : إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يومًا[٣] ولا تنقص ، ليس بصحيح ، فإن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك[٤] حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمي ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها[٥] متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز ، وبعض البلاد قريبًا من تسع سنين ، لكن لم تزل يدهم[٦] عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلىٰ أن استلبهم بنو العباس الخلافة [ ][٧] سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر ، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلىٰ هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب ، والله أعلم .

ومما يدل علىٰ ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بني أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإن تفضيل ليلة القدر علىٰ أيامهم لا يدل علىٰ ذم أيامهم ، فإن ليلة القدر شريفة جدًا ، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر ، فكيف تمدح بتفضيلها علىٰ أيام بني أمية

(٣) والحاكم (٣/١٧٠ - ١٧١) . قال الحاكم : هذا إسناد صحيح ، وهذا القائل للحسن بن علي هذا القول هو سفيان بن الليل صاحب أبيه . وتعقبه الذهبي بقوله : وروى عن يوسف نوح بن قيس أيضًا ، وما علمت أن أحدًا تكلم فيه ، والقاسم وثقوه، رواه عنه أبو داود والتبوذكي، وما أدرى آفته من أين.

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : فيما .
[٦] - في ز : مدتهم .
[٧] - في ت : في .

التي هي مذمومة ، بمقتضىٰ هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قال القائل :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ : إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَىٰ مِنَ العَصَا

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ فَضَّلْتَ امْرَأً ذَا بَرَاعَةٍ عَلَىٰ نَاقص ، كَانَ المديحُ مِنَ النَّقْصِ

ثم الذي يفهم من ولاية الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال علىٰ ألف شهر هي دولة بني أمية ، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها ، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله مما يدل علىٰ ضعف هذا الحديث ونكارته ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٤) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا مسلم - يعني ابن خالد - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال : فعجب المسلمون من ذلك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر .

وقال ابن جرير(٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام بن سلم ، عن المثنىٰ بن الصباح ، عن مجاهد قال : كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتىٰ يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتىٰ يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني مسلمة بن عُلَيّ ، عن علي ابن عروة قال : ذكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا أربعة من بني إسرائيل ، عبدوا الله ثمانين عامًا ، لم يعصوه طرفة عين فذكر: أيوب ، وزكريا ، وحزقيل بن العجوز ، ويوشع بن نون . قال : فعجب أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ؛ عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين[١] سنة ، لم يعصوه طرفة عين ، فقد أنزل الله خيرًا من ذلك . فقرأ عليه : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك . قال : فسر بذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والناس معه .

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٣٠٦/٤) كتاب الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، من طريق مسلم بن خالد ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٩/٦) نسبته إلى ابن المنذر . قال البيهقي : وهو مرسل .

(٥) أخرجه الطبري (٢٥١/٣٠ - ٢٦٠) .

[١] - في ز ، خ : ثمانون .

وقال سفيان الثوري : بلغني عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر . قال : عملها ، صيامها وقيامها خير من ألف شهر . رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس في تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعي ، وغير واحد .

وقال عمرو[١] بن قيس الملائي : عمل فيها خير من عمل ألف شهر .

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - ليس[٢] فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير . وهو الصواب لا ما عداه ، وهو كقوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « رباط ليلة في سبيل اللّٰه خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » . رواه أحمد(٦) .

وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة : أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها ، وقيامها » (٧)إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي هريرة ؛ قال : لما حضر رمضان قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض اللّٰه عليكم صيامه[٣] ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » . ورواه النسائي من حديث أيوب به .

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت في الصحيحين(٩) عن أبي هريرة

(٦) المسند (٦٥/١) (٤٧٠) بلفظ : رباط يوم بدل ليلة . وصححه أحمد شاكر .

(٧) المسند (٩/٤ ، ١٠٤) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : في الغسل يوم الجمعة ، حديث (٣٤٥) (٩٥/١) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث (٤٩٦) (٢/ ١٢٨ - ١٢٩) . والنسائي (٩٥/٣ - ٩٦) كتاب الجمعة ، باب : فضل غسل يوم الجمعة . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الغسل يوم الجمعة ، حديث (١٠٨٧) (٣٤٦/١) . وصححه الحاكم (٢٨١/١) ، وابن حبان (٢٧٨١) . كلهم من حديث أوس بن أوس - رضي الله عنه . وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٩٠) . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وغيره .

(٨) المسند (٢٣٠/٢) (٧١٤٨) . والنسائي (١٢٩/٤) كتاب الصيام ، باب : ذكر الاختلاف على معمر فيه .

(٩) صحيح البخاري في كتاب : الصوم ، باب : من صام رمضان إيمانا واحتسابًا ونية ، حديث =

[١] - في ز : عمر .
[٢] - في ت : وليس .
[٣] - في ز : قيامه .

أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقوله : ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** ﴾ ، أي : يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له .

وأما الروح فقيل : المراد به هاهنا جبريل - عليه السلام - فيكون من باب عطف الخاص علىٰ العام . وقيل : هم ضرب من الملائكة . كما تقدم في سورة النبأ . والله أعلم .

وقوله : ﴿ **من كل أمر** ﴾ قال مجاهد : سلام هي من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسىٰ بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **سلام هي** ﴾ ، قال : هي سالمة ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذىٰ .

وقال قتادة وغيره : تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **سلام هي حتىٰ مطلع الفجر** ﴾ ، قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم ، عن أبي إسحاق ، عن الشعبي في قوله تعالىٰ : ﴿ **من كل أمر * سلام هي حتىٰ مطلع الفجر** ﴾ قال : تسلم[١] الملائكة ليلة القدر علىٰ أهل المساجد ، حتىٰ يطلع الفجر .

وروى ابن جرير عن ابن عباس : أنه كان يقرأ : (من كل امرئ سلام هي حتى مطلع الفجر) .

وروىٰ البيهقي في كتابه « فضائل الأوقات » عن علي أثرًا غريبًا في نزول الملائكة ، ومرورهم علىٰ المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار أثرًا غريبًا عجيبًا مطولًا جدًّا ، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهىٰ صحبة جبريل - عليه السلام - إلىٰ الأرض ، ودعائهم[٢] للمؤمنين والمؤمنات .

وقال أبو داود الطيالسي(١٠) : حدثنا عمران - يعني القطان - عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة -

---

= (١٩٠١) (٤/١١٥) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث (٧٦٠/١٧٥) (٦/٦٠) .

(١٠) أخرجه الطيالسي في مسنده ص (٣٣٢) حديث (٢٥٤٥) .

---

[١] - في ز : تسليم . [٢] - في ز ، خ : ودعاؤهم .

أو : تاسعة - وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصىٰ » وقال الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ في قوله : ﴿ **من كل أمر * سلام** ﴾ قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد في قوله : ﴿ **سلام هي** ﴾ ، يعني : هي خير كلها ، ليس فيها شر إلىٰ مطلع الفجر . ويؤيد هذا المعنىٰ ما رواه الإمام أحمد(١١) :

حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ، حدثني بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « ليلة القدر في العشر البواقي ، من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن اللّٰه يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهي ليلة وتر : تسع ، أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة » . وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة[١] ، كأن فيها قمرًا ساطعًا ، ساكنة ساجية ، لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل[٢] لكوكب يرمىٰ به فيها[٣] حتىٰ تصبح . وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان[٤] أن يخرج معها يومئذ » وهذا إسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة .

وقال أبو داود الطيالسي(١٢) : حدثنا زمعة ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال في ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » .

وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد اللّٰه ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها ، وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي[٥] ليلة طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمرًا ، لا يخرج شيطانها حتىٰ يضيء فجرها » .

[فصل]

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة[٦] ، أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ علىٰ قولين :

---

(١١) المسند (٣٢٣/٥) (٢٢٨٧٠) .

(١٢) أخرجه الطيالسي في مسنده ص(٣٤٩) حديث (٢٦٨٠) .

---

[١] - في خ : بالجة .

[٢] - في ز ، خ : يحلي .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : الشيطان .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في خ : السابقة .

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري : حدثنا مالك(١٣) ؛ أنه بلغه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أري أعمار الناس قبله - أو : ما شاء اللّٰه من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ[١] غيرهم في طول العمر فأعطاه اللّٰه ليلة القدر ، خيرًا[٢] من ألف شهر . وقد أسند من وجه آخر . وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العدة » أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء ، فاللّٰه أعلم . وحكىٰ الخطابي عليه الإِجماع والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمتنا .

قال أحمد بن حنبل(١٤) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عكرمة بن عمار : حدثني أبو زميل سماك الحنفي : حدثني مالك بن مرثد بن عبد اللّٰه ، حدثني مرثد[٣] قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول اللّٰه ، أخبرني عن ليلة القدر ، أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال : «بل هي في رمضان » . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هي إلىٰ يوم القيامة ؟ قال ؟ : « بل هي إلىٰ يوم القيامة » . قلت : في أي رمضان هي ؟ قال : « التمسوها في العشر الأول ، والعشر الأواخر » . ثم حدث رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وحدث ، ثم اهتبلت غفلته قلت : في أي العشرين هي ؟ قال : « ابتغوها في العشر الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها » . ثم حدث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت : يا رسول اللّٰه ، أقسمت عليك بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي ؟ فغضب علي غضبًا لم يغضب مثله منذ صحبته ، وقال : « التمسوها في السبع الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها . ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعيد القطان ، به .

ففيه دلالة علىٰ ما ذكرناه ، وفيه أنها تكون باقية إلىٰ يوم القيامة في كل سنة لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية ، علىٰ ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام : « فرفعت ، وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم » ؛ لأن المراد رفع علم وقتها عينًا . وفيه دلالة علىٰ أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة ، من أنها توجد في جميع السنة ، وترتجى في جميع الشهور علىٰ السواء .

---

(١٣) أخرجه مالك في موطئه ، في كتاب : الاعتكاف ، باب : ما جاء في ليلة القدر ، حديث (١٥) (١/ ٢٦٣) بنحو ذلك .

(١٤) المسند (١٧١/٥) (٢١٥٨١) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاعتكاف ، باب : ليلة القدر في رمضان ، حديث (٣٤٢٧) (٢٧٨/٢) .

---

[١] - في ز : يبلغ . [٢] - في ز : خير .

[٣] - في ز ، خ : يزيد .

وقد ترجم أبو داود في سننه (١٥)على هذا فقال : « باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان » : حدثنا حميد بن زنجويه[١] النسائي ، أخبرنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، حدثني موسىٰ بن عقبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد اللّٰه بن عمر قال : سئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وأنا أسمع - عن ليلة القدر ، فقال : هي في كل رمضان .

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال : رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه .

وقد حكي عن أبي حنيفة - رحمه اللّٰه - رواية أنها ترجىٰ في جميع شهر رمضان . وهو وجه حكاه[٢] الغزالي ، واستغربه الرافعي جدًا .

[فصل]

ثم قد قيل : إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان ، يحكىٰ هذا عن أبي رزين . وقيل : إنها تقع ليلة سبع عشرة . وروىٰ فيه أبو داود(١٦) حديثًا مرفوعًا ، عن ابن مسعود ، وروي موقوفًا عليه ، وعلى زيد بن أرقم(١٧) وعثمان بن أبي العاص .

وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي ، ويحكىٰ عن الحسن البصري . ووجهوه بأنها ليلة بدر ، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان ، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر ، وهو اليوم الذي قال اللّٰه تعالىٰ فيه : ﴿ يوم الفرقان ﴾ .

وقيل : ليلة [تسعة عشر][٣] ، يحكى عن عليّ ، وابن مسعود أيضًا رضي الله عنهما .

وقيل : ليلة إحدىٰ وعشرين ، لحديث أبي سعيد الخدري قال : اعتكف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذي تطلب أمامك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : الذي تطلب أمامك ثم قام النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معي فليرجع ، فإني رأيت ليلة القدر ، وإني أنسيتها ، وإنها في العشر الأواخر في وتر ، وإني رأيت كأني

---

(١٥) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : من قال : هي في كل رمضان ، حديث (١٣٨٧) (٢/٥٣ - ٥٤) .

(١٦) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : من روى أنها ليلة سبع عشرة ، حديث (١٣٨٤) (٢/٥٣).

(١٧) أخرجه الطبراني (٥/١٩٨) (٥٠٧٩) أن حوطًا سأل زيد بن أرقم ... فذكر نحو ذلك . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨١) : وحوط ، قال البخاري : حديثه منكر .

---

[١] - في ز ، خ : رعويه .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في خ : تسع عشر ة .

أسجد في طين وماء » . وكان سقف المسجد جريدًا من النخل ، وما نرى[١] في السماء شيئًا ، فجاءت قزعة فمطرنا ، فصلىٰ بنا النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ رأيت أثر الطين والماء علىٰ جبهة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تصديق رؤياه وفي لفظ : « في صبح إحدى وعشرين » أخرجاه في الصحيحين(١٨) . قال الشافعي : وهذا الحديث أصح الروايات .

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ، لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم(١٩) ، وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد ، فالله أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسي(٢٠) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » إسناده رجاله ثقات .

وقال أحمد(٢١) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن الصنابحي ، عن بلال ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » .

ابن لهيعة ضعيف . وقد خالفه ما رواه البخاري(٢٢) عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي عبد الله الصنابحي قال[٢] : أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنها أول السبع من العشر الأواخر . فهذا الموقوف أصح ، والله أعلم . وهكذا روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن وهب : أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم في « سورة البقرة » حديث واثلة بن الأسقع(٢٣) مرفوعًا : « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

---

(١٨) صحيح البخاري في كتاب : الأذان ، باب : السجود على الأنف والسجود على الطين ، حديث (٨١٣) (٢٩٨/٢) واللفظ له . وأطرافه في : [٦٦٩ ، ٨٣٦ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٨ ، ٢٠٢٧ ، ٢٠٣٦، ٢٠٤٠] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (١١٦٧/٢١٥) (٨٧/٨ - ٨٨). كلاهما من طريق أبي مسلمة عن أبي سعيد - رضي الله عنه . والذي في أطراف حديث البخاري وفي مسلم (٢١٣، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ /١١٦٧) دون ذكر اعتكاف النبي ﷺ العشر الأول .

(١٩) صحيح مسلم في الموضع السابق (١١٦٨/٢١٨) (٩١/٨) .

(٢٠) مسند الطيالسي ص (٢٨٨) حديث (٢١٦٧) .

(٢١) المسند (١٢/٦) (٢٣٩٩٧) .

(٢٢) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : (٨٨٥) حديث (٤٤٧٠) (١٥٣/٨) .

(٢٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

---

[١] - في ز : يرى .

[٢] - في ت : قال : قال .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ، لما رواه البخاري(٢٤) ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، في تاسعة تبقىٰ ، في سابعة تبقىٰ ، في خامسة تبقىٰ » فسره كثيرون بليالي الأوتار وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم(٢٥) عن أبي سعيد أنه حمله على ذلك. والله أعلم.

وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين؛ لما رواه مسلم(٢٦) في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين .

قال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا سفيان : سمعت عبدة وعاصمًا[١] ، عن زر : سألت أُبي بن كعب قلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها في شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال : بالعلامة - أو : بالآية - التي أخبرنا بها ، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعني الشمس .

وقد رواه مسلم(٢٨) من طريق سفيان بن عيينة وشعبة، والأوزاعي ، عن عبدة[٢] ، عن زر ، عن أبي ... فذكره ، وفيه فقال : والله الذي لا إله إلا هو ، إنها لفي رمضان - يحلف ما يستثني - ووالله إني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بقيامها ، هي ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس في [صبيحة يومها][٣] بيضاء لا شعاع لها .

وفي الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجادة من مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضًا . وقد حُكي عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من[٤] القرآن ، من قوله : ﴿ هي ﴾ لأنها الكلمة السابعة

(٢٤) صحيح البخاري ، كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ، حديث (٢٠٢١ ، ٢٠٢٢) (٤/٢٦٠) .

(٢٥) صحيح مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر حديث (١١٦٧/٢١٧) (٨/٨٩ - ٩٠) .

(٢٦) صحيح مسلم في الموضع السابق ، حديث (٢٢٠، ٧٦٢/٢٢١) (٨/٩١- ٩٣) .

(٢٧) المسند (٥/١٣٠) (٢١٢٧٣) .

(٢٨) صحيح مسلم ، كتاب : الصيام، باب : فضل ليلة القدر حديث (٢٢٠ ، ٧٦٢/٢٢١) (٨/٩١ ، ٩٣) ، وفي كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث (١٧٩، ٧٦٢/١٨٠) (٦/٦٢- ٦٤) .

[١] - في ز ، خ : وهاشمًا .

[٢] - في ز : عبيدة .

[٣] - في خ : صبيحتها .

[٤] - في ز : في .

والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٩) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على[١] أنها في العشر الأواخر . قال ابن عباس : فقلت لعمر : إني لأعلم - أو : إني لأظن - أي ليلة القدر هي؟ فقال عمر : أي ليلة هي ؟ [فقلت][٢] : سابعة تمضي - أو : سابعة تبقى - من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع[٣] أرضين ، وسبعة[٤] أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمي الجمار سبع ... لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له . وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : ﴿ **فأنبتنا فيها حبًا وعنبًا** ﴾ ... الآية .

وهذا إسنادٌ جيد قوى ونص غريب جدًا ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون في ليلة تسع[٥] وعشرين . قال أحمد بن حنبل(٣٠) :

حدثنا أبو[٦] سعيد مولى [بني هاشم][٧] ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمر بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في رمضان ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، فإنها في وتر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، [أو تسع وعشرين][٨] ، أو في آخر ليلة » .

وقال الإمام أحمد(٣١) : حدثنا سليمان[٩] بن داود - وهو : أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة . أن رسول الله صلى الله عليه

---

(٢٩) معجم الطبراني (١٠/٣٢٢) (١٠٦١٨) .

(٣٠) المسند (٥/٣١٨) (٢٢٨١٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣/١٧٨): رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه كلام وقد وثق .

(٣١) المسند (٢/٥١٩) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في ت : سبعة .

[٤] - في ز : سبع .

[٥] - في خ : سبع .

[٦] - في ز ، خ : ابن .

[٧] - في ز : ابن هشام .

[٨] - سقط من ت .

[٩] - في ز : سعيمان . كذا .

وسلم قال في ليلة القدر : « إنها[١] ليلة سابعة - أو تاسعة - وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصىٰ » .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون في آخر ليلة ، لما تقدم من هذا الحديث آنفًا ، ولما رواه الترمذي(٣٢) والنسائي ، من حديث عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « في تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة » . يعني : التمسوا ليلة القدر وقال الترمذي : حسن صحيح .

وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » .

[فصل]

قال الشافعي في هذه الروايات : صدرت من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جوابًا للسائل إذا قيل له : ألتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة معينة[٢] : لا تنتقل . نقله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال : [ليلة القدر][٣] تنتقل في العشر الأواخر . وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك ، والثوري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور والمزني ، وأبو بكر بن خزيمة ، وغيرهم . وهو محكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه ، وهو الأشبه - واللّٰه أعلم .

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين(٣٣) عن عبد الله بن عمر : أن رجالًا من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أرىٰ رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » وفيهما(٣٤) أيضًا عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن رسول

---

(٣٢) سنن الترمذي في كتاب : الصوم ، باب : ما جاء في ليلة القدر ، حديث (٧٩٤) (١٣٧/٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاعتكاف ، باب : والتماس ليلة القدر لثلاث بقين من الشهر ، حديث (٣٤٠٣) (٢٧٣/٢) .

(٣٣) أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : فضل من تعار من الليل فصلى ، حديث (١١٥٨) (٣/ ٤٠) ، وأطرافه في : [٢٠١٥ ، ٦٩٩١] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (١١٦٥/٢٠٥) (٨٢/٨) .

(٣٤) أخرجه البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر =

---

[١] - في خ : إنها في .

[٢] - في ز ، خ : مقيدة .

[٣] - سقط من ز ، خ .

الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من[١] العشر الأواخر من رمضان » ولفظه للبخاري .

ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخاري(٣٥) في صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحىٰ رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحىٰ فلان وفلان ، فرفعت ، وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة ، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعينها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحىٰ فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع ، وكما جاء في الحديث(٣٦) : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

وقوله : « فرفعت » أي : رفع علم تعينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله جهلة الشيعة ، لأنه قد قال بعد هذا : « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم » ، يعني عدم تعيينها[٢] لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا عينها[٣] فإنها كانت الهمم تتقاصر علىٰ قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر . ولهذا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتىٰ توفاه الله عز وجل . ثم اعتكف أزواجه من بعده . أخرجاه من حديث عائشة(٣٧) .

= حديث (٢٠١٧) (٢٥٩/٤) . وطرفاه في [٢٠١٩ ، ٢٠٢٠] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (١١٦٩/٢١٩) (٩١/٨) .

(٣٥) أخرج البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : رفع معرفة ليلة القدر لتلاحى الناس ، حديث (٢٠٢٣) (٢٦٧/٤) .

(٣٦) أخرجه أحمد (٢٧٧/٥) (٢٢٤٨٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرقائق كما في تحفة الأشراف (١٣٣/٢) (٢٠٩٣) . وابن ماجة في المقدمة ، باب : في القدر ، حديث (٩٠) (٣٥/١) . قال البوصيري في الزوائد (٦١/١) : سألت شيخنا أبا الفضل العراقي عن هذا الحديث ، فقال : هذا حديث حسن . اهـ .

(٣٧) أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأواخر ، حديث (٢٠٢٦) =

---

[١] - في ز : في .

[٢] - في ت : تعينها .

[٣] - في ت : تعينها .

ولهما عن ابن عمر(٣٨) : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان وقالت عائشة : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . أخرجاه(٣٩) .

ولمسلم(٤٠) عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره .

وهذا معنىٰ قولها : « وشد المئزر » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد(٤١) :

حدثنا سريج ، حدثنا أبو معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره ، واعتزل نساءه .

انفرد به أحمد وقد حكي عن مالك رحمه اللّٰه أن جميع ليالي العشر في[١] تطلب ليلة القدر علىٰ السواء ، لا يترجح منها ليلة علىٰ أخرىٰ ، رأيته في شرح الرافعي رحمه اللّٰه .

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات ، وفي شهر رمضان أكثر ، وفي العشر الأخير منه[٢] ، ثم في أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللّٰهم ؛ إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » ، لما رواه الإمام أحمد(٤٢) :

حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا الجريري - وهو : سعيد بن إياس - عن عبد اللّٰه بن بريدة : أن عائشة قالت : يا رسول اللّٰه ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : « قولي : اللّٰهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » وقد رواه الترمذي(٤٣) ، والنسائي ، وابن ماجة ، من

= (٢٧١/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، حديث (٣ - ٥/ ١١٧٢) (٩٧/٨ - ٩٨) .

(٣٨) أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأواخر ، والاعتكاف في المساجد كلها ، حديث (٢٠٢٥) (٢٧١/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، حديث (١١٧١/١) (٩٦/٨) .

(٣٩) أخرجه البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : العمل في العشر الأواخر من رمضان ، حديث (٢٠٢٤) (٢٦٩/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان ، حديث (١١٧٤/٧) (١٠٠/٨) .

(٤٠) أخرجه مسلم في الموضع السابق ، حديث (١١٧٥/٨) (١٠١/٨) .

(٤١) أخرجه أحمد (٦٦/٦) (٢٤٤٨٨) .

(٤٢) أخرجه أحمد (١٨٢/٦) (٢٥٦٠٢) .

(٤٣) والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : أي الدعاء أفضل ، حديث (٢٥٠٨) (١٧٧/٩) . والنسائي =

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

طريق كهمس ابن الحسن عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة[١] ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولي : اللّهم ، إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » .

وهذا لفظ الترمذي ثم قال: هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم في مستدركه(٤٤) ، وقال : « هذا صحيح علىٰ شرط الشيخين . ورواه النسائي أيضًا من طريق سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت[٢] : يا رسول الله ؛ أرأيت إن وافقت ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولي اللّهم ، إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » .

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب ، يتعلق بليلة القدر ، رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا موسىٰ بن سعيد - يعني الراسبي - عن هلال [ ][٣] أبي جبلة عن أبي عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب ؛ أنه قال: إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة[٤] ، مما يلي الجنة ، فهي علىٰ حد هواء الدنيا وهواء الآخرة ، علوها[٥] في الجنة ، وعروقها وأغصانها من[٦] تحت الكرسي ، فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله - عز وجل - يعبدون الله - عز وجل - علىٰ أغصانها في كل موضع شعرة[٧] منها ملك . ومقام جبريل - عليه السلام - في وسطها ، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهىٰ ، وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين ، فينزلون[٨] علىٰ جبريل في ليلة القدر ، حين تغرب الشمس ، فلا تبقىٰ بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم ، يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخبث ، أو بيت فيه سكران ، أو بيت فيه مسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس معلق ، أو

= في الكبرى في كتاب : النعوت ، باب : العفو : حديث (٧٧١٢) (٤٠٧/٤) ، وفي عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٨، ١٠٧٠٩) . وابن ماجة في كتاب : الدعاء ، باب : الدعاء بالعفو والعافية ، حديث (٣٨٥٠) (١٢٦٥/٢) .

(٤٤) المستدرك (٥٣٠/١) . ورواه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا وافق ليلة القدر ، حديث (١٠٧١٣) (٢١٩/٦) .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : قلت .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - في ز : الرابعة .
[٥] - بياض في ز ، خ .
[٦] - في ز : في .
[٧] - في ز : سفرة .
[٨] - في ز ، خ : فيقولون .

مبولة ، أو مكان فيه كساحة البيت . فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحدًا من المؤمنين[١] إلا صافحه ، علامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر : « لا إله إلا اللّٰه » ، ثلاث مرات ، غفر اللّٰه له بواحدة ، ونجاه من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . فقلنا لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق ، صادقًا ؟ فقال كعب : وهل يقول « لا إله إلا اللّٰه » في ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والذي نفسي بيده ، إن ليلة القدر لتثقل علىٰ الكافر والمنافق ، حتىٰ كأنها علىٰ ظهره جبل ، فلا تزال الملائكة هكذا حتىٰ يطلع الفجر . فأول من يصعد جبريل حتىٰ يكون في وجه الأفق الأعلىٰ من الشمس ، فيبسط جناحيه - وله جناحان أخضران ، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة - فتصير الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو ملكًا ملكًا[٢] فيصعد ، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل ، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة ، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ولمن صام رمضان احتسابًا ، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلىٰ قابل صام رمضان للّٰه . فإذا أمسوا دخلوا إلى[٣] السماء الدنيا ، فيجلسون حلقًا حلقًا[٤] ، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا ، فيسألونهم عن رجل رجل ، وعن امرأة امرأة ، فيحدثونهم حتىٰ يقولوا : ما فعل فلان ؟ وكيف وجدتموه العام[٥] ؟ فيقولون : وجدنا فلانًا عام أول في هذه الليلة متعبدًا ووجدناه العام مبتدعًا[٦] ، ووجدنا فلانًا مبتدعًا ووجدناه العام عابدًا قال : فيكفون عن الاستغفار لذلك ، ويقبلون علىٰ الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلانًا وفلانًا يذكران اللّٰه ، ووجدنا فلانًا راكعًا ، وفلانًا ساجدًا ، ووجدناه تاليًا لكتاب اللّٰه . قال : فهم كذلك يومهم وليلتهم ، حتىٰ يصعدون[٧] إلىٰ السماء الثانية ، ففي كل سماء يوم وليلة ، حتىٰ ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهىٰ ، فتقول لهم سدرة[٨] المنتهىٰ : يا سكاني ، حدثوني عن الناس وسموهم لي . فإن لي عليكم حقًّا ، وإني أحب من أحب اللّٰه . فذكر كعب أنهم يعدون لها ، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة علىٰ السدرة فتقول : أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة . فتخبرها ، قال : فتقول الجنة : رحمة اللّٰه علىٰ فلان ، ورحمة اللّٰه على فلانة ، اللّٰهم عجّلهم إليّ ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، فيلهمه[٩] اللّٰه فيقول : وجدت فلانًا ساجدًا فاغفر له . فيغفر له ، فيُسمعُ جبريلُ جميعَ[١٠] حملة العرش فيقولون : رحمة اللّٰه على فلان ورحمة اللّٰه على فلانة ، ومغفرته

---

[١] - في ز : الناس .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ت : متعبدًا .
[٧] - كذا في ز ، خ ، ت . ولعل الصواب : يصعدوا .
[٨] - في ز ، خ : السدرة .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - سقط من خ .

لفلان ، ويقول : يا رب ، وجدت عبدك فلانًا الذي وجدته عام أول على السنة والعبادة ، ووجدته العام قد أحدث حدثًا [وتولى عما أمر به][١] . فيقول اللّه : يا جبريل ، إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له . فيقول جبريل : لك الحمد إلهي ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم . قال : فيرتج العرش وما حوله ، والحجب والسماوات ومن فيهن ، تقول : الحمد للّه الرحيم ، الحمد للّه الرحيم .

قال : وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي اللّه ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة[٢] «ليلة القدر» . [ولله الحمد والمنة]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز ، خ : « ونقل عما أمرته » .

[٢] - سقط من ز .

[تفسير] سورة « لم يكن »

[وهي مدنية]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - هو[١] ابن سلمة - أخبرنا علي - هو ابن زيد - عن عمار بن أبي عمار قال : سمعت أبا حية البدري - وهو : مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري - قال : لما نزلت : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ إلى آخرها ، قال جبريل : يا رسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيًّا . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لأبي : « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة » . قال أبي : وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، قال فبكىٰ أبي .

(حديث آخر) ، وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ قال : وسماني لك ؟ قال : « نعم » فبكى .

ورواه البخاري ومسلم ، والترمذي ، والنسائي من حديث شعبة به .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، حدثنا أسلم المنقري[٢] ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا » . قلت : يا رسول الله ، وقد ذُكرت هناك ؟ قال : « نعم » فقلت له : يا أبا المنذر ، ففرحت بذلك . قال : وما يمنعني والله يقول : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ قال مؤمل : قلت لسفيان : القراءة في الحديث ؟ قال : نعم . تفرد به من هذا الوجه .

---

(١) المسند (٣/٤٨٩) (١٦٠٤٨) .

(٢) المسند (٣/١٣٠) (١٢٣٤١) . والبخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : مناقب أبي بن كعب - رضي الله عنه - حديث (٣٨٠٩) (٧/١٢٧) وأطرافه في : [٤٩٥٩ ، ٤٩٦٠ ، ٤٩٦١] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل . حديث (٢٤٦/٧٩٩) (٦/١٢٣) . والترمذي في كتاب : المناقب ، باب : مناقب معاذ وزيد وأبي بن كعب وأبي عبيدة ، حديث (٣٧٩٥) (٩/٣٤٥) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة البينة ، حديث (١١٦٩١) (٦/٥٢٠) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٢٣) (٢١٢١٧) .

---

[١] - في ت : وهو . [٢] - في ز : المقري .

(طريق أخرىٰ) ، قال أحمد(٤) : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب قال : إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لي : « إن اللّٰه أمرني أن أقرأ عليك القرآن - قال : فقرأ : - ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب** ﴾ - قال : فقرأ فيها : - ولو أن ابن آدم سأل واديًا من مال ، فأعطيه ، لسأل ثانيًا ، ولو سأل ثانيًا فأعطيه لسأل ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب اللّٰه علىٰ من تاب . وإن ذلك[١] الدين عند اللّٰه الحنيفية ، غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيرًا فلن يكفره » .

ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال : حسن صحيح .

طريق أخرى قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥) : حدثنا أحمد بن خليد الحلبي ، حدثنا محمد ابن عيسىٰ الطباع ، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « يا أبا المنذر : إني أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال : آمنت باللّٰه ، وعلىٰ يدك أسلمت ، ومنك تعلمت . قال : فرد النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم القول ، فقال : يا رسول اللّٰه ، أذكرت هناك ؟ قال : « نعم ، باسمك ونسبك في الملأ الأعلىٰ » . قال : فاقرأ إذًا يا رسول اللّٰه .

هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم . وإنما قرأ عليه النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه السورة تثبيتًا له ، وزيادة لإيمانه ، فإنه - كما رواه أحمد(٦) والنسائي ، من طريق أنس ، عنه .

ورواه أحمد(٧) وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد(٨) عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن أنس ، عن عبادة بن الصامت ، عنه .

ورواه أحمد(٩) ومسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن

---

(٤) المسند (١٣١/٥) (٢١٢٨٢) . والترمذي في كتاب : المناقب ، باب : مناقب معاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم - ، حديث (٣٧٩٣) (٦٢٤/٥- شاكر) .

(٥) معجم الطبراني (٢٠٠/١) (٥٣٩) .

(٦) المسند (١١٤/٥ ، ١٢٢) (٢١١٧٠ ، ٢١٢١٢) . والنسائي (١٥٤/٢) كتاب : الافتتاح ، باب : جامع ما جاء في القرآن .

(٧) المسند (١٢٤/٥) (٢١٢٢٩ - ٢١٢٣٢) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث (١٤٧٧) (٧٦/٢) .

(٨) المسند (١١٤/٥) (٢١١٦٩) .

(٩) المسند (١٢٧/٥) (٢١٢٥١) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : بيان أن القرآن على =

---

[١] - في ز ، خ : دار .

عبد[١] الله بن عيسىٰ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عنه - كان قد أنكر علىٰ إنسان ، وهو : عبد الله بن مسعود ، قراءة شيء من القرآن علىٰ خلاف ما أقرأه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فرفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فاستقرأهما ، وقال لكل منهما : « أصبت » . قال أبيّ : فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية . فضرب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في صدره ، قال أبي[٢] : ففضت عرقًا ، وكأنما أنظر إلىٰ الله فرقًا . وأخبره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علىٰ حرف . فقلت : « أسأل الله معافاته ومغفرته » . فقال : علىٰ حرفين . فلم يزل حتىٰ قال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علىٰ سبعة أحرف . كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه في أول التفسير . فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها : ﴿ **رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة** ﴾ ، قرأها عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار ، لا قراءة تعلم واستذكار ، والله أعلم .

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية عن تلك الأسئلة ، وكان فيما قال : أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ [قال : « بلىٰ ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا » . قال : لا ، قال : « فإنك آتيه ومطوف به »][٣] . فلما رجعوا من الحديبية ، وأنزل الله علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم « سورة الفتح » ، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه ، وفيها قوله[٤] : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين** ...﴾ الآية ، كما تقدم(١٠) .

وروىٰ الحافظ أبو نعيم في كتابه « أسماء الصحابة » ، من طريق محمد بن إسماعيل الجعفري المدني : حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم ، عن ابن شهاب ، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني [حدثني][٥] فضيل : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « إن الله ليسمع قراءة ﴿ **لم يكن الذين كفروا** ﴾ ، فيقول : أبشر عبدي ، فوعزتي لأمكنن[٦] لك في الجنة حتىٰ ترضىٰ » .

= سبعة أحرف ، وبيان معناه ، حديث (٨٢٠/٢٧٣) (١٤٦/٨ - ١٤٩) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث (١٤٧٨) (٧٦/٢) . والنسائي في كتاب : الافتتاح ، باب : جامع ما جاء في القرآن ، (١٥٢/٢ - ١٥٣) . كلاهما من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(١٠) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفتح ، آية (٢٧) .

---

[١] - في ز ، خ : عبيد .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : « أحد بني » .
[٦] - في ت : لأمكننه .

حديث غريب جدًا وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الأثير(١١) من طريق الزهري عن إسماعيل بن أبي حكيم عن [نظير][١] المزني - أو : المدني - عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله ليسمع قراءة ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ فيقول**[٢] : **أبشر عبدي ، فوعزتي لا أنساك علىٰ حال من أحوال الدنيا والآخرة ، ولأمكنن لك في الجنة حتىٰ ترضىٰ** » .

[قوله تعالى][٣] :

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

أما أهل الكتاب فهم : اليهود والنصارى ، والمشركون : عبده الأوثان والنيران من العرب ومن العجم .

وقال مجاهد : لم يكونوا ﴿ **منفكين** ﴾ يعني : منتهين حتىٰ يتبين لهم الحق ، وكذا قال قتادة .

﴿ **حتىٰ تأتيهم البينة** ﴾ ، أي : هذا القرآن ؛ ولهذا قال تعالىٰ ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتىٰ تأتيهم البينة** ﴾ . ثم فسر البينة بقوله : ﴿ **رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة** ﴾ ، يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ، وما يتلوه من القرآن العظيم ، الذي هو مكتتب في الملإ الأعلىٰ ، في صحف مطهرة ، كقوله : ﴿ **في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة** ﴾ .

(١١) « أسد الغابة » لابن الأثير (٣٢٥/٥) .

[١] - في ز ، خ : « مطر » .
[٢] - في ت : ويقول .
[٣] - سقط من ت .

وقوله : ﴿ **فيها كتب قيمة** ﴾ قال ابن جرير : إن[١] في الصحف المطهرة كتب من [ ][٢] الله قيمة ، عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ ؛ لأنها من عند الله - عز وجل - .

قال قتادة : ﴿ **رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة** ﴾ ، يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثني عليه بأحسن الثناء . وقال ابن زيد : ﴿**فيها كتب قيمة**﴾ مستقيمة معتدلة .

وقوله : ﴿ **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا ، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم ، واختلفوا اختلافًا كثيرًا ، كما جاء في[٣] الحديث المروي من طرق(١٢) : « إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي » .

وقوله : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٤] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿**حنفاء**﴾ أي : متحنفين عن الشرك إلى التوحيد . كقوله : ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ . وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الأنعام ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

﴿ **ويقيموا الصلاة** ﴾ ، وهي أشرف عبادات البدن ، ﴿ **ويؤتوا الزكاة** ﴾ ، وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج . ﴿ **وذلك دين القيمة** ﴾ ، أي : الملة القائمة العادلة ، أو : الأمة المستقيمة المعتدلة .

وقد استدل كثير من الأئمة ، كالزهري والشافعي ، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان ، ولهذا قال : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ

(١٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس ، آية : (٩٣) برقم (٩٧) .

[١] - في ت : أي .
[٢] - في ز ، خ : كتب .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : يوحى .

﴿ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن مآل الفجار ، من كفرة أهل الكتاب ، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة ؛ أنهم يوم القيامة ﴿ **في نار جهنم خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين ، لا يحولون عنها ولا يزولون . ﴿ **أولئك هم شر البرية** ﴾ ، أي : شر الخليقة التي برأها الله وذرأها .

ثم أخبر تعالىٰ عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية .

وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء ، علىٰ تفضيل المؤمنين من البرية علىٰ الملائكة ، لقوله : ﴿ **أولئك هم خير البرية** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **جزاؤهم عند ربهم** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿ **جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدًا** ﴾ ، أي : بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ .

﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ ، ومقام رضاه عنهم أعلىٰ مما أوتوه من النعيم المقيم ، ﴿ **ورضوا عنه** ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم .

وقوله : ﴿ **ذلك لمن خشي ربه** ﴾ ، أي : هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه ، وعبده كأنه يراه ، وعلم أنه[١] إن لم يره فإنه يراه .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا أبو معشر[٢] ، عن أبي وهب - مولىٰ أبي هريرة - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » . قالوا : بلىٰ ، يا رسول الله . قال : « رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما كانت هيعة ، استوىٰ عليه[٣] . ألا أخبركم بخير البرية ؟ » . قالوا : بلىٰ ، يا رسول الله . قال : « رجل في ثلة من غنمه ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة . ألا أخبركم بشر البرية ؟ » . قالوا : بلىٰ . قال : « الذي يسأل بالله ، ولا يعطي به »

آخر تفسير سورة « لم يكن » [ولله الحمد والمنة]

---

(١٣) المسند (٣٩٦/٢) (٩١٣١) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» (٢٨٢/٥) : رواه أحمد ، وأبو معشر - نجيح - : ضعيف ، وأبو معشر - كذا قال والصواب أبو وهب كما في المسند طبعة أحمد شاكر وصوبه وقال : وهو الذي في المخطوطة - مولى أبي هريرة لم أعرفه .اهـ .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : معن .
[٣] - في ت : عليها .

[تفسير] سورة إذا زلزلت

[وهي مكية]

قال الإمام[١] أحمد(١) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : أتىٰ رجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : أقرئني يا رسول اللَّه . قال له : « اقرأ ثلاثًا من [ذات الر][٢] » . فقال[٣] له الرجل : كبر سني واستد قلبي ، وغلظ لساني . قال : « فاقرأ من ذات حم » . فقال مثل مقالته الأولىٰ ، فقال : « اقرأ ثلاثًا من المسبحات » . فقال مثل مقالته ، فقال الرجل : ولكن أقرئني يا رسول اللَّه سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ . حتىٰ إذا فرغ منها قال الرجل : والذي بعثك بالحق [نبيًا][٤] لا أزيد عليها أبدًا ، ثم أدبر الرجل فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! ثم قال : علي به » . فجاءه فقال له : أمرت بيوم الأضحىٰ جعله اللَّه عيدًا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أنثىٰ[٥] فأضحي بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند اللَّه عز وجل » .

وأخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي عبد الرحمن المقرئي[٦] به .

وقال الترمذي(٢) : حدثنا محمد بن موسى الحرشي[٧] البصري، حدثنا الحسن بن سَلْم[٨] بن صالح العجلي ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « من قرأ ﴿ إذا زلزلت ﴾ عدلت له بنصف القرآن » ... ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث [الحسن بن سَلْم][٩] .

(١) المسند (٢/١٦٩) (٦٥٧٥) . وأبو داود في كتاب : الصلاة، باب : تحزيب القرآن ، حديث (١٣٩٩) (٢/٥٧). والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الفضل في قراءة ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ ، حديث (١٠٥٥٣) (٦/١٨٠) .

(٢) سنن الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في ﴿إذا زلزلت ﴾ ، حديث (٢٨٩٥) (٨/ ١٠٤) . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ : الحسن بن سلم .اهـ .

[١] - في خ قبل هذا : « قال الترمذي : حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري ، حدثنا الحسن بن مسلم العجلي ، حدثنا ثابت » وانظر تعليق المحقق ط الشعب .

[٢] - في ز : ذوات الراء .

[٣] - في ز : قال .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : ابني .

[٦] - في ز ،خ : المقرئ .

[٧] - في ز ، خ : الجويني .

[٨] - في ز ، خ : مسلم .

[٩] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « الحسن بن مسلم » .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسىٰ الحرشي[١] عن الحسن بن سَلْم[٢] ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ﴿ **قل هو اللّٰه أحدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ تعدل ربع القرآن » . هذا لفظه .

وقال الترمذي أيضًا(٣) : حدثنا علي بن حجر ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا يمان بن المغيرة العنزي ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ تعدل نصف القرآن . و ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، ، و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ تعدل ربع القرآن » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة .

وقال أيضًا(٤) حدثنا عقبة[٣] بن مكرم العمي البصري ، حدثني ابن أبي فديك ، أخبرني سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان ؟ » . قال : لا واللّٰه يا رسول اللّٰه ، ولا عندي ما أتزوج ؟ ! قال : « أليس معك ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ ؟ » قال : بلىٰ . قال : « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إذا جاء نصر اللّٰه والفتح** ﴾؟ » . قال : بلىٰ . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **قل : يا أيها الكافرون** ﴾ ؟» . قال : بلىٰ . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إذا زلزلت الأرض** ﴾ ؟» . قال : بلىٰ ، قال : « ربع القرآن . تزوج ، تزوج[٤] » . ثم قال : هذا حديث حسن . تفرد بهن ثلاثتهن الترمذي ، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب .

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

قال ابن عباس : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ ، أي : تحركت من أسفلها .

---

(٣) سنن الترمذي في الموضع السابق ، حديث (٢٨٩٦) (٨/١٠٥) .

(٤) سنن الترمذي في الموضع السابق (٢٨٩٧) .

---

[١] - في ز ، خ : الجويني .

[٢] - في ز ، خ : مسلم .

[٣] - في ز ، خ : عبد اللّٰه .

[٤] - سقط من ز ، خ .

﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ ، يعني : ألقت ما فيها من الموتىٰ . قاله غير واحد من السلف . وهذه كقوله تعالىٰ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ...﴾ ، وكقوله : ﴿وإذا الأرض مدّت ، وألقت ما فيها وتخلت﴾ . وقال مسلم(٥) في صحيحه : حدثنا واصل ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « تلق[١] الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت . ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي . ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا » .

وقوله : ﴿ وقال الإنسان ما لها ﴾ أي : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر علىٰ ظهرها ، أي : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر اللّٰه ما قد أعده[٢] لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه ، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين ، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا للّٰه الواحد القهار .

وقوله : ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها﴾ أي : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

قال الإمام أحمد(٦) : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك - وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي ، واللفظ له : حدثنا سويد بن نصر ، أخبرنا عبد اللّٰه هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب ، عن يحيىٰ بن أبي سليمان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ ، قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « فإن أخبارها أن تشهد علىٰ كل عبد وأمة بما عمل علىٰ ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، [يوم كذا وكذا][٣] . فهذه أخبارها » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفي معجم الطبراني(٧) من حديث ابن لهيعة : حدثني الحارث بن يزيد - سمع ربيعة

---

(٥) صحيح مسلم في كتاب : الزكاة ، باب : الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ، حديث (٦٢/ ١٠١٣) (٧/١٣٦) .

(٦) المسند (٢/٣٧٤) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ ، حديث (٣٣٥٠) (٩/٨٠ - ٨١) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : « سورة الزلزلة » ، حديث (١١٦٩٣) (٦/٥٢٠) .

(٧) معجم الطبراني في « الكبير » (٥/٦٥) (٤٥٩٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (١/٢٤٦) : وفيه =

---

[١] - في ت : تقيء . [٢] - في ت : أعد .

[٣] - في ز : قال . وسقط من خ .

الجرشي - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًا ، إلا وهي مخبرة » .

وقوله ﴿ بأن ربك أوحىٰ لها ﴾ ، قال البخاري : أوحىٰ لها وأوحىٰ إليها ، ووحىٰ لها ووحىٰ إليها : واحد وكذا قال ابن عباس : ﴿أوحىٰ لها﴾ أي: أوحىٰ إليها. والظاهر أن هذا مضمن أذن لها .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها﴾ قال : قال لها ربها : قولي فقالت .

وقال مجاهد : ﴿ أوحىٰ لها ﴾ أي : أمرها . وقال القرظي : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ ، أي : يرجعون عن موقف الحساب ، ﴿ أشتاتًا ﴾ ، أي : أنواعًا وأصنافًا ، ما بين شقي وسعيد ، مأمور به إلىٰ الجنة ، ومأمور به إلىٰ النار .

قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السدي : ﴿أشتاتًا﴾ : فرقًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ ، أي : ليعملوا ويجاوزوا بما عملوه في الدنيا ، من خير وشر ؛ ولهذا قال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴾ .

قال البخاري(٨) : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثني مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « الخيل لثلاثة ، لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلىٰ رجل وزر ؛ فأما الذي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة ، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفًا أو شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له . ولو أنها مرت بنهر [فشربت][١] منه ولم يرد أن يسقىٰ به كان ذلك حسنات له ، وهي لذلك الرجل أجر ؛ ورجل ربطها تغنيًا وتعففًا ، ولم ينسَ حق الله في رقابها ، ولا ظهورها ، فهي له ستر . ورجل ربطها فخرًا ورياء[٢] ونواء ، فهي علىٰ ذلك وزر » .

= ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٨) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ ، حديث (٤٩٦٢) (٧٢٦/٨) .

---

[١] - في ز ، خ : قريب . [٢] - في ت : رئاء .

فسئل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم عن الحمر ، فقال : « ما أنزل اللّه فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ **فمن[١] يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ » .

ورواه مسلم(٩) من حديث زيد بن أسلم به .

وقال الإمام أحمد(١٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - أنه أتىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فقرأ عليه : ﴿ **فمن[٢] يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ ، قال : حسبي ! لا أبالي أن لا أسمع غيرها .

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن [يونس بن محمد][٣] المؤدب، عن أبيه عن جرير بن حازم، عن الحسن البصري؛ قال: حدثنا صعصعة عم الفرزدق ... فذكره .

وفي صحيح البخاري(١١) ، عن عدي مرفوعًا : « اتقوا[٤] النار ولو بشق تمرة ، ولو [بكلمة طيبة][٥] » .

وفي الصحيح(١٢) : لا تحقرن من المعروف شيئًا[٦] ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، ولو أن تلقىٰ أخاك ووجهك إليه منبسط » .

---

(٩) صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة ، حديث (٩٨٧/٢٤) (٨٩/٧ - ٩٣) .

(١٠) أخرجه أحمد (٥٩/٥) (٢٠٦٥٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الزلزلة ، حديث (١١٦٩٤) (٥٢٠/٦ - ٥٢١) .

(١١) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٦٥٤٠) (٤٠٠/١١).

(١٢) أخرجه أحمد (٦٣/٥) (٢٠٦٩٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الزينة ، باب : الاختلاف على أبي إسحاق فيه ، حديث (٩٦٩٩) (٤٨٧/٥) .

كلاهما من حديث جابر بن سليم بهذا اللفظ في حديث طويل ، والحديث عند أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم بنحو ذلك ، ولم أجده في أحد الصحيحين بهذه السياقة والذي في صحيح مسلم من حديث أبي ذر مرفوعًا : « لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » ؛ أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، حديث (٢٦٢٦/١٤٤) (٢٧١/١٦) .

---

[١] - في ز : من .
[٢] - في ز : من .
[٣] - في ز ، خ : محمد بن يونس .
[٤] - في خ : فاتقوا .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز ، ح .

وفي الصحيح أيضًا(١٣): «يا نساء المؤمنات؛ لا تحقرن جارة لجارتها[١] ولو فرسن شاة». يعني: ظلفها[٢]. وفي الحديث الآخر(١٤): «ردوا[٣] السائل ولو بظلفٍ محرق».

وقال الإمام أحمد(١٥): حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا كثير بن زيد، عن المطلب[٤] بن عبد الله، عن عائشة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان». تفرد به أحمد.

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة.

وقال أحمد(١٦): حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل، أن عائشة أخبرته، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يا عائشة؛ إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبًا».

ورواه النسائي وابن ماجة من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به.

وقال ابن جرير(١٧): حدثني أبو الخطاب الحساني[٥]، حدثنا الهيثم بن الربيع، حدثنا

---

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة، حديث (٢٥٦٦) (٥/١٩٧). وطرفه في [٦٠١٧]. ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بالقليل، حديث (٩٠/١٠٣٠) (٧/١٦٨). كلاهما من حديث أبي هريرة.

(١٤) أخرجه أحمد (٦/٤٣٥) (٢٧٥٥٧) واللفظ له. والنسائي (٥/٨١) كتاب الزكاة، باب: رد السائل، وفي الكبرى (٢٣٤٦) (٢/٤٢). كلاهما من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد الأنصاري عن جدته به.

وأخرجه أبو داود في كتاب: الزكاة، باب: حق السائل، حديث (١٦٦٧) (٢/١٢٦). والترمذي في كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في حق السائل، حديث (٦٦٥) (٣/٢٦ - ٢٧). من طريق المقبري عن ابن بجيد بنحوه. قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٤٠٥).

(١٥) أخرجه أحمد (٦/٧٩) (٢٤٦١٢).

(١٦) أخرجه أحمد (٦/١٥١) (٢٥٢٨٦). أخرجه النسائي في كتاب: الرقائق كما في تحفة الأشراف (١٢/ ٢٥٠) (١٧٤٢٥). وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: ذكر الذنوب، حديث (٤٢٤٣) (٢/ ١٤١٧). وصححه الألباني في الصحيحة (٥١٣).

(١٧) تفسير الطبري (٣٠/٢٦٨).

---

[١] - في خ: جارتها.
[٢] - في ت: خلفها.
[٣] - في ت: رد.
[٤] - في ز، خ: عبد المطلب.
[٥] - في ز: الحياني. وفي خ: الخبابي.

سماك بن عطية ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس؛ قال : كان أبو بكر يأكل مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فنزلت هذه الآية : ﴿ فمن[١] **يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول اللَّه ؛ إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ؛ ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر اللَّه لك مثاقيل ذر[٢] الخير حتىٰ توفاه[٣] يوم القيامة » .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن [أبيه عن][٤] أبي الخطاب به . ثم قال ابن جرير(١٨) :

حدثنا ابن بشار[٥] ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب؛ قال : في كتاب أبي قلابة ، عن أبي إدريس ، أن أبا بكر كان يأكل مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم... فذكره. ورواه أيضًا عن يعقوب ، عن ابن عُلية ، عن أيوب ؛ عن أبي[٦] قلابة : أن أبا بكر ... وذكره .

(طريق أخرىٰ) ، قال ابن جرير(١٩) : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يحيي بن عبد اللَّه عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ؛ أنه قال : لما نزلت : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ ، وأبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه قاعد ، فبكىٰ حين أنزلت ، فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكيني هذه السورة . فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر اللَّه لكم ، لخلق اللَّه أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم » .

(حديث آخر) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمٰن [بن محمد][٧] بن المغيرة - المعروف بعلان[٨] المصري - قالا : حدثنا عمرو بن خالد الحراني ، حدثنا ابن لهيعة ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : لما أنزلت[٩] : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ قلت : يا رسول اللَّه ؛ إني لراء[١٠] عملي ؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم » . قلت : الصغار الصغار ؟ قال : « نعم » . قلت : وا ثكل أمي! قال : « أبشر يا أبا[١١] سعيد ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلىٰ سبعمائة ضعف -

(١٨) تفسير الطبري (٢٦٨/٣٠) وليس فيه ذكر عبد الوهاب .
(١٩) أخرجه الطبري (٢٧٠/٣٠) .

[١] - في ز : من .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : توفا . كذا .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : يسار .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : علات .
[٩] - في ت : نزلت .
[١٠] - في ز ، خ : لمرائي .
[١١] - سقط من ت .

ويضاعف اللّه لمن يشاء ، والسيئة بمثلها أو يغفر اللّه ، ولن ينجو أحد منكم بعمله » . قلت : ولا أنت يا رسول اللّه ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه منه برحمة » . قال أبو زرعة : لم يرو هذا غير ابن لهيعة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ بن عبد اللّه بن بكير[١] ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير في قول اللّه تعالىٰ : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ ، وذلك لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا** ﴾ كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون علىٰ الشيء القليل إذا أعطوه ، فيجيء المسكين إلىٰ أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة[٢] والكسرة والجوزة ونحو ذلك ، فيردونه ويقولون : ما هذا بشيء ؟ إنما نؤجر علىٰ ما نعطي ونحن نحبه . وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون علىٰ الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، يقولون : إنما وعد اللّه النار علىٰ الكبائر . فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه ، فإنه يوشك أن يكثر ، وحذرهم اليسير من الشر ، فإنه يوشك أن يكثر ، فنزلت : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة** ﴾ ، يعني : وزن أصغر النمل[٣] ﴿ **خيرًا يره** ﴾ يعني في كتابه ، ويسره ذلك . قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة ، وبكل حسنة عشر حسنات ، فإذا كان يوم القيامة ضاعف اللّه حسنات المؤمنين أيضًا ، بكل واحدة عشرًا ، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فمن زادت حسناته علىٰ سيئاته مثقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبي عياض ، عن عبد اللّه بن مسعود ؛ أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن علىٰ الرجل حتىٰ يهلكنه » . وإن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ضرب لهن مثلًا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتىٰ جمعوا سوادًا ، وأججوا نارًا ، وأنضجوا ما قذفوا فيها .

[آخر تفسير سورة « إذا زلزلت » ولله الحمد]

☆ ☆ ☆

---

(٢٠) مسند أحمد (٤٠٢/١ - ٤٠٣) (٣٨١٨) . وصححه أحمد شاكر .

---

[١] - في ز ، خ : بكر .
[٢] - في ز : تمرة .
[٣] - في ز : نمل .

[تفسير] سورة العاديات

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

يقسم تعالىٰ بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت ، وهو : الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو . ﴿ **فالموريات قدحًا** ﴾ ، يعني : اصطكاك نعالها بالصخر[١] فتقدح منه النار .

﴿ **فالمغيرات صبحًا** ﴾ ، يعني الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يغير صباحًا ، ويتسمع أذانًا ، فإن سمع وإلا أغار .

﴿ **فأثرن به نقعًا** ﴾ يعني : غبارًا في معترك الخيول .

﴿ **فوسطن به جمعًا** ﴾ ، أي : توسطن ذلك المكان كلهن جمع .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : ﴿ **والعاديات ضبحًا** ﴾ ، قال : الإبل .

وقال علي : هي الإبل . وقال ابن عباس : هي الخيل . فبلغ عليًا قول ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بعثت .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير(١) : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس حدثه ؛ قال : بينا أنا في الحجر جالسًا ، إذ[٢] جاءني رجل فسألني عن : ﴿ **العاديات ضبحًا** ﴾ ، فقلت له : الخيل حين تغير

(١) تفسير الطبري (٣٠/٢٧٢ - ٢٧٣) .

[١] - في ت : للصخر . [٢] - سقط من ز ، خ .

في سبيل الله ، ثم تأوي إلىٰ الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عني فذهب إلىٰ علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم ، فسأله عن ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ ، فقال : سألت عنها أحدًا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير في سبيل الله . قال : اذهب فادعه لي . فلما وقف علىٰ رأسه قال[١] : تفتي الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير ، وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحًا ، إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلىٰ المزدلفة ، ومن المزدلفة إلىٰ منىٰ .

قال ابن عباس : فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه .

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال علي : إنما ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ من عرفة إلىٰ المزدلفة ، فاذا أووا إلىٰ المزدلفة أوروا النيران . وقال العوفي عن ابن عباس : هي الخيل .

وقد قال بقول علي : إنها الإبل ، جماعة منهم : إبراهيم ، وعبيد بن عمير ؛ وبقول ابن عباس آخرون ، منهم : مجاهد وعكرمة ، وعطاء وقتادة والضحاك . واختاره ابن جرير .

قال ابن عباس وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح . وقال أكثر هؤلاء في قوله : ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ ، يعني : بحوافرها . وقيل : أسعرن الحرب بين[٢] ركبانهن . قاله قتادة . وعن ابن عباس ومجاهد : ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ يعني : مكر[٣] الرجال . وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلىٰ منازلهم من الليل .

وقيل : المراد بذلك نيران القبائل . وقال من فسره بالخيل : هو إيقاد النار بالمزدلفة .

قال ابن جرير : والصواب الأول : [أنها الخيل حين][٤] تقدح بحوافرها .

وقوله : ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعني إغارة الخيل صبحًا في سبيل الله . وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحًا من المزدلفة إلىٰ منىٰ .

وقالوا كلهم في قوله : ﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ : هو المكان الذي إذا[٥] حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو .

وقوله : ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ،

---

[١] - في ز : فقال .
[٢] - في ز : من .
[٣] - في ز : بكر .
[٤] - في ز : « إنه الخيل حتى » .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وقتادة ، والضحاك : يعني جمع الكفار من العدو .

ويحتمل أن يكون : ﴿ **فوسطن** ﴾ بذلك المكان جميعهن[١] ، ويكون ﴿ **جمعًا** ﴾ منصوبًا علىٰ الحال المؤكدة .

وقد روىٰ أبو بكر البزار(٢) هاهنا حديثًا فقال : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جميع ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : بعث رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خيلًا فأشهرت[٢] شهرًا لا يأتيه منها خبر ، فنزلت : ﴿ **والعاديات ضبحًا** ﴾ ، ضبحت بأرجلها ، ﴿ **فالموريات قدحًا** ﴾ ، قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارًا ، ﴿ **فالمغيرات صبحًا** ﴾ : صبحت القوم بغارة ، ﴿ **فأثرن به نقعًا** ﴾ ، أثارت بحوافرها التراب ، ﴿ **فوسطن به جمعًا** ﴾ ، قال : صبحت القوم جميعًا .

وقوله : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾ هذا هو المقسم عليه ، بمعنىٰ أنه لنعم ربه لجحود كفور .

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النخعي ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الضحىٰ ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن قيس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الكنود : الكفور . قال الحسن : هو الذي يعد المصائب ، وينسىٰ نعم ربه .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد[٣] اللَّه ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾ ، قال : الكفور الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده » .

ورواه ابن أبي حاتم ، من طريق جعفر بن الزبير - وهو متروك - فهذا إسناد ضعيف . وقد رواه ابن جرير(٤) أيضًا من حديث حريز بن عثمان ، عن حمزة بن هانئ ، عن أبي أمامة موقوفًا .

وقوله : ﴿ **وإنه علىٰ ذلك لشهيد** ﴾ ، قال قتادة وسفيان الثوري : وإن اللَّه علىٰ ذلك لشهيد .

ويحتمل أن يعود الضمير علىٰ الإنسان . قاله محمد بن كعب القرظي . فيكون تقديره : وإن

---

(٢) أخرجه البزار (٢/١٢٠ - مختصر) (١٥٣٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٤٥) : وفيه حفص بن جميع وهو ضعيف .

(٣) والطبري (٣٠/٢٧٨) بهذا الإسناد .

(٤) تفسير الطبري (٣٠/٢٧٨) .

---

[١] - في ت : جمعهن .

[٢] - في ز : فأسهرت .

[٣] - في ز : عبد .

الإِنسان علىٰ كونه كنودًا لشهيد ، أي : بلسان حاله . أي : ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد[١] الله شاهدين علىٰ أنفسهم بالكفر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ ، أي : وإنه لحب الخير - وهو : المال - لشديد . وفيه مذهبان : أحدهما : أن المعنىٰ : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثاني : وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح.

ثم قال تعالىٰ مزهدًا في الدنيا ، ومرغبًا في الآخرة[٢] ، ومنبهًا علىٰ ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإِنسان من الأهوال : ﴿ **أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور** ﴾ أي : أخرج ما فيها من الأموات ، ﴿ **وحصل ما في الصدور** ﴾ ، قال ابن عباس وغيره : يعني أبرز وأظهر ما[٣] كانوا يسرون في نفوسهم ، ﴿ **إن ربهم بهم يومئذ لخبير** ﴾ ، أي : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، ومجازيهم[٤] عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر سورة « والعاديات » ، ولله الحمد [والمنة ، وبه التوفيق والعصمة ، وهو حسبي]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : مسجد .

[٢] - في ز : الأخرىٰ .

[٣] - في ز : مما .

[٤] - في ز : ويجازيهم .

[تفسير] سورة القارعة

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

﴿ **القارعة** ﴾ : من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة ، والطآمة ، والصآخة ، والغاشية وغير ذلك .

ثم قال معظمًا أمرها ومهولًا لشأنها : ﴿ **وما أدراك ما القارعة** ﴾ ، ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** ﴾ ، أي : في انتشارهم وتفرقهم ، وذهابهم ومجيئهم ، من حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث . كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **كأنهم جراد منتشر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ ، يعني : قد صارت كأنها الصوف المنفوش ، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والضحاك ، والسدي : ﴿ **العهن** ﴾ : الصوف .

ثم أخبر تعالىٰ عما يئول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال : ﴿ **فأما من ثقلت موازينه** ﴾ ، أي : رجحت حسناته علىٰ سيئاته ، ﴿ **فهو في عيشة راضية** ﴾ ، يعني : في الجنة . ﴿ **وأما من خفت موازينه** ﴾ ، أي : رجحت سيئاته علىٰ حسناته .

وقوله : ﴿ **فأمه هاوية** ﴾ ، قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم . وعبر عنه بأمه - يعني دماغه - روي نحو هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي صالح ، وقتادة . قال : قتادة : يهوي في النار علىٰ رأسه . وكذا قال أبو صالح : يهوون في النار علىٰ رءوسهم .

وقيل: معناه ﴿فأمه﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هاوية﴾ وهي اسم من أسماء النار.

قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية: أمه؛ لأنه لا مأوىٰ له غيرها.

وقال ابن زيد: الهاوية: النار، التي[١] هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿ومأواهم النار﴾.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن قتادة[٢] أنه قال: هي النار، وهي مأواهم؛ ولهذا قال تعالىٰ مفسرًا للهاوية: ﴿وما أدراك ما هيه * نار حامية﴾.

قال ابن جرير(١): حدثنا ابن عبد الأعلىٰ: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الأشعث بن عبد الله الأعمىٰ؛ قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلىٰ أرواح المؤمنين، فيقولون: روحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا. قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلىٰ أمه الهاوية.

وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعًا، بأبسط من هذا: وقد أوردناه في كتاب صفة النار، أجارنا الله منها بمنّه وكرمه.

وقوله: ﴿نار حامية﴾ أي: حارة شديدة الحر، قوية اللّهيب[٣] والسعير.

قال أبو مصعب، عن مالك(٢)، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال: «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله؛ إن كانت لكافية؟ فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا».

ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن قتيبة، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد به. وفي بعض ألفاظه: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلهن مثل حرها».

---

(١) تفسير الطبري (٢٨٢/٣٠).

(٢) أخرجه مالك في موطئه في كتاب: جهنم، باب: ما جاء في صفة جهنم، حديث (١) (٧٥٩/٢). والبخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٦٥) (٣٣٠/٦). ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، حديث (٢٨٤٣/٣٠) (٢٦١/١٧).

---

[١] - سقط من ت، ز.

[٢] - سقط من ز. وبياض في خ.

[٣] - في ت: اللهب.

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد وهو ابن[١] سلمة ، عن محمد بن زياد سمع أبا هريرة؛ يقول : سمعت أبا القاسم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « نار [بني آدم][٢] التي توقدون ، جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم » . فقال رجل : إن كانت لكافية ؟ فقال : « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا حرًّا فحرًّا » . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو علىٰ شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٤) : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعمرو ، عن يحيىٰ بن جعدة « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، [وضربت بالبحر][٣] مرتين ، ولولا ذلك ما جعل اللّٰه فيها منفعة لأحد » .

وهذا علىٰ شرط الصحة ، ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق [...][٤]

ورواه البزار من حديث عبد اللّٰه بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري : « ناركم هذه جزء[٥] من سبعين جزءًا » .

وقد قال الإمام أحمد(٥) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز - هو ابن محمد الدراوردي - عن سهيل[٦] عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « هذه النار جزء ، من مائة جزء من جهنم » . تفرد به أيضًا من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم أيضًا .

وقال أبو القاسم الطبراني(٦) : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر [الحزامي] ، حدثنا معن بن عيسىٰ القزاز ، عن مالك ، عن عمه[٧] أبي سهيل ، عن أبيه ، عن

---

(٣) المسند (٢/٤٦٧) .

(٤) المسند (٢/٢٤٤) (٧٣٢٣) . وصححه أحمد شاكر من هذا الطريق . وأخرجه مسلم في كتاب : الجنة ، باب : في شدة حر جهنم حديث (٣٠/٢٨٤٣ م) (١٧/٢٦٢) من طريق محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة .

(٥) المسند (٢/٣٧٩) (٨٩١٠) .

(٦) معجم الطبراني في الأوسط (١/١٥٥) (٤٨٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٩٠) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في ز ، خ : أبو .
[٢] - في خ : جهنم .
[٣] - في ز ، خ : وحربت بالهجر .
[٤] - بياض في ز .
[٥] - في ز : جزءًا .
[٦] - في خ : سهل .
[٧] - في ز : عمر .

أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سوادًا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفًا » .

وقد رواه أبو مصعب ، عن مالك ... ولم يرفعه . وروىٰ الترمذي(٧) وابن ماجة ، عن عباس[١] الدوري ، عن يحيىٰ بن أبي بكير[٢] ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أوقد علىٰ النار ألف سنة حتىٰ احمرت ، ثم[٣] أوقد عليها ألف سنة حتىٰ ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ اسودت ، فهي سوداء مظلمة » . وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب .

وجاء في الحديث - عند[٤] الإمام أحمد - من طريق أبي عثمان النهدي ، عن أنس . وأبي نضرة العبدي[٥] ، عن أبي سعيد(٨) . وعجلان ، مولىٰ المشمعل ، عن أبي هريرة(٩) ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال : « **إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان يغلي منهما دماغه** » .

وثبت في الصحيح(١٠) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « اشتكت النار إلىٰ ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفسٍ في الصيف . فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها ، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها » .

وفي الصحيحين(١١) : « إذا اشتد الحرُّ فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم » .

آخر تفسير سورة القارعة [ولله الحمد] .

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : أوقد على النار ثلاثة آلاف سنة حتى صارت سوداء مظلمة ، حديث (٢٥٩٤) (٧/٢٥٨ - ٢٥٩) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : صفة النار ، حديث (٤٣٢٠) (٢/١٤٤٥) .

(٨) مسند أحمد (٣/١٣)(١١١١٤) .

(٩) مسند أحمد (٢/٤٣٢) .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٦٠) (٦/٣٣٠). وصحيح مسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الإبراد بالظهر ، حديث (١٨٥/٦١٧) (٥/١٦٦) . كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١١) صحيح البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : الإبراد بالظهر في شدة الحر ، حديث (٥٣٣) (٢/١٥) . وصحيح مسلم ، الموضع السابق من صحيحه برقم (١٨٠/٦١٥) (٥/١٦٣) . كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه . وفي الباب عن عبد الله بن عمر وأبي ذر .

[١] - في ز : ابن عباس .
[٢] - في ز ، خ : بكر .
[٣] - في ز : و .
[٤] - في ز ، خ : عن .
[٥] - في ز ، خ : المقدمي .

[تفسير] سورة التكاثر

[وهي مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : أشغلكم[١] حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادىٰ بكم ذلك حتىٰ جاءكم الموت وزرتم المقابر ، وصرتم من أهلها ؟ !

قال ابن أبي حاتم(١) : حدثنا أبي ، حدثنا زكريا بن يحيىٰ الوقار[٢] المصري ، حدثني خالد بن عبد الدائم ، عن ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ عن الطاعة ، ﴿ حتىٰ زرتم المقابر ﴾ : حتىٰ يأتيكم الموت .

وقال الحسن البصري : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ في الأموال والأولاد .

وفي صحيح البخاري(٢) ، في « الرقاق » منه : وقال لنا أبو الوليد : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب ؛ قال : كنا نرىٰ هذا من القرآن حتىٰ نزلت : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، يعني : « لو كان لابن آدم واد من ذهب » .

و[٣] قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن مطرف - يعني ابن عبد الله بن الشخير - عن أبيه قال : انتهيت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقول : « ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، يقول ابن آدم : مالي مالي . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ ! » .

ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به .

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : ما يتقى من فتنة المال ، حديث (٦٤٤٠) (٢٥٣/١١) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٤/٤) . ومسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٥٨/٣ م) (١٢٦/١٨) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، حديث (٣٣٥١) (٨١/٩) =

---

[١] - في ت : شغلكم .

[٢] - في ز : الوتار .

[٣] - سقط من ز .

وقال مسلم في صحيحه(٤) : حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء ، عن أبيه عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم « يقول العبد : مالي مالي ؟ وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنىٰ ، أو لبس فأبلىٰ ، أو تصدق فاقتنىٰ[١] ، وما سوىٰ ذلك فذاهب وتاركه للناس » . تفرد به مسلم.

وقال البخاري(٥) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، سمع أنس بن مالك ؛ يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « يتبع الميتَ ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقىٰ معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقىٰ عمله » .

وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي ، من حديث سفيان بن عيينة به .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدثنا يحيىٰ ، عن شعبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس ؛ أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « يهرم ابن آدم وتبقىٰ منه اثنتان : الحرص والأمل » . أخرجاه في الصحيحين .

وذكر الحافظ ابن عساكر(٧) ، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأىٰ في يد رجل درهمًا فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي . فقال إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد الأحنف متمثلًا قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ؛ قال : صالح بن حيان حدثني عن ابن بريدة في قوله : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ . قال : نزلت في قبيلتين [من قبائل الأنصار ، في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت][٢] إحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان ، وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلىٰ القبور . فجعلت إحدىٰ الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلىٰ القبر ومثل فلان ؟

= والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التكاثر ، حديث (١١٦٩٦) (٥٢١/٦) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٥٩/٤) (١٢٦/١٨) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : سكرات الموت ، حديث (٦٥١٤) (٣٦٢/١١) . ومسلم في كتاب : الزهد ، حديث (٢٩٦٠/٥) (١٢٦/١٨ - ١٢٧) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء : مثل ابن آدم وأهله وماله وعمله ، حديث (٢٣٨٠) (١١١/٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الجنائز ، باب : النهي عن سب الأموات ، حديث (٢٠٦٤) (٦٣٠/١).

(٦) أخرجه أحمد (١١٥/٣) (١٢١٦٢) .

(٧) ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٣/٨ مخطوط) .

---

[١] - في خ : فأمضى .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتىٰ زرتم المقابر ﴾ ، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل .

وقال قتادة : ﴿ ألهاكم التكاثر . حتىٰ زرتم المقابر ﴾ كانوا يقولون : نحن أكثر من بني فلان ، ونحن أعَدّ من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون[١] إلىٰ آخرهم ، والله ما زالوا كذلك حتىٰ صاروا من أهل القبور كلهم .

والصحيح أن المراد بقوله : ﴿ زرتم المقابر ﴾ ، أي : صرتم إليها ودفنتم فيها ، كما جاء في الصحيح(٨) ؛ أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - دخل علىٰ رجل من الأعراب يعوده ، فقال : « لا بأس ، طَهُور إن شاء الله » . فقال : قلت : طَهُور ؟ ! بل هي حمىٰ تفور ، علىٰ شيخ كبير ، تُزيره القبور ! . قال : « فَنَعَم إذًا » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، أخبرنا حكام ابن سَلم[٢] الرازي ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زر بن حبيش ، عن علي قال : مازلنا نشك في عذاب القبر حتىٰ نزلت : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتىٰ زرتم المقابر ﴾ .

ورواه الترمذي(٩) عن أبي كريب ، عن حكام بن سلم ، به[٣] وقال : غريب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن داود العُرْضي[٤] ، حدثنا أبو المليح الرقي ، عن ميمون بن مهران ؛ قال : كنت جالسًا عند عمر بن عبد العزيز ، فقرأ : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتىٰ زرتم المقابر ﴾ ، فلبث[٥] هنيهة[٦] فقال : يا ميمون ؛ ما أرىٰ المقابر إلا زيارة ، وما للزائر بد من أن يرجع إلىٰ منزله .

قال أبو محمد : يعني أن يرجع إلىٰ منزله إلىٰ جنة أو إلىٰ[٧] نار ، وهكذا ذُكرَ أن بعضَ الأعراب سمع رجلًا يتلو[٨] هذه الآية ﴿ حتىٰ زرتم المقابر ﴾ ، فقال : بُعث اليوم ورَبّ الكعبة . أي : إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلىٰ غيره .

---

(٨) صحيح البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، حديث (٣٦١٦) (٦/٦٢٤). وأطرافه في : [٥٦٥٦ ، ٥٦٦٢ ، ٧٤٧٠] .

(٩) سنن الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، حديث (٣٣٥٢) (٩/ ٨١ - ٨٢) .

---

[١] - في ز : ساقطون .
[٢] - في ز : مسلم .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز ، خ : المعرضي .
[٥] - في خ : فقلت .
[٦] - في ز : هنية .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز : ينكر .

وقوله: ﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾ قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد.

وقال الضحاك: ﴿كلا سوف تعلمون﴾، يعني الكفار، ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ يعني: أيها المؤمنون.

وقوله: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾، أي: لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتىٰ صرتم إلىٰ المقابر.

ثم قال: ﴿لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين﴾، هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون﴾ تَوَعَّدَهم بهذا الحال، وهي رؤية النار التي إذا زفرت زفرة واحدة[١] خرَّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل علىٰ ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، علىٰ ما جاء به الأثر المروي في ذلك.

وقوله: ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك. [ما إذا][٢] قابلتم به نعمة من شكره وعبادته.

و[٣] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا زكريا بن يحيىٰ الخزاز[٤] المقري، حدثنا عبد الله بن عيسىٰ أبو خالد الخزاز[٥]، حدثنا يونس بن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أنه سمع عمر بن الخطاب؛ يقول: خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجك هذه الساعة؟» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا بن الخطاب؟». قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فقعد عمر، وأقبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحدثهما، ثم قال: «هل بكما من قوة، تنطلقان إلىٰ هذا النخل فتصيبان طعامًا وشرابًا وظلًا؟». قلنا: نعم. قال: «مُرّوا بنا إلىٰ منزل ابن التَّيِّهان أبي الهيثم الأنصاري». قال: فتقدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين أيدينا، فسلم واستأذن - [ ][٦] ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من السلام، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعىٰ خلفهم، فقالت: يا رسول الله، قد - والله - سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك. فقال لها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «خيرًا». ثم

---

[١] - سقط من ت، ز.

[٢] - في ز: فإذا.

[٣] - سقط من ز.

[٤] - في خ: الجزار.

[٥] - في خ: الجزار.

[٦] - في ز، خ: في.

قال : « أين أبو[١] الهيثم ؟ لا أراه » . قالت : يا رسول اللَّه ، هو قريب ذهب يَستعذبُ الماء ، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء اللَّه فبسطت بساطًا تحت شجرة ، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرّت عيناه بهم ، فصعد علىٰ نخلة فصَرَم لهم أعذاقًا ، فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « حَسْبُكَ يا أبَا الهيثم » . قال : يا رسول اللَّه ، تأكلون من بُسره ، ومن رُطبه ، ومن تَذْنُوبه . ثم أتاهم بماء فشربوا عليه ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » . هذا[٢] غريب من هذا الوجه .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني الحسين بن علي الصدائي ، حدثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ؛ قال : بينما أبو بكر وعمر جالسان ، إذ جاءهما النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ فقال : « ما أجلسكما هاهنا ؟ » قالا : والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع . قال : « والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره » . فانطلقوا حتىٰ أتوا بيت رجل من الأنصار . فاستقبلتهم المرأة ، فقال لها النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : « أين فلان ؟ » . فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء . فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال : مرحبًا[٣] ما زار [العباد شيء][٤] أفضل من شيء زارني اليوم . فعلق قِرْبَتَه [بكَرَب نخلة][٥] ، وانطلق فجاءهم بعذق ؛ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ألا كنت[٦] اجتنيت ؟ » فقال : أحببت أن تكونوا الذين تختارون علىٰ أعينكم . ثم أخذ الشفرة ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إياك والحلوب » . فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لتسألن عن هذا يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، فلم ترجعوا حتىٰ أصبتم هذا ، فهذا من النعيم » .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجة ، من حديث المحاربي[٧] ، عن يحيىٰ بن عُبَيد اللَّه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بكر الصديق به .

وقد رواه أهل السنن الأربعة(١١) ، من حديث عبد الملك بن عمير[٨] ، عن أبي سلمة ، عن

(١٠) تفسير الطبري (٣٠/٢٨٧) . ومسلم في كتاب : الأشربة ، باب : جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ، حديث (١٤٠/٢٠٣٨) (١٣/٣٠٥ - ٣٠٦) . وأخرجه أبو يعلى (١/٧٩ - ٨١) (٧٨) . وابن ماجة في كتاب : الذبائح ، باب : النهي عن ذبح ذوات الدر ، حديث (٣١٨١) (٢/١٠٦٢) مختصرًا . قال في الزوائد : في إسناده يحيى بن عبد الله : واهى الحديث .

(١١) أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في المشورة ، حديث (٥١٢٨) (٤/٣٣٣) . وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : المستشار مؤتمن ، حديث (٣٧٤٥) (٢/١٢٣٣) . فذكرا قول النبي ﷺ : =

[١] - في خ : أبي .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : الغبار .
[٥] - في ز : بكذب يحمله .
[٦] - في ز ، خ : ليت .
[٧] - في ز ، خ : المكاري .
[٨] - في ز ، خ : عمر .

أبي هريرة ، بنحو من هذا السياق وهذه القصة .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا سُرَيج ، حدثنا حشرج ، عن أبي نُصَيرة[١] ، عن أبي عَسيب - يعني مولىٰ رسول الله - قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلًا فمرَّ بي ، فدعاني فخرجت إليه، ثم مرَّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مرَّ[٢] بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتىٰ أتىٰ حائطًا لبعض الأنصار ، فقال لصاحب الحائط : « أطعمنا » ، فجاء بعذق فوضعه ، فأكل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب ، وقال : « لتسألن عن هذا يوم القيامة » . قال : فأخذ عُمَرُ العذْقَ فضَرب به الأرض ، حتىٰ تناثر البُسرُ قبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم قال : يا رسول الله ؛ إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم ، إلا من ثلاثة : خرقة لفَّ بها الرجل عورته ، أو كسرة سدَّ بها جوعته ، أو جُحر تدخل فيه من الحرّ والقرّ » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا عمار ، سمعت جابر بن عبد الله ؛ يقول : أكل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبو بكر [وعمر][٣] رطبًا ، وشربوا ماء ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » .

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به[٤] .

وقال الإمام أحمد(١٤) : [ ][٥] : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن صفوان بن سليم ، عن محمود بن الربيع؛ قال : لما نزلت ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، فقرأ حتىٰ بلغ : ﴿ **لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قالوا : يا رسول الله ؛ عن أي نعيم نُسأل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر ، وسيوفنا علىٰ رقابنا ، والعدو حاضر ، فعن أي نعيم نسأل ؟ قال : « أما إن ذلك سيكون » .

= «المستشار مؤتمن » فقط دون ذكر بقية القصة . وأخرجه الترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ ، حديث (٢٣٧٠) (٧/١٠٤ - ١٠٦) بنحوه . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التكاثر ، حديث (١١٦٩٧) (٦/٥٢١) مختصرًا .

(١٢) مسند أحمد (٥/٨١) (٢٠٨٢٤) . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله ثقات .اهـ .

(١٣) مسند أحمد (٣/٣٥١) (١٤٨٢٩) . والنسائي في كتاب : الوصايا ، باب : قضاء الدين قبل الميراث (٦/٢٤٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٤٠٠) .

(١٤) مسند أحمد (٥/٤٢٩) (٢٣٧٥٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (٧/١٤٥) : رواه أحمد وفيه محمد ابن عمرو بن علقمة ، وحديثه حسن وفيه ضعف لسوء حفظه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

[١] - في خ : نضرة .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ت : حدثنا أحمد .

وقال أحمد(١٥) : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عبد الله بن سليمان ؛ حدثنا معاذ ابن عبد الله بن خُبيّب[١] ، عن أبيه ، عن عمه قال : كنا في مجلس فطلع علينا النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ رأسه أثر ماء ، فقلنا : يا رسول الله ؛ نراك طيب النفس . قال : « أجل » . قال[٢] : ثم خاض الناس في ذكر الغنىٰ ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا بأس بالغنىٰ لمن اتقىٰ الله . والصحة لمن اتقىٰ الله[٣] خير من الغنىٰ ، وطيب النفس من النعيم » .

ورواه ابن ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن خالد بن مخلد[٤] ، عن عبد الله بن سليمان به .

وقال الترمذي(١٦) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا شبابة ، عن عبد الله بن العلاء ، عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم الأشعري ؛ قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « إن أول ما يسأل عنه - يعني يوم القيامة - العبد من النعيم أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ، ونروك[٥] من الماء البارد » .

تفرد به الترمذي . ورواه ابن حبان في صحيحه ، من طريق الوليد بن مسلم ، عن عبد الله ابن العلاء بن[٦] زَبْر به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو ، عن يحيىٰ بن حاطب ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال الزبير : لما نزلت : ﴿ **ثم[٧] لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قالوا : يا[٨] رسول الله ؛ لأيّ نعيم نسأل[٩] عنه ، وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ قال : « إن ذلك سيكون » .

وكذا رواه الترمذي(١٧) وابن ماجة ، من حديث سفيان - هو ابن عيينة - به[١٠] . ورواه

---

(١٥) أخرجه أحمد (٣٧٢/٥) (٢٣٢٦٤) . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : الحث على المكاسب، حديث (٢١٤١) (٧٢٤/٢) . قال البوصيري في « الزوائد » (١٥٨/٢) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

(١٦) أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، حديث (٣٣٥٥) ، (٨٣/٩) . وابن حبان (٣٦٤/١٦ - ٣٦٥) (٧٣٦٤) .

(١٧) أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ألهاكم التكاثر ، حديث (٣٣٥٣) (٨٢/٩) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : معيشة أصحاب النبي ﷺ ، حديث (٤١٥٨) (١٣٩٢/٢) .

---

[١] - في ز : خبيب .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : مجاهد .

[٥] - في ز : ونرويك .

[٦] - في ز : عن .

[٧] - سقط من ز .

[٨] - سقط من ز .

[٩] - في ز : تسأل .

[١٠] - سقط من ز ، خ .

أحمد(١٨) عنه ، وقال الترمذي : حسن .

وقال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أبو عبد الله الظهراني ، حدثنا حفص بن عمر العَدَني ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ؛ قال : لما[١] أنزلت هذه الآية : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قالت الصحابة : يارسول الله ؛ وأيّ نعيم نحن فيه ، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحىٰ الله إلىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم : قل لهم : أليس تحتذون النعال ، وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم .

وقال ابن أبي حاتم(٢٠) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا محمد بن شليمان[٢] ابن الأصبهاني ، عن ابن أبي ليلىٰ - أظنه عن عامر - عن ابن مسعود عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله : ﴿ **لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قال : « الأمن والصحة » .

وقال زيد بن أسلم(٢١) : عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، يعني : شبع البطون ، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، واعتدال الخلْق ، ولذة النوم . رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة .

وقال سعيد بن جبير : حتىٰ عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا . وقال الحسن البصري : نعيم الغداء والعشاء ، وقال أبو قلابة : من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقي . وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قال : النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، يسأل الله العباد فيما استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ .

وثبت في صحيح البخاري(٢٢) ، وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم :

(١٨) أخرجه أحمد (١/١٦٤) (١٤٠٥) . وصححه أحمد شاكر .

(١٩) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٦١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٢٠) أخرجه الطبري (٣٠/٢٨٥) من طريق محمد بن سليمان .

(٢١) تقدم برقم (١) .

(٢٢) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ، حديث (٦٤١٢) (١١/٢٢٩) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، حديث (٢٣٠٥) (٧/٦٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرقاق كما في « تحفة الأشراف » (٤/٤٦٥) (٥٦٦٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد، باب : الحكمة ، حديث (٤١٧٠) (٢/١٣٩٦) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : السلمان .

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » .

ومعنىٰ هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين ، لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٢٣) : حدثنا القاسم بن محمد بن يحيىٰ المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق[١] ، حدثنا أبو حمزة ، عن ليث ، عن أبي فزارة ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ما فوق الإزار ، وظل الحائط ، وخُبْز[٢] ، يحاسب به العبد يوم القيامة ، أو يسأل عنه » . ثم قال : لا نعرفه إلّا بهذا الإسناد .

وقال الإمام أحمد(٢٤) : حدثنا بهز وعفان؛ قالا : حدثنا حماد ، قال عفان في حديثه : قال إسحاق بن عبد اللَّه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « يقول اللَّه عز وجل - قال عفان : يوم القيامة - : يا بن آدم ، حملتك علىٰ الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك تربع وترأس ، فأين شكر ذلك ؟ » . تفرد به من هذا الوجه .

آخر تفسير سورة « التكاثر » ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

---

(٢٣) مختصر زوائد البزار (٢/٥٠٥ - ٥٠٦) (٢٣٠١) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٧٠) : رواه البزار وفيه ليث بن أبي سليم وقد وثق على ضعف فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح غير القاسم بن محمد ابن يحيى المروزي وهو ثقة .

(٢٤) أخرجه أحمد (٢/٤٩٢) . وأصله في صحيح مسلم في كتاب : الزهد (٢٩٦٨/١٦) .

---

[١] - في ز ، خ : سفيان .

[٢] - في ز ، خ : وجر .

[تفسير] سورة العصر

[وهي مكية]

ذكروا أن عمرو بن العاص(١) وفد على مسيلمة الكذاب ، وذلك بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يسلم عمرو ، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ قال : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة . فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ . ففكر مسيلمة هُنَيهة ثم قال : وقد أنزل عليّ مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : ياوَبْر ياوَبْر ، إنما أنت أذنان وصَدْر ، وسائرك[١] حفز نَقْر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب .

وقد رأيت « أبا بكر الخرائطي » أسند في كتابه المعروف « بمساوي الأخلاق » ، في الجزء الثاني منه ، شيئًا من هذا أو قريبًا منه .

والوبر : دويبة تشبه الهرّ ، أعظم شيء فيه أذناه ، وصدره وباقيه [دميم][٢] ، فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن ، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان .

وذكر الطبراني(٢) من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبيد الله بن حصن [ ][٣] ؛ قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر « سورة العصر » إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر .

وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم ، من خير وشر. وقال مالك عن زيد بن أسلم : هو العشيّ[٤] ، والمشهور الأول.

---

(١) تقدم تخريجه في سورة يونس آية (١٥) رقم (١٨) .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢١٥/٥) (٥١٢٤) .

---

[١] - في خ : وساتر .

[٢] - في ز ، خ : الطرف ذميم .

[٣] - في ر ، خ : أبي مذينة

[٤] - في ر : العشر .

فأقسم تعالىٰ بذلك علىٰ أن الإنسان لفي خسر ، أي : في خسارة وهلاك ، ﴿ **إلا الذين آمنوا [وعملوا الصالحات** ﴾ ، فاستثنىٰ من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا][١] بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم . ﴿ **وتواصوا بالحق** ﴾ ، وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات ، ﴿ **وتواصوا بالصبر** ﴾ علىٰ المصائب والأقدار ، وأذىٰ من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

آخر تفسير سورة العصر ، ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[تفسير] سورة « ويل لكل همزة لمزة »

[وهي مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

الهماز بالقول ، واللماز بالفعل . يعني يزدري بالناس وينتقص بهم . وقد تقدم بيان ذلك في قوله : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ .

قال[١] ابن عباس : ﴿ همزة لمزة ﴾ : طعان معياب[٢] . وقال الربيع بن أنس : الهُمزة : همزه[٣] في وجهه ، ولمزه[٤] : من خلفه . وقال قتادة : [همزه ولمزه][٥] بلسانه وعينه ، ويأكل لحوم الناس ، ويطعنُ عليهم . وقال مجاهد : الهمزة باليد والعين ، واللّمزةُ باللسان . وهكذا قال ابن زيد .

[وقال مالك][٦] : عن زيد بن أسلم : هُمَزة لحومِ الناس .

ثم قال بعضهم : المراد بذلك الأخنس بن شريق ، وقيل : غيره . وقال مجاهد : هي عامة . وقوله : ﴿ الذي جمع مالاً وعدده ﴾ أي : جمعه بعضه على بعض ، وأحصى عدده كقوله : ﴿ وجمع فأوعى ﴾ . قاله السدي وابن جرير .

وقال محمد بن كعب في قوله : ﴿ جمع مالاً وعدده ﴾ ، ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة .

وقوله : ﴿ يحسب أن ماله أخلده ﴾ ، أي : يظن أن جمعه[٧] المال يخلده في هذه الدار

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : نصاب .
[٣] - في ت : يهمزه .
[٤] - في ت : واللمزة .
[٥] - في ت : يهمزه ويلمزه .
[٦] - في ز ، خ : وقيل ذلك .
[٧] - في ز : جمع .

﴿ كلا ﴾ ، أي : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالىٰ : ﴿ لينبذن في الحطمة ﴾ ، [أي ليلقين هذا الذي جمع مالًا فعدده في الحطمة][١] وهي اسم من أسماء النار صفة[٢] ، لأنها تحطم من فيها ؛ ولهذا قال : ﴿ وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع علىٰ الأفئدة ﴾ . قال ثابت البناني : تحرقهم إلىٰ الأفئدة وهم أحياء ، ثم[٣] يقول : لقد بلغ منهم العذاب ، ثم يبكي .

وقال محمد بن كعب : تأكل كل شيء من جسده ، حتى إذا[٤] بلغت[٥] فؤاده حذو حلقه ترجع[٦] على جسده .

وقوله : ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ أي : مطبقة ، كما تقدم تفسيره في سورة البلد .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا علي بن سراج ، حدثنا عثمان بن خَرزاذ ، حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ ، قال[٧] : مطبقة .

وقد رواه [أبو بكر][٨] ابن أبي شيبة ، عن عبد الله بن أسيد ، عن إسماعيل بن خالد[٩] ، عن أبي صالح ، قوله ولم يرفعه .

﴿ في عمد ممددة ﴾ ، قال عطية العوفي : عمد من حديد . وقال السدي : من نار . وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ في عمد ممددة ﴾ ، يعني : الأبواب هي الممدودة .

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد[١٠] ممددة .

وقال العوفي : عن ابن عباس : أدخلهم في عَمَد فمدت عليهم بعماد ، و[١١] في أعناقهم السلاسل فسدت[١٢] بها الأبواب . وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار . واختاره ابن جرير .

وقال أبو صالح : ﴿ في عمد ممددة ﴾ يعني : القيود الطوال .

آخر تفسير « ويل لكل همزة لمزة »

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : طبقة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : يلعب .
[٦] - في ز : فرجع .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : أبي خالد .
[١٠] - في ز : بعمده .
[١١] - سقط من ز .
[١٢] - في ز : فشدت .

[تفسير] سورة الفيل

[وهي مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش ، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل ، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود ، فأبادهم الله ، وأرغم آنافهم ، وخيب سعيهم ، وأضل عملهم ، وردهم بشر خيبة . وكانوا قومًا نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالًا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ، ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم - يا معشر قريش - على الحبشة لخيريتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء .

وهذه قصة أصحاب الفيل(١) على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم في قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس - وكان آخر ملوك حمير ، وكان مشركًا - هو الذي قتل أصحاب الأخدود ، وكانوا نصارى ، وكانوا قريبًا من عشرين ألفًا ، فلم يفلت منهم إلا دَوْس ذو ثعلبان ، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام - وكان نصرانيًا - فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة ، لكونه أقرب إليهم ، فبعث معه أميرين : أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم[١] ، في جيش كثيف ، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار ، واستلبوا الملك من حمير ، وهلك ذو نواس غريقًا في البحر ، واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران : أرياط وأبرهة ، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا ، فقال أحدهما للآخر : إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا ، ولكن أبرز إليّ وأبرز إليك ، فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك . فأجابه إلى ذلك فتبارزا ، وخلف كل واحد منهما قناة ، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف ، فشرم أنفه

---

(١) ذكر القصة في سيرة ابن هشام من طريق ابن إسحاق (ص ٢٧) وما بعدها ، والطبري في تفسير هذه السورة .

---

[١] - في ز ، خ : مكسوم .

وفمه وشق وجهه ، وحمل عتودة مولىٰ أبرهة علىٰ أرياط فقتله ، ورجع أبرهة جريحًا ، فداوىٰ جرحه فبرأ ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن . فكتب إليه النجاشي يلومه علىٰ ما كان منه ، ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته . فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه ، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف ، وبجراب فيه من تراب اليمن ، وجز ناصيته وأرسلها[١] معه ، ويقول في كتابه : ليطأ الملك علىٰ هذا الجراب فيبر قسمه ، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك . فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ، ورضي عنه ، وأقره علىٰ عمله . وأرسل أبرهة يقول للنجاشي : إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم ين قبلها مثلها . فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء ، رفيعة البناء ، عالية الفناء ، مزخرفة الأرجاء ، سمتها العرب : القُلّيس ، لارتفاعها ، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها . وعزم أبرهة الأشرم علىٰ أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلىٰ الكعبة بمكة ، ونادىٰ بذلك في مملكته . فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك ، وغضبت قريش لذلك غضبًا شديدًا ، حتىٰ قصدها بعضهم ، وتوصل إلىٰ أن دخلها ليلًا ، فأحدث فيها وكرَّ راجعًا . فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلىٰ ملكهم أبرهة ، وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضبًا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به . فأقسم أبرهة ليسيرن إلىٰ بيت مكة ، وليخربنه حجرًا حجرًا .

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارًا ، وكان يومًا فيه هواء شديد فأحرقته ، وسقطت إلىٰ الأرض .

فتأهب أبرهة لذلك ، وصار في جيش كثيف عرمرم ؛ لِئلا يصده أحد عنه ، واستصحب معه فيلًا عظيمًا كبير الجثة لم ير مثله ، يقال له : محمود . وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ، ويقال : كان معه أيضًا ثمانية أفيال ، وقيل : اثنا[٢] عشر فيلًا . وقيل غيره ، والله أعلم .

يعني ليهدم به الكعبة ، بأن يجعل السلاسل في الأركان ، وتوضع في عنق الفيل ، ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة .

فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدًّا ، ورأوا أن حقًّا عليهم المحاجبة دون البيت ، ورد من أراده بكيد . فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له « ذو نَفْر » فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلىٰ حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله ، وما يريده[٣] من هدمه وخرابه . فأجابوه وقاتلوا أبرهة ، فهزمهم لما يريده الله - عز وجل - من كرامة البيت وتعظيمه ، وأسر « ذو نفر » فاستصحبه معه . ثم مضىٰ [لوجهه حتىٰ][٤] إذا كان بأرض

---

[١] - في ت : فأرسلها .
[٢] - في خ : اثني .
[٣] - في ت : يريد .
[٤] - سقط من خ .

خثعم عرض[١] له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه : شهران[٢] وناهس ، فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة ، وأسر نفيل بن حبيب ، فأراد قتله ثم عفا عنه ، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز . فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة علىٰ بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات . فأكرمهم وبعثوا معه « أبا رغال » دليلًا . فلما انتهىٰ أبرهة إلىٰ المغمس ، وهو قريب من مكة ، نزل به ، وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها ، فأخذوه . وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب ، وكان الذي أغار علىٰ السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة ، وكان يقال له : « الأسود بن مفصود » فهجاه بعض العرب - فيما ذكره ابن إسحاق - وبعث أبرهة حناطة الحميري إلىٰ مكة ، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش ، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت . فجاء حناطة فدُل علىٰ عبد المطلب بن هاشم[٣] ، وبلغه عن أبرهة ما قال . فقال له عبد المطلب : واللّٰه ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت اللّٰه الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلي بينه وبينه ، فواللّٰه ما عندنا دفع عنه . فقال له حناطة : فاذهب معي إليه . فذهب معه ، فلما رآه أبرهة أجلّه ، وكان عبد المطلب رجلًا جميلًا حسن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره ، ونزل[٤] معه علىٰ البساط ، وقال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال للترجمان : إن حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فقال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد[٥] كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ ! فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربًا سيمنعه . قال : ما كان ليمتنع مني ! قال : أنت وذاك .

ويقال : إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا علىٰ أبرهة ثلث[٦] أموال تهامة علىٰ أن يرجع عن البيت ، فأبىٰ عليهم ، ورد أبرهة علىٰ عبد المطلب إبله ، ورجع عبد المطلب إلىٰ قريش ، فأمرهم بالخروج من مكة ، والتحصن في رءوس الجبال ، تخوفًا عليهم من معرة الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون اللّٰه ويستنصرونه علىٰ أبرهة وجنده ، وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمَّ[٧] إنَّ المرْءَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ [ ][٨] فَامْنَعْ حلالَكْ
لا يَغْلِبَنَ صَليبُهُم ومِحَالُهُم غَدْوًا[٩] مِحالَك

[١] - في ز : فعرض .
[٢] - في ز ، خ : شهدان .
[٣] - في ز : هشام .
[٤] - في ت : وجلس .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز ، خ : اللهم .
[٨] - في ز ، خ : وحلاله .
[٩] - في ز ، خ : عذرًا .

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ، ثم خرجوا إلىٰ رءوس الجبال .

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة ، لعل بعض الجيش ينال منها شيئًا بغير حق ، فينتقم اللّٰه منهم[١] .

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله - وكان اسمه محمودًا[٢] - وعبأ جيشه ، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتىٰ قام إلىٰ جنبه ، ثم أخذ بأذنه وقال : ابرك محمود ، أو ارجع راشدًا من حيث جئت ، فإنك في بلد اللّٰه الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتىٰ أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبىٰ ، فضربوا في رأسه بالطبرزين، وأدخلوا محاجنهم[٣] في مراقه وبزغوه بها ليقوم ، فأبىٰ ، فوجهوه راجعًا إلىٰ اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلىٰ الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلىٰ المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلىٰ مكة فبرك ، وأرسل اللّٰه عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان[٤] ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ، ويسألون عن نفيل ليدلهم علىٰ الطريق . هذا ونفيل علىٰ رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ، ينظرون ماذا أنزل اللّٰه بأصحاب الفيل من النقمة ، وجعل نفيل يقول :

أيـنَ المفَرُّ ؟ والإلـهُ الـغـالِـبُ[٥] والأشْرَمُ المغْلُوبُ غيرُ الغالب

قال ابن إسحاق : وقال نفيل في ذلك أيضًا :

ألا حُيِّيتَ[٦] عنّـا يا رُدَيْنَا نَعِمْناكُمْ مَعَ الإصباحِ عينا
ردينـةُ لـو رأيـت - ولا تَـرَيـه لَدَىٰ جَنْبِ المحصَّبِ - ما رَأينا
إذًا لَعَذَرتِـنِي وَحَمِدت أمْري وَلَم تأسَيْ[٧] عَلَىٰ مَا فَاتَ بَيْنَا
حَمِدتُ اللّٰه إذ أبصَرتُ طَيرًا وَخِفْتُ حجارَةً تُلقَىٰ عَلَينا
فَكُلّ القومِ يَسألُ عَن نُفَيلٍ كَأنّ عليَّ للحُبْشَان دَينًا ؟

وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبئوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل ، جعلوا لا يصرفونه إلىٰ جهة من سائر الجهات إلا ذهب ، فإذا وجهوه إلىٰ الحرم ربض وصاح . وجعل أبرهة يحمل علىٰ سائس الفيل وينهره ويضربه ، ليقهر الفيل علىٰ دخول الحرم . وطال الفصل في ذلك . هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة ، منهم المطعم بن عدي ، وعمرو بن عائذ بن عمران بن

---

[١] - في ت : منه .
[٢] - في ز : محمود .
[٣] - في ز ، خ : محاجزتهم .
[٤] - في خ : التلبسان .
[٥] - في ت : الطالب .
[٦] - في خ : جنبت .
[٧] - في ز : يأت . بلا نقط . وفي خ : تأتي .

مخزوم ، ومسعود الثقفي ، علىٰ حراء ينظرون إلىٰ ما الحبشة يصنعون ، وماذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب . فبينما هم كذلك إذ بعث اللّٰه عليهم طيرًا أبابيل ، أي قطعًا قطعًا صفرًا[١] دون الحمام ، وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة أحجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا .

وقال محمد بن كعب[٢] : [جاءوا بفيلين ، فأبى محمود فربض][٣] ، وأمَّا الآخر فشجع فحُصِبَ .

وقال وهب بن منبه : كان معهم فيلة ، فأما محمود - وهو فيل الملك - فربض ، ليقتدي به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع[٤] فحصب ، فهربت بقية الفيلة .

وقال عطاء بن يسار ، وغيره : ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعًا ، ومنهم من جعل يتساقط عضوًا عضوًا وهم هاربون ، وكان أبرهة ممن يتساقط عضوًا عضوًا ، حتىٰ مات ببلاد خثعم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون علىٰ كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتىٰ قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتىٰ انصدع صدره عن[٥] قلبه فيما يزعمون .

وذكر مقاتل بن سليمان ؛ أن قريشًا أصابوا مالًا جزيلًا من أسلابهم ، وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ؛ أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤي[٦] به مَرائر الشجر الحَرْمل ، والحنظل[٧] والعُشر ذلك العام[٨] .

وهكذا روي عن عكرمة من طريق جيد .

قال ابن إسحاق : فلما بعث اللّٰه محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان فيما يعد به علىٰ قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة ، لبقاء أمرهم ومدنهم ، فقال : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرًا أبابيل** *

---

[١] - في ز : صفر .
[٢] - في ت : جعفر .
[٣] - في ت : « قال بفيلين فأما محمود فتربض » .
[٤] - في ز : فشجع .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ز : ري .
[٧] - في ز : الفضل .
[٨] - سقط من ز .

ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ . **﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾** ، أي : لئلا يغير شيئًا من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد اللَّه بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم العرب بواحده . قال : وأما السجيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سَنج وجِلّ يعني بالسنج : الحجر ، والجِلّ : الطين ، يقول : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذي لم يُقْضب ، واحدته عصفة . انتهى ما ذكره .

وقد قال حماد بن سلمة عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللَّه - وأبو سلمة بن عبد الرحمن - : **﴿ طيرًا أبابيل ﴾** ، قال : الفرق .

وقال ابن عباس ، والضحاك : أبابيل يتبع بعضها بعضًا . وقال الحسن البصري ، وقتادة : الأبابيل : الكثيرة . وقال مجاهد : أبابيل : شتىٰ متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبابيل : المختلفة ، تأتي من هاهنا ومن هاهنا ، أتتهم من كل مكان .

وقال الكسائي : سمعت [النحويين يقولون : أبّول مثل العجّول . قال : وقد سمعت][١] بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل : إبيل .

وقال ابن جرير(٢) : [حدثنا ابن المثنىٰ][٢] ، حدثني عبد الأعلىٰ ، حدثني داود ، عن إسحاق ابن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل ؛ أنه قال في قوله : **﴿ وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ﴾** هي : الأقاطيع ، كالإبل المؤبلة .

وحدثنا أبو كريب(٣) ، حدثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : **﴿ وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ﴾** قال : لها خراطيم كخراطيم[٣] الطير ، وأكف كأكف الكلاب .

وحدثنا يعقوب(٤) [ ][٤] ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة في قوله : **﴿ طيرًا**

---

(٢) تفسير الطبري (٣٠/٢٩٧) .

(٣) تفسير الطبري (٣٠/٢٩٨) وليس فيه ابن سيرين .

(٤) تفسير الطبري في الموضع السابق .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : ابن . كذا . وفي خ : ابن إبراهيم .

أبابيل ﴾ ، قال : كانت طيرًا خضرًا خرجت من البحر ، لها رءوس كرءوس السباع .

وحدثنا ابن بشار(٥) ، حدثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن عمير[١] : ﴿ طيرًا أبابيل ﴾ ، قال : هي طير سود بحرية[٢] ، [في منقارها][٣] وأظافيرها[٤] الحجارة . وهذه أسانيد صحيحة .

وقال سعيد بن جبير : كانت طيرًا خضرًا لها مناقير صفر ، تختلف عليهم .

وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء : كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب . رواه عنهم ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا أبو[٥] معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن عمير ؛ قال : لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل ، بعث عليهم طيرًا أنشئت[٦] من البحر ، أمثال الخطاطيف ، كل طيرٍ منها يحمل ثلاثة أحجار مجزّعة : حجرين في رجليه وحجرًا في منقاره ، قال : فجاءت حتىٰ صفت علىٰ رءوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر علىٰ رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع علىٰ شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر . وبعث الله ريحًا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعًا .

وقال السدي عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال : طين[٧] في حجارة : « سَنْك[٨] - وكِل » .

وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ ، قال سعيد بن جبير : يعني التبن الذي تسميه العامة : هَبّور . وفي رواية عن سعيد : ورق الحنطة . وعنه أيضًا : العصف : التبن . والمأكول :

---

(٥) تفسير الطبري (٣٠/٢٩٨) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في : دلائل النبوة (ص ١٠٧) من طريق الأعمش . وأخرجه سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش . ومن طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (١/١٢٣ - ١٢٤) . وزاد السيوطي نسبته (٦/٦٧٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

---

[١] - في ز ، خ : عمرو .

[٢] - في ز : بحيرية . وفي خ : محترسة .

[٣] - في ز ، خ : مناقيرها .

[٤] - في ز : وأظافيها .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز : أنساب . وفي خ : أسباب .

[٧] - في ز ، خ : « طير » .

[٨] - في ز : سيد .

القصيل يجز[١] للدواب. وكذلك قال الحسن البصري. وعن ابن عباس: العصف: القشرة التي على الحبة، كالغلاف على الحنطة.

وقال ابن زيد: العصف: ورق الزرع، وورق البقل، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار دَرينا.

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرًا، وأهلك عامتهم، ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح، كما جرى لملكهم أبرهة، فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات. فملك بعده ابنه يكسوم، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستغاثه على الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه، فرد الله إليهم ملكهم، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفود العرب للتهنئة.

وقد قال محمد بن إسحاق(٧): حدثنا عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن ابن أسعد بن زرارة، عن عائشة؛ قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين، يستطعمان. ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضًا عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس، عند إساف ونائلة، حيث يذبح المشركون ذبائحهم.

قلت: كان اسم قائد الفيل أنيسًا.

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم(٨) في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن، وإنما بعث على الجيش رجلًا يقال له: [شمر][٢] بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفًا، وذكر أن الطير طرقتهم ليلًا؛ فأصبحوا صرعى.

وهذا السياق غريب جدًّا، وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره. والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار. وهكذا روى ابن لهيعة، عن الأسود، عن عروة؛ أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتيبة معهم الفيل، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه. والصحيح قدومه، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش، والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق شيئًا من أشعار العرب، فيما كان من قصة أصحاب الفيل(٩)، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى [ ][٣]:

---

(٧) سيرة ابن هشام (٣٧/١).

(٨) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٠١) وما بعدها.

(٩) السيرة النبوية (٣٨/١) وما بعدها.

---

[١] - في ز: يحز.

[٢] - في ز، خ: شمس.

[٣] - في خ: وهو القائل.

تَنَكَّلُوا عَن بَطن مَكَّةَ، إنَّها كَانَتْ قَدِيمًا لا يُرَام حَرِيمُها
لَم تُخلَقِ الشِّعرَىٰ لَيالي حُرِّمَتْ إِذْ لا عَزيزَ مِنَ الأنَام يَرُومُها
سَائل أميرَ الجيش عَنْها : ما رَأَىٰ ؟ فَلَسَوف يُنبي الجاهلينَ عَليمُهَا
ستُّونَ ألفًا لم يئُوبوا أرضَهم ، بَل لَم يعش بَعدَ الإِيابِ سقيمُها
كَانَتْ بها عَادٌ وجُرْهُم قَبْلَهم واللَّهُ من فَوق العباد يُقيمُها

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المرّي[١] :

ومـن صنـعـه يـوم فيل الحبو ش، إذ كـل مـا بـعـثـوه رزمْ
مـحـاجـنـهـم تحـت أقـرابـه[٢] وقَـدْ شَـرَمـوا أنـفَـه[٣] فـانـخَـرَمْ
وَقَـدْ جَـعَـلـوا سَـوطَـه مـغْـولًا إذا يممـوه قـفـاه كُـلِّـمَ
[فَـولـى و][٤] أَدْبَـرَ أَدْرَاجَـه وقد بَاء بالظّلْمِ من كان ثَمّ
فأرسَـلَ مِـنْ فَـوْقـهـم حَـاصـبًـا يَـلُـفُّـهُـمْ مـثْـلَ لَـفِّ الـقُـزُم
تحث[٥] علىٰ الصبر أخبارهم وقـد ثـأجـوا كـثـؤاج الـغـنـم

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، ويروىٰ لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة :

إنّ آيـات رَبّـنـا بَـاقـيـات مـا يمـاري فيهـن إلا الـكـفـور
خُـلِـق الـلـيـل والـنـهـار، فـكـلّ مـسـتـبـين حـسـابـه مـقـدورُ
ثـم يجـلـو الـنـهـارَ ربٌّ رحـيـمٌ بمـهـاة شـعـاعـهـا مـنـشـور
حُبِسَ الفيلُ بالمغمَّسِ حتىٰ صار يـحـبـو كـأنّـه مـعـقـورُ
لازمًا حَلقُه الجِرانَ كما قُطِّر مِـن ظَـهْـر كَـبْـكَـب مَـحـدورُ
حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَالٌ مَـلَاوِيـثُ[٦] في الحُرُوبِ صُقُورُ
خَلَّفُوه ثـم ابذَعَرّوا جَمِيعًا ، كُـلّـهـم عَـظْـمُ ساقِه مَـكْـسُـورُ
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ القِيَامَةِ عند الـ ـلـه إلّا ديـنَ الحَنِـيـفَـةِ[٧] بُـورُ

وقد قدمنا في تفسير « سورة الفتح » (١٠)أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية علىٰ الثنية التي تهبط به علىٰ قريش ، بركت ناقته ، فزجروها فألحت ، فقالوا : خلأت

(١٠) آية (٢٥) .

[١] - في ز ، خ : المدني .
[٢] - في ز : أقرانه .
[٣] - في ز ، خ : أنفهم .
[٤] - في ت : فسول .
[٥] - في ت : تحتث .
[٦] - في ت : ملاوث .
[٧] - في ز : الحنيفية .

القصواء . أي : حَرَنت . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله ، إلا أجبتهم إليها » . ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخاري .

وفي الصحيحين[11] أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة : « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب » .

آخر [تفسير] سورة الفيل ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(١١) صحيح البخاري في كتاب : العلم ، باب : كتابة العلم ، حديث (١١٢) (٢٠٥/١) وطرفاه في [٢٤٣٤ ، ٦٨٨٠] . ومسلم في كتاب : الحج ، باب : تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ، حديث (١٣٥٥/٤٤٧) (١٨٢/٩ - ١٨٣) كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه

[تفسير] سورة « لإيلاف قريش »

[وهي مكية]

(**ذكر حديث غريب في فضلها**) ، قال البيهقي في كتاب الخلافيات(١) : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو ، حدثنا أحمد بن عبيد الله الزينبي[١] ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل ، حدثني عثمان ابن عبد الله بن [أبي عتيق][٢] ، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة ، عن أبيه ، عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « فضل الله قريشًا بسبع خلال : أني منهم[٣] ، وأن النبوة فيهم ، والحجابة والسقاية فيهم ، وأن الله نصرهم علىٰ الفيل ، وأنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم ، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن » . ثم تلاها رسول الله : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام ، كتبوا بينهما سطر ... ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ... وإن كانت متعلقة بما قبلها ، كما صرح بذلك محمد بن إسحاق ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ؛ لأن المعنىٰ عندهما : حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ ، أي : لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين .

وقيل : المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلىٰ اليمن ، وفي الصيف إلىٰ الشام في المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلىٰ بلدهم آمنين في أسفارهم ، لعظمتهم عند الناس ، لكونهم سكان حرم الله ، فمن عرفهم احترمهم ، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم ، هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم ، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال

(١) المستدرك (٥/٥٣٦) ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في الخلافيات . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بأن فيه يعقوب ضعيف ، وإبراهيم صاحب مناكير هذا أنكرها .اهـ .

[١] - في ز ، خ : المديني .
[٢] - في ز ، خ : عبيد .
[٣] - في ز : فيهم .

الله : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **لإيلاف قريش * إيلافهم** ﴾ ، بدل من الأول ومفسر له ؛ ولهذا قال : ﴿ **إيلافهم رحلة الشتاء والصيف** ﴾ .

وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لامُ التعجب ، كأنه يقول : اعجبوا لإيلاف قريش [ونعمتي عليهم][١] في ذلك . قال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت** ﴾ ، أي : فليوحدوه بالعبادة ، كما جعل لهم حرمًا آمنًا وبيتًا محرمًا[٢] ، كما قال تعالى : ﴿ **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **الذي أطعمهم من جوع** ﴾ ، أي : هو رب البيت ، وهو الذي أطعمهم من جوع ، ﴿ **وآمنهم من خوف** ﴾ ، أي : تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا ندًا ولا وثنًا ؛ ولهذا[٣] من استجاب لهذا الأمر[٤] جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال تعالى : ﴿ و[٥] **ضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون** ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم(٢) : حدثنا عبد الله بن عمرو العدني ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ؛ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل أمكم[٦] قريش لإيلاف قريش » . ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا المؤمل ابن الفضل الحراني ، حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر ابن حوشب ، عن أسامة بن زيد ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ويحكم يا معشر قريش ؛ اعبدوا رب هذا

---

(٢) مسند أحمد (٦/٤٦٠) (٢٧٧١٥) من طريق شهر بنحوه . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١٤٦) : رواه أحمد والطبراني (٢٤/١٧٨/٤٤٧) باختصار إلا أنه قال : « ويل أمكم يا قريش لإلافكم رحلة الشتاء والصيف » وفيه عبيد الله بن أبي زياد القداح وشهر بن حوشب وقد وثقا وفيهما ضعف ، وبقية رجال أحمد ثقات . اهـ .

---

[١] - بياض في ز ، خ .
[٢] - في ز : محترمًا .
[٣] - في ز : وهذا .
[٤] - في ز : الأمن .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ز ، خ : انكم .

البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » .

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد ، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، أم سلمة الأنصارية ، رضي اللّٰه عنها . فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية ، واللّٰه أعلم .

[آخر تفسير سورة « لإيلاف قريش » ولله الحمد]

☆ ☆ ☆

[تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون][١]

[وهي مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أرأيت** ﴾ - يا محمد - ﴿ **الذي يكذب بالدين** ﴾ ، وهو : المعاد والجزاء والثواب ، ﴿ **فذلك الذي يدع اليتيم** ﴾ ، أي : هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ، ولا يطعمه ولا يحسن إليه ، ﴿ **ولا يحض علىٰ طعام المسكين** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلا بل لا يكرمون اليتيم * ولا يَحضّون**][٢] **علىٰ طعام المسكين**﴾ يعني : الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته .

ثم قال : ﴿ **فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ ، قال ابن عباس ، وغيره : يعني المنافقين ، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر؛ ولهذا قال : ﴿ **للمصلين** ﴾ ، أي : الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ، ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية ، كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها[٣] شرعًا ، فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق ، وأبو الضحىٰ .

وقال عطاء بن دينار : والحمد لله الذي قال : ﴿**عن صلاتهم ساهون**﴾ ولم يقل في صلاتهم ساهون .

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلىٰ آخره دائمًا أو غالبًا[٤] . وإما عن أدائها بأركانها وشروطها علىٰ الوجه المأمور به . وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها . فاللفظ يشمل هذا كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية . ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها ، وكمل له النفاق العملي . كما ثبت في الصحيحين(١) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب

(١) أخرجه مالك في موطئه في كتاب : القرآن ، باب : النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر ، حديث =

[١] - في ت : سورة الماعون .
[٢] - كذا في خ . وهي قراءة أبي عمرو .
[٣] - في ز : له .
[٤] - في ز : غائبًا . كذا .

الشمس ، حتىٰ إذا كانت بين قرني شيطان[١] قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا » .

فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطىٰ ، كما ثبت به النص إلىٰ آخر وقتها ، وهو وقت كراهة ، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب ، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضًا ؛ ولهذا قال : « لا يذكر الله فيها إلا قليلًا » . ولعله إنما حمله علىٰ[٢] القيام إليها مراءاة الناس ، لا ابتغاء وجه الله ، فهو إذًا لم يصلِّ بالكلية . قال تعالىٰ : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، وإذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **الذين هم يراءون** ﴾ .

وقال الطبراني(٢) : حدثنا يحيىٰ بن عبد الله بن عبدويه[٣] البغدادي ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن يونس ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « إن في جهنم لواديًا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة ، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد : لحامل كتاب الله ، وللمصدق في غير ذات الله ، وللحاج إلىٰ بيت الله ، وللخارج في سبيل الله » .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ؛ قال : كنا جلوسًا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء ، فقال رجل يكنىٰ بأبي يزيد : سمعت عبد الله بن عمرو[٤] ؛ يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من سمّع الناس بعمله ، سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » .

ورواه أيضًا عن غندر(٤) ويحيىٰ القطان(٥) عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ... فذكره[٥] .

= (٤٦) (١٩٢/١) . ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب التبكير بالعصر ، حديث (٦٢٢/١٩٥) (١٧٢/٥) كلاهما من حديث أنس بنحوه . ولم أقف عليه في البخاري .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٥/١٢) (١٢٨٠٣) . قال الهيثمي (٢٢٥/١٠) : رواه الطبراني عن شيخه محمد - كذا في المجمع والذي في الطبراني يحيى كما هنا في التفسير - ابن عبد الله بن عبدويه عن أبيه ولم أعرفهما ، وبقية رجاله رجال الصحيح .اهـ .

(٣) مسند أحمد (٢١٢/٢) (٦٩٨٦) .

(٤) وأخرجه أيضًا (١٩٥/٢) (٦٨٣٩) .

(٥) المسند (١٦٢/٢) (٦٥٠٩) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٢٥/١٠) : رواه الطبراني =

---

[١] - في ت : الشيطان .

[٢] - في ز : إلى .

[٣] - في ز : عبد ربه . وفي خ : عبد الله .

[٤] - في ز : عمر .

[٥] - سقط من ت .

ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿الذين هم يراءون﴾ أن من عمل عملًا لله فاطّلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياء، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده(٦): حدثنا هارون بن معروف، حدثنا مخلد بن يزيد[١]، حدثنا سعيد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: كنت أصلي، فدخل عليَّ رجل، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «كتب لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية».

قال أبو علي هارون بن معروف: بلغني أن ابن المبارك قال: نعم الحديث للمرائين.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وسعيد بن بشير[٢] متوسط، وروايته عن الأعمش عزيزة، وقد رواه غيره عنه[٣].

قال أبو يعلى أيضًا(٧): حدثنا محمد بن المثنى بن موسى، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال[٤] رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يسره، فإذا اطلع عليه[٥] أعجبه؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «له أجران، أجر السر وأجر العلانية».

وقد رواه الترمذي(٨) عن محمد بن المثنى، وابن ماجة عن بندار، كليهما[٦] عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني، واسمه: ضرار بن مرة. ثم قال الترمذي: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره، عن حبيب، عن [أبي صالح][٧] ... مرسلًا.

= في الكبير، والأوسط.. ورواه أحمد وسمى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمن فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح .اهـ. وصححه أحمد شاكر في تعليقاته على المسند.

(٦) رواه البغوي في شرح السنة (٣٢٨/١٤) رقم (٤١٤١) من طريق عبد الحميد بن حريث القرشي عن سعيد ابن بشير به. وسعيد بن بشير ضعيف كما في التقريب.

(٧) رواه الطيالسي ص (٣١٨) رقم (٢٤٣٠) وحبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعن.

(٨) سنن الترمذي في كتاب: الزهد، باب: عمل السر، حديث (٢٣٨٥) (١١٥/٧). وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الثناء الحسن، حديث (٤٢٢٦) (١٤١٢/٢). وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٣٤٤).

---

[١] - في ز، خ: مرثد.
[٢] - في ز: جبير.
[٣] - في ز: عنهم.
[٤] - سقط من خ.
[٥] - في ز: عليهم.
[٦] - في ز: كلاهما.
[٧] - في ت: النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد قال أبو جعفر بن جرير(٩) : حدثني أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان النحوي ، عن جابر الجعفي ، حدثني رجل ، عن أبي برزة الأسلمي؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية : ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ ، قال : « الله أكبر ، هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع[١] الدنيا . و[٢] هو الذي إن صلى لم يَرْجُ خير صلاته ، وإن تركها لم يخف ربه » .

فيه جابر الجعفي ، وهو ضعيف ، وشيخه مبهم لم يسم ، والله أعلم .

وقال ابن جرير أيضًا(١٠) : حدثني زكريا بن أبان المصري ، حدثنا عمرو بن طارق ، حدثنا عكرمة بن إبراهيم ، حدثني عبد الملك بن عمير ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص؛ قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ ، قال : « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » .

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ، أو صلاتها بعد وقتها شرعًا ، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهوًا حتى ضاع الوقت][٣] .

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى(١١) عن شيبان بن فروخ ، عن عكرمة بن إبراهيم به . ثم رواه(١٢) عن أبي الربيع ، عن جابر[٤] ، عن عاصم ، [عن مصعب][٥] ، عن أبيه موقوفًا . [][٦] وهذا أصح إسنادًا ، وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه(١٣) وكذلك الحاكم .

وقوله : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ أي : لا أحسنوا[٧] عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم . فهؤلاء لمنع[٨] الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى . وقد قال ابن أبي نجيح : عن مجاهد ، قال علي : الماعون : الزكاة .

---

(٩) تفسير الطبري (٣١٣/٣٠) .

(١٠) تفسير الطبري (٣١٣/٣٠) .

(١١) مسند أبي يعلى (١٤٠/٢) (٨٢٢) .

(١٢) وأخرجه أيضًا (٦٣/٢ - ٦٤) (٧٤) . إلا أنه قال : حدثنا أبو الربيع حدثنا حماد ولم يقل جابر .

(١٣) أخرجه البيهقي (٢١٤/٢ - ٢١٥) مرفوعًا وموقوفًا ثم قال : وهذا الحديث إنما يصح موقوفًا ، وعكرمة ابن إبراهيم قد ضعفه يحيى بن معين وغيره من أئمة الحديث .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٦] - بياض في ز ، خ بمقدار كلمة ، بعدها كلمة : الوقت .
[٧] - في ز : أحبوا .
[٨] - في ز : يمنع .

وكذا رواه السدي ، عن أبي صالح ، عن عليّ . وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر ، وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وعطية العوفي ، والزهري ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد .

وقال الحسن البصري : إن صلىٰ راءىٰ ، وإن فاتت[١] لم يأس عليها ، ويمنع زكاة ماله . وفي لفظ : صدقة ماله .

وقال زيد بن أسلم : هم المنافقون ، ظهرت الصلاة فصلوها ، وضمنت الزكاة فمنعوها .

وقال الأعمش وشعبة ، عن الحكم ، عن يحيىٰ بن الجزار : أن أبا العُبَيْدَيْنِ سأل عبد اللّٰه بن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر .

[وقال المسعودي عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين : إنه سُئِل ابن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم ، من الفأس والقدر][٢] والدلو وأشباه ذلك .

وقال ابن جرير(١٤) : حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي العبيدين ، وسعد[٣] بن عياض ، عن عبد اللّٰه ؛ قال : كنا أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر ، لا يستغنىٰ عنهن .

وحدثنا خلاد بن أسلم(١٥) ، أخبرنا النضر بن شميل ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ... مثله .

وقال الأعمش(١٦) عن إبراهيم ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد اللّٰه : إنه سئل عن الماعون ، فقال : ما يتعاون[٤] الناس بينهم : الفأس والدلو وشبهه .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثنا عمرو [بن عليّ][٥] الفلاس ، حدثنا أبو داود هو الطيالسي ، حدثنا أبو عوانة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي وائل ، عن عبد اللّٰه ؛ قال : كنا مع نبينا صلىٰ

(١٤) تفسير الطبري (٣١٧/٣٠) وزاد بين أبي إسحاق وأبي العبيدين - حارثة .

(١٥) تفسير الطبري (٣١٧/٣٠) من طريق أبي داود عن شعبة بهذا الإسناد .

(١٦) تفسير الطبري (٣١٨/٣٠) .

(١٧) تفسير الطبري (٣١٩/٣٠) . وأبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : في حقوق المال ، حديث (١٦٥٧) (١٢٤/٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ ، حديث (١١٧٠١) (٥٢٢/٦) . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٥٩) .

[١] - في ت : فاتته .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ ، والطبري : سعيد .

[٤] - في ت : يتعاوره .

[٥] - في ز ، خ : وعكرمة هو .

الله عليه وسلم ونحن نقول : الماعون : منع الدلو وأشباه ذلك .

وقد رواه أبو داود والنسائي ، عن قتيبة ، عن أبي عوانة بإسناده ، نحوه[١] . ولفظ النسائي عن عبد الله قال : كل معروف صدقة ، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ؛ قال : الماعون : العواري ؛ القدر ، والميزان ، والدلو .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ ، يعني متاع البيت . وكذا قال مجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك ، وغير واحد : إنها العارية للأمتعة .

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿ويمنعون الماعون﴾ [قال: لم يجئ أهلها بعدُ .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ ويمنعون الماعون ﴾][٢] ، قال : اختلف الناس في ذلك ، فمنهم من قال : يمنعون الزكاة ، ومنهم من قال : يمنعون الطاعة ، ومنهم من قال : يمنعون العارية . رواه ابن جرير(١٨) . ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم(١٩) ، عن ابن علية ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ : الماعون : منع الناس الفأس والقدر والدلو .

وقال عكرمة : رأس الماعون زكاة المال ، وأدناه المُنْخُل والدلو والإبرة . رواه ابن أبي حاتم .

وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها ، وترجع كلها إلى شيء واحد ، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ؛ ولهذا قال محمد بن كعب : ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ ، قال : المعروف ؛ ولهذا جاء في الحديث(٢٠) : « كل معروف صدقة » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري : ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ ، قال : بلسان قريش : المال .

---

(١٨) تفسير الطبري (٣١٩/٣٠) .

(١٩) تفسير الطبري (٣١٩/٣٠) وزاد أيضًا : الزكاة .

(٢٠) أخرجه البخاري في كتاب : الأدب ، باب : كل معروف صدقة ، حديث (٦٠٢١) من حديث جابر - رضي الله عنه .

---

[١] - في ز ، خ : عنه . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وروىٰ هاهنا حديثًا غريبًا عجيبًا في إسناده ومتنه ، فقال(٢١) : حدثنا أبي وأبو زرعة ؛ قالا : حدثنا قيس بن حفص الدارمي ، حدثنا دلهم بن دهثم[١] العجلي ، حدثنا عائذ[٢] بن ربيعة النميري ، حدثني قرة بن دُعمُوص النميري ؛ أنهم وفدوا إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالوا : يا رسول اللّٰه ، ما تعهد إلينا ؟ قال : « لا تمنعوا[٣] الماعون » . قالوا : يا رسول اللّٰه ؛ وما الماعون ؟ قال : « في الحجر ، وفي الحديدة ، وفي الماء » . قالوا : فأي الحديدة ؟ قال : « قدوركم النحاس ، وحديد الفأس الذي تمتهنون به » . قالوا : وما الحجر ؟ قال : « قدوركم الحجارة » .

غريب جدًّا ، ورفعه[٤] منكر ، وفي إسناده من لا يعرف ، واللّٰه أعلم .

وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة « علي النميري » ، فقال : روىٰ ابن قانع(٢٢) بسنده إلىٰ عائذ بن ربيعة بن قيس النميري ، عن عليّ بن فلان النميري سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « المسلم أخو المسلم ، إذا لقيه حيّاه[٥] بالسلام ، ويرد عليه ما هو خير منه ، لا يمنع الماعون » . قلت : يا رسول اللّٰه ؛ ما الماعون ؟ قال : « الحجر والحديد ، وأشباه ذلك » .

[آخر تفسير سورة الماعون]

☆ ☆ ☆

(٢١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٨٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .
(٢٢) وانظر أسد الغابة لابن الأثير (٤/١٢٧) .

[١] - في ز : دهشم .
[٢] - في ز : عابد .
[٣] - في ز : تمنعون .
[٤] - في ز : رفع .
[٥] - في ز : جاء .

[تفسير] سورة الكوثر

[مدنية ، وقيل : مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك قال : أغفى رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسمًا ، إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إنه أنزلت عليّ آنفًا سورة » ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، حتىٰ ختمها قال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة ، عليه خير كثير ، ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب ، يُخْتَلَج العبد منهم فأقول : يا رب ؛ إنه من أمتي . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ». هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي ، وهذا السياق .

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخُب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر ، وأن عليه آنية عدد نجوم السماء . وقد روىٰ هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي ، من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر ، كليهما[١] عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، ولفظ مسلم قال : « بينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين أظهرنا [في المسجد][٢] إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : «أنزلت عليّ آنفًا سورة » ، فقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ . ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فَيُخْتَلَجُ العبد منهم ، فأقول : رب ؛ إنه من أمتي . فيقول : إنك[٣] ما تدري ما أحدث

---

(١) مسند أحمد (١٠٢/٣) (١٢٠١٤) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : حجة من قال البسملة آية من كل سورة ، حديث (٥٣/٤٠٠) (١٤٨/٤ - ١٤٩) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من لم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، حديث (٧٨٤) (٢٠٨/١) . والنسائي (١٣٣/٢ - ١٣٤) كتاب الافتتاح ، باب : قراءة بسم الله الرحمن الرحيم .

[١] - في ز : كلاهما . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

بعدك ».

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة ، وأنها منزلة معها .

فأما قوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة . وقد رواه الإمام أحمد(٢) من طريق أخرى ، عن أنس فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس : أنه قرأ هذه الآية : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ، ولم يشق شقًا ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي في تربته ، فإذا مشكة[١] ذفِرَةٌ وإذا حصباؤه[٢] اللؤلؤ ».

وقال الإمام أحمد(٣) أيضًا : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ، حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء ، فإذا مسك أذفر ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل » .

ورواه البخاري(٤) في « صحيحه » ومسلم ، من حديث شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال : « أتيت على نهر ، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوفة[٣] ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » . وهذا لفظ البخاري رحمه الله .

وقال ابن جرير (٥) : حدثنا الربيع ، أخبرنا[٤] ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك ابن أبي نمر ؛ قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا ؛ قال : لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل في السماء الدنيا ، فإذا هو بنهر عليه قصر[٥] من لؤلؤ وزبرجد ، فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك ، قال : « يا جبريل ؛ ما هذا النهر ؟ قال : هو الكوثر الذي خبأ لك

(٢) مسند أحمد (٢٤٧/٣) (١٣٦٠٤) .

(٣) مسند أحمد (١٠٣/٣) (١٢٠٢٦) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة إنا أعطيناك الكوثر ، حديث (٤٩٦٤) (٧٣١/٨) . وعزاه المزي في تحفة الأشراف (٣٣٧/١) (١٢٩٩) لمسلم . وقال المزي : حديث مسلم هذا لم يذكره أبو مسعود ووجدته ملحقًا في كتاب خلف .اهـ . وتعقبه ابن حجر في النكت بأن الحميدي أورده في أفراد البخاري .

(٥) تفسير الطبري (٣٢١/٣٠) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : حصاه .

[٣] - في ت : المجوف .

[٤] - في ز : أو .

[٥] - في ز : قبة .

ربك ﴾ .

وقد تقدم حديث الإسراء(٦) في سورة « سبحان » ، من طريق شريك عن أنس ، وهو مخرج في الصحيحين.

وقال سعيد عن قتادة (٧) ، عن أنس : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر ، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف ، فقال الملك الذي معه : أتدري ما [هذا ؟ هذا][١] الكوثر الذي أعطاك الله . وضرب بيده إلىٰ أرضه فأخرج من طينه المسك » .

وكذلك[٢] رواه سليمان بن طرخان ، ومعمر[٣] ، وهمام ، وغيرهم ، عن قتادة ، به .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن أبي سريج[٤] ، حدثنا أبو أيوب العباس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثني محمد بن عبد الله ابن أخي[٥] ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس؛ قال : سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الكوثر ، فقال : « هو نهر أعطانيه الله في الجنة ، ترابه مسك ، أبيض من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، ترده طير ، أعناقها مثل أعناق الجُزُر » . فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ إنها لناعمة ؛ قال : « آكلها أنعم منها » .

وقال أحمد (٨) : حدثنا أبو سلمة الخزاعي ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الوهاب ، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب ، عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول الله ؛ ما الكوثر ؟ قال : « نهر في الجنة أعطانيه ربي ، لهو أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » . قال عمر : يا رسول الله ؛ إنها لناعمة ! قال : « آكلها أنعم منها يا عمر » .

و[٦] رواه ابن جرير ، من حديث الزهري ، عن أخيه [ ][٧] عبد الله ، عن أنس أنه سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الكوثر... فذكر مثله سواء.

وقال البخاري(٩) : حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

(٦) تقدم تخريجه في سورة الإسراء ، آية : (١) .
(٧) مسند أحمد (٣/٢٣١) (١٣٤٤٩) وانظر أول سورة الإسراء . والطبري (٣٠/٣٢٤) .
(٨) مسند أحمد (٣/٢٢٠ - ٢٢١) (١٣٣٣٠) . وأخرجه الطبري (٣٠/٣٢٤) .
(٩) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، حديث (٤٩٦٥) (٨/٧٣١) . وأخرجه أحمد (٦/٢٨١) (٢٦٥١٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الكوثر ، حديث (١١٧٠٥) (٦/٥٢٣) .

[١] - في ز : هو .
[٢] - في ز : كذلك .
[٣] - في ز : عمر .
[٤] - في ز : شريح .
[٥] - في ز : أبي .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : عن .

أبي عبيدة، عن عائشة، قال: سألتها عن قوله تعالىٰ: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، قالت: نهر أعطيه نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم.

ثم قال البخاري: رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق. ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به.

وقال ابن جرير(١٠): حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن سفيان، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة؛ قالت: الكوثر نهر في الجنة، شاطئاه در مجوف. وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء.

و[١] حدثنا ابن حميد(١١)، حدثنا يعقوب القمّي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، عن شقيق[٢] أو مسروق؛ قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين؛ حدثيني عن الكوثر. قالت: نهر في بطنان الجنة. قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت.

وحدثنا أبو كريب(١٢)، حدثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، فليجعل أصبعيه في أذنيه.

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات: «عن رجل، عنها». ومعنىٰ هذا أنه يسمع نظير ذلك، لا أنه يسمعه نفسه، واللّٰه أعلم.

قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعًا، من طريق مالك بن مغول، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم.

ثم قال البخاري(١٣): حدثنا يعقوب بن إبراهيم، [حدثنا هشيم][٣]، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه اللّٰه إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في

---

(١٠) تفسير الطبري (٣٢١/٣٠).

(١١) تفسير الطبري (٣٢٠/٣٠).

(١٢) تفسير الطبري (٣٢١/٣٠).

(١٣) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، حديث (٤٩٦٦) (٨/ ٧٣١).

---

[١] - سقط من ت.

[٢] - في ز: سفيان.

[٣] - سقط من ز.

الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه .

ورواه أيضًا(١٤) من حديث هشيم ، عن أبي بسر[١] ، وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : الكوثر : الخير الكثير .

[وقال الثوري(١٥) عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: الكوثر: الخير الكثير][٢] .

وهذا التفسير يعم النهر وغيره ، لأن الكوثر من الكثرة ، وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر، كما قال ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد[٣] ، ومحارب بن دثار ، والحسن ابن أبي الحسن البصري . حتىٰ[٤] قال مجاهد : هو الخير الكثير في[٥] الدنيا والآخرة .

وقال عكرمة : هو النبوة والقرآن، وثواب الآخرة .

وقد صح عن ابن عباس أنه فسره[٦] بالنهر أيضًا ، فقال ابن جرير (١٦):

حدثنا أبو كريب ، حدثنا عمر بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد [بن جبير][٧] ، عن ابن عباس قال : الكوثر : نهر في الجنة ، حافتاه ذهب وفضة ، يجري علىٰ الياقوت والدر ، ماؤه أبيض من الثلج وأحلىٰ من العسل .

وروىٰ العوفي عن ابن عباس نحو ذلك .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر أنه قال : الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه ذهب وفضة ، يجري علىٰ الدر والياقوت ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل .

---

(١٤) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ **إن أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث (٦٥٧٨) (٤٦٣/١١) .

(١٥) تفسير الطبري (٣٢٠/٣٠) .

(١٦) تفسير الطبري (٣٢٠/٣٠) .

(١٧) سيأتي مرفوعًا عند الترمذي وقد خرجه المزي في تحفة الأشراف (٧٤١٢) ولم يذكر هذا الطريق الموقوف . والحديث بهذا الإسناد في الطبري (٣٢٠/٣٠) .

---

[١] - في ز : بشر .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز ، خ : حين .

[٥] - في ز : من .

[٦] - في ز : فسر .

[٧] - سقط من خ .

وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد ، عن جرير ، عن عطاء بن السائب ، به مثله ، موقوفًا .

وقد روي مرفوعًا فقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا علي بن حفص ، حدثنا[١] ورقاء قال ... وقال عطاء عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : «الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، والماء يجري علىٰ اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل » .

وهكذا رواه الترمذي ، وابن ماجة ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من طريق محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، به مرفوعًا . وقال الترمذي : « حسن صحيح » .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لي محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جبير في الكوثر ؟ قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال : هو الخير الكثير . فقال : صدق ، و[٢] الله إنه للخير الكثير ، ولكن حدثنا ابن عمر قال : لما[٣] نزلت : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، يجري علىٰ الدر والياقوت » .

وقال ابن جرير(٢٠) : حدثني ابن البرقي[٤] ، حدثنا ابن [أبي مريم][٥] ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حرام[٦] بن عثمان ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أسامة بن زيد ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ حمزة بن عبد المطلب يومًا فلم يجده ، فسأل امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت : خرج - يا نبي الله - آنفًا عامدًا نحوك ، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار ، أولا تدخل يا[٧] رسول الله ؟ فدخل ، فقدمت إليه حيسًا فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله ، هنيئًا لك ومريئًا ، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك ، أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا في الجنة [يدعىٰ الكوثر][٨] . فقال : « أجل ،

---

(١٨) مسند أحمد (٦٧/٢) (٥٣٥٥) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الكوثر ، حديث (٣٣٥٨) (٨٤/٩) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : صفة الجنة ، حديث (٤٣٣٤) (١٤٥٠/٢) . والطبري (٣٢٤/٣٠) . وصححه أحمد شاكر .

(١٩) تفسير الطبري (٣٢٥/٣٠) .

(٢٠) تفسير الطبري (٣٢٥/٣٠) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : إبراهيم .
[٦] - في ز : حزام .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من خ .

وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان ، وزبرجد ولؤلؤ » .

حرام[١] بن عثمان : ضعيف . ولكن هذا سياق حسن ، وقد صح أصل هذا ، بل قد تواتر من طرق[٢] تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ، وكذلك أحاديث الحوض. [ ][٣] وهكذا روي عن أنس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وغير واحد من السلف : أن الكوثر نهر في الجنة . وقال عطاء : هو حوض في الجنة .

وقوله : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ ، أي : كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته : فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك ، فاعبده وحده لا شريك له ، وانحر علىٰ اسمه وحده لا شريك له . كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ ، قال ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن : يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك ، والربيع ، وعطاء الخراساني ، والحكم ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وغير واحد من السلف . وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله ، والذبح علىٰ غير اسمه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ...**﴾ الآية .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **وانحر** ﴾ : وضع اليد اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ تحت النحر . يروىٰ هذا عن علي ، ولا يصح ، وعن الشعبي مثله[٤] .

وعن أبي جعفر الباقر : ﴿ **وانحر** ﴾ يعني : ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة .

وقيل[٥] : ﴿ **وانحر** ﴾ ، أي : استقبل بنحرك القبلة . ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابنُ جرير .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا منكرًا جدًّا فقال : حدثنا وهب بن إبراهيم الفامي[٦] - سنة خمس وخمسين ومائتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي ، حدثنا مقاتل بن حيان ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي بن أبي طالب ؛ قال : لما نزلت هذه السورة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر** ﴾ ، قال رسول الله : « يا جبريل ؛ ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟ » فقال[٧] : ليست بنحيرة ، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت ،

---

[١] - في ز ، خ : حزام . [٢] - في ز : طريق .
[٣] - في ز ، خ : « ولنذكرها هنا وكل هذه الأقوال غريبة جدًّا .
[٤] - سقط من ز . [٥] - في ز : وأقبل .
[٦] - في ز ، خ : القاضي . [٧] - في ز : قال .

فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع ، وإن لكل شيء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة .

وهكذا رواه الحاكم(٢١) في المستدرك من حديث إسرائيل بن حاتم به .

وعن عطاء الخراساني ، [﴿ وانحر ﴾ ، أي][١] : ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل ، وأبرز نحرك ، يعني به الاعتدال . رواه ابن أبي حاتم .

[وكل هذه الأقوال غريبة جدًا][٢] . والصحيح القول الأول : أن المراد بالنحر ذبح المناسك ؛ ولهذا كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يصلي يوم[٣] العيد ثم ينحر نسكه ويقول : « من صلىٰ صلاتنا ونسك نسكنا ، فقد أصاب النسك . ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » . فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول اللّه ؛ إني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم يشتهىٰ فيه اللحم . قال : « شاتك شاة لحم » . قال : فإن عندي عناقًا هي أحبُّ إليّ من شاتين ، أفتجزئ عني ؟ قال : « تجزئك ، ولا تجزئ أحدًا بعدك »(٢٢) .

قال أبو جعفر بن جرير : والصواب قول من قال : معنىٰ ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكرًا له علىٰ ما أعطاك من الكرامة والخير ، الذي لا كِفَاءَ له ، وخصك به .

وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلىٰ هذا المعنىٰ : محمد بن كعب القرظي وعطاء .

وقوله : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، أي : إن مبغضك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والحق والبرهان الساطع والنور المبين ، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة : نزلت في العاص بن وائل .

وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ؛ قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره . فأنزل اللّه هذه السورة . وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبة بن أبي معيط .

(٢١) المستدرك (٢/٥٣٧ - ٥٣٨) . وتعقبه الذهبي بأن فيه إسرائيل صاحب عجائب لايعتمد عليه ، وأصبغ شيعي متروك عند النسائي .

(٢٢) أخرجه البخاري في كتاب : العيدين ، باب : الأكل يوم النحر ، حديث (٩٥٥) (٢/٤٤٧) . ومسلم في كتاب : الأضاحى ، باب : وقتها ، حديث (١٩٦١) . كلاهما من حديث البراء به نحوه .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ت .

وقال ابن عباس أيضًا ، وعكرمة : نزلت في كعب بن الأشرف ، و[١] جماعة من كفار[٢] قريش .

وقال البزار(٢٣) : حدثنا زياد بن يحيىٰ الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت [سيدهم][٣] ، ألا ترىٰ إلىٰ هذا المُصَنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة ، وأهل السقاية . فقال : أنتم خير منه . قال : فنزلت : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

و[٤] هكذا رواه البزار[٥] ، وهو إسناد صحيح .

وعن عطاء قال[٦] : نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فذهب أبو لهب إلىٰ المشركين وقال : بتر محمد الليلة . فأنزل الله [في ذلك][٧] : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل . وعنه ﴿ **إن شانئك** ﴾ ، يعني : عدوك . وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم .

وقال عكرمة : الأبتر : الفرد . وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بتر . فلما مات أبناء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالوا : بتر محمد . فأنزل الله : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

وهذا يرجع إلىٰ ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره ، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه[٨] ينقطع ذكره ، وحاشا وكلّا ، بل قد أبقىٰ الله ذكره علىٰ رءوس الأشهاد ، وأوجب شرعه علىٰ رقاب العباد ، مستمرًا علىٰ دوام الآباد ، إلىٰ يوم الحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم التناد .

آخر تفسير سورة الكوثر ، ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

(٢٣) مختصر زوائد البزار (١٢١/٢) (١٥٣٨) من طريق الحسن بن علي الواسطي عن يحيى بن راشد عن داود بهذا الإسناد . قال ابن حجر : ضعيف .

[١] - في ز : في .
[٢] - في ز : كبار .
[٣] - في ز : سيد ثم .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : الترمذي .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من خ .

[تفسير] سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾

[وهي مكية]

ثبت في صحيح مسلم(١) ، عن جابر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة ، وبـ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ في ركعتي الطواف . وفي صحيح مسلم(٢) ، من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب ، بضعًا وعشرين مرة - أو : بضع عشرة مرة - ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ .

وقال أحمد أيضًا(٤) : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؛ قال : رمقت النبي صلىٰ الله عليه وسلم أربعًا وعشرين - أو : خمسًا وعشرين - مرة ، يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بـ ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ .

وقال أحمد (٥): حدثنا أبو أحمد - هو محمد بن عبد الله بن الزبير[١] الزبيري - حدثنا سفيان - هو[٢] الثوري - عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؛ قال : رمقت النبي صلىٰ الله عليه وسلم شهرًا ، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ، حديث (١٢١٨/١٤٧) (٢٤٣/٨) في حديث جابر الطويل .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، حديث (٧٢٦/٩٨) (٨/٦).

(٣) مسند أحمد (٢٤/٢) (٤٧٦٣) . وصححه أحمد شاكر .

(٤) مسند أحمد (٩٩/٢) (٥٧٤٢) . وصححه أحمد شاكر .

(٥) مسند أحمد (٩٤/٢) (٥٦٩١) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر ، حديث (٤١٧) (٨٤/٢) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء فيما يقرأ في الركعتين قبل الفجر ، حديث (١١٤٩) (٣٦٣/١) . وقد وقع في المطبوع من ابن ماجة إسحاق بدلًا من أبي إسحاق وهو تحريف . ينظر تحفة الأشراف(٢٣٨٠/٦) (٧٣٨٨) . والحديث صححه أحمد شاكر .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز ، خ : عن .

وكذا رواه الترمذي و[ابن ماجة ، من حديث أبي أحمد الزبيري][١] ، أخرجه النسائي(٦) من وجه آخر ، عن أبي إسحاق ، به . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

و[قد][٢] تقدم في الحديث][٣] أنها تعدل ربع القرآن ، و ﴿ إذا زلزلت ﴾ تعدل ربع القرآن .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن فروة ابن نوفل - هو ابن معاوية - عن أبيه ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال له : « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » . قال : أراها زينب . قال : ثم جاء فسأله النبي صلىٰ الله عليه وسلم عنها ، قال : « ما فعلت الجارية ؟ » قال : تركتها عند أمها . قال « فمجيء ما جاء بك ؟ » قال : جئت لتعلمني شيئًا أقوله عند منامي . قال : « اقرأ : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، ثم نم علىٰ خاتمتها ، فإنها براءة من الشرك » . تفرد به أحمد .

وقال أبو القاسم الطبراني(٨) : حدثنا أحمد بن عمرو القطراني ، حدثنا محمد بن الطفيل ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن جبلة بن حارثة - وهو أخو زيد بن حارثة - أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ حتىٰ تمر بآخرها ، فإنها براءة من الشرك » .

وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن فروة[٤] بن نوفل ، عن الحارث بن جبلة قال : قلت : يا رسول الله ؛ علمني شيئًا أقوله عند منامي . قال : « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، فإنها براءة من الشرك » .

وروىٰ الطبراني(١٠) من طريق شريك ، [عن] جابر ، عن معقل الزبيدي ، عن [عباد أبي

(٦) سنن النسائي (١٧٠/٢) كتاب الافتتاح ، باب : القراءة في الركعتين بعد المغرب .
(٧) أطراف المسند لابن حجر (٤٢٥/٥) (٧٤٨٤) وهو ساقط من المطبوع . والحديث عند أحمد من طريق يحيى بن آدم ، ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق (٤٥٦/٥) (٢٣٩٢٠) . به نحوه .
(٨) معجم الطبراني (٢٨٧/٢) (٢١٩٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٤/١٠) : رواه الطبراني ورجاله وثقوا .
(٩) أطراف المسند (٢٢٠/٢ - ٢٢١) (٢١٣٦) .
(١٠) رواه الطبراني (٨١/٤)(٣٧٠٨) من حديث محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، عن عبد الرحمن بن شريك ، عن أبيه وعن جابر ، عن معقل به ،

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : « وتقدم حديث » .
[٤] - في ز ، خ : عروة .

الأخضر عن خباب] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قرأ : ﴿ **قل : يا أيها الكافرون** ﴾ حتىٰ يختمها [والله أعلم][١] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

هذه السورة سورة البراءة من[٢] العمل الذي يعمله المشركون ، وهي آمرة بالإخلاص فيه ، فقوله : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ شمل كل كافر علىٰ وجه الأرض ، ولكن المواجهين[٣] بهذا الخطاب هم كفار قريش .

وقيل : إنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة ، وأمر رسوله صلىٰ الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية ، فقال : ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾ يعني من الأصنام والأنداد ، ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ ، وهو الله وحده لا شريك له . فـ « ما » هاهنا بمعنىٰ « من » .

ثم قال : ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم ∗ ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ ، أي : ولا أعبد عبادتكم ، أي : لا أسلكها ولا أقتدي بها ، وإنما أعبد الله علىٰ الوجه الذي يحبه ويرضاه ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ ، أي : لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته ، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم ، كما قال : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوىٰ الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ** ﴾ ، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه ، فإن العابد لابد له من معبود يعبده ، وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ، ولهذا كان كلمة الإسلام[٤] « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، أي : لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ؛ ولهذا قال لهم الرسول صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن[٥] كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما**

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : في .

[٣] - في ز : المواجهون .

[٤] - في خ : الإخلاص .

[٥] - في ز : فإن .

تعملون ﴾ . وقال : ﴿ **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم** ﴾ .

وقال البخاري(١١) : يقال : ﴿ **لكم دينكم** ﴾ الكفر ، ﴿ **ولي دين** ﴾ الإسلام . ولم يقل « ديني » لأن الآيات بالنون ، فحذف الياء ، كما قال : ﴿ **فهو يهدين** ﴾ و ﴿ **يشفين** ﴾ . وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ، ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم الذين قال : ﴿ **وليزيدن كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا** ﴾ . انتهىٰ ما ذكره .

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد ، كقوله ﴿ [**فإن مع العسر يسرًا**][١] * **إن مع العسر يسرًا** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين** ﴾ . وحكاه بعضهم - كابن الجوزي وغيره - عن ابن قتيبة ، فالله أعلم .

فهذه ثلاثة أقوال : أولها ما ذكرناه أولًا . الثاني : ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد : ﴿ **لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ في الماضي ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ في المستقبل . الثالث : أن ذلك تأكيد محض .

وثمّ قول رابع ، نصره أبو العباس بن تيميّة في بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية ، ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم** ﴾ ، نفي قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفىٰ الفعل وكونه قابلًا لذلك . ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضًا . وهو قول حسن أيضًا ، والله أعلم .

وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة : ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ ، علىٰ أن الكفر كله ملة واحدة تورثه اليهود من النصارىٰ ، وبالعكس ، إذا[٢] كان بينهما [نسب أو][٣] سبب يتوارث به ؛ لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان .

وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلىٰ عدم توريث النصارىٰ من اليهود وبالعكس ، لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا يتوارث أهل ملتين شتىٰ »(١٢).

---

(١١) فتح الباري (٨/٧٣٣) في كتاب : التفسير ، باب : سورة : ﴿ **قل يـٰأيها الكافرون** ﴾ .

(١٢) أخرجه أحمد (٢/١٧٨ - ١٩٥) . وأبو داود في كتاب : الفرائض ، باب : هل يرث المسلم الكافر ، حديث (٢٩١١) (٣/١٢٥ - ١٢٦) . وابن ماجة في كتاب : الفرائض ، باب : ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك ، حديث (٢٧٣١) (٢/٩١٢) . وابن الجارود في المنتقي (٩٦٧) . وحسنه الألباني في الإرواء (١٦٧٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . [٢] - في ت : إذ .

[٣] - في ز : نسبا و .

آخر تفسير[١] سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ، ولله الحمد والمنة .

[وبه التوفيق والعصمة][٢] .

☆ ☆ ☆

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز ، ت .

[تفسير] سورة إذا جاء نصر اللّٰه والفتح

[وهي مدنية]

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، و ﴿ إذا زلزلت ﴾ تعدل ربع القرآن.

وقال النسائي(١) : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا جعفر، عن أبي العُمَيْس (ح) وأخبرنا أحمد[١] بن سليمان، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس، عن عبد المجيد ابن سهيل، عن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة؛ قال: قال لي ابن عباس: يا بن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم، ﴿ إذا جاء نصر اللّٰه والفتح ﴾. قال: صدقت.

وروىٰ الحافظ أبو بكر البزار(٢) والبيهقي، من حديث موسىٰ بن عبيدة الربذي، عن صدقة ابن يسار، عن ابن عمر؛ قال: أنزلت هذه السورة: ﴿ إذا جاء نصر اللّٰه والفتح ﴾ علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء[٢] فرحلت[٣]، ثم قام فخطب الناس ... فذكر خطبته المشهورة.

وقال[٤] الحافظ البيهقي(٣) : أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد[٥] الصفار، حدثنا الأسفاطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا [عباد بن][٦] العوام، عن هلال ابن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: لما نزلت: ﴿ إذا جاء نصر اللّٰه والفتح ﴾، دعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فاطمة وقال: « إنه قد نعيت إليّ نفسي »، فبكت، ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت، ثم قال: « اصبري فإنك أول أهلي لحاقًا[٧] بي ». فضحكت.

وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة.

---

(١) سنن النسائي، الكبرى في كتاب: التفسير، باب: سورة النصر، حديث (١١٧١٣) (٦/٥٢٥). والحديث في صحيح مسلم (٣٠٢٤/٢١) في كتاب: التفسير من طريق جعفر بن عون.

(٢) أخرجه البزار كما في « مجمع الزوائد » (٣/٢٦٩ - ٢٧١) وقال الهيثمي: قلت في الصحيح وغيره طرف منه - رواه البزار وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. اهـ.

(٣) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٧/١٦٧).

---

[١] - في ز، خ: محمد.

[٢] - في ز: القصوى.

[٣] - سقط من خ.

[٤] - بياض في ز.

[٥] - في ز: عبد.

[٦] - في ز، خ: عساكر.

[٧] - في ز: إلحاقًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

قال البخاري(٤) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم يدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رُؤيتُ أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم . فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا ، فقال لي : أكذلك[١] تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فذلك علامة أجلك ، ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ . فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرد به البخاري .

وروىٰ ابن جرير(٥) ، عن محمد بن حميد ، عن مهران ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس .. فذكر مثل هذه[٢] القصة ، أو نحوها .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « نعيت إليّ نفسي ... » بأنه مقبوض في تلك السنة . تفرد به أحمد .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس مثله . وهكذا قال مجاهد ، وأبو العالية ، والضحاك ، وغير واحد : إنها أجل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نعي إليه .

وقال ابن جرير(٧) : حدثني إسماعيل بن موسىٰ ، حدثنا الحسين بن عيسىٰ الحنفي ، عن

---

(٤) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** ﴾ ، حديث (٤٩٧٠) (٨/٧٣٤ - ٧٣٥) .

(٥) تفسير الطبري (٣٠/٣٣٤) .

(٦) مسند أحمد (١/٢١٧) (١٨٧٣) . وصحح إسناده أحمد شاكر .

(٧) تفسير الطبري (٣٠/٣٣٢) .

---

[١] - في ز : أكذاك . [٢] - في ز : هية .

معمر، عن الزهري، عن أبي حازم، عن ابن عباس؛ قال: بينما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في المدينة إذ قال: « الله أكبر، الله أكبر، جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن ». قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية ».

ثم رواه(٨) عن ابن عبد الأعلىٰ، عن ابن ثور[١]، عن معمر، عن عكرمة ... مرسلًا.

وقال الطبراني(٩): حدثنا زكريا بن يحيىٰ، حدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا أبو عوانة، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: لما نزلت: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ...﴾ حتىٰ ختم السورة، قال: نعيت لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادًا في أمر الآخرة. وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ذلك: « جاء الفتح ونصر الله، وجاء أهل اليمن ». فقال رجل: يا رسول الله؛ وما أهل اليمن؟ قال: « قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم[٢]، الإيمان يمان، والفقه يمان ».

وقال الإمام أحمد(١٠): حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾، علم النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن قد نعيت إليه نفسه، فقيل: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ...﴾ السورة كلها.

حدثنا وكيع(١١)، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين: أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾، قال: لما نزلت نعيت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه.

وقال الطبراني(١٢): حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي، حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن عون، عن أبي العميس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾.

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٣): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة،

---

(٨) تفسير الطبري (٣٣٣/٣٠).

(٩) معجم الطبراني (٣٢٨/١١ - ٣٢٩) (١١٩٠٣). قال الهيثمي في « المجمع » (٢٦/٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد... وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح.

(١٠) مسند أحمد (٣٤٤/١) (٣٢٠١). وصحح إسناده أحمد شاكر.

(١١) مسند أحمد (٢٥٦/١) (٣٣٥٣).

(١٢) معجم الطبراني الكبير(٣٦٩/١٠) (١٠٧٣٦).

(١٣) مسند أحمد (٢٢/٣) (١١١٨١).

---

[١] - في ز: برز. [٢] - في ز، ت: قلوبهم.

عن أبي البختري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ أنه قال لما نزلت هذه السورة : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، قرأها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ ختمها ، فقال : « الناس حيز ، وأنا وأصحابي حيز » . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » . فقال له مروان[١] : كذبت - وعنده رافع بن خديج ، وزيد بن ثابت ، قاعدان معه علىٰ السرير - فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة[٢] قومه ، وهذا يخشىٰ أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق .

تفرد به أحمد ، وهذا الذي أنكره مروان علىٰ أبي سعيد ليس بمنكر ، فقد ثبت من رواية ابن عباس ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال يوم الفتح : « لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فانفروا » . أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(١٤) .

فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر - رضي الله عنهم أجمعين - من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه ، يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحىٰ ثماني ركعات ، فقال قائلون : هي صلاة الضحىٰ . وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها ، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرًا لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلىٰ آخر شهر رمضان قريبًا من [تسعة عشر][٣] يومًا يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش ، وكانوا نحوًا من عشرة آلاف . قال هؤلاء : وإنما كانت صلاة الفتح ، قالوا : فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدًا أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات . وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ، ثم قال بعضهم : يصليها كلها بتسليمة واحدة . والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين ، كما ورد في سنن أبي داود(١٥) ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين . وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله عنهما [ ][٤] أن هذه السورة نُعي فيها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه الكريمة ، واعلم أنك إذا فتحت مكة - وهي : قريتك التي أخرجتك - ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، فقد فرغ شغلنا[٥] بك[٦] في الدنيا ، فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا ، فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ .

(١٤) تقدم تخريجه في آل عمران (٩٧) .

(١٥) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : صلاة الضحى حديث (١٢٩٠) (٢٨/٢) من حديث أم هانئ - رضي الله عنها - وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٨١) .

[١] - في ز ، خ : هارون .
[٢] - في ز : عراقبة .
[٣] - في ز : تسع عشرة .
[٤] - في ت : من .
[٥] - في ز : شغلكا . كذا . وفي خ : شغلك .
[٦] - سقط من خ .

قال النسائي(١٦) : أخبرنا عمرو بن منصور ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عوانة ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال لما نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ...**﴾ إلىٰ آخر السورة ، قال : نعيت لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت ، فأخذ في أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ذلك : « جاء الفتح ، وجاء نصر الله ، وجاء أهل اليمن » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان يمان[١] ، والحكمة يمانية ، والفقه يمان » .

وقال البخاري(١٧) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عائشة ؛ قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكثر [أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك ، اللّهم اغفر لي » - يتأول القرآن .

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي، من حديث منصور به .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ؛ قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكثر][٢] في آخر أمره من قول : « سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه » . وقال : « إن ربي كان أخبرني أني سأرىٰ علامة في أمتي ، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره ، إنه كان توابًا ، فقد رأيتها : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره ﴿ إنه كان توابًا** ﴾ » .

ورواه مسلم من طريق داود ، وهو ابن أبي هند به .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا عاصم ، عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا

(١٦) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة النصر ، حديث (١١٧١٢) (٥٢٥/٦) .

(١٧) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة إذا جاء نصر الله والفتح ، حديث (٤٩٦٨) (٧٣٣/٨) . وأخرجه مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، حديث (٤٨٤/٢١٧) (٢٦٨/٤) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في الدعاء في الركوع والسجود (١٩٠/٢) كتاب : الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر في الركوع . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : التسبيح في الركوع والسجود ، حديث (٨٨٩) (٢٨٧/١) .

(١٨) مسند أحمد (٣٥/٦) (٢٤١٧٤) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، حديث (٤٨٤/٢٢٠) (٢٧٠/٤) .

(١٩) تفسير الطبري (٣٣٥/٣٠) .

[١] - سقط من ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

يذهب ولا يجيء ، إلا قال : « سبحان اللّٰه وبحمده » . فقلت : يا رسول اللّٰه ، إنك تكثر من سبحان اللّٰه وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : « سبحان اللّٰه وبحمده » ؟ قال : « إني أمرت بها » ، فقال : ﴿ **إذا جاء نصر اللّٰه والفتح** ...﴾ إلىٰ آخر السورة. غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد ، فيكتب هاهنا .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد اللّٰه؛ قال : لما نزلت علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إذا جاء نصر اللّٰه والفتح** ﴾ ، كان يكثر إذا قرأها - وركع - أن يقول : « سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك ، اللّٰهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » . ثلاثًا. تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن مرة ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق به .

والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولًا واحدًا ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر علىٰ قومه فهو نبي . فلما فتح اللّٰه عليه مكة دخلوا في دين اللّٰه أفواجًا ، فلم تمض سنتان حتىٰ استوسقت جزيرة العرب إيمانًا ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقد روىٰ البخاري(٢١) في صحيحه ، عن عمرو بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبي .. الحديث . وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا : « السيرة » ، فمن أراد[١] فليراجعه هناك ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد(٢٢) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني جار لجابر بن عبد اللّٰه؛ قال : قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد اللّٰه ، فسلم عليّ ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس، وما أحدثوا فجعل جابر يبكي ، ثم قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « إن الناس دخلوا في دين اللّٰه أفواجًا ، وسيخرجون منه أفواجًا » .

[آخر تفسير سورة النصر ، وللّٰه الحمد]

(٢٠) مسند أحمد (٣٨٨/١) (٣٦٨٣) .

(٢١) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : (٥٣) ، حديث (٤٣٠٢) (٢٢/٨) .

(٢٢) مسند أحمد (٣٤٣/٣) (١٤٧٣٨) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٨٤/٧) : رواه أحمد وجابر - كذا قال ولعل الصواب جار جابر - لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ .

[١] - في ت : أراده .

[تفسير] سورة المسد[١]

[وهي مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾

قال البخاري(١) : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو ابن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خرج إلىٰ البطحاء ، فصعد الجبل فنادىٰ : « يا صباحاه ! » . فاجتمعت إليه قريش ، فقال[٢] : « أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقوني ؟ » . قالوا : نعم . قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » . فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تبًا لك ! فأنزل الله : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ...﴾ إلىٰ آخرها .

وفي رواية(٢) : فقام ينفض يديه ، وهو يقول : تبًا لك سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ .

الأول دعاء عليه[٣] ، والثانىٰ خبر عنه ، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واسمه : عبد العزىٰ بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتبة . وإنما سمي « أبا لهب » لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا إبراهيم بن العباس[٤] ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه قال : أخبرني رجل يقال له : ربيعة بن عباد ، من بني الديل ، وكان جاهليًا فأسلم ، قال :

(١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ ، حديث (٤٩٧٢) (٧٣٧/٨) . وأطرافه في : [١٣٩٤ ، ٣٥٢٥ ، ٣٥٢٦ ، ٤٧٧٠ ، ٤٨٠١ ، ٤٩٧١ ، ٤٩٧٣] .

(٢) صحيح البخاري (٤٧٧٠) دون : فقام ينفض يديه .

(٣) المسند (٣٤١/٤) (١٩٠٥٨) .

[١] - في ز : تبت .

[٢] - في ز : قال .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : أبي العباس .

رأيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس ؛ قولوا : لا إله إلا اللّٰه . تفلحوا » . والناس مجتمعون[١] عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ؟ فقالوا : هذا عمّه أبو لهب .

ثم رواه عن سريج[٢] (٤)، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، فذكره . قال أبو الزناد : قلت لربيعة : كنت يومئذ صغيرًا ؟ قال : لا ، واللّٰه إني يومئذ لأعقل أني أزفر[٣] القربة . تفرد به أحمد .

وقال محمد بن إسحاق(٥) : حدثني حسين بن عبد اللّٰه بن عبيد اللّٰه بن عباس ؛ قال : سمعت ربيعة بن عباد الديلي ؛ يقول : إنى لمع أبي رجل شاب ، أنظر إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يتبع القبائل - ووراءه رجلٌ أحول وضيء ، ذو جمة - يقف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ القبيلة فيقول : « يا بني فلان ؛ إني رسول اللّٰه إليكم ، آمركم أن تعبدوا اللّٰه لا تشركوا به شيئًا ، وأن تصدقوني وتمنعوني حتىٰ أُنفِّذَ عن اللّٰه ما بعثني به » . وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه : يا بني فلان ؛ هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزىٰ وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ، إلىٰ ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه . فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : عمه أبو لهب . رواه أحمد أيضًا والطبراني بهذا اللفظ .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ ، أي : خسرت وخابت ، وضل عمله وسعيه ، ﴿ **وتب** ﴾ ، أي : وقد تبَّ تحقق[٤] خسارته وهلاكه .

وقوله : ﴿ **ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب** ﴾ قال ابن عباس وغيره : ﴿ **وما كسب** ﴾ يعني : ولده . وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين ، مثله .

وذكر عن ابن مسعود أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما دعا قومه إلىٰ الإيمان ، قال أبو لهب : إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا ، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي . فأنزل اللّٰه : ﴿ **ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **سيصلىٰ نارًا ذات لهب** ﴾ ، أي : ذات شرر ولهيب وإحراق شديد ، ﴿ **وامرأته حمالة الحطب** ﴾ ، و[٥] كانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهي : أم جميل ،

(٤) مسند أحمد (٣٤١/٤ - ٣٤٢) (١٩٠٥٩) .

(٥) سيرة ابن هشام (٢٨٧/٢) بنحوه إلا أنه قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال : إني لغلام ... .

[١] - في ز ، خ : يجتمعون .

[٢] - في ز : شريح .

[٣] - في ز : أرفرف . وزفر الشيء : حمله .

[٤] - في خ : تحققت .

[٥] - سقط من ز .

واسمها أروىٰ بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان ، وكانت عونًا لزوجها علىٰ كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم ؛ ولهذا قال : ﴿ **حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد** ﴾ ، يعني : تحمل الحطب فتلقي علىٰ زوجها ، ليزداد علىٰ ما هو فيه ، وهي مهيأة لذلك مستعدة له .

﴿ **في جيدها حبل من مسد** ﴾ قال مجاهد وعروة : من مسد النار .

وعن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والثوري ، والسدي : ﴿ **حمالة الحطب** ﴾ : كانت تمشي بالنميمة .

[وقال العوفي عن ابن عباس ، وعطية الجدلي ، والضحاك ، وابن زيد : كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . واختاره ابن جرير] .

قال ابن جرير : وقيل : كانت تعير النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالفقر ، وكانت تحتطب ، فعيرت[١] بذلك .

كذا حكاه ، ولم يعزه إلىٰ أحد . والصحيح الأول ، والله أعلم .

قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، [فقالت : لأنفقنها][٢] في عداوة محمد . يعني فأعقبها الله بها حبلًا في جيدها من مسد النار .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سليم مولىٰ الشعبي ، عن الشعبي قال : المسد : الليف .

وقال عروة بن الزبير: المسد: سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا . وعن الثوري: هي قلادة من نار، طولها سبعون ذراعًا .

وقال الجوهري : المسد : الليف . والمسد أيضًا : حبل من ليف أو خوص ، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ، ومسدت الحبل أمسده مسدًا : إذا أجدت فتله .

وقال مجاهد : ﴿ **في جيدها حبل من مسد** ﴾ ، أي : طوق من حديد ، ألا ترىٰ أن العرب يسمون البكرة مسدًا ؟ .

وقال ابن أبي حاتم (٦): حدثنا أبي وأبو زرعة ؛ قالا : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي ،

(٦) أخرجه الحميدي (١٥٣/١ - ١٥٤) (٣٢٣) . وأخرجه الحاكم (٣٦١/٢) وصححه ووافقه الذهبي . والبيهقي في الدلائل (١٩٥/٢ - ١٩٦) . كلهم من طريق سفيان بهذا الإسناد بنحوه .

[١] - في ز : فعثرت .

[٢] - في ز : قالت لأنفقها .

حدثنا سفيان ، حدثنا الوليد بن كثير ، عن ابن بدوس ، عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت : لما نزلت : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ، أقبلت[١] العوراء أم جميل بنت حرب ، ولها ولولة ، وفي يدها فهر ، وهي تقول ، لعنها الله[٢] :

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا

ودينَه قَلَيْنا

وَأَمْرَه عَصَيْنا

ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إنها لن تراني » . وقرأ قرآنًا اعتصم به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا ﴾ . فأقبلت حتىٰ وقفت علىٰ أبي بكر ولم تر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر ؛ إني[٣] أخبرت أن صاحبك هجاني ؟ قال : لا ، ورب هذا البيت ما هجاك . فولت وهي تقول : قد علمت قريش أني ابنة سيدها . قال : وقال الوليد في حديثه أو غيره : فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت [ ][٤] ، فقالت : تعس مذمم ! فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إني لحصان فما[٥] أكلَّم، وثقاف فما[٦] أعلم، وكلنا من بني العم[٧] ، وقريش بعدُ أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٧) : حدثنا إبراهيم بن سعيد، وأحمد بن إسحاق؛ قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : لما نزلت : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ [جاءت امرأة أبي لهب][٨] ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس ، ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر : لو تنحيت لا تؤذيك بشيء . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إنه سيحال بيني وبينها » . فأقبلت حتىٰ وقفت علىٰ أبي بكر؛ فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك . فقال أبو بكر : لا ، ورب هذه البنية ما نطق بالشعر ولا يتفوه به . فقالت : إنك لمصدق . فلما ولت قال أبو بكر رضي الله عنه : ما رأتك ؟! قال : « لا ، ما زال ملك يسترني حتىٰ ولت » .

---

(٧) أخرجه البزار (٢/١٢١ - ١٢٢) (١٥٣٩ ، ١٥٤٠) .

---

[١] - في ز : أقبل .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : في مرطها .
[٥] - في ت : مما .
[٦] - في ت : مما .
[٧] - في ز : الهم .
[٨] - سقط من خ .

ثم قال البزار: [لا نعلمه يروىٰ بأحسن من هذا الإسناد، عن أبي بكر رضي الله عنه][١].

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالىٰ: ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾، أي: في عنقها حبل من نار، تُرفَع به إلىٰ شفيرها[٢]، ثم يرمىٰ بها إلىٰ أسفلها، ثم كذلك دائمًا.

قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير - وقد روىٰ ذلك -: وعبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب « النبات »: كل مسد: رشاء، وأنشد في ذلك:

وَبَكْرَةً ومِحْوَرًا صِرَارًا وَمَسَدًا مِنْ أبقٍ مُغَارًا

قال: والأبقُ: القنَّبُ.

وقال الآخر شعرًا[٣]:

يا مَسَدَ الخُوص[٤] تَعَوَّذْ مني [إنْ تَكُ][٥] لَدْنًا لَيِّنًا فإنّي
ما شِئْتَ مِنْ أشْمَطٍ مُقْسَئِنّ[٦]

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح علىٰ النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالىٰ: ﴿ سيصلىٰ نارًا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد ﴾، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما، لا ظاهرًا ولا باطنًا، لا مسرًّا ولا معلنًا، فكان هذا من أقوىٰ الأدلة الباهرة علىٰ النبوة الظاهرة.

[آخر تفسير سورة المسد، ولله الحمد]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في البزار: « وهذا أحسن الإسناد ويدخل في مسند أبي بكر ».

[٢] - في ز، خ: سعيرها.

[٣] - سقط من ت.

[٤] - في ز: الحوض.

[٥] - في ز، خ: إني بك.

[٦] - في ز: مكسئن.

[تفسير] سورة الإخلاص

[وهي مكية]

ذكر سبب نزولها وفضيلتها

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا أبو سعد محمد بن مُيسَّر[١] الصاغاني ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ؛ أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ؛ انسب لنا ربك . فأنزل الله : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ .

وكذا رواه الترمذي وابن جرير ، عن أحمد بن منيع ، زاد ابن جرير : ومحمود بن خداش ، عن أبي سعد محمد بن ميسر به ، زاد ابن جرير والترمذي ، قال : ﴿ **الصمد** ﴾ : الذي لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شيء يولد[٢] إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله جل جلاله لا يموت ولا يورث ، ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ ولم يكن له شبه ولا عدل ، وليس كمثله شيء .

ورواه ابن أبي حاتم ، من[٣] حديث أبي سعد محمد بن ميسر به .

ثم رواه الترمذي(٢) عن عبد بن حميد ، عن عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ... فذكره مرسلًا ، ولم يذكر (أبيًّا) . ثم قال الترمذي: وهذا أصح من حديث أبي[٤] سعد .

(حديث آخر في معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٣) : حدثنا [سريج بن يونس][٥] ، حدثنا إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، أن أعرابيًّا جاء إلى النبي

---

(١) مسند أحمد (١٣٣/٥ - ١٣٤) (٢١٢٩٩) . وأخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الإخلاص حديث (٣٣٦١) (٨٦/٩) . والطبري (٣٤٦/٣٠) .

(٢) سنن الترمذي (٣٣٦٢) (٨٦/٩ - ٨٧) .

(٣) مسند أبي يعلى (٣٨/٤ - ٣٩) (٢٠٤٤) . وإسناده ضعيف ؛ لضعف مجالد بن سعيد . وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٩/٧) وقال : فيه مجالد بن سعيد ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في ز ، خ : مبشر . وكذا في الموضعين القادمين .

[٢] - في ز ، خ : بذلك .

[٣] - في ز : في .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفين في ز : « شريح ، حدثنا ابن يونس » .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : انسب لنا ربك . فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ قل هو اللّٰه أحد ...﴾ إلىٰ آخرها . إسناده مقارب .

وقد رواه ابن جرير (٤) ، عن محمد بن عوف ، عن سريج[١] ، فذكره . وقد أرسله غير واحد من السلف .

وروىٰ عبيد[٢] بن إسحاق العطار ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ؛ قال : قالت قريش لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : انسب لنا ربك . فنزلت هذه السورة : ﴿ قل هو اللّٰه أحد ...﴾ (٥) .

قال الطبراني : رواه الفريابي وغيره ، عن قيس ، [عن][٣] عاصم ، عن أبي وائل ، مرسلًا .

ثم روىٰ الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفي ، عن الوازع بن نافع ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لكل شيء نسبة ، ونسبة اللّٰه : قل هو اللّٰه أحد » .

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري(٦) : حدثنا محمد - هو الذهلي - حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو ، عن ابن أبي هلال ، أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه ، عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - عن عائشة ؛ أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعث رجلًا علىٰ سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم بـ ﴿ قل هو اللّٰه أحد ﴾ فلما رجعوا ذكروا[٤] ذلك للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أخبروه أن اللّٰه تعالىٰ يحبه » .

هكذا رواه في كتاب « التوحيد » . ومنهم من يسقط ذكر « محمد الذهلي » ، ويجعله من

---

(٤) تفسير الطبري (٣٠/٣٤٣) .

(٥) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١/٣٧٥ - ٣٧٦) (٨٩) من طريق أبي داود عن قيس مرسلًا - ليس فيه ابن مسعود .

(٦) صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث (٧٣٧٥) (١٣/٣٤٧) بإسقاط الذهلي من الإسناد . وأخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين، باب : فضل قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾، حديث (٢٦٣/٨١٣) (٦/١٣٨) . والنسائي (٢/ ١٧٠ - ١٧١) كتاب الافتتاح ، باب : الفضل في قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

---

[١] - في ز : شريح .
[٢] - في ز ، خ : عبد .
[٣] - في ز : بن . وفي باقي النسخ : عن أبي .
[٤] - سقط من ز .

روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضًا من حديث عبد اللَّه بن وهب ، عن عمرو بن الحارث[١] ، عن سعيد بن أبي هلال به .

حديث آخر : قال البخاري في كتاب الصلاة(٧) : وقال عبيد[٢] اللَّه ، عن ثابت ، عن أنس ؛ قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به ، افتتح بـ ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ حتىٰ يفرغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة . فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترىٰ أنها تجزئك حتىٰ تقرأ بالأخرىٰ ، فإما أن [تقرأ بها][٣] ، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرىٰ . فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت ، وإن كرهتم تركتكم . وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكرهوا أن يؤمهم غيره . فلما أتاهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أخبروه الخبر فقال : « يا فلان ؛ ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ » . قال : إني أحبها . قال : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

هكذا رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به . وقد رواه أبو عيسىٰ الترمذي في جامعه ، عن البخاري ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن عبيد اللَّه بن عمر ... فذكر بإسناده مثله سواء ، ثم قال الترمذي : « غريب من حديث عبيد اللَّه ، عن ثابت » . قال : وروىٰ مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول الله ؛ إني أحب هذه السورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . قال : « إن[٤] حبك إياها أدخلك الجنة » .

وهذا الذي علقه الترمذي ، قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلًا ، فقال(٨) :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن ثابت عن أنس ؛ قال : جاء رجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ فقال : إني أحب هذه السورة : ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

(حديث في كونها تعدل ثلث القرآن) قال البخاري(٩) : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ؛ أن

---

(٧) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب : الأذان ، باب : الجمع بين السورتين في الركعة ، حديث (٧٧٤ م) (٢٥٥/٢) . وأخرجه الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٩٠٣) (١٠٩/٨ - ١١٠) .

(٨) مسند أحمد (١٤١/٣) (١٢٤٥٤) .

(٩) صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، حديث (٧٣٧٤) (٣٤٧/١٣) .

---

[١] - في ز ، خ : أيوب .

[٢] - في ز ، خ : عبد .

[٣] - في خ : تقرأها .

[٤] - سقط من خ .

رجلًا سمع رجلًا يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، يرددها ، فلما أصبح جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فذكر[١] ذلك له ، وكأن الرجل يتقالُّها ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » .

زاد إسماعيل بن جعفر(١٠) ، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ؛ قال : أخبرني أخي[٢] قتادة بن النعمان ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد رواه البخاري(١١) أيضًا عن عبد الله بن يوسف ، والقعنبي . ورواه أبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، كلهم عن مالك به . وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي(١٢) من طريقين ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن مالك به .

(حديث آخر) قال البخاري(١٣) : حدثنا عمر[٣] بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم ، والضحاك المشرقي ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » .

تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي ، والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي ، كلاهما[٤] عن أبي سعيد ، قال الفربري : سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق[٥] أبي عبد الله ؛ قال : قال أبو عبد الله البخاري : عن إبراهيم ، مرسل ، وعن الضحاك ، مسند .

---

(١٠) صحيح البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، حديث (٥٠١٣) (٩/٥٨ - ٥٩) .

(١١) صحيح البخاري ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ ، حديث (٦٦٤٣) (١١/٥٣٥) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في سورة الصمد ، حديث (١٤٦١) (٢/ ٧٢). والنسائي (٢/١٧١) كتاب الافتتاح ، باب : الفضل في قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

(١٢) سنن النسائي ، الكبرى كتاب : فضائل القرآن ، باب : سورة الإخلاص ، حديث (٨٠٢٩) (٥/١٦ - ١٧) من طريق محمد بن جعفر عن إسماعيل بن جعفر . وأخرجه في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٥٠٣٦) (٦/١٧٦) . من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن إسماعيل بن جعفر .

(١٣) صحيح البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، حديث (٥٠١٥) (٩/٥٩) .

---

[١] - في ز : ذكر .
[٢] - في ز : أبو .
[٣] - في خ : عمرو .
[٤] - في ت : كليهما .
[٥] - في ز ، خ : وراد .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري؛ قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، فذكر ذلك للنبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **والذي نفسي بيده ، لتعدل نصف القرآن** ، أو : **ثلثه** » .

(حديث آخر[١]) : قال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا حيي ابن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا : وهل يستطيع ذلك أحد ؟ ! قال : فإن ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ثلث القرآن . قال : فجاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يسمع أبا أيوب ، فقال : «صدق أبو أيوب » .

(حديث آخر) : قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٦) : حدثنا محمد بن بشار[٢] ، حدثنا يحيىٰ ابن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسان ، أخبرني أبو حازم ، عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « احشدوا (*) ، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . فحشد من حشد ، ثم خرج نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » ، إني لأرىٰ هذا خبرًا جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « إني قلت : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » .

وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، عن محمد بن بشار به . وقال الترمذي : « حسن صحيح غريب ، واسم أبي حازم سلمان » .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد (١٧) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن زائدة بن

---

(١٤) مسند أحمد (١٥/٣) (١١١٢٩) .

(١٥) مسند أحمد (١٧٣/٢) (٦٦١٣) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٥٠/٧) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف .

(١٦) سنن الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٩٠٢) (٨/ ١٠٨ - ١٠٩) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، حديث (٨٢١) (١٣٧/٦ - ١٣٨) من طريقين عن يحيى بن سعيد ليس فيهما محمد بن بشار ، وقد أورده المزي في تحفة الأشراف (٩٤/١٠) (١٣٤٤١) ولم يذكر محمد بن بشار .

(١٧) مسند أحمد (٤١٨/٥ - ٤١٩) (٢٣٦٦١) . والترمذي في كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٨٩٩) (١٥٣/٥ - ١٥٤ - ط شاكر) . والنسائي (١٧١/٢ - ١٧٢) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : يسار .

قدامة ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن الربيع بن خثيم ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن امرأة من الأنصار ، عن أبي أيوب ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فإنه من قرأ : ﴿ **قل هو اللَّه أحد * اللَّه الصمد** ﴾ في ليلة ، فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » .

هذا حديث تساعيُّ الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذي[١] والنسائي ، كلاهما عن محمد ابن بشار ، بندار ، زاد[٢] الترمذي : وقتيبة - كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به[٣] . فصار لهما عشاريًّا . وفي رواية الترمذي : عن امرأة أبي أيوب ، عن أبي أيوب به . ثم قال : وفي الباب عن أبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وقتادة بن النعمان ، وأبي هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، وأبي مسعود . وهذا حديث حسن ، ولا نعلم أحدًا روىٰ هذا الحديث أحسن من رواية « زائدة » . وتابعه علىٰ روايته إسرائيل ، والفضيل بن عياض . وقد روىٰ شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور ، واضطربوا فيه .

(حديث آخر) : قال أحمد(١٨) : حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن هلال بن يساف ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلىٰ ، عن أبي بن كعب - أو : رجل من الأنصار - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « من قرأ بـ ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ فكأنما قرأ بثلث القرآن » .

ورواه النسائي في « اليوم والليلة » ، من حديث هشيم ، عن حصين ، عن ابن أبي ليلىٰ به . ولم يقع في روايته : هلال بن يساف .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٩) : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي قيس ، عن عمرو ابن ميمون ، عن أبي مسعود؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن » .

وهكذا رواه ابن ماجة عن علي بن محمد الطنافسي ، عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من طرق أخر ، عن عمرو بن ميمون ، مرفوعًا وموقوفًا .

---

(١٨) مسند أحمد (٥/١٤١) (٢١٣٥٤) . أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٠٥٢٢) (٦/١٧٤) .

(١٩) مسند أحمد (٤/١٢٢) (١٧١٥٧) . ورواه ابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : ثواب القرآن ، حديث (٣٧٨٩) (٢/١٢٤٥) . قال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وأبو قيس هو عبد الرحمن بن ثروان . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٠٥٢٤ - ١٠٥٢٨) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من خ .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا بهز ، حدثنا بكير[١] بن أبي السميط ، حدثنا قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي الدرداء ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن أضعف من ذلك وأعجز . قال : « فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فـ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ثلث القرآن » . ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد الله ابن مسلم ابن أخي ابن شهاب عن عمه [ ][٢]الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن - هو ابن عوف - عن أمه - وهي : أم كلثوم بنت عقبة[٣] بن أبي معيط - قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن » .

وكذا رواه النسائي في « اليوم والليلة » ، عن عمرو بن عليّ ، عن أمية بن خالد به .

ثم رواه(٢٢) من طريق مالك ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، قوله .

ورواه النسائي(٢٣) أيضًا في « اليوم والليلة » من حديث محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن الفضيل الأنصاري ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، أن نفرًا من أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم حدثوه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال : « ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن لمن صلىٰ بها » .

(حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة) : قال الإمام مالك بن أنس(٢٤) ، عن عبيد الله بن عبد الرحمن ، عن عبيد بن حنين[٤] ؛ قال : سمعت أبا هريرة ؛ يقول : أقبلت مع النبي

---

(٢٠) مسند أحمد (٦/٤٤٧) (٢٧٦٢٩) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، حديث (٨١١/٢٥٩) (٦/١٣٦) . والنسائي في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : « ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة » حديث (١٠٥٣٧) (٦/١٧٦ - ١٧٧) .

(٢١) مسند أحمد (٦/٤٠٤) (٢٧٣٨٢) . والنسائي في الكبرى في : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة ، حديث (١٠٥٣١) (٦/١٧٥) .

(٢٢) سنن النسائي في الموضع السابق برقم (١٠٥٣٣) (٦/١٧٥ - ١٧٦) .

(٢٣) سنن النسائي أيضًا في الموضع السابق برقم (١٠٥٣٢) (٦/١٧٥) .

(٢٤) الموطأ كتاب : القرآن ، باب : ما جاء في قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، حديث (١٨) (١/١٨٣) . ومن طريقه الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، حديث (٢٨٩٩) (٨/١٠٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب ، الفضل في قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، حديث (١٠٥٣٨) (٦/١٧٧) .

---

[١] - في ز ، خ : بكر .
[٢] - في ز : عن .
[٣] - في ز : عتبة .
[٤] - في خ : حسين .

صلى الله عليه وسلم فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وجبت » قلت: وما وجبت؟ قال: « الجنة ».

ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك. وقال الترمذي: « حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك ». وتقدم حديث(٢٥): « حبك إياها أدخلك[١] الجنة ».

(حديث في تكرار قراءتها): قال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٢٦): حدثنا قطن بن نُسير الغبري، حدثنا عُبيس بن ميمون القرشي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرات في ليلة، فإنها تعدل ثلث القرآن؟ ».

هذا إسناد[٢] ضعيف، وأجود منه حديث آخر، قال عبد الله بن الإمام أحمد(٢٧):

حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أسيد بن أبي أسيد، عن معاذ بن [عبد الله بن خبيب][٣]، عن أبيه؛ قال: أصابنا عطش[٤] وظلمة، فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: « قل ». فسكت، قال: « قل ». قلت: ما أقول؟ قال: « ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا، تكفك كل يوم مرتين ».

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن أبي ذئب به.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وقد رواه النسائي(٢٨) من طريق أخرى، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب[٥]، عن أبيه، عن عقبة بن عامر ... فذكره.

---

(٢٥) تقدم قريبًا.

(٢٦) أخرجه أبو يعلى (٧/١٥٠) (٤١١٨) إلا أن فيه عبيس بن ميمون القرشي بين يزيد وقطن. قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٥٠): رواه أبو يعلى وفيه عبيس بن ميمون وهو متروك.

(٢٧) عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (٥/٣١٢) (٢٢٧٦٧). وأبو داود في كتاب: الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث (٥٠٨٢) (٤/٣٢١ - ٣٢٢). والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: «دعاء يقال عند النوم»، حديث (٣٥٧٠) (٩/٢١٦). والنسائي (٨/٢٥٠) في أول كتاب الاستعاذة.

(٢٨) سنن النسائي (٨/٢٥١) في أول كتاب الاستعاذة، من طريق عبد الله ابن سليمان عن معاذ بنحوه.

---

[١] - في ز: أدخل.
[٢] - في ز: إسناده.
[٣] - في ز، خ: « عبد الرحمن بن حبيب ».
[٤] - في ت: طش.
[٥] - في ز: حبيب.

(حديث آخر في ذلك) قال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا ليث بن سعد ، حدثني الخليل بن مرة ، عن الأزهر بن[١] عبد اللَّه ، عن تميم الداري؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « من قال : لا إله إلا اللَّه ، واحدًا أحدًا صمدًا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، ولم يكن له كفوًا أحد - عشر مرات - كتب له أربعون ألف ألف حسنة » . تفرد به أحمد ، والخليل بن مرة : ضعّفه البخاري وغيره بمرة[٢].

(حديث آخر) : قال أحمد(٣٠) أيضًا[٣] : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[٤] بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « من قرأ ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ حتىٰ يختمها - عشر مرات - بنىٰ اللَّه له قصرًا في الجنة » . فقال عمر : إذن نستكثر يا رسول اللَّه . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « اللَّه أكثر وأطيب » . تفرد به أحمد .

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده(٣١) [ ][٥] فقال[٦] : حدثنا عبد اللَّه بن يزيد ، حدثنا حيوة ، حدثنا أبو [عقيل زهرة][٧] بن معبد - قال الدارمي : وكان من الأبدال - أنه سمع سعيد بن المسيب؛ يقول : إن نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **من قرأ ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ عشر مرات بنىٰ اللَّه له قصرًا في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بنىٰ اللَّه له قصرين في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنىٰ اللَّه له ثلاثة قصور في الجنة** » . فقال عمر بن الخطاب : إذن لتكثر قصورنا . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللَّه أوسع من ذلك** » . وهذا مرسل جيد .

(حديث آخر) : قال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا نصر بن علي ، حدثني نوح بن قيس ، أخبرني محمد العطار ، أخبرتني أم كثير الأنصارية ، عن أنس بن مالك ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ خمسين مرة ، غفرت له ذنوب خمسين سنة** » . إسناده ضعيف .

---

(٢٩) أخرجه أحمد (١٠٣/٤) .
(٣٠) أخرجه أحمد (٤٣٧/٣) (١٥٦٥٢) .
(٣١) أخرجه الدارمي في كتاب : فضائل القرآن ، باب : في فضل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، حديث (٣٤٣٢) (٣٣٠/٢).

---

[١] - في ز : عن .
[٢] - في ز : سمرة .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : زياد .
[٥] - في ز ، خ : « إسناده ضعيف ، حاتم ابن ميمون ضعفه البخاري وغيره » . ومكانها في ت : في نهاية الفقرة بعد القادمة .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : عبيد وغيره .

(حديث آخر) : قال أبو يعلىٰ [٣٢] : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حاتم بن ميمون ، حدثنا ثابت ، عن أنس؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من قرأ في يوم ﴿ قل هو اللّٰه أحد ﴾ مائتي مرة كتب اللّٰه له ألفًا وخمسمائة حسنة ، إلا أن يكون عليه دين** » .
[إسناده ضعيف ، حاتم ابن ميمون ضعفه البخاري وغيره] .

ورواه الترمذي [٣٣] ، عن محمد بن مرزوق البصري ، عن حاتم بن ميمون ، به ، ولفظه : « منْ قرأ كل يوم ، مائتي مرة **﴿ قل هو اللّٰه أحد ﴾** محي عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين » .

قال الترمذي : وبهذا الإسناد عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « من أراد أن ينام علىٰ فراشه ، فنام علىٰ يمينه ، ثم قرأ : **﴿ قل هو اللّٰه أحد ﴾** مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل : يا عبدي ؛ ادخل علىٰ يمينك الجنة » .

ثم قال : غريب من حديث ثابت ، وقد روي من غير هذا الوجه عنه .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حبان بن أغلب ، حدثنا أبي ، حدثنا ثابت ، عن أنس؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « من قرأ **﴿ قل هو اللّٰه أحد ﴾** مائتي مرة حط اللّٰه عنه ذنوب مائتي سنة » .

ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر ، والأغلب بن تميم ، وهما متقاربان في سوء الحفظ .

(حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء) قال النسائي عند تفسيرها [٣٤] : حدثنا عبد الرحمن بن خالد ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني مالك بن مغول ، حدثنا عبد اللّٰه بن بريدة ، عن أبيه ؛ أنه دخل مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم المسجد ، فإذا رجل يصلي ، يدعو يقول : اللّٰهم ؛ إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد . قال : « **والذي نفسي بيده ، لقد سأله باسمه الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطىٰ ، وإذا دعي به أجاب** » .

وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق ، عن مالك بن مغول ، عن عبد اللّٰه بن بريدة ،

---

(٣٢) أخرجه أبو يعلى (١٠٣/٦) (٣٣٦٥) .
(٣٣) سنن الترمذي ، كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في سور القرآن ، حديث (٢٩٠٠) (١٠٧/٨) .
(٣٤) أخرجه النسائي في التفسير ، كما في تحفة الأشراف (٩٠/٢) (١٩٩٨) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء ، حديث (١٤٩٣ ، ١٤٩٤) . والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : ما جاء في جامع الدعوات عن رسول اللّٰه ﷺ ، حديث (٣٤٧١) (١٥٤/٩) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : اسم اللّٰه الأعظم ، حديث (٣٨٥٧) (١٢٦٧/٢ - ١٢٦٨) .

عن أبيه به . وقال الترمذي : حسن غريب .

(حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة[١]) قال الحافظ أبو يعلىٰ (٣٥) : حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا بشر بن منصور ، عن عمر بن نبهان [٢] ، عن أبي شداد ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء ، وزوج من الحور العين حيث شاء[٣] : من عفا عن قاتله[٤] ، وأدىٰ دينًا خفيًا[٥] ، وقرأ[٦] في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : ﴿ قل هو الله أحد ﴾** » . قال : فقال أبو بكر : أو إحداهن يا رسول الله ؟ قال : « **أو إحداهن** » .

(حديث في قراءتها عند دخول المنزل) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني (٣٦) : حدثنا محمد ابن عبد الله بن بكر السراج العسكري ، حدثنا محمد بن الفرج ، حدثنا محمد بن الزبرقان ، عن مروان بن سالم ، عن أبي زرعة ، عن عمرو بن جرير ، عن جرير بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من قرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ حين يدخل منزله ، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » . إسناده ضعيف .

(حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال) قال الحافظ أبو يعلىٰ (٣٧) : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي[٧] محمد الثقفي ؛ قال : سمعت أنس بن مالك ؛ يقول : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضىٰ بمثله ، فأتىٰ جبريل النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « يا جبريل ؛ ما لي أرىٰ الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت[٨] فيما مضىٰ ؟ ! » . قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال : « وفيم ذلك ؟ » قال : كان يكثر قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ في الليل والنهار ، وفي ممشاه وقيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فصلىٰ عليه .

---

(٣٥) أخرجه أبو يعلى (٣/٣٣٢) (١٧٩٤) . قال الهيثمي في المجمع رواه أبو يعلى وفيه عمر بن نبهان وهو متروك .

(٣٦) معجم الطبراني الكبير (٢/٣٤٠) (٢٤١٩) .

(٣٧) أخرجه أبو يعلى (٧/٢٥٦ - ٢٥٧) (٤٢٦٧) .

---

[١] - في ز ، خ : المغرب .

[٢] - في ز : شيبان . والمثبت من أبي يعلى .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز ، خ : قائمه . بلا نقط .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من خ .

[٧] - في خ : بن . وكذلك في أبي يعلى .

[٨] - بعده في ت : بمثله .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة(٣٨) ، من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي[١] محمد وهو متهم بالوضع ، فالله أعلم .

(طريق أخرىٰ) قال أبو يعلىٰ (٣٩) : حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله ، حدثنا عثمان ابن الهيثم - مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي - عن محمود أبي عبد الله ، عن عطاء ابن أبي ميمونة ، عن أنس؛ قال : نزل جبريل علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : مات معاوية بن معاوية الليثي ، فتحب أن تصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فضرب بجناحه الأرض ، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت ، فرفع سريره فنظر إليه ، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، في كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « يا جبريل ؛ بم نال هذه المنزلة من الله تعالىٰ ؟ » . قال : بحبه ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ وقراءته إياها ذاهبًا وجائيًا[٢] ، قائمًا وقاعدًا ، وعلىٰ كل حال .

ورواه البيهقي(٤٠) من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن ، عن محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس ... فذكره وهذا هو الصواب ، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي : ليس بالمشهور . وقد روي هذا من طرق أخر ، تركناها اختصارًا ، وكلها ضعيفة .

(حديث آخر في فضلها مع المعوذتين) قال الإمام أحمد (٤١) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعة ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن عقبة بن عامر؛ قال : لقيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فابتدأته فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ؛ بم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة ؛ أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك علىٰ خطيئتك » . قال : ثم لقيني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فابتدأني فأخذ بيدي ، فقال : « يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ؟ » قال : قلت : بلىٰ ، جعلني الله فداك . قال : فأقرأني ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ . ثم قال : « **يا عقبة ؛ لا تنسهن ولا تبت**[٣] **ليلة حتىٰ تقرأهن** » . قال : فما نسيتهن منذ قال : « لا تنسهن » ، وما بت ليلة قط حتىٰ أقرأهن . قال عقبة : ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته ، فأخذت بيده فقلت : يا رسول الله ؛ أخبرني

(٣٨) « دلائل النبوة » (٥/٢٤٥) .

(٣٩) أخرجه أبو يعلى (٧/٢٥٨) (٤٢٦٨) .

(٤٠) « دلائل النبوة » (٥/٢٤٦) .

(٤١) أخرجه أحمد (٤/١٤٧) (١٧٣٨٢) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في حفظ اللسان ، حديث (٢٤٠٨) (٧/١٢٨) .

[١] - في ز ، خ : بن .

[٢] - في ز : وجالسًا .

[٣] - في ز : تبيت .

بفواضل الأعمال . فقال : « يا عقبة ؛ صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك » .

روىٰ الترمذي بعضه في « الزهد » ، من حديث عبيد الله بن زحر[١] ، عن علي بن يزيد وقال : هذا حديث حسن. وقد رواه أحمد من طريق آخر (٤٢) :

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن عياش ، عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي ، عن فروة ابن مجاهد اللخمي ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء . تفرد به أحمد .

(حديث آخر في الاستشفاء بهن) قال البخاري(٤٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا المفضل ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل[٢] ذلك ثلاث مرات . وهكذا رواه أهل السنن، من حديث عقيل به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

قد تقدم ذكر سبب نزولها . وقال عكرمة : لما قالت اليهود : نحن نعبد عُزَيْر[٣] ابن الله ،

---

(٤٢) مسند أحمد (١٥٨/٤) (١٧٥٠٠) .

(٤٣) صحيح البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل المعوذات ، حديث (٥٠١٧) (٦٢/٩) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما يقال عند النوم ، حديث (٥٠٥٦) (٣١٣/٤) . والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : ما جاء فيما يقرأ من القرآن عند المنام ، حديث (٣٣٩٩) (١٠٩/٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كم يقول ذلك ، حديث (١٠٦٢٤) (١٩٧/٦) . وابن ماجة في كتاب : الدعاء ، باب : ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه ، حديث (٣٨٧٥) . وابن ماجه ذكر نفسه بالمعوذتين فقط .

---

[١] - في ز : أحر .
[٢] - في ز : ففعل .
[٣] - في ز : عزيرًا .

وقالت النصارىٰ : نحن نعبد المسيح ابن الله ، وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالت المشركون : نحن نعبد الأوثان ، أنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قل : هو الله أحد** ﴾ .

يعني : هو الواحد الأحد ، الذي لا نظير له ولا وزير ، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ علىٰ[١] أحد في الإثبات إلا علىٰ الله - عز وجل - لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله .

وقوله : ﴿ **الله الصمد** ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس : يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريفُ الذي قد كمل [في شرفه ، والعظيمُ الذي قد كمل في عظمته ، والحليمُ الذي قد كمل في حلمه ، والعليمُ الذي قد كمل في][٢] علمه ، والحكيمُ الذي قد كمل في حكمته . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لا تنبغي إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمثله شيء ، سبحان الله الواحد القهار .

وقال الأعمش عن شقيق[٣] ، عن أبي وائل : ﴿ **الصمد** ﴾ : السيد الذي قد انتهىٰ سؤدده ورواه عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، مثله .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **الصمد** ﴾ : السيد . وقال الحسن وقتادة : هو الباقي بعد خلقه . وقال الحسن أيضًا : ﴿ **الصمد** ﴾ : الحيّ القيوم الذي لا زوال له . وقال عكرمة : ﴿ **الصمد** ﴾ : الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم[٤] .

وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد . كأنه جعل ما بعده تفسيرًا له ، وهو قوله : ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ . وهو تفسير جيد ، وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير ، عن أبي بن كعب في ذلك ، وهو صريح فيه .

وقال ابن مسعود وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبد الله بن بريدة [٥] ، وعكرمة أيضًا ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطية العوفي ، والضحاك ، والسدي: ﴿ **الصمد** ﴾ : الذي لا جوف له .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - في ز : سفيان .

[٤] - في ز : يطعه . كذا .

[٥] - في ز : يزيد .

قال سفيان عن منصور، عن مجاهد: ﴿الصمد﴾: المصمت الذي لا جوف له.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام[١]، ولا يشرب الشراب.

وقال عبد الله بن بريدة[٢] أيضًا: ﴿الصمد﴾ نور يتلألأ.

روىٰ ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم، والبيهقي، والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال (٤٤):

حدثني العباس بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عمرو بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حدثني صالح بن حيان[٣]، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: لا أعلم إلا قد رفعه، قال: ﴿الصمد﴾: الذي لا جوف له.

وهذا غريب جدًا، والصحيح أنه موقوف علىٰ عبد الله بن بريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير ﴿الصمد﴾: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا - عز وجل - و[٤] هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضًا[٥].

وقوله: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾ أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال مجاهد: ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾، يعني: لا صاحبة له.

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿بديع السماوات والأرض أنّىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء﴾. أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالىٰ وتقدس وتنزه، قال الله تعالىٰ: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا﴾. وقال تعالىٰ: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم

(٤٤) تفسير الطبري (٣٠/٣٤٥).

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ز: يزيد.

[٣] - في ز: حبان.

[٤] - سقط من ز.

[٥] - سقط من ت.

بأمره يعملون ﴾ . وقال تعالىٰ : **﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون * سبحان الله عما يصفون ﴾** .

وفي الصحيح - صحيح البخاري(٤٥) - : **« لا أحد أصبر علىٰ أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم »** .

وقال البخاري (٤٦) : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : **« قال الله عز وجل : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني . وليس أول الخلق بأهون علي من[١] إعادته . وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا . وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد »** .

ورواه أيضًا(٤٧) من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، مرفوعًا بمثله . تفرد بهما من هذين الوجهين.

آخر تفسير سورة الإخلاص

☆ ☆ ☆

(٤٥) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : الصبر على الأذى ، حديث (٦٠٩٩) (١٠/٥١١) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : لا أحد أصبر على أذى من الله - عز وجل - حديث (٢٨٠٤) (١٧/٢١٣) . كلاهما من حديث أبي موسى الأشعرى .

(٤٦) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة **﴿ قل هو الله أحد ﴾** ، حديث (٤٩٧٤) (٨/٧٣٩) .

(٤٧) صحيح البخاري ، باب : قوله : **﴿ الله الصمد ﴾** ، حديث (٤٩٧٥).

[١] - في ز : حين .

[تفسير] سورتي المعوذتين

[وهما مدنيتان]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش؛ قال : قلت لأبي بن كعب : إن ابن مسعود كان[١] لا يكتب المعوذتين في مصحفه ؟ فقال : أشهد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أخبرني أن جبريل - عليه السلام - قال له : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فقلتها ، قال : ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ، فقلتها . فنحن نقول ما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده(٢) ، عن سفيان بن عيينة ، حدثنا عبدة بن أبي لبابة ، وعاصم بن بهدلة ، أنهما سمعا زر بن حبيش؛ قال : سألت أبي بن كعب عن المعوذتين ، فقلت : يا أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يحكهما[٢] من المصحف . فقال : إني سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقال[٣] : « قيل لي : قل ، فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال أحمد (٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر قال : سألت ابن مسعود عن المعوذتين.. فقال: سألت النبي صلىٰ الله عليه وسلم عنهما؟ فقال : « قيل لي ، فقلت لكم ، فقولوا » . قال أبي : فقال لنا النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فنحن نقول .

وقال البخاري (٤) : حدثنا عليّ بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبدة بن أبي لبابة ، عن زر بن حبيش - وحدثنا عاصم عن زر - قال : سألت أبي بن كعب فقلت : أبا المنذر ؛ إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا . فقال : إني سألت النبي صلىٰ الله عليه وسلم؟ فقال : « قيل لي، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

ورواه البخاري أيضًا والنسائي(٥) ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبدة ، وعاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب به .

---

(١) - المسند (١٢٩/٥) .

(٢) - مسند الحميدي (١٨٥/١) رقم (٣٧٤) .

(٣) - المسند (١٢٩/٥) . ورواه الطبراني في الكبير (١٣٢/١٠) رقم (١٠٢١١) .

(٤) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، رقم (٤٩٧٧) .

(٥) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير (٤٩٧٦) . وأخرجه النسائي في كتاب التفسير من الكبرى .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : يحيكما . كذا بلا نقط .

[٣] - في ز : قال .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٦) : حدثنا الأزرق بن عليّ ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا الصلت[١] ابن بهرام ، عن إبراهيم ، عن علقمة؛ قال : كان عبد اللّٰه يحك المعوذتين من المصحف ، يقول : إنما أمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يتعوذ بهما . ولم يكن عبد اللّٰه يقرأ بهما .

ورواه عبد اللّٰه بن أحمد(٧) من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد؛ قال : كان عبد اللّٰه يحك المعوذتين من مصاحفه ، ويقول : إنهما ليستا من كتاب اللّٰه . قال الأعمش : وحدثنا عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب؛ قال : سألنا عنهما رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قال : « قيل لي ، فقلت » .

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء ، أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله[٢] قد رجع عن قوله ذلك إلىٰ قول الجماعة ، فإن الصحابة رضي اللّٰه عنهم كتبوهما[٣] في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلىٰ سائر الآفاق كذلك ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقد قال مسلم في صحيحه(٨) : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عقبة بن عامر؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ » .

ورواه أحمد ، ومسلم أيضًا ، والترمذي ، والنسائي(٩) ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عقبة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

طريق أخرىٰ ، قال الإمام أحمد(١٠) : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن

---

(٦) – رواه الطبراني في الكبير (٢٣٥/٩) رقم (٩١٥٢) من طريق أبي يعلى ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن الأزرق به .

(٧) – زوائد المسند (١٢٩/٥، ١٣٠) . ورواه الطبراني في الكبير (٢٣٥/٩) رقم (٩١٥٠) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢٩/٧ ثم قال : رواه عبد الله بن أحمد والطبراني . ورجال عبد الله رجال الصحيح . ورجال الطبراني ثقات .

(٨) – صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين رقم (٨١٤) .

(٩) – صحيح مسلم رقم (٨١٤) كتاب صلاة المسافرين . ورواه أحمد في المسند (١٥٢/٤) . والترمذي رقم (٢٩٠٢) كتاب فضائل القرآن . والنسائي في الكبرى – كتاب فضائل القرآن – .

(١٠) – المسند (١٤٤/٤) .

---

[١] – في ز : أصلت .

[٢] – سقط من ز ، خ .

[٣] – في ز : كتبوها .

القاسم أبي عبد الرحمن ، عن عقبة بن عامر ؛ قال : بينا أنا أقود برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في نقب من[١] تلك النقاب ، إذ قال لي : « يا عقبة ، ألا تركب ؟ » [قال : فأجللت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن أركب مركبه . ثم قال : «يا عُقَيبُ ، ألا تركب ؟ » قال][٢] : فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وركبت هنيهة ، ثم ركب ، ثم قال : « [يا عُقيب][٣] ، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » . قلت : بلىٰ يا رسول اللّٰه ؛ فأقرأني : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ . ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقرأ بهما ، ثم مر بي فقال : « كيف رأيت يا عقيب[٤] ؛ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

ورواه النسائي[٥] من حديث الوليد بن مسلم(١١) وعبد اللّٰه بن المبارك (١٢) ، كلاهما[٦] عن ابن جابر به[٧] . ورواه أبو داود والنسائي أيضًا (١٣) ، من حديث ابن وهب ، عن معاوية[٨] بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم بن[٩] عبد الرحمن ، عن عقبة به .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٤) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني ، وأبو مرحوم ، عن يزيد بن محمد القرشي ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر ؛ قال : أمرني رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي (١٥) ، من طرق ، عن علي بن رباح ، وقال الترمذي : غريب .

---

(١١) - السنن (٢٥٣/٨) كتاب الاستعاذة .
(١٢) - « عمل اليوم والليلة » رقم (٨٨٩) .
(١٣) - سنن أبي داود رقم (١٤٦٢) كتاب الصلاة . والنسائي (٢٥٢/٨، ٢٥٣) كتاب الاستعاذة .
(١٤) - المسند (١٥٥/٤) .
(١٥) - سنن أبي داود رقم (١٥٢٣) كتاب الصلاة . والنسائي (٦٨/٣) كتاب السهو . والترمذي رقم (٢٠٩٣) كتاب فضائل القرآن .

---

[١] - في خ : في .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ ، والمثبت من المسند .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « عقب » .
[٤] - في ز : عقب .
[٥] - في ز ، خ : الترمذي .
[٦] - في ت : كليهما .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - في ز ، خ : معن .
[٩] - في ز : « بن أبي » .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٦) : حدثنا يحيىٰ[١] بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن مشرح ابن هاعان ، عن عقبة بن عامر؛ قال : قال لي[٢] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « اقرأ بالمعوذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما » . تفرد به أحمد .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(١٧) : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ، حدثنا بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير[٣] ، عن عقبة بن عامر أنه قال : إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أهديت له بغلة شهباء ، فركبها ، فأخذ عقبة يقودها له ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لعقبة[٤] : « اقرأ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ » . فأعادها له حتىٰ قرأها ، فعرف أني لم أفرح بها جدًّا ، فقال : « لعلك تهاونت[٥] بها ؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها ».

ورواه النسائي(١٨) عن عمرو بن عثمان ، عن بقية به . ورواه النسائي أيضًا من حديث الثوري ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن [بن جبير][٦] بن نفير ، عن أبيه ، عن عقبة ابن عامر ؛ أنه سأل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن المعوذتين ، فذكر نحوه .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(١٩) : أخبرنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر ، سمعت النعمان ، عن زياد أبي الأسد ، عن عقبة بن عامر؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(٢٠) : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري[٧] ، عن عقبة بن عامر؛ قال : كنت أمشي مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

---

(١٦) - المسند (١٤٦/٤) وفيه ابن لهيعة ضعيف ، ومشرح قال الذهبي في الميزان (١١٧/٤) يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها ، فالصواب ترك ما انفرد به . اهـ .

(١٧) - المسند (١٤٩/٤) .

(١٨) - أخرجه النسائي (٢٥٢/٨) كتاب الاستعاذة .

(١٩) - أخرجه النسائي (١٥٨/٢) كتاب الاستفتاح .

(٢٠) - أخرجه النسائي (٢٥٣/٨، ٢٥٤) كتاب الاستعاذة .

---

[١] - في ز ، خ : محمد .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز ، خ : سفيان .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : تهازيت .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : المقري .

فقال : « يا عقبة ؛ قل » . قلت : ماذا أقول ؟ فسكت عني ، ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله ؟ ! [فسكت عني ، فقلت : اللهم ، أردده علي . فقال : « يا عقبة ؛ قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله ؟ ! فقال : « ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ » ، فقرأتها حتىٰ أتيت علىٰ آخرها ، ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله ؟][١] قال : « ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » ، فقرأتها حتىٰ[٢] أتيت علىٰ آخرها ، ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عند ذلك : « ما سأل سائل بمثلهما[٣] ، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما[٤] » .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(٢١) : أخبرنا محمد بن بشار[٥] ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا معاوية ، عن العلاء بن الحارث ، عن مكحول ، عن عقبة بن عامر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ بهما في صلاة الصبح .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(٢٢) : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي عمران أسلم ، عن عقبة بن عامر ؛ قال : اتبعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو راكب ، فوضعت يدي علىٰ قدمه فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف . فقال : « لن تقرأ شيئًا أنفع عند الله من ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ » .

(حديث آخر) قال النسائي(٢٣) : أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي عبد[٦] الله ، عن ابن عائش[٧] الجهني ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « يا بن عائش[٨] ؛ ألا أدلك - أو : ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ؟ » قال : بلىٰ ، يا رسول الله . قال : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ هاتان السورتان » .

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه ، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث .

وقد تقدم في رواية صدي بن عجلان (٢٤) ، وفروة بن مجاهد (٢٥) ، عنه : « ألا أعلمك

(٢١) - أخرجه النسائي (٨/٢٥٢) كتاب الستعاذة .
(٢٢) - أخرجه النسائي (٢/١٥٨) كتاب الافتتاح .
(٢٣) - أخرجه النسائي (٨/٢٥١، ٢٥٢) كتاب الاسعاذة .
(٢٤) - أخرجه أحمد في المسند (٤/١٤٨) من حديث أبي أمامة الباهلي .
(٢٥) - أخرجه أحمد في المسند (٤/١٥٨) من حديث فروة بن مجاهد بن عقبة .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : ثم .
[٣] - في ز : بمثلها .
[٤] - في ز : بمثلها .
[٥] - في ز : يسار .
[٦] - في ز ، خ : عبيد .
[٧] - في ز ، خ : عباس .
[٨] - في ز ، خ : عباس .

ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن ؟ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٦) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا الجريري ، عن أبي العلاء ؛ قال : قال رجل : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، والناس يعتقبون ، وفي الظهر قلة ، فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي ، فلحقني فضرب [من بعدي منكبي][١] ، فقال : « ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ » [فقلت : أعوذ برب الفلق][٢] ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأتها[٣] معه ، ثم قال : « ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » ، فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأتها معه ، فقال : « إذا صليت فاقرأ بهما » . و[٤] الظاهر أن[٥] هذا الرجل هو عقبة بن عامر ، والله أعلم .

ورواه النسائي(٢٧) عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن علية به .

حديث آخر ، قال النسائي(٢٨) : أخبرنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن عبد الله ابن سعيد ، حدثني يزيد بن رومان[٦] ، عن عقبة بن عامر ، عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال : « قل » . فلم أدر ما أقول ، ثم قال لي : « قل » . قلت : هو الله أحد . ثم قال لي : « قل » . قلت : أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق ، حتى فرغت منها . ثم قال لي : « قل » . قلت : أعوذ برب الناس ، حتى فرغت منها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا فتعوذ ، ما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط » .

حديث آخر قال النسائي (٢٩) : أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص ، حدثنا بدل ، حدثنا شداد ابن سعيد أبو طلحة ، عن سعيد الجريري ، حدثنا أبو نضرة ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ يا جابر » . قلت : وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال : « اقرأ : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » . فقرأتهما ، فقال : « اقرأ بهما ، ولن تقرأ بمثلهما » .

---

(٢٦) - المسند (٧٩/٥) وصحح السيوطي إسناده في الدر المنثور (٧١٤/٦) .

(٢٧) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧١٤/٦) لأحمد وابن الضريس ولم يعزه للنسائي ، فالله أعلم .

(٢٨) - النسائي في الكبرى (٤٣٩/٤) كتاب الاستعاذة . رقم (٧٨٤٥) .

(٢٩) - النسائي (٢٥٤/٨) كتاب الاستعاذة .

---

[١] - في ز ، خ : صلبي .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في ت : فقرأتها .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - بياض في ز . وفي خ : هارون .

وتقدم حديث عائشة أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقرأ بهن ، وينفث في كفيه ، ويمسح بهما رأسه ووجهه ، وما أقبل[١] من جسده .

وقال الإمام مالك(٣٠) عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه بالمعوذتين . وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده عليه رجاء بركتها .

ورواه البخاري(٣١) عن عبد اللَّه بن يوسف ، ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ ، وأبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، ومن حديث ابن القاسم ، وعيسىٰ بن يونس ، وابن ماجة من حديث معن ، وبشر بن عمر ، ثمانيتهم عن مالك به .

وتقدم في آخر سورة : ﴿ ن ﴾ ، من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يتعوذ من أعين الجان[٢] وعين الإنسان ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، وقال الترمذي : « حديث حسن » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا حسن بن صالح ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : ﴿ الفلق ﴾ : الصبح .

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ الفلق ﴾ : الصبح . وروي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وابن

---

(٣٠) - أخرجه مالك في الموطأ رقم (١٠) كتاب العين .

(٣١) - صحيح البخاري رقم (٥٠١٦) كتاب فضائل القرآن . وأخرجه مسلم رقم (٢١٩٢) كتاب السلام . وأخرجه أبو داود رقم (٣٩٠٢) كتاب الطب . و النسائي في الكبرى - كتاب الطب والتفسير ، وأخرجه أيضًا في اليوم والليلة رقم (١٠٠٩) . وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٥٢٩) كتاب الطب .

---

[١] - في ز : أقل .

[٢] - في ز : الجنان . بلا نقط .

زيد ، ومالك عن[١] زيد بن أسلم - مثل هذا .

قال القرظي ، وابن زيد ، وابن جرير(٣٢) : وهي كقوله تعالى : ﴿ فالق الإصباح ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ الفلق ﴾ : الخلق . وكذا قال الضحاك : أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله .

وقال كعب الأحبار : ﴿ الفلق ﴾ : بيت في جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ورواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا سهيل بن عثمان ، عن رجل سماه ، عن السدّي ، عن زيد بن علي ، عن آبائه أنهم قالوا : ﴿ الفلق ﴾ : جب في قعر جهنم ، عليه غطاء ، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم ، من شدة حر ما يخرج منه .

وكذا روي عن عمرو بن عَبَسَةَ[٢] ، [ ][٣] والسدي ، وغيرهم .

وقد ورد في ذلك حديثٌ مرفوع منكر ، فقال ابن جرير(٣٣) :

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي ، حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هُريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « الفلق جُبّ في جهنم مغطى » . إسناده غريب ولا يصح رفعه .

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي : ﴿ الفلق ﴾ : من أسماء جهنم .

قال ابن جرير(٣٤) : والصواب القول الأول ، أنه فلق الصبح . وهذا هو الصحيح ، وهو اختيار البخاري - رحمه الله - في صحيحه .

وقوله : ﴿ من شر ما خلق ﴾ ، أي : من شر جميع المخلوقات .

وقال ثابت البناني ، والحسن البصري : جهنم وإبليس وذريته[٤] مما خلق .

---

(٣٢) - سنن الترمذي رقم (٢٠٥٨) كتاب الطب . والنسائي (٢٧١/٨) كتاب الاستعاذة . وابن ماجة رقم (٣٥١١) كتاب الطب . وصحح الألباني إسناده كما في تعليقه على أحاديث المشكاة رقم (٤٥٦٣) .

(٣٣) - تفسير الطبري (٢٢٥/٣٠) .

(٣٤) - تفسير الطبري (٢٢٥/٣٠) .

---

[١] - في ز : بن .

[٢] - في ز ، خ : عنبسة .

[٣] - في ز ، خ : وابن عباس .

[٤] - في ز ، خ : وورثته .

﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾، قال مجاهد: غاسقُ الليل إذا وقب غُروبُ الشمس.

حكاه البخاري عنه(٣٥) ورواه ابن أبي نجيح، عنه.

وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخُصَيف، والحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه.

وقال الزهري: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾: الشمس إذا غربت. وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل: إذا ذهب. وقال أبو المهزم، عن أبي هريرة: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ كوكب. وقال ابن زيد: كانت العرب تقول: الغاسق سقوط الثريا، وكان الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها.

قال ابن جرير(٣٦): ولهؤلاء من الأثر ما حدثني نصر بن علي، حدثني بكار بن عبد الله - ابن أخي همام - حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾، قال: «النجم الغاسق».

قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن جرير(٣٧): وقال آخرون: هو القمر.

قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد(٣٨):

حدثنا أبو داود الحَفَري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث عن[١] أبي سلمة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيدي فأراني القمر حين طلع، وقال: «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب».

ورواه الترمذي والنسائي(٣٩)، في كتاب[٢] التفسير من سننيهما، من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن، به. وقال الترمذي: «حسن

(٣٥) - صحيح البخاري (٦١٣/٨ - فتح).
(٣٦) - تفسير الطبري (٢٢٧/٣٠).
(٣٧) - تفسير الطبري (٢٢٧/٣٠).
(٣٨) - المسند (٦١/٦).
(٣٩) - سنن الترمذي رقم (٣٣٦٦) كتاب التفسير، وأخرجه النسائي في الكبرى (٨٣/٦) كتاب عمل اليوم والليلة رقم (١٠١٣٧).

[١] - في ز: بن. [٢] - في ت: كتابي.

صحيح».

ولفظه: «تَعوّذي بالله من شر[١] هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب». ولفظ النسائي: «تعوذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب».

قال أصحاب القول الأول، وهو أنه[٢] الليل إذا ولج: هذا لا ينافي قولنا، لأن القمر آيةُ الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء إلا في الليل، فهو يرجع إلى ما قلناه. والله أعلم.

وقوله: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾، قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك: يعني السواحر- قال مجاهد: إذا رقين[٣] ونفثن في العقد.

وقال ابن جرير(٤٠): حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور[٤]، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما من شيء أقرب إلى[٥] الشرك من رقية الحية والمجانين.

وفي الحديث الآخر(٤١) أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقال: اشتكيت[٦] يا محمد؟ فقال: «نعم»، فقال: باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك.

ولعل هذا كان من شكواه -عليه السلام- حين سحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، وردّ كيد السحَرَة الحسّاد من اليهود في رءوسهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم، وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يومًا من الدهر، بل كفى الله وشفى وعافى.

وقال الإمام أحمد(٤٢): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن حَيَّان، عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا، قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلًا من اليهود سحرك، عقد لك عُقَدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها. فبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [عليًا، رضي الله تعالى

(٤٠) - تفسير ابن جرير (٣٠/٢٢٧).
(٤١) - المسند (٣/٢٨، ٥٦). ورواه الترمذي رقم (٩٧٢) كتاب الجنائز. وابن ماجة رقم (٣٥٢٣) كتاب الطب. وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٤٢) - المسند (٤/٣٦٧).

[١] - سقط من خ.
[٢] - في ز: آية.
[٣] - في ز: رقن.
[٤] - في ز: مرو.
[٥] - في ت: من.
[٦] - في ز: شكيت.

عنه][١] فاستخرجها، فجاء بها فحللها، قال: فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كأنما نَشط من عقال، فما ذكر ذلك [لليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى][٢] مات.

ورواه النسائي(٤٣) عن هَنّاد، عن أبي معاوية محمد بن حَازم الضرير.

وقال البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه(٤٤): حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابن جريج[٣]، يقول: حدثني آل[٤] عُروة، عن عروة، فسألت هشامًا عنه، فحدثَنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- سُحِر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا- فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيتُه فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب(٤٥). قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم- رجل من بني زُريق حَليف ليهُودَ، كان منافقًا- قال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقة(٤٦) قال: وأين؟ قال: في جُفّ طَلْعَة ذكر(٤٧) تحت رعوفة(٤٨) في بئر ذَرْوَان. قالت: [فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم-][٥] البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئرُ التي أريتُها، وكأن ماءها نُقّاعة الحنّاء، وكأن نخلها رءوس الشياطين». قال: فاستُخرجَ قالت[٦]: فقلت: أفلا؟ أي[٧]: تَنَشَّرتَ[٨] (٤٩)؟ فقال: «أمَّا الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا».

(٤٣) - سنن النسائي (١١٢/٧) كتاب التحريم.

(٤٤) - صحيح البخاري رقم (٥٧٦٥) كتاب الطب.

(٤٥) - مطبوب: أي مسحور.

(٤٦) - قوله: في مشط ومشاطة: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط.

(٤٧) - قوله: جف طلعة ذكر: هو الغشاء الذي يكون على طلع النخل ويطلق على الذكر والانثى فلهذا قيده هنا بالذكر.

(٤٨) - الراعوفة: حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستسقي.

(٤٩) - أفلا تنشرت: إما أن يكون من النشرة، وإما أن يكون بمعنى الإخراج، أي فهلا أخرجته. فتح الباري رقم (٥٧٦٣) كتاب الطب.

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفين في ز: «اليهودي ولا وأبى وجهه حتى».

[٣] - في خ: جرير.

[٤] - في ز: إلى. كذا.

[٥] - سقط من ز.

[٦] - سقط من ز، خ.

[٧] - في ز: أتى.

[٨] - في ز: انتشرت.

وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي ضمرة أنس بن عياض، وأبي أسامة، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله».

وعنده «فأمر بالبئر فدفنت».

وذكر أنه رواه عن هشام أيضًا ابنُ أبي[١] الزّناد والليث بن سعد.

وقد رواه مسلم(٥٠)، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير[٢] [ورواه أحمد عن عفان، عن وهب، عن هشام به(٥١)].

ورواه الإمام أحمد(٥٢) أيضًا عن إبراهيم بن خالد [عن رباح][٣] عن معمر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لبث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ستة أشهر يُرَى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، وذكر تمام الحديث.

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم- فدبَّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأس النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدّة أسنان من مُشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها.

وكان الذي تولى ذلك رجل منهم- يقال له: لبيد[٤] بن أعصم- ثم دسها في بئر لبني زُريق، يقال لها[٥]: ذَرْوان، فمرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يَذُوب ولا يدري ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فَقَعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبّ؟ قال: سُحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد ابن أعصم اليهودي. قال: وبم طَبّه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُفّ طلعة تحت راعوفة[٦] في بئر ذَرْوان- والجف: قشر الطلع. والراعوفة[٧]: حجر في أسفل البئر

---

(٥٠) - صحيح مسلم رقم (٢١٨٩) كتاب السلام.

(٥١) - المسند (٦/٩٦).

(٥٢) - المسند (٦/٦٣).

---

[١] - سقط من ت.

[٢] - في ز: بحير.

[٣] - سقط من ز، خ.

[٤] - سقط من ت.

[٥] - سقط من ز.

[٦] - في ز: راعونة.

[٧] - في ز: وراعونة.

ناتئ[١] يقوم عليه الماتح[٢] (٥٣) - فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم - مذعورًا، وقال: «يا عائشة، أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟». ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليًّا والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقَاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجفّ فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر[٣] معقود» فيه اثنتا[٤] عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خفة حين انحلّت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نَشط من عقال، وجعل جبريل - عليه السلام - يقول: باسم الله أرقيك، من كل شر[٥] يؤذيك، من حاسد وعين الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شرًّا».

هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

☆ ☆ ☆

(٥٣) - الماتح: الذي يشرب الماء من البئر.

[١] - في ز، خ: ثابت.

[٢] - في خ: المالح.

[٣] - في ز، خ: دين.

[٤] - في ز: اثني.

[٥] - في خ: شيء.

تفسير سورة الناس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

هذه الصفات[١] من صفات الرب -عز وجل- الربوبية، والملك، والإلهية. فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة[٢] له. مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزَيّن له الفواحش، ولا يألوه جهدًا في الخبال. والمعصوم من عَصَم الله.

وقد ثبت في الصحيح أنه [ﷺ قال] : «ما منكم[٣] من أحد إلا قد وُكل به قرينهُ». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»(٥٤).

وثبت في الصحيح(٥٥)، عن أنس في قصة زيارة صفية للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- وهو معتكف، وخروجه معها ليلًا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسرعا، فقال رسول الله: «على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي».

فقالا: سبحان الله! يا رسول الله. فقال: «إن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا. أو قال: شرًّا».

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٥٦) : حدثنا محمد بن بحر، حدثنا عدي بن أبي عمارة،

---

(٥٤) - صحيح مسلم رقم (٢٨١٤) كتاب صفات المنافقين.

(٥٥) - صحيح البخاري رقم (٦٢١٩) كتاب الأدب. ومسلم رقم (٢١٧٥) كتاب السلام.

(٥٦) - مسند أبي يعلى في مسنده (٢٧٨/٧، ٢٧٩) رقم (٤٣٠١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٢) ثم قال: رواه ابو يعلى وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف. اهـ. قلت: وفيه أيضًا زيادة النميري ضعيف.

---

[١] - في خ: ثلاث صفة.

[٢] - سقط من خ.

[٣] - بعده في ز: له.

حدثنا زياد النّميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خَنَس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس». غريب.

وقال الإمام أحمد(٥٧): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تميمة[١] يُحدّث عن رَديف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حمارُه، فقلت: تَعس الشيطان! فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم، وقال. بقوتي صرعته. وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب».

تفرد به أحمد، إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد(٥٨): حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سَعيد المقبري، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: «إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاءه الشيطان فأبَس[٢] (٥٩) به كما يُبَسُّ[٣] الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه(٦٠) - أو: ألجمه» - قال أبو هُرَيرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلًا - كذا - لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل. تفرد به أحمد.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس الخناس﴾، قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذُكرَ لي أن الشيطان، أو الوسواس ينفث في قلب [ابن آدم][٤]عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس﴾، قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس.

---

(٥٧) - المسند (٥/٥٩). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٣٤، ١٣٥) وقال: رواه أحمد بأسانيد. ورجالها كلها رجال الصحيح.

(٥٨) - المسند (٢/٣٣٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجال امد رجال الصحيح.

(٥٩) - أبس به: أي قُهر وغلب.

(٦٠) - زنقه: أي ضيق عليه.

---

[١] - في خ: تميم.

[٢] - في خ: فأنس.

[٣] - في خ: ينس.

[٤] - في خ: الإنسان.

وقوله: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾، هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعمّ بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبًا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم ﴿رِجَالٌ مِنَ الجِنِّ﴾ فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.

وقوله: ﴿من الجنة والناس﴾، هل هو تفصيل لقوله ﴿الذى يوسوس في صدور الناس﴾، ثم بينهم فقال: ﴿من الجنة والناس﴾. وهذا يقوي القول الثاني.

وقيل: قوله: ﴿من الجنة والناس﴾، تفسير للذي يُوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾، وكما قال الإمام أحمد(٦١):

حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عُمر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في المسجد، فجلست، فقال: «يا أبا ذر، هل صليت؟». قلت: لا. قال: «قم فصل». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر[١] شياطين الإنس والجن».

قال[٢]: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم». قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: «خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر». قلت: يا رسول الله. فالصوم؟ قال: «فرض مجزئ[٣]، وعند الله مزيد[٤]».

قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «أضعاف مضاعفة». قلت: يا رسول الله، فأيها[٥] أفضل؟ فقال[٦]: «جُهد من مُقل، أو سرّ إلى فقير». قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يا رسول الله، ونبي[٧] كان؟ قال: «نعم، نبي مكلم[٨]». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر، جمًّا غفيرًا». وقال مرة: «خمسة عشر» - قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

ورواه النسائي(٦٢)، من حديث أبي عمر الدمشقي، به. وقد أخرج هذا الحديث مطولًا جدًّا

(٦١) - المسند (٥/١٧٨) وأخرجه أيضًا (٥/١٧٩) من طريق يزيد عن السعودي به.
(٦٢) - سنن النسائي مقتصرًا على ذكر الاستعاذة فقط (٨/٣١٦) كتاب الاستعاذة.

[١] - سقط من خ.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في خ: يجزئ.
[٤] - في ز، خ: يزيد.
[٥] - في خ: أيها.
[٦] - في ت: قال.
[٧] - في ز: ومتى.
[٨] - في ز: تكلم.

أبو حاتم بن حبان في صحيحه[٦٣]، بطريق آخر، ولفظ آخر مطول جدًا، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد[٦٤]: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن ذَرّ بن عبد الله الهَمْداني، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله؛ إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به. قال: فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة».

ورواه أبو داود والنسائي[٦٥]، من حديث منصور - زاد النسائي: والأعمش - كلاهما عن ذر، به.

آخر التفسير، ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

(٦٣) - الإحسان (٧٦/٢) رقم (٣٦١٠). وأبو نعيم في الحلية (١٦٦/١- ١٦٨). وفيه إبراهيم بن هشام ابن يحيى الغساني الدمشقي. قال أبو حاتم: كذاب كما في الجرح والتعديل (١٤٢٩/٢) وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذاب كما في ميزان الاعتدال (٧٣٩/١) وقال الذهبي عنه أيضًا: إبراهيم بن هشام: أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان فلم يصب. الميزان (٣٧٨/٤).

(٦٤) - المسند (٢٣٥/١).

(٦٥) - سنن أبي داود رقم (٥١١٢) كتاب الادب. والنسائي في اليوم والليلة رقم (٦٦٨، ٦٦٩).

خاتمة ناسخ المخطوطة « ز »

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. ورضي الله عن الصحابة أجمعين. حسبنا الله ونعم الوكيل. وكان الفراغ منه في العاشر من جمادى الأولى [ ][(١)] سنة خمس وعشرين وثمانمائة. والحمد لله وحده.

الحمد لله الذي رفع السماء بغيرِ عمادٍ، وبسط الأرض وثبتها بالأطواد، ومنح معرفته ومحبته من شاء من العباد، وأقام لدينه أولياء ينصرونه ويقومون به، وجعل منهم النجباء والأقطاب والأوتاد، وأعلى منار الدين بالعلماء العاملين، وأوضح بهم طرق الرشاد، وقمع بهم أهل الزيغ والأهواء والبدع والفساد، وثبت لهم دينهم بالنقل عن نبيهم بصحيح الإسناد، ونفى عنهم التدليس والشذوذ والانفراد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، المتعالي عن الشركاء والنظراء والأنداد، المنزه عن الحلول والاتحاد والإلحاد.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، سيدُ العباد، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأنجاد، وصحابته السادة الأبرار الأمجاد، صلاة تدوم وتقوم ما قامت السموات والأرض بأمره، وقابل البياض السواد.

وبعد، فقد أمرني السيد الجليل، من وصل الله له جناح الصنيع الجميل، وواصل عليه السول، وأوصل إليه المأمول، وعمَّر بحبه ربوع أنسي، وأمطر بفيضه ربيع نفسي، مولانا وسيدنا العبد الفقير إلى الله - سبحانه - الآمل الراجي عفوه الكريم وإحسانه، قاضي القضاة، حاكم الحكام، نجم الدين حجة الإسلام والمسلمين، سيد العلماء في العالمين، بهاء الملة، لسان الشريعة، عز السنة، حصن الأمة، خطيب الخطباء، إمام البلغاء، غرة الزمان، ناصر الإيمان، شيخ الشيوخ العارفين - أبو حفص عمر - ابن سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله - تعالى - الشيخ الإمام العلامة، والحبر الفهامة، قدوة العلماء العاملين، أبي محمد حجي السعدي الشافعي - أمر - أعلى الله أمره، وأسنى[(٢)] قدره، من لا يتقلب إلا في طاعته، ولا يتصرف إلا في مرضاته - أن يُكتَبَ برسم خزانته[(٣)] تفسير الشيخ[(٤)] الإمام العالم الكبير، العلامة عماد الدين ابن كثير - رحمه الله وأرضاه، وجعل بحبوحة الجنة مقره ومثواه. فامتثلت أمره بالسمع والطاعة، وعددت هذا الأمر من أنفس البضاعة، مع أني في الكتابة قليل الصناعة. فكتبت قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، فإن صادفت قبولًا وبلغت مأمولًا، فيكون سعدي سعيدًا، ويقع سهمي سديدًا ...

فَإن وقَفَتْ بي قُدْرَتي دُونَ همتي ... فمبلغُ علمي والمعاذيرُ تُقبَلُ

قد جَمَعت هذه الخزانةُ الشريفةُ أشتات العلوم على الإطلاق، من رام مثلها فهو مُقَصر عن روم أسباب اللحاق، خصوصًا إذ كان بها هذا التفسير الذي مادته سنن المصطفى المنبه على جوامع ما يزداد اللبيب بها بصيرة في علمه النافع؛ إذ كان ﷺ قد أوتي جوامع الكلام، وعلِّم فصل الخطاب. فلم يسمع الناس كلامًا أعم نفعًا، ولا أقصر لفظًا، ولا أعدل وزنًا[(٥)]، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا

---

(١) - في ز : من .

(٢) - في ش : وأسد .

(٣) - في ش : خزانة .

(٤) - سقط من ش .

(٥) - في ش : وفرًا .

أسهل مخرجًا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فحواه ﷺ.

فلله در مولانا ، إذ جمع أفراد(٦) الفضائل ، ونظم آحاد العقائل ، وحاز من العلم الذرى والغوارب . فلا يخفى على ذي لب أنه أغرق في الفهم نُصولًا ، وأعرق في العلم أصولًا فأقول مختصرًا ، وعما يليق بمدحه معتذرًا ، عسى يمر به من تضاعيف ثنائي عليه ما يبلغني به الزلفى في حبه ، والقربى من قلبه ، وتلك أمنيتي حتى(٧) ألقى منيتي ، لا أتعداها ، ولا أتمنى سواها ، ولله در القائل :

إذا ابنُ حجي جادت(٨) لنا يده	لم يُحمد الأجودان : البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرته	تضاءَل الأنوران : الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو جَد عزمته	تأخر الماضيان : السيف والقدر
من لم يبت حذرًا من خوف سطوته	لم يدر ما المزعجان : الخوف والحذر
كأنه الدهر في نعمى وفي نقم	إذا تعاقب منه : النفع والضرر
كأنه - وزمام الدهر في يدهِ	يدا عواقب : ما يأتي ومَا يذَرُ

فالحمد لله الذي جعل جمال منظرك موازيًا لكمال مخبرك ، وشامخ فَرْعك مقارنًا لراسخ عنصرك .

والله حسبي فيك من كل	ما يعوِّذ العبد به المولى
واسلم وعش لا زلت في نعمة	أنت بها من غيرك الأولى

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

كتبه الفقير محمد بن علي الصوفي البواب ، بالخانقاة(٩) الشميصاتية(١٠) ، بدمشق المحروسة ، حامدًا ومصليًا ، ومحسبلًا ومحوقلًا ، والحمد لله وحده .

(٦) - سقط من ش .
(٧) - في ش : حين .
(٨) - في ش : حادت
(٩) - في ش : لمنعاه
(١٠) - في ش: التصائية .

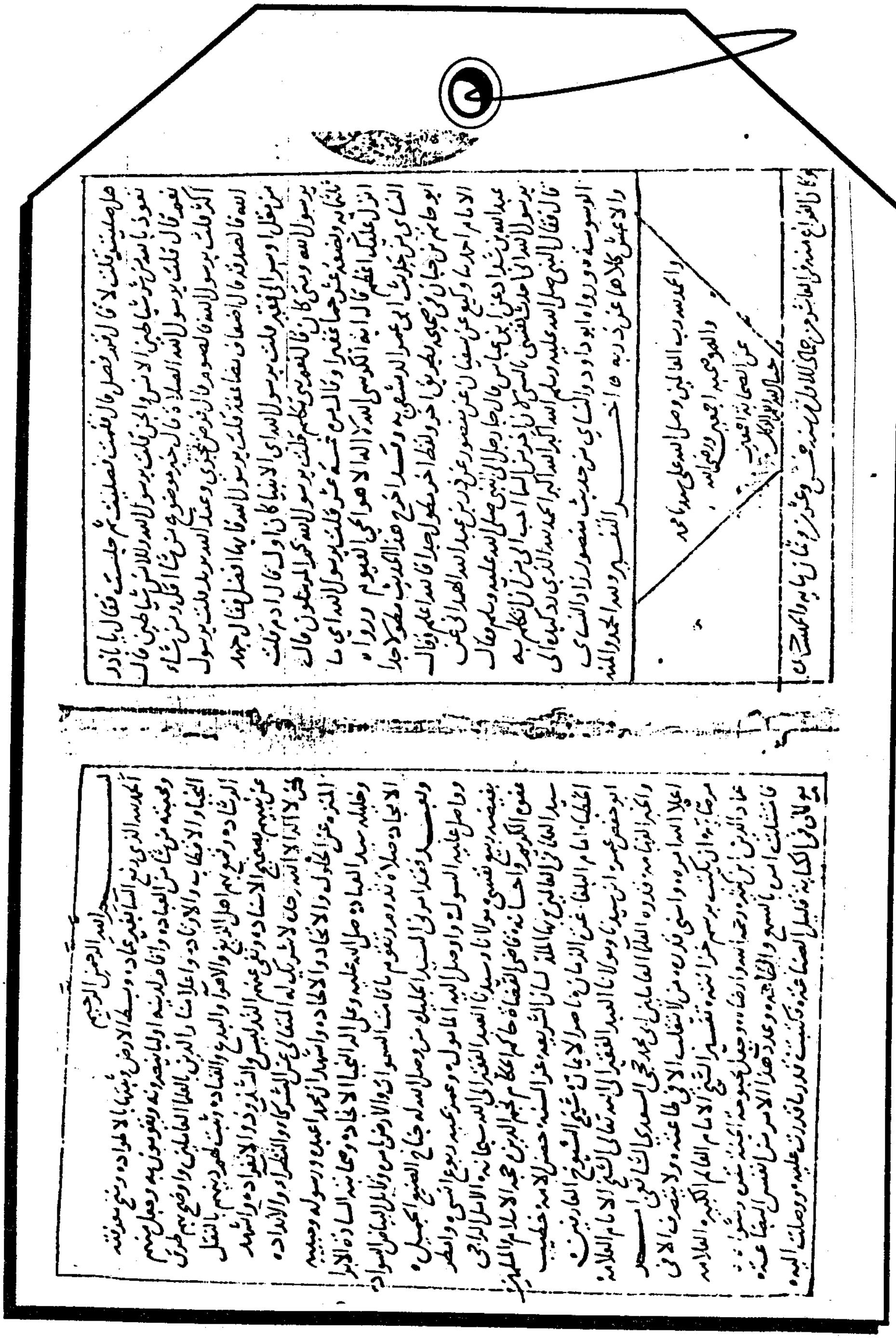

اللوحة قبل الأخيرة من النسخة « ز »

فان صادفت قبولا وبلغت مأمولا، فيكون سعدي سعيدا، ويقع سهمي سديدا

فان وقفت بي قدرتي دون همتي فمبلغ علمي والعاذر يتقبل

قد جمعت هذه الخزانة الشريفة اشتات العلوم على الاطلاق ومن رام مثلها فهو مقصر عن رومه باسباب اللحاق خصوصا اذ كان بها هذا التفسير الذي ما دونه سنن المصطفى المنبه على جوامعه، ما يزداد اللبيب بها بصيرة في علمه النافع، اذ كان صلى الله عليه وسلم فردا في جوامع الكلام، وعالم فصل الخطاب، فلم يسمع الناس كلاما اعم نفعا، ولا اقصد لفظا ولا اعدل وزنا، ولا اجل مذهبا ولا اكرم مطلبا، ولا احسن موقعا ولا اسهل مخرجا، ولا افصح عن معناه، ولا ابين في فحواه صلى الله عليه وسلم، فلقد ذر نوالا اذ جمع افراد الفضائل، ونظم احاد العقائل وحاز من العلم الذرا والغوارب، فلا يخفى على ذي لب انه اعرق في الفهم نصولا، واعرق في العلم اصولا، فأقول مختصرا وعن ما يليق بمدحه معتذرا، عشقي بمدحه من تضاعيف ثنائي عليه ما يبلغني به الزلفى في حبه، والقرب من قلبه، وتلك امنيتي حتى التي منيتي، لا ابتغي اخرى ولا المنى سواها، ولله در القائل

اذا ابن يحيى جادت لنا يده لم يحمد الاجودان البحر والمطر

وان اضاءت لنا انوار غرته تضاءل الانوران الشمس والقمر

وان تقضى رايه او جد عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر

من لم يبت حذرا من خوف سطوته لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر

كانه الدهر في نعمى وفي نقم اذا تعاقب منه النفع والضرر

كانه وزمام الدهر في يده يرى عواقب ما يأتي وما يذر

فالحمد لله الذي جعل حال منظره موازيا لكمال مخبره، وشامخ قدره مقاربا لراسخ عنصره، والله حسبي فيك من كل ما يعوذ العبد به المولى

فاسلم وعش لا زلت في نعمة انت بها من غيرها الاول

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. كتبه الفقير محمد بن علي الصوفي البواب بالخانقاه السمصانية بدمشق المحروسة حامدا ومصليا ومحسبلا ومحوقلا ومسلما

اللوحة الأخيرة من النسخة « ز »

الفهرست

تفسير سورة المنافقون ٥
تفسير سورة التغابن ١٧
تفسير سورة الطلاق ٢٦
تفسير سورة التحريم ٤٧
تفسير سورة الملك ٦٨
تفسير سورة ن ٨٠
تفسير سورة الحاقة ١١١
تفسير سورة المعارج ١٢٥
تفسير سورة نوح ١٣٩
تفسير سورة الجن ١٤٨
تفسير سورة المزمل ١٦١
تفسير سورة المدثر ١٧٥
تفسير سورة القيامة ١٩٢
تفسير سورة الإنسان ٢٠٦
تفسير سورة المرسلات ٢١٩
تفسير سورة النبأ ٢٢٧
تفسير سورة النازعات ٢٣٨
تفسير سورة عبس ٢٤٦
تفسير سورة التكوير ٢٥٧
تفسير سورة الانفطار ٢٧٣
تفسير سورة المطففين ٢٨٠
تفسير سورة الانشقاق ٢٩١
تفسير سورة البروج ٣٠١
تفسير سورة الطارق ٣١٥
تفسير سورة الأعلى ٣١٩
تفسير سورة الغاشية ٣٢٩
تفسير سورة الفجر ٣٣٧
تفسير سورة البلد ٣٥٣
تفسير سورة الشمس ٣٦٤

تفسير سورة الليل ٣٧١
تفسير سورة الضحى ٢٨٠
تفسير سورة الانشراح ٣٨٨
تفسير سورة التين ٣٩٤
تفسير سورة العلق ٣٩٧
تفسير سورة القدر ٤٠٣
تفسير سورة البينة ٤٢٠
تفسير سورة الزلزلة ٤٢٦
تفسير سورة العاديات ٤٣٤
تفسير سورة القارعة ٤٣٨
تفسير سورة التكاثر ٤٤٢
تفسير سورة العصر ٤٥١
تفسير سورة الهمزة ٤٥٣
تفسير سورة الفيل ٤٥٥
تفسير سورة قريش ٤٦٥
تفسير سورة الماعون ٤٦٨
تفسير سورة الكوثر ٤٧٥
تفسير سورة الكافرون ٤٨٤
تفسير سورة النصر ٤٨٩
تفسير سورة المسد ٤٩٥
تفسير سورة الإخلاص ٥٠٠
تفسير سورة الفلق ٥٢٢
تفسير سورة الناس ٥٢٩
الفهرست ٥٣٧